

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر كلية: أصول الدين

للعلوم الإسلامية قسنطينة



قسم: العقيدة ومقارنة الأديان

تخصص: ديانة مسيحية

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

المسائل المختلفة فيها بين الإصلاحيين البروتستانتين
"مارتن لوثر-أولريخ زوينجلي- جون كالفن" وأثرها
في الحركات البروتستانتية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم

تخصص: ديانة مسيحية

إشراف الأستاذة الدكتورة:

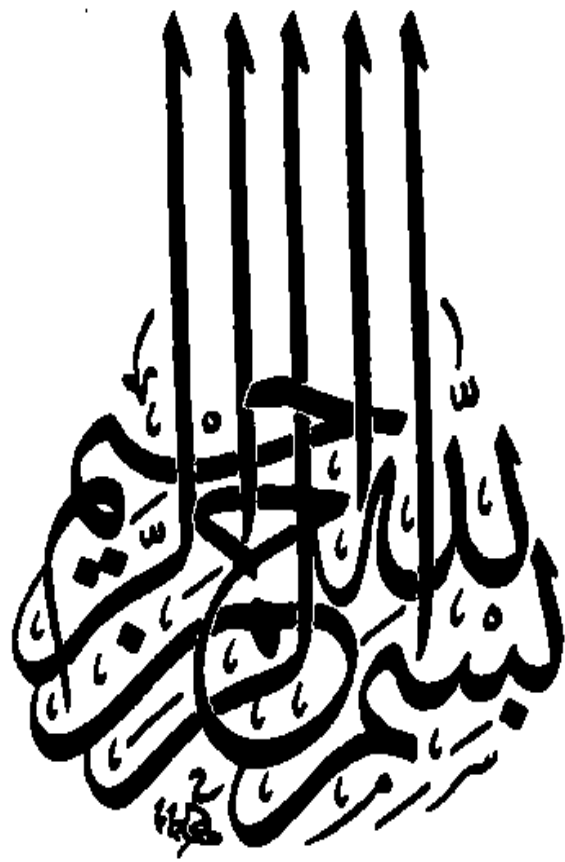
أ.د. آسيا شكيرب

إعداد الطالبة:

ديلمي و داد

الصفة	الجامعة الأصلية	الرتبة	أعضاء المناقشة
رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة -	أستاذ	أ.د. بن موفق شهناز سمية
مشرفا ومقررا	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة -	أستاذ	أ.د. آسيا شكيرب
عضوا	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة -	أستاذ	أ.د. يوسف العايب
عضوا	المدرسة العليا للأستاذة آسيا جبار - قسنطينة	أستاذ	أ.د. نعيمة دريس
عضوا	جامعة يوسف بن خدة - الجزائر 1	أستاذ محاضر - أ	د. حامي ياسين
عضوا	جامعة يوسف بن خدة - الجزائر 1	أستاذ محاضر - أ	د. عبد الكريم سباغ

السنة الجامعية: 1447-1448هـ / 2025-2026م



الشكر والعرفان

أشكر الله تعالى أولاً وأخراً على منحي الإرادة والصبر على إكمال هذا العمل

وأرجوا منه عز وجل أن يتقبله في ميزان صالح أعمالنا.

وأتقدم أيضاً بخالص الشكر لأستاذتي المشرفة أ.د. آسيا شكيرب التي لم تبخل عليا بتوجيهاتها وإرشاداتها وحسن طبيعتها وأخلاقها .

ولكل من علمني حرفاً وقدم لي يد العون من الأساتذة الفضلاء والزملاء والأصدقاء

وفي الأخير أتوجه بخالص عبارات الشكر والإمتنان لأعضاء لجنة المناقشة على جهودهم الكبيرة في قراءة هذه الدراسة وتوجيه ملاحظاتهم حولها، مما سيرفع من قيمتها، لمستوى يليق بحجم الشهادة.

-بارك الله فيكم -

الإهداء

إلى من شجعني وعلمني أنّ العلم والعمل قوام الحياة، أبي الحبيب

إلى غاليتي قرّة عيني.... أمي الحبيبة

إلى الشموع المضيئة في حياتي ابنتي الغالية وأختي.

إلى روح زوجي الغالي سفيان -رحمه الله-

إلى من عاشت معي لحظات إتمام هذا البحث: أختي شبيلة

إلى من أحبهم في الله

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، فطر الناس على الدين القيم، فقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30].

والصلاة والسلام على إمام الدعوة والرحمة المهداة والنعمة المسداة سيدنا وحبينا محمد رسول الله، أرسله الله رحمة للعالمين فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، وارضى اللهم عن أصحابه والتابعين الذين آمنوا به وإتبعوه، وبذلوا الغالي والنفيس لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه، فكانوا خير أصحاب وأولئك هم المفلحون أما بعد:

تعدّ حركة الإصلاح الديني التي نضجت في القرن السادس عشر أهم مرحلة من مراحل التطور التي مرت على أوروبا في العصر الحديث، بالرغم من أنّ الهدف الرئيسي للإصلاح، ديني في جوهره ومفاهيمه وتطبيقاته، إلا أنّ تأثيراته امتدّت لمجالات متعددة كالفكر والثقافة وعلم الاجتماع والسياسة، فأصبح الفكر الديني المصلح وكل ما أحاط به وصحبه من تطورات هو القوة الدافعة لإنطلاق الحضارة الغربية الحديثة.

لذا فإنّ دراسة الحركات الإصلاحية وتأثيراتها العميقة في حياة الشعوب أصبح ضرورة حتمية في عصرنا الحالي، حيث إنّ فهم هذه الحركات يمكننا من استيعاب العديد من التحولات الجذرية التي طرأت على هذه المجتمعات عبر التاريخ.

ومع بروز الأزمة الدينية العنيفة التي لم تشهدها الكنيسة الكاثوليكية منذ نشأتها، وتزامنا مع إرتداء أوروبا ثوب النهضة الحديثة، حدثت ثورة في التفكير الديني داخل الكنيسة التي لطالما حرص أتباعها على التمسك بوحدتها طيلة العصور الوسطى.

فأصبحت حركة الإصلاح الديني البروتستانتي تسير جنبا إلى جنب مع حركة النهضة على جميع المستويات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية آنذاك.

ومن هنا فإنّ دراسة الإصلاح الديني وزعمائه تُعدّ من أهمّ المسائل التي تحتاج إلى البحث والتوضيح، وهي واحدة من أهمّ المسائل التي طرحها المؤرخون والباحثون ، وتُعدّ كذلك محورا أساسيا لمن أراد أن يفهم تاريخ وحاضر الديانة المسيحية، و إذا ما أمعنا النظر في تاريخ الكنيسة ،سنلاحظ وجود العديد من الشخصيات التي ساهمت بشكل فعّال في حركة الإصلاح الديني ،فقد نادى هؤلاء بضرورة إصلاح و تجديد كنسي طال مختلف المستويات ،بما في ذلك الملوك و الحكومات و العلماء و الأساقفة،مما أدى إلى انتشار فكرة الإصلاح في كل زمان و مكان.

فمن الأهميّة أن نتناول بالعمل الأكاديمي دراسة هذه الحركة وشخصيات هؤلاء المصلحين (مارتن لوثر، أولريخ زوينجلي، جون كالفن) وآثارهم، فنحلل الأسباب التي أدت إلى ظهور الفكر الإصلاحية، وإرهاصاته، ومناقشة المبادئ الإصلاحية في فكرهم، واختلافاتهم، وأثرهم في المجتمعات التي عاشوا فيها.

1- إشكالية البحث:

وبناء على ما سبق تتمحور إشكالية البحث حول دراسة المسائل المختلف فيها بين الإصلاحيين البروتستانتين(مارتن لوثر، أولريخ زوينجلي،جون كالفن) و أثرها في الحركات البروتستانتية، وتكيف هذه الحركة بموضوعاتها وأهدافها، ونتائجها لمعرفة مدى تحقق الإصلاح الذي سعت إليه، ثمّ إيضاح الرؤية الكنسية الكاثوليكية لهذه المبادئ الإصلاحية، وتسلط الضوء على الأحداث المهمة في مسار هذه الحركة الإصلاحية، والتي تشكل نقطة تحول في الديانة المسيحية ككل، والمجتمع العالمي والأوروبي بصفة خاصة.

فكيف تهيأت الظروف لقيام حركة الإصلاح الديني؟ هل استطاع زعماء حركة الإصلاح الديني بلورة توجهاتهم الفكرية في ظل السيطرة البابوية آنذاك؟ ما هي أهمّ المبادئ الإصلاحية التي نادوا بها؟ هل هناك اتفاق وتباين في أفكارهم؟ ما موقف الكنيسة الكاثوليكية من الحركة الإصلاحية؟ وهل أثر موقفها في بلورة توجهات المصلحين؟ ما مدى تأثير الحركة البروتستانتية في توجيه العالم في جميع آفاقه؟

2- أهمية البحث:

فلما كان التحزّب في الدين والتشيع فيه إلى فرق وطوائف أمر له خطره على الأمة، إذ يؤدي إلى التفكك والإنهيار، كالأمة المسيحية التي انقسمت وتفرقت إلى طوائف وفرق واختلفت فيما بينها، فأصبحت كل طائفة ترى أنّ مذهبها ورأيها هو الصحيح، ومذهب وغيرها ورأيها باطل، مما أدى إلى ضياع وتشتت للديانة النصرانية، وكل فرقة ابتدعت وصنعت دينا لنفسها، صاغه رجال الدين من رهبان ولاهوتيين، ومجامع مسكونية ومحلية، فغيروا وبدلوا ما جاء به المسيح عليه السلام، فأصدروا قرارات وتعاليم ألزموا بها المسيحي، فهناك من استساغها وقبلها، وهناك من رفضها واغتاض منها، مثلما حدث مع أتباع المذهب البروتستانتي الذين إغتاضوا وإحتجوا من الكنيسة الكاثوليكية والإدارة البابوية، لذا يمكن تلخيص أهميّة الموضوع في النقاط الآتية:

-دراسة تاريخ حركة الإصلاح الديني في المسيحية لإبراز الدور الهام الذي لعبته في الساحة التاريخية.

-التعرف على المسيرة الإصلاحية التي خاضها زعماء الإصلاح الديني، والتي كانت لها انعكاسات في بروز نظريات جديدة كالنظريات الإجتماعية والسياسية والإقتصادية والفلسفية.

-محاولة الوقوف على المنطلقات الفكرية والدينية التي بنيت عليها حركة الإصلاح الديني.

-الوقوف على موقف الكنيسة الكاثوليكية ما بعد الإصلاح الديني.

-محاولة الوقوف على الآثار التي تركتها الحركة الإصلاحية من بعدها في ظهور الطوائف الحديثة والمعاصرة التي تفرعت عنها فيما بعد.

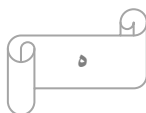
-حيث كان لهذه الحركة أثر واضح في صنع النصرانية، وكيف تأثر العالم بها خاصة الأوربي، من ثم كانت أهمية هذا الموضوع.

3- أسباب اختيار البحث:

- فاختياري له ليكون موضوع رسالة بحثية، يتلخّص في عدة أسباب نذكر منها:
- التعرف على الفكر الإصلاحى المسيحى من خلال المصادر والمراجع المسيحية التي اعتنت بدراسة مسار هذه الحركة.
 - التعرف على التجربة البروتستانتية التي أضحّت في أعلى المراكز العالمية العلمية تخصصاً وفكراً قائماً بذاته.
 - إبراز العلاقة بين حركة الإصلاح الديني، وحركة النهضة في جميع المستويات الإجتماعية والثقافية والإقتصادية والعلمية والسياسية وغيرها.
 - إبراز العلاقة بين حركة الإصلاح الديني وعودة العنصر اليهودي إلى الساحة العالمية، ودور الحركة البروتستانتية في ظهوره.
 - من المواضيع الهامة التي تناولها المؤرخون والباحثون، أفضى بنا إلى محاولة التعرف وفهم المسار التاريخي للديانة المسيحية وحاضرها.

4- أهداف البحث:

- دراسة حركة الإصلاح الديني، وإبراز بعض طوائفها ومصادرها ومدى تأثيرها في العالم الحاضر.
- تحليل أسباب إنشقاق الطائفة البروتستانتية عن الكنيسة الكاثوليكية، وتبيان موقف الكنيسة الكاثوليكية من البروتستانتية.
- الوقوف على التطور التاريخي للعقيدة المسيحية، وأنّ الطوائف النصرانية و على رأسها البروتستانتية قد ابتعدت بشكل كبير عما جاء به المسيح عليه السلام، و على الرغم من الاختلافات بين هذه الطوائف إلاّ أنّها تتفق على عقيدتي التثليث و الصلب كما أقرّتها الجماع المسيحية.
- الوقوف على أنّ البروتستانت قد صنعوا لهم دينا ظلّت صناعته إلى اليوم .
- محاولة تسليط الضوء على حقيقة الحركة البروتستانتية، والمبادئ التي خرجت بها لم تكن إلاّ حركة لإصلاح الكنيسة الكاثوليكية، وأنّ الكنيسة الكاثوليكية لم تكن لتستجيب لهذه المطالب، فخرج



البروتستانت بمذهب جديد وكنيسة جديدة.

-الوقوف على خطر البروتستانت في العالم، خاصة العالم الإسلامي، وصدق ما أخبرنا به الله

تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البقرة: 113].

5-الدراسات السابقة:

بعد التحري والبحث لم نقف على دراسة علمية مستقلة تناولت الحديث عن المسائل المختلف فيها بين الإصلاحيين البروتستانتين "مارتن لوثر، أولريخ زوينجلي، جون كالفن"، وأثرها في الحركات البروتستانتية، والإصلاح الكاثوليكي وتأثيره في هذه الاختلاف، إلا بعض الصفحات القليلة، وبعض المعلومات المتناثرة فيها خاصة الدراسات التاريخية لأوروبا في العصور الوسطى.

الدراسة الأولى: أما الدراسات العلمية الأكاديمية فقد أتيح الإطلاع على ما تقدم به الدكتور "محمود عبد رحمان دادو"، بعنوان "حركة الإصلاح الديني عند جون كالفن وأثرها في المجتمعات الأوروبية في بداية العصر الحديث"، كلية الشريعة لنيل درجة الماجستير في العقائد والأديان، جامعة دمشق، سوريا 2017. وركز فيها على المصلح الديني "جون كالفن" فقط، فقسم بحثه إلى أربعة فصول تحدث في الفصل الأول عن إرهاصات الإصلاح الديني وأسباب ظهوره، فذكر الأسباب التي أدت إلى ظهور حركة الإصلاح الديني والحركات الإصلاحية قبل "جون كالفن"، والمبادئ العامة لهذه الحركة. أما الفصل الثاني فخصّصه للحديث عن "جون كالفن"، ومشروعه الإصلاحية فعرض حياة "كالفن" وسيرته العلمية، ومبادئه، التعاليم العقائدية عنده ثم إنجازاته.

أما الفصل الثالث فتحدث فيه عن الأثر الديني والاجتماعي لـ"كالفن"، وآخر فصل الأثر الاقتصادي والأخلاقي، وتحدث فيه عن الفكر الرأسمالي وعلاقته بالإصلاح الديني، ولا شك أنّ هذه الدراسة تتقاطع مع دراستنا في نواح عديدة كحياة "جون كالفن" وسيرته العلمية ومبادئه والتعاليم العقائدية عنده، ولقد استفدت من هذه الدراسة في عدة محاور.

الدراسة الثانية: ومن الدراسات الأكاديمية أيضا ما قدمه الباحث سفيان حامدي لنيل شهادة الدكتوراه LMD، تخصص الحضارة الإسلامية وحوار الثقافات: المعهد العالي أصول الدين جامعة الزيتونة، تونس، 2021/ 2022م، بعنوان "حركة الإصلاح البروتستاني وأثرها في التحولات السياسية والثقافية في العصر الحديث، واحتوت الدراسة ثلاثة أبواب تضمن كل باب فصلا، ويندرج تحت كل فصل عدة مباحث.

فالباب الأول خصّه الباحث للحديث عن محاولات الإصلاح الأولى للكنيسة في العصور الوسطى، وفيه وصف أحوال الكنيسة، وذكر بعض الحركات الإصلاحية الأولى، التي سبقت حركة الإصلاح الديني الفعلي، أما الباب الثاني بعنوان رواد الإصلاح الديني وآرائهم الإصلاحية.

والباب الثالث عنونّ بأثر حركة الإصلاح البروتستاني في التحولات السياسية والثقافية في العصر الحديث، وقد ألّقت هذه الدراسة مع بحثنا في عدة جوانب، كالحديث عن زعماء الإصلاح وآرائهم، وأيضا عن أحوال الكنيسة في العصور الوسطى، وقد استفدت من هذه الدراسة في عدة نقاط متقدمة.

وقد وقفت هذه الدراسة إلى حد ما في عرض الأفكار والمبادئ التي تبناها زعماء الإصلاح خاصة المصلح الفرنسي (جون كالفرن)، والذي تمحورت حوله إشكالية البحث، وهو ما ميّز هذه الدراسة عن باقي الدراسات الأكاديمية.

لكن ما يؤخذ على هذه الدراسة أنّها اقتصرت على عرض المعلومات بصفة سطحية دون تحليل وتمحيص أو غوص في المحاور الأساسية لها، واكتفى الباحث بسرد المعلومات كما وجدها في المصادر والمراجع السابقة.

الدراسة الرابعة: إضافة إلى دراسة التي قدمها الباحث "وجيه محمد زكريا عمران"، لنيل درجة الماجستير كلية أصول الدين، قسم الدعوة، جامعة الأزهر، مصر، 1993م/1418هـ، بعنوان "الحركة البروتستانتية وأثرها على النصرانية، ومدى تأثيرها بالإسلام"، قسمها إلى تمهيد وبابين، ذكر نبذة عن نشأة الحركة البروتستانتية، والباب الأول بعنوان الحركة البروتستانتية في النصرانية جذورها وأشهر زعماءها وأسباب ظهورها ومدى تأثيرها بالإسلام، واشتمل على ثلاثة فصول، الأول تحدث فيه عن الجذور

التاريخية للحركة البروتستانتية وذكر أهم الطوائف التي نادى بالإصلاح، أما الفصل الثاني فقد تحدث فيه عن زعماء الإصلاح ومدى تأثيرهم بالإسلام.

وخصّ كل فصل منه للحديث عن المصلحين، بينما خصّ الفصل الأخير للحديث عن الأسباب العامة لقيام هذه الحركة، وهنا كانت نقطة الالتقاء مع بحثنا، بما في ذلك الأسباب الدينية، السياسية والعلمية.

أما الباب الثاني فقد خصه الباحث بالوقوف على أثر الحركة البروتستانتية على النصرانية واندراج تحته ثلا فصول، الأول الحركة البروتستانتية وأثرها في عقيدة التثليث، والثاني على عقيدتي الصلب والقيامة، والثالث: عن أثر الحركة البروتستانتية على الكنائس وطقوسها.

والملاحظ على هذه الدراسة أنّ الباحث لم يعط المساحة الكافية للحديث عن مبادئ الحركة البروتستانتية بالتفصيل وهي محور البحث، وركّز على الجانب العقائدي للديانة النصرانية بصفة عامة، كعقيدة الصلب والتثليث، ورد القرآن الكريم على هذه العقائد.

وهذا ما لم يمكننا من الاستفادة الكبيرة منها، حيث أنّ دراستنا تميّزت عن هذه الدراسة بالتركيز على آراء المصلحين، والوقوف على مواطن الاتفاق بينهم، ونقاط الاختلاف التي كان لها الأثر العميق في ظهور عدة حركات بروتستانتية تفرعت منها فيما بعد.

وأيضاً من أهم مصادر و مراجع البحث:

- كتاب "طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها" لـ "عقيل أنعام"، الطبعة الأولى، مؤسسة عكاظ للطباعة والنشر، جدة، السعودية، 2013م، واشتمل على بابان: الباب الأول بعنوان التعريف بالكنيسة البروتستانتية، ونشأتها التاريخية والفكرية، وفيه تمهيد، وثلاثة فصول:

التمهيد اشتمل على "التعريف بالطوائف النصرانية غير البروتستانتية"، والفصل الأول بعنوان "التعريف بالكنيسة البروتستانتية"، يندرج تحته أربعة مباحث، المبحث الأول مفهوم الكنيسة البروتستانتية، المبحث الثاني أسباب تكوين الكنيسة البروتستانتية والعوامل التي مهدت لذلك، والمبحث الثالث آثار ونتائج خروج الكنيسة البروتستانتية، أما المبحث الرابع علاقة الكنيسة البروتستانتية بالاستعمار والتنصير في العالم الإسلامي.

أما الفصل الثاني جاء تحت عنوان مبادئ الكنيسة البروتستانتية، وأبرز قادتها، والطوائف التي تفرعت عنها وفيه مبحثان الأول أبرز مبادئ الكنيسة البروتستانتية وعقائدها ومناقشتها مجملا، المبحث الثاني موقف الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية من مبادئ الكنيسة البروتستانتية وعقائدها.

أما الفصل الثالث والأخير بعنوان أبرز قادة الكنيسة البروتستانتية والطوائف التي تفرعت عنها، وهنا نقطة التقاء بينه وبين بحثي، ويندرج تحته مبحثين، المبحث الأول: أبرز قادة الكنيسة البروتستانتية وأهم مبادئهم. المبحث الثاني: أبرز الطوائف التي تفرغت عنها، ومواضيع اتفاقها واقتراحها.

أما المبحث الثاني بعنوان طوائف الكنيسة البروتستانتية وأهم معتقداتهم وأنشطتهم مع تحليلها ومناقشتها، ويندرج تحته ستة فصول كل فصل يعرض إلى كنائس متفرعة عن الكنيسة البروتستانتية، وهو أكثر الفصول التي تعاملت معه واستفدت منه كثيرا.

- كتاب "تاريخ الكنيسة"، الجزء الرابع لـ "جون لوريمر"، ترجمة: عزرا مرجان، الطبعة الأولى، دار الثقافة: القاهرة: 2001م، والذي تناول فيه تاريخ الكنيسة في القرن السادس عشر، فتحدث في الجزء الأول عن إصلاح القرن السادس عشر، وتناول فيه لمحة عن الظروف والتطورات التي أدت إلى الإصلاح ثم تحركات الإصلاح قبل الإصلاح الفعلي، ثم الاتجاهات الثقافية في العصر الوسيط، ثم النزعة الإنسانية وبعدها اختراع الطباعة وتقدم التعليم، ثم ظروف القرن الخامس عشر والسادس عشر السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وفي الجزء الثاني خصّه عن (مارتن لوثر) والكنيسة في ألمانيا، وكيف تحدى لوثر الكنيسة، وردة فعل الكنيسة الكاثوليكية، ثم بعدها انتشار اللوثرية في ألمانيا، بعد ذلك عن الإصلاح في سويسرا مع "أولريخ زوينجلي"، ثم ثالثا الإصلاح السويسري في جنيف مع "جون كالفن".

وبعد ذلك تحدث عن انتشار الإصلاح في إنجلترا واسكتلندا والإصلاح المضاد (الإصلاح الكاثوليكي)، وفي الأخير أفكار ختامية عن الإصلاح، وقد انتقدت كثيرا من هذا المجلد خاصة الجزء الثاني.

- كتاب دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة للآب "جان كمي" الطبعة الأولى، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1994م، وقسمه إلى عشرون فصل وجداول تاريخية، وقد تناولت كثيرا من الفصل الحادي عشر

تحت عنوان عصر النهضة والإصلاح من نهاية القرن الخامس عشر إلى القرن السادس عشر، واندرج تحته ثلاث عناوين أولاً أوروبا، ثانياً رجال الإصلاح، وثالثاً تحت عنوان أوروبا والمذاهب الدينية.

وأيضاً الفصل الثاني عشر بعنوان التجديد الكاثوليكي في القرن السادس عشر والقرن السابع عشر، واندرجت تحته ثلاثة عناوين، الأول بعنوان الإصلاح الكاثوليكي في القرن السادس عشر، والثاني بعنوان الإزدهار الديني في القرن السابع عشر، والثالث بعنوان نزاعات وأزمات داخلية

- كتاب قصة الحضارة لـ "ول وايريل ديورانت"، ترجمة: عبد الحميد يونس، دار الجيل للتعليم والنشر، بيروت، جامعة الدول العربية، تونس، المجلد السادس، الجزء الثالث، المعنون بـ "الإصلاح الديني" ويتسم بالموضوعية والمنهج العلمي السليم، وفيه ستة فصول بداية من الفصل السادس عشر إلى غاية الفصل الحادي والعشرون، وركزت على الفصل السادس عشر بعنوان "الإصلاح الديني في ألمانيا (1517-1524م)"، والفصل الثامن عشر بعنوان "زوينجلي . الإصلاح الديني في سويسرا (1477-1531م)"، والفصل الحادي والعشرون بعنوان "جون كالفن (1509 - 1564م)".

- إضافة إلى العديد من الكتب التي استخدمتها وكانت لها علاقة ببحثي ككتاب "أثر الكنيسة على الفكر الأوربي"، لـ "أحمد علي عجيبية"، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، مصر، 2004م، تناول فيه الحركة الدينية الإصلاحية، أسباب الإصلاح الديني وعوامله، زعماء الحركة الإصلاحية.

كتاب "تاريخ المسيحية في عصر الإصلاح" لـ "عزت زكي" وغيرها من الكتب الأكاديمية، ومن الكتب غير الأكاديمية: فقد تناولت أيضاً العديد من الكتب مثل: "كتاب جون كالفن" لحنا جرجس الخضري، دار الثقافة، القاهرة، 1989م. فاشتمل على معلومات حول شخصية "جون كالفن". متبعاً في ذلك الطريقة السردية للمعلومات دون تحليل أو نقد.

وأيضاً كتاب "مارتن لوثر مختارات من كتابات الرجل الذي غير تاريخ المسيحية 1517 م، ترجمة: هدى بهيج، الطبعة الأولى، سلسلة كلاسيكيات المسيحية، 2017، المجلد الأول، الثاني".

بالإضافة إلى كتب تاريخية عن أوروبا في العصور الوسطى، مثل: تاريخ المسيحية (المسيحية في العصور الوسطى) لـ "جاد المنفلوطي"

كما استعنت ببعض الكتب الأجنبية التي لها علاقة بموضوع البحث خاصة كتب "مارتن لوثر"

و"جون كالفن"، وكتب الإصلاح الديني.

1- كتاب:

1. Martin Luther: Table Talk, Trans: by William Hazlitt, Bell and daldy, York street, Covent garden, Landon, 1872
2. John calvin: Institutes of christion Religion, Translated by: Henry beveridge, Hendrickson Publishers, 2008, IV, 13.
3. Donald Mckim and others the combridge companion to john cabirn, united kingdom, 2004
4. Airne Humber: wlrich Zwingli et sou époque ،Lau sanne ،imprimerie et libraire de marc duclox 1844.

6- منهج البحث:

أما عن منهجنا في البحث فقد سرنا على منهج علمي منظم يسر لنا العمل مع تشعبات البحث وتفرعاته، وهو المنهج التحليلي، و استعملت آليتي النقد و المقارنة

-فاعتمدنا المنهج التحليلي في دراسة و وصف الأوضاع الدينية في العصور الوسطى وسيطرة الكنيسة على المجتمع الأوروبي في جميع المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية الدينية وغيرها، بالإضافة إلى استعراض حياة المصلحين (مارتن لوثر، أولريخ زوينجلي، جون كالفن) و الأحداث التي عاشوها و واجهوها آنذاك، وعرض آرائهم الاصلاحية في بعض المسائل، ومحاولة تحليل هذه الآراء الإصلاحية لكل مصلح بما يتوافق و معطيات تلك الفترة.

- كما اعتمدنا على المنهج المقارن لعله أنسب المناهج للدراسة عند عرض آراء المصلحين في بعض المسائل التي اختلفوا فيها ومقارنتها ببعضها البعض، والمنهج النقدي كلما دعت الحاجة إليه.

خطة البحث:

جاءت خطة البحث مقسمة إلى مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول. وفيما يتعلق بالفصول الثلاثة، فقد تضمن كل واحد منها أربعة مباحث، وتدرج تحتها عدة مطالب.



أما المقدمة فقد بيّنا فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره وأهدافه، ثم الدراسات السابقة للبحث، وبعده منهج البحث، ثم محتويات البحث.


أما الفصل التمهيدي: المعنون بأنماط الإصلاح البروتستانتي، ويندرج تحته أربع مباحث: المبحث الأول: النمط الديني والأخلاقي، والمبحث الثاني: النمط الاقتصادي والاجتماعي، ثم المبحث الثالث: النمط السياسي والقومي، والمبحث الرابع: النمط العلمي والفكري.

أما الفصل الأول: تحدثنا فيه عن حياة زعماء الإصلاح البروتستانتي، ونقاط التشابه الفكري بينهم. ويندرج تحته أربعة مباحث: المبحث الأول: يتحدث عن حياة المصلح السويسري "أولريخ زوينجلي"، أما المبحث الثاني: يتحدث عن حياة المصلح الألماني "مارتن لوثر". والمبحث الثالث: عن حياة المصلح الفرنسي "جون كالفن"، أما المبحث الرابع: فخصصناه إلى بعض الآراء الفكرية المتشابهة فيها بين زعماء الإصلاح الديني.

أما الفصل الثاني: المعنون بـ"بعض المسائل المختلف فيها بين زعماء البروتستانت"، ويندرج تحته أربعة مباحث، المبحث الأول: بعنوان العشاء الرباني وأثره. المبحث الثاني: عن الحرية الفردية، والمبحث الثالث: الكنيسة والدولة، أما المبحث الرابع: يتحدث عن موقف الكنيسة الكاثوليكية، ومحاولة إصلاح الكنيسة الكاثوليكية تحت عنوان: الإصلاح الكاثوليكي المضاد.

أما الفصل الثالث: بعنوان "أثر اختلاف الرؤى الفكرية الإصلاحية على تطور الحركة البروتستانتية"، ويحتوي على أربعة مباحث: أما المبحث الأول: وضعنا فيه أثر اختلاف زعماء الإصلاح الديني من الناحية الدينية. أما المبحث الثاني: من الناحية السياسية. أما المبحث الثالث: من الناحية الثقافية والاجتماعية. وأخيرا المبحث الرابع: خصصناه لأثر هذا الاختلاف من الناحية الاقتصادية، إضافة إلى خاتمة كانت حوصلة لما توصلنا إليه من خلال هذا البحث، فقد تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

وأخيرا نرجوا من الله تعالى التوفيق والسداد في إتمام هذا البحث، ولا كمال إلا لله تعالى ورسله، فإن أصبت فبفضل الله تعالى وعونه، وإن أخطأت فمن نفسي.



الفصل التمهيدي:
أنماط الإصلاح الديني

تمهيد

عانت النصرانية والنصارى زهاء ثلاثة قرون بعد رفع المسيح عليه السلام من إضطهادات الدولة الرومانية، حيث أنّها لم تكن تعترف بالنصرانية كدين، بل كانت تعتبر النصرانية ضرباً من الخرافات والأوهام التي يجب مقاومتها والقضاء عليها، إلى أنّ صدر مرسوم "ميلان"، والذي قضى بالتسامح مع النصارى عام 313م، عندها إلتقط رجال الدين المسيحي أنفاسهم، وبدأوا في تشكيل نظام لحياتهم من جميع النواحي خاصة الناحية الدينية على أساس المبادئ النصرانية، فتأسست الكنيسة⁽¹⁾، ونشأت البابوية⁽²⁾، لتكون مسؤولة عن تنظيم الشؤون النصرانية والتي أخذت فيما بعد، عبر قرون تعمل على تثبيت أركانها وتدعيم مركزها الديني والسياسي والإجتماعي في العالم النصراني في أوروبا، وقد إستطاعت تحقيق ذلك بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس، وسيطرت على الشؤون النصرانية في أوروبا، وقبضت العالم النصراني بيد من حديد، الذي أصبح من أهم واجباته الطاعة المطلقة للبابا، فلا يسمح لأحد حتى التفكير إلاّ بعد مشورة الكنيسة، فهي الأمر والنهي في كلّ أمر.

(1) -الكنيسة: جمع كنائس أصلها عبراني مأخوذة من كلمة "كنيسي" ومعناها "مجمّع" أو محفل (أبرص ميشال، وأنطوان عرب: مدخل إلى المحامع المسكونية، ط1، المكتبة البوليسية، لبنان، بيروت، 1996م، ص: 20).
والبعض يقول أنّ أصلها يوناني من الكلمة اليونانية أكليسيا (Ekklesia) ومعناها جمع (صحي حوي اليسوعي: دليل عربي يوناني إلى ألفاظ العهد الجديد، ط1، دار المشرق، لبنان، بيروت، 1993م، ص: 899).
وجاء أيضاً: أنّ كلمة كنيسة كلمة سريانية تعني مجمّع، وهي مشتقة من الكلمة اليونانية أكليزيا، وقد استعملت عموماً من أجل تأدية معانٍ مختلفة، فتارة يقصد بها المكان الذي يجتمع فيه المؤمنون للعبادة، وتارة أخرى يقصد بها جماعة المؤمنين أي الكنيسة الجامعة جسده المسيح، وحيناً ترد بمعنى المؤمنين في بلد معين أو مكان معين، مثل كنيسة أورشليم وأنطاكية (نخبة من المؤلفين: قاموس الكتاب المقدّس، حرف الكاف، ص: 518).

(2) -البابوية: نسبة إلى بابا، وهو لقب مشتق من الكلمة اليونانية Papas، وتعني الأب وهي اسم مؤنث يلفظ بالأجنبية pape أو pope، والذي هو تحريف للفظ اللاتيني القديم papa، وعليه فأصلها يوناني (أحمد علي عجيبية: البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي، ط1، مطابع الشناوي، القاهرة، 1991م، ص 5).

وأيضاً يقال أنّها مشتقة من الكلمة القبطية "بي أباً" أي البابا أو الأب وهو الرئيس الأول في الديانة النصرانية الكاثوليكية، وكان في بادئ الأمر يسمى البطريرك، فقد كان الأساقفة يدعون البطريرك بالأب تعظيماً له، فاشتبه الأمر عليهم في العصور المتقدمة فدعوا البطريرك البابا ومعناه أبو الآباء(مانع بن حماد الجهني: الموسوعة المسيحية في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط4، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 1420هـ، مج2، ص 981).

أمّا من الناحية الإصلاحية: البابوية هي رتبة أسقفية وسلطوية يتقلدها أسقف روما الذي هو الرئيس للأسقفية بصفته المسؤول الأول فيها، والراعي الرسمي للمسيحيين الكاثوليك (سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، ط3، القاهرة، 1978، ص 54).

ومع نهاية القرن الحادي عشر وبعد صدور ما يسمى بالأوامر البابوية، إستطاع البابا في روما أن يمسك بزمام العالم الغربي النصراني، فتحقق له السلطان والسيادة، حتى لقب بملك الملوك.

وعمقتضى هذا النظام كان لزاما على الأوروبيين حكاما ومحكومين أن يقدموا فروض الولاء والطاعة للكنيسة إلا أنّ هذا الحال لم يدم إلا عدة قرون، فسرعان ما تبخرت القوة الكنسية، وفقدت كيانها السامي بين الناس، ولم تعد تتمتع بهيبتها وقداستها التي أضفتها على نفسها، بما إدّعت ونسبته لنفسها، وكان ذلك خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر، وأضحى حقيقة واقعة في القرن السادس عشر بقيام الحركة البروتستانتية⁽¹⁾ التي زلزلت أركان الكنيسة الكاثوليكية، خاصة أنّها لم تحترم مركزها الديني الذي حقّقه بين النصارى والتفتت إلى أطماع دنيوية ومصالح شخصية أراد رجالها الحصول عليها مستغلين نفوذهم الديني.

من هنا يجيء الإصلاح بوصفه عملية علاجية طارئة، تستهدف إلى تخليص المجتمع من التطاحن والتآكل والحيلولة دون إنتشارهما، وتجاوز الأخطاء والعيوب والفساد والعبث والممارسات اللاعقلانية المختلفة.

ولقد حتمت جملة من العوامل والظروف الدينية والإقتصادية والسياسية والإجتماعية والأخلاقية المعقدة ولادة حركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر، وإن جاءت هذه الولادة مترافقة مع ظهور حركات تقاطعت معها وإفترقت عنها، مثل حركة الرهبة الفرنسييسكانية⁽²⁾، وحركة الولدانيون⁽³⁾، وحركة

⁽¹⁾ البروتستانتية: جاء في القواميس العامة التي تناولت الكلمات الأجنبية، وتحدّثت عن أصل كلمة بروتستانتية، برتستو: كلمة أجنبية ترادف لإشهاد، وقيام الحجة، أطلقت على لوثر وأتباعه الذين قدّموا احتجاجا بروتست لممثلي السلطات الكاثوليكية الرومانية، وأطلق اسم البروتستانت أي المحتجين على المصلحين وصارا إسماء لهم (أ.ه. برودنب: الكنيسة المتغربة، ت: وليم وهبة بباوي، ط2، 1973م، ص: 183).

⁽²⁾ الرهينة الفرنسييسكانية: (1182-1226م) تأسست على يد القديس فرنسيس إلسيزي في القرن الثالث عشر في إيطاليا، وهي رهينة في الكنيسة الكاثوليكية ثبت قوانينها البابا أينوست الثالث وتعتمد على روحانية القديس فرنسيس والقوانين التي وضعها بشكل أساسي (صبيحي حموي السيوعي: من ثمارهم تعرفوهم، ط3، دار المشرق، بيروت، 1986م، ص: 133).

⁽³⁾ الولدانيون: "les vaudois de lyon": تأسست الحركة على يد تاجر فرنسي واسع الثراء من مدينة ليون اسمه بطرس فالديو "pierre valdo" عام 1175م، وعرفت كذلك بإسم فقراء ليون (صمويل زريقي: تحديد الفكر الديني في المسيحية، ط1، دار الثقافة، مصر، 2002م، ص: 107).

الكاثاري⁽¹⁾، محاولات جون ويكلي⁽²⁾. وجون هوس⁽³⁾، وجيربلاموسافونل رولا⁽⁴⁾، إلى غاية القرن السادس عشر وبرز حركة الإصلاح الديني⁽⁵⁾، بزعامة "مارتن لوثر" و"أولريخ زوينجلي" و"جون كالفن".

وكانت جذور الحركة البروتستانتية قد نمت واشتد عودها في العقد الثاني من القرن السادس عشر، وقد أخذت تشغل حيزا رحباً في الفكر الأوروبي، بعد أن قفزت بأوروبا من عصور الظلام والإنحطاط إلى عصر النهضة والتحرر من قيود الكنيسة، بالرغم من أنه ليس تغييراً جذرياً وشاملاً، إلا أنه قد عالج أنماطاً مختلفة في الحياة الأوروبية آنذاك، وعلى هذا الأساس ماهي أنماط الإصلاح الديني؟

⁽¹⁾الكاثاري: "Cathars" لفظة إغريقية الأصل معناها (الذين يحبون حياة الصفاوة والورع)، وقد أطلق عليهم المعاصرون أسماءً متبانية، فهم النساجون، وفقراء لمبارديا، وهم إلألبجنزيين، والزهاد... والواقع أنّ هذه الجماعة الثائرة قد اتخذت تلك الأسماء من مركز إنتشارها، ولكنها جميعاً تنضوي تحت لواء الأَطهار (أحمد علي عجيبة: أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، ط1، دار الآفاق العربية، مصر، 2004م، ص: 55).

⁽²⁾جون ويكلي: (1330-1384م) "John Wiclif": فيلسوف إنجليزي، مصلح مسيحي، كاهن، أستاذ في علم اللاهوت في جامعة أكسفورد، هاجم سلطة البابا المطلقة من أعظم إسهاماته كان ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الإنجليزية الدارجة، ثارت الكنيسة عليه بسبب ذلك ومنعت نشر الكتاب لاحقاً، وأدين بالهرطقة بعد موته. وأحرقت كتبه كلها بل حتى عظامه أخرجت من القبر وأحرقت بأمر من البابا، يعتبر من أبرز المصلحين قبل الإصلاح البروتستاني (عامر عبد العزيز الوائلي: الإصلاح الديني قراءة المفهوم في التجربة المسيحية العربية، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العراق، 2018م، ص: 56).

⁽³⁾جون هوس: (1369-1415م) كاهن روماني/ كاثوليكي في بوهيميا، مصلح سابق للإصلاح البروتستاني، درس في جامعة تشارلز في براغ، حاول إصلاح الكنيسة في التشيك، وتبعه العديد من الناس، إتهمته الكنيسة بالهرطقة وأعدم حرقاً (جان كمي: دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ت: أيوب زكي وآخرون، ط1، دار المشرق، بيروت، 1994م، ص: 215).

⁽⁴⁾جيريلامو سافونا رولا: "Jerome savonarole" (1452-1498م) بإيطاليا واعظ ومصلح إيطالي، درس الطب وحصل تعليمًا جيداً، أدرجت مؤلفاته ضمن فهرس الكتب المحظورة، كان زعيم فلورنسا منذ عام 1494م، حتى إعدامه حرقاً خطب مهاجماً بشدة ضد ما رآه من فساد أخلاقي من جانب رجال الدين، وكان خصمه الرئيسي البابا "اسكندر السادس" (حسن عثمان: سافونا رولا الراهب الثائر، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، مصر، 1947م، ص: 20).

⁽⁵⁾الإصلاح الديني: يطلق على الثورة الدينية التي حدثت في الكنيسة الغربية في القرن السادس عشر، وهو عملية إعادة توجيه الدين المسيحي إلى مساره، وتخليصه من الإنحرافات والشوائب التي لا تتوافق والكتاب المقدس والتعليم المسيحية (عذبة العاصي: تعريف حركة الإصلاح الديني في أوروبا، استرجع يوم: 3 جويلية 2023 <https://maodoo3.com>)

المبحث الأول: النمط الديني والأخلاقي للإصلاح الديني

المطلب الأول: النمط الديني

شهدت الحياة الدينية الأوروبية أنواعا من الفساد والتخلف والظلم والإجحاف، وهذا نتيجة أحكام وقرارات الكنيسة الظالمة، وما كان يمارسه رجال الدين الكنسي على الشعوب آنذاك، فأفرغوا المسيحية من محتواها الروحي والأخلاقي والإنساني حسب ما جاءت به تعاليم المسيح، فحوّلت الكنيسة الدين إلى أداة تسلط على الشعوب من أجل جني الأموال، ونهب الثروات والخيرات الطبيعية والبشرية هذا ما أدى إلى خلق شعور عميق يسعى إلى ضرورة التغيير ونبذ تعسف رجال الدين الكنسي، مع ضرورة إصلاح الكنيسة وإصلاح رجال الدين باختلاف مكانتهم ورتبهم خدّاما حقيقيين للمسيحية وشعبها، فصورة رجل الدين الجشع، لغارق في الممارسات الشاذة، المستبد على الناس، استدعت ضرورة إستبدالها بصورة رجل الدين الورع الذي يكون متواضع شريف، يتخذ من الكتاب المقدس نموذجا يحتذى به، وليس من التشريعات الكنسية والبابوية التي لا يمكن المساواة بينها وبين الكتاب المقدس بأي حال من الأحوال⁽¹⁾.

وقد سعى البعض لمحاولة إصلاح ديني شامل لإرجاع المسيحية إلى التعاليم الأولى التي جاء بها المسيح ونادى بها اللاهوتيين الأوائل، فكان هناك العديد من المصلحين الذين بادروا إلى مثل هذه الإصلاحات الدينية، على رأسهم "مارتن لوثر"، الذي إنتقد الطغيان الكنسي العام، فأعطت الكنيسة لنفسها حقّ الإنفراد بفهم الكتاب المقدس، واستبدت بتفسيره حسب مصالحها ولا يحقّ للرعية إنتقاد هذا التفسير، فلا معقّب ولا منتقد له⁽²⁾.

ولا يجوز للمسيحيين أن يشكّوا في تفسير البابا بإعتباره صورة الله على الأرض، وعليهم أن يتلقوا قوله بالقبول سواء وافق العقل أم خالفه، وعليهم أن يروضوا عقولهم على قبوله، فإن لم يستطيعوا، فعليهم أن يشكّوا في عقولهم ولا يشكّ في تفسير الكتاب المقدس.

⁽¹⁾ -سامي الشيخ محمد: مفهوم الإنسان في فكر لوثر وكالفن، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة دمشق، 1422هـ-2001م، ص: 24.

⁽²⁾ - محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ص: 155.

وقد كانت الكنيسة كثيراً ما تعلن أموراً لم يأتي بها الكتاب المقدس عندهم، وما تعرض له المسيحيون الأوّلون ولا المجامع المسيحية الأولى، وهي أمور وأحكام لا يستسيغها العقل البشري، وتلزم المسيحيين بها، بل وتفرضها عليهم فرضاً، ومن تجرأ على إصدار حكم أو قول فسيعاقب أشدّ العقاب⁽¹⁾. وفي حقيقة الأمر أنّ هذا الغلو والطغيان والإستبداد في فهم وتفسير الكتاب المقدس، ما هو إلاّ نتاج لفساد ديني بحت، والسعي وراء المصالح الشخصية لرجال الدين، وهذا الإحتكار في تفسير الكتاب المقدس يعكس إقصاء الكنيسة لكلّ من يخالفها أو بالأصح يخالف مصالح رجالها في تلك الفترة الزمنية، والدليل على ذلك أنّ تفسيرات الكنيسة لنصوص العهد القديم، وخاصّة فيما يتعلق بقصّة الخلق أدت إلى إستبعاد علم طبقات الأرض والحيوان وعلم الأثروبولوجيا عن ميادين البحث الحرّ، وأصبحت الحقيقة عندهم هي الكائنة في ظاهر نصوص الإنجيل⁽²⁾.

فحاربت الكنيسة في تلك الحقبة كلّ العلماء والمكتشفون للتّظريات والأفكار العلمية والعقلية التي تتعارض وقراراتها، فأنشأت محاكم التفتيش التي كانت تعمل على قتل وحرق العلماء وإتلاف مؤلفاتهم ونظرياتهم لكي لا تنشر في المجتمعات الأوروبية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد كان الكتاب المقدس باللّغة اللاتينية والتي كان عامة الشعب لا يعرفونها، وبالتالي لا يفهمون الكتاب المقدس، وأي محاولة لترجمته إلى لغة الشعب تعتبر خطأ يحاكم عليه القانون الكنسي⁽³⁾، فأبعده عن متناول الشعب.. وقد كان من أسباب الإصلاح الحاجة إلى ترجمة وفهم ما جاء في الكتاب المقدس مع ضرورة أن يكون في متناول الجميع، لكي يكون هو المرشد والدستور لجماعة المؤمنين المسيحيين في حياتهم، ولا قيمة للكتاب المقدس إلاّ عندما يقرأ ويفهم من الناس بلغته الخاصّة به، حسب إعتقاد "لوثر" وجميع من نادى بالإصلاح⁽⁴⁾.

وقد منعت الكنيسة قراءة ترجمة الكتاب المقدس الذي ترجمه "لوثر" وهذا ما ورد في قرارات مجمّع "ترانت" 1545م «لما كان قد ظهر من الإختبار أنّه إذا سمح لكلّ إنسان بدون تمييز قراءة الكتاب

(1) - محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص: 156.

(2) - أحمد على عجيبية: أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، ط1، دار آفاق العربية، 2004م، ص: 6.

(3) - القس صموئيل زرقي: تجديد الفكر الديني في المسيحية، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 2003م، ص: 114.

(4) - المصدر نفسه، ص: 115.

المقدّس المترجم إلى لغة الشّعب، فإنّ تهور البشر الناجم عن قراءته يسبب شراً أكثر من الخير، لذلك وجب الحصول على إذن خاص للسماح بقراءة الكتاب المقدّس إلى لغة الشعب»⁽¹⁾.

والمفهوم من هذا القرار لمجمّع "ترانت" أنّ الكنسية في هذه الفترة حرّمت على شعوبها التفكير والفهم الحرّ، وقد إنّهت كلّ من يفعل هذا الأمر ويتجرأ عليه بتهمّة الهرطقة والبدعة في الدّين، فالهرطقة بالمفهوم الكنسي هي أن يفكر الإنسان في نفسه أو يتساءل مشكّكا في سلطة الكنيسة⁽²⁾، ويكون بذلك من سمى بسيطرة الكنيسة في هذه الفترة بالعصور المظلمة صادقا في وصفه لها، وهذا جانب فقط من جوانب سيطرة الكنيسة وسنأتي لاحقا إلى عرض جوانب أخرى وعديدة لسيطرة الكنيسة وظلمها وإستبداها في هذه الفترة، ونتقل إلى عرض قضية أخرى كانت سببا مهمّا في قيام الإصلاح الديني، وكانت الكنيسة تقرّه وتعتمده آنذاك، وهي قضية الإستحالة الذي عملت به منذ زمن بعيد، فهي عقيدة التحول أو التغيير الكلّي، جاء على حسب قول لوتر: «تؤمن بأنّ الخبز والخمر يتحولان إلى جسد المسيح الحقيقي ودمه الحقيقي بعد أن ينطق الكاهن بالصلوات الخاصة بالتغيير، فإنّ مادة الخبز والخمر تتحول بعد الصلاة التي تدعى الصلاة الجوهرية بطريقة معجزية وسريّة إلى جسد المسيح (دمه لحمه)⁽³⁾، وهذه العملية تسمى بالتحول أو التغيير Transsubstantiation.

وعند ترجمة المصطلح إلى العربية فيدل على التحول أو التغيير وليس إستحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه، وبدراسة هذا المصطلح اللغوي نقول أنّ مادة الخبز والخمر يتحولان جزئيا إلى جسد المسيح، فمع أنّ لخبز والخمر يظلان حسب الظاهر خبزًا وخمرًا، ولا يفقدان أي شيء من خواصهما الطبيعية لا في الطعم ولا في اللون لأنّهما تحولا بطريقة معجزية إلى دم ولحم المسيح فحلّ جسد المسيح محلّ الخبز، وحل دم المسيح محلّ الخمر.

وفي بداية القرن الحادي عشر ميلادي ظهرت نظرية أخرى تنادي بالحضور المزدوج (la consubstantiation ou l'impanation) وكان من الذين نادوا بهذه النظرية "برانجر"

⁽¹⁾—طارق عبد الحميد: حركات الإصلاح بين المسيحية والاسلام، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة، جامعة الأزهر نقسم الأديان والمذاهب، 1999م، ص: 88

⁽²⁾— القس صموئيل رزقي: المصدر السابق، ص 116.

⁽³⁾— حنا جرجس الخضرى: تاريخ الفكر المسيحي، دار الثقافة، القاهرة، 1981م، المجلد الأول، ص 326.

(berenger)، وتتضمن هذه النظرية بأنّ المسيح يحلّ في الخمر والخبز بطريقة فعلية وحقيقة حرفية، على أنّ هذا الحلول لا يعتبر حلولا إزدواجيا، لأنّ حلول المسيح في هاتين المادتين الخبز والخمر لا يلاشي بأي حال من الأحوال الخبز والخمر، فالخبز مازال خبزا، والخمر مازال خمرا بعد التقديس كما كان قبله، فأعلنت الكنيسة الكاثوليكية عام 1215م تمسكها بعقيدة التحول الكلّي كما شدّدت عليه في مجمع "ترانت" في القرن السادس عشر ميلادي⁽¹⁾، وهذه هي النظرية التي نادى بها "مارتن لوثر" (سنأتي إلى شرح هذه النظرية عند لوثر لاحقا).

إضافة إلى ذلك فإنّ أهم سبب فجر ثورة الإصلاح الديني؛ وأدى الظهور المذهب الإصلاحية البروتستانتي هو قضية "صكوك الغفران".

الفرع الأول: تعريف صكوك الغفران

معنى كلمة صك: جاء في دائرة المعارف الكتابية⁽²⁾. أنّه وثيقة دين أو صفقة، فعندما اشترى إرميا النبي الحقل من حنمئيل ابن عمّه، كتب ذلك في صك وختمه وأشهد شهودا، فجاء في الكتاب المقدّس: «فأشترت الحقل ووزنت له ثمنه وهو سبعة عشر مثقالا من الفضة، وكتبت ذلك في صك، وختمته وأشهدت شهودا ووزنت الفضة بميزان، وأخذت صكّ الشراء المختوم في نسختين»⁽³⁾.

وجاء أيضا: "قال الربّ القدير إله إسرائيل: خذ هذا الصك المختوم في نسختين"⁽⁴⁾، وجاء أيضا: يشترونها بالفضّة ويكتبون ذلك في الصكوك ويختمون عليها ويشهدون الشهود في أرض بنيامين⁽⁵⁾.

و مثل الوكيل الذي وشي به لسيدة: «دعا كلّ واحد من مديوني سيده، وقال للأوّل: كم عليك لسيدي؟ فقال: مئة كيل من الزيت، فقال: الوكيل: خذ صكوك وأجلس في الحال وأكتب خمسين، وقال لآخر: وأنت، كم عليك لسيدي؟ فأجابته: مئة كيل من القمح، فقال له الوكيل: خذ صكوك وأكتب

(1) - حنا جرجس الحضري: المصدر السابق، ص 326.

(2) - منير عبد النور وآخرون، دائرة المعارف الكتابية، ت: وليم وهيبه بباوي، ط2، دار الثقافة، القاهرة، مج5، ص 29.

(3) - الكتاب المقدّس، ط30، دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط، لبنان، 1993م-1995م، / إرميا 32: 9-11

(4) - إرميا 32: 14.

(5) - إرميا 32: 44.

ثمانين»⁽¹⁾، وأيضاً: «وقد محا المسيح الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدّا لنا، وقد رفعه من الوسط مسمّراً أياه بالصليب»⁽²⁾.

الفرع الثاني: تعريف الغفران

جاءت لفظة الغفران بعدّة معانٍ نذكر منها:

-معنى كلمة غفران: غفر، غفران، مغفرة، الغفران صفة من صفات الله المقدّسة، ولا غفران إلاّ به⁽³⁾، «لأنّ عندك المغفرة، لكي يخاف منك»⁽⁴⁾.

وجاء معنى الغفران في العهد القديم ثلاث كلمات عبرية مشتقة من ثلاثة جذور وهي:

1- "كفر" وهي تنقل معنى "الكفارة أو التغطية والستر وترتبط عادة بالذبائح.

2- الفعل "نسا" ومعناه أساساً "يرفع" أو "يبعد".

3- "سَلَحَ" وتحمل معنى الصفح والأبعاد، والثّانية والثالثة تستخدمان دائماً في الإشارة إلى غفران

الله، والثّانية تستخدم أيضاً في حالة غفران الإنسان، جاء في العهد القديم: «الرّب الرّب إله رحيم ورؤوف، بطيء الغضب، وكثير الإحسان والوفاء، حافظ الإحسان إلى أوف، غافر الإثم والمعصية والخطيّة، ولكنّه يبرئ إبراء»⁽⁵⁾.

-أمّا في العهد الجديد فهناك بضع كلمات يونانية تستخدم للتعبير عن الغفران، «فيقول الرّب:

اغفروا يغفر لكم»⁽⁶⁾، ويؤكّد العهد الجديد على أنّه يجب أن يغفر الإنسان للآخرين كي يغفر الله لهم:

«وأغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا... فأنّه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً

أبوكم السّماوي، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم»⁽⁷⁾، كما يجب أن يكون

(1) -لوقا 16: 5-7.

(2) - كولسي 2: 14.

(3) - بطرس عبد الملك وآخرون: قاموس الكتاب المقدّس، دار الثقافة، القاهرة، 1995م، ص 659.

(4) - مز: 4/130.

(5) - حز 34: 7/6.

(6) - لو: 6: 37.

(7) - مت 6: 15/12.

الغفران من كلّ القلب، فهو ينبع من غفران المسيح: «كما غفر المسيح لكم هكذا أنتم أيضا»⁽¹⁾، ويرتبط الغفران في بعض المواضع بالصليب⁽²⁾، فجاء «الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا»⁽³⁾، كما أنّ دم المسيح قد سُفك من أجل كثيرين لمغفرة خطاياهم: «لأنّ هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا»⁽⁴⁾، إذن لا يمكن فصل المسيح عن الصليب، فالغفران من المسيح أو به، يعني الغفران الناتج عن أنه المسيح ابن الله الذي أسلم نفسه «من أجل خطايانا»، فلا يمكن معرفة المسيح منفصلا عن الصليب، لأنّ موته كان من أجل الخطيئة حسب الاعتقاد المسيحي.

-ويرتبط الغفران أيضا بالإيمان فجاء: «له يشهد جميع الأنبياء أنّ كل من يؤمن به ينال بإسمه غفران الخطايا»⁽⁵⁾، فالإيمان والتوبة هما الوسيلة التي يحصل بهما الإنسان على الغفران⁽⁶⁾.

-وجاء في المحيط الجامع: أنّ الغفران هو مسامحة ذنب مهما كان مضمونة أو أصله، وهو عمل مشترك بين الله والإنسان، فالإنسان يسامح والله يسامح، ولكن غفران الخطايا هو عمل خاص بالله، حين يغفر الله فهو يخلق الإنسان من جديد⁽⁷⁾.

وجاء في معجم الإيمان المسيحي: غفران "Indulgence" هو إعفاء أمام الله من العقاب الزماني الذي استوجبه الخطايا التي سبق أن غفرت، وهو إعفاء يحصل عليه المؤمن المتأهب، بشروط معينة، بفضل عمل الكنيسة، فهي بصفقتها نعم الفداء، توزع بسلطتها ما أدخره المسيح والقديسون من كنوز تعويض وتكفير عن البشرية⁽⁸⁾.

أمّا صكوك الغفران بصفة عامة فهي نظام تبنته الكنيسة منذ القرن الحادي عشر ميلادي،

(1) -كو 3: 13.

(2) - منير عبد النور وآخرون: المصدر السابق، ص 411/412.

(3) - أف 1: 17.

(4) - مت 26: 28.

(5) - أع 10: 43.

(6) - منير عبد النور وآخرون: المصدر نفسه، ص: 413.

(7) - بولس فغالي: المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، ط1، المكتبة البولسية، لبنان، بيروت، 2003م، ص 898.

(8) - الأب صبحي حموي السيوعي: معجم الإيمان المسيحي، ط1، دار المشرق، بيروت، 1994م، ص 115.

وإعتمده بشكل متزايد من قبل الباباوات والكاردينالات الذين حاولوا من خلال إصدار صكوك غفران خاصة الوصول إلى أهدافهم.

وفي القرن الثالث عشر ميلادي قدّم اللاهوتي "توما الإكويني"⁽¹⁾ (1225-1274م) القاعدة النظرية لممارسة الغفران الكنسي، وذلك أنّ الغفران عند المسيح ينتقل بالتفويض إلى البابا والكرادلة ثمّ جاء بعد ذلك البابا "بونيفاز الثامن"، يوسع من جديد طبيعة الغفران، وبمناسبة السنة الإحتفالية عام 1300م، أعطى البابا الغفران لكلّ من يحجّ في هذا العام إلى قبر "بطرس" ويزور كنائس الرسول للقيام بطقوس من الصلّاة.

-وفي القرن الرابع عشر ميلادي أصبح نظام الغفران مصدرًا ماليًا لا يمكن لرجال الكنيسة الاستغناء عنه، ومنذ هذا القرن تطورت المتاجرة بصكوك الغفران، وبتكليف من الكنيسة يقوم أناس لا ينتمون إلى سلك الكهنوت ببيع صكوك الغفران التي يجب على المشتري تقديمها إلى كاهن رسمي لتفعيلها بسبب التزوير الكبير فيها، وبعد ذلك يتوسع مجال الغفران ليشتمل الحياة بعد الموت، بحيث يمكن للصكوك المباع أن تعمل على تقصير مدة البقاء للحاططين في جهنّم حتّى الأموات يمكن شراء صكوك الغفران لهم؛ وفي نهاية القرن الرابع عشر ميلادي، وبسبب الكم الهائل في مبيعات هذه الصكوك وإصدارها دون معايير والتزوير الكبير لها ساءت سمعتها، وبدأ اللاهوتيين يشكّون في مجمل نظام الغفران هذا، واعتبر المصلح الإنجليزي "جون ويكليف"، أنّ هذه الصكوك ماهي إلّا تعديا من البابا على السماء والجحيم، وقال أنّ التوراة لا تعرف صكوك الغفران، وأنّ غفران الذنوب لا يمكن أن يُمنح من البشر، وإتّما من رحمة الله⁽²⁾.

(1) - توما الإكويني: قسيس وقديس كاثوليكي إيطالي من الرهبانية الدومينيكانية، فيلسوف ولاهوتي (1225-1274م)، عادة ما يشار إليه بإسم توما، والإكويني نسبة إلى محل إقامته في أكوين (نقلا عن يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي، 2012م، ص 141).

(2) - مجموعة من الباحثين: الباباوات (أسياد على السماء والأرض)، ت: شاعر مطلق، ط1، دار الحوار، سوريا، 2015م، ص: 330-329.

ووصل الأمر حدًا جعل "توماس جسكوني" مدير جامعة أكسفورد. آنذاك يجار بالشكوى قائلاً: «يقول المذنبون هذه الأيام لست أبالي كم أرتكب من الذنوب أمام الله، لأنّه من السهل عليّ أن أتخلّص من كلّ ذنوبي وما يترتب عليها من العقاب بالمغفرة، وصكوك الغفران يمنحني إياها البابا الذي أبتاعها منه مستورة نظير أربع بنسات أوست، كأنيّ أكسبها في لعبة تنس مع من في مقدرتي أن يمنح هذا الغفران، وذلك أنّ بائعي هذه الصكوك كانوا يطوفون البلاد، ويفرقون خطابات بالمغفرة نظير بنسين تارة ونظير جرعة من الخمر أو الجعة تارة أخرى، بل أنهم يعطونها نظير إستجار عاهر أو نظير الحبّ الدنس»⁽¹⁾.

وفي القرن الخامس عشر ميلادي عام 1512م، نرى البابا "ليو العاشر" يتربع على عرش بطرس، وكان سليل "آل مديتشي"، وفيه كان يجري من الدّم الملكي حبّ الفخفخة والظهور، وقد أدخل في البلاط البابوي مظاهر العظمة التي إشتهرت بها أسرة "دي مديتشي"، وكان يعمل على إعداد تصميم كامل لنقوش وصور لجدران وسقف كنيسة القديس بطرس، فكان بحاجة إلى المال الوفير.

فهداه تفكيره إلى تخفيض أسعار الغفرانات، وجعلها ملكاً مشاعاً للجميع وسلعة تشتري في أي وقت، وتجارة يقوم بها باعة متجولون، يوفرون على البعيد بين مشقّة السفر والحضور إلى روما⁽²⁾.

وكانت هناك تسعيرة: الذنب الأكبر غفرانه بسعر أكبر، التكفير عن الخطيئة المميّنة له سعر يزيد عن سواها، الكذب والنصب والسّرقة لها أسعار أقل، وليفعل الخاطيء ما يشاء فهناك صك مكتوب بإمضاء البابا نفسه يضمن غفران السماء.

وكان باعة الغفرانات وجميعهم من رجال الكنيسة، يطوفون الطرقات بمواكب فخمة ومظاهر عظيمة وأمّامهم مناد، فإذا وصل إلى مدينة ما يتّجه إلى بيت الحاكم، ويوجّه إليه التحية: (نعمة الله والآب المقدّس عند أبوابك)، وهي عبارة وتحيّة تلهب قلوب كبار المدينة وصغارها بالحماس، وأحياناً كان

⁽¹⁾ -ويل ديورانت: قصة الحضارة، ت: عبد حميد يونس، علي أدهم، دار الجيل، بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس،

المجلد 24، الجزء: 03، ص72

⁽²⁾ - عزت زكي: تاريخ المسيحية في عصر الإصلاح، دار الجيل للطباعة، القاهرة، مصر، ص 46.

يحدث إتفاق سرّي بين بائع الغفرانات وبين الحاكم على أن يتقاسم الأرباح مقابل تشجيع له، وسرعان ما ترى الجموع وقد خرجت من كلّ مكان يحملون الشموع والرايات والشعارات، ويتقدّمهم الضاربون على الطبول والدفوف، أمّا الموكب نفسه فكان يضمّ الراهبات والرهبان، وهم يهتفون: إشتروا إشتروا- والنواقيس تدقّ والكلّ في فرح.

وكان مندوب البابا أو البائع يلبس اللباس الكنسي الفاخر في عربة، وهو يحمل صليبا أحمر اللون، وأمامه المرسوم البابوي للغفران على وسادة من قטיפعة، حتى إذا وصل الموكب إلى كنيسة ما، كان المندوب ينزل، ويدخل الكنيسة وأمام المنبر، يعدّد فوئد صكوك الغفران ومنافعها الجمّة؛ وفي يوم من الأيام وصل إلى "ويتمبرج"، وأحد من بائعي الغفرانات يدعى "جوهان تيتزل"⁽¹⁾، وراح يملأ المدينة صياحا، ويتناقل الناس عضاته⁽²⁾.

«إنّ صكوك الغفران هي أئمن وأشرف هبات الله للبشر تعالوا أعطيكم صكوكا صحيحة، بها تضمنون غفران الخطايا، حتّى تلك التي تنوون إرتكابها، إنّني لن أرضى بأن أستدلّ إمتيازاتي، ببركات القديس بطرس⁽³⁾، نفسه في السماء فقد خلصت بهذه الصكوك نفوسا أكثر من النفوس التي خلصها القديس بطرس بخدماته... لا توجد خطية مهما عظمت، لا تستطيع الغفرانات أن تكفر عنها، أيها الكاهن، أيها النبيل، أيتها الزوجة، الشاب، الشابة، تعالوا إنّ غفراناتي لا تقف عند الأحياء فقط، بل تتجاوزها إلى الموتى، ألا تسمعون أقرباءكم في أعماق الهاوية يصرخون مستغيثين «إنّنا نتعذب ونقاسي أهو إلّا مرة، وفي إمكانكم إنقاذنا بشيء من الإحسان التافه- أيّها الأغبياء وقساة القلوب إلّا تدركون

⁽¹⁾—جوهان تيتزل: راهب كاثوليكي اكتسب شهرة واسعة في جمع المال، وكان عمله الرئيسي منذ 1500م توزيع صكوك الغفران، (نقلا عن قصة الحضارة، الإصلاح الديني، م/6 ج/3، ص: 5).

⁽²⁾— عزت زكي: المصدر السابق، ص 48.

⁽³⁾—القديس بطرس: إسمه الأصلي سمعان بطرس توفي عام 64، سماه المسيح كنيا أو بطرس بمعنى الصخرة كان صياد دعاه المسيح فأصبح من أهم تلاميذه، يعتبره الكاثوليك رأس الكنيسة الكاثوليكية، توجد كنيسة ضخمة بإسمه في الفاتيكان في روما، بنيت عام 326م، ورمت في القرن 15 م على يد فنّانين كبار ومشاهير.

أنه في نفس اللحظة التي ترن فيها نفودكم في قاع الصندوق تنطلق النفس من المطهر⁽¹⁾، وتطير حرة إلى السماء، إنّ الرّب إلهنا قد سلم كلّ السلطان إلى البابا⁽²⁾، وفعلا كانت هذه تجربة عظيمة ناجحة، فافتت في نجاحها كلّ التصورات، طبعاً قبل ظهور الإصلاح الديني الكنسي.

يقول أحد المؤرخين: «خضعت الكنيسة لحكم الشيطان، وكان رجال الدين من أعوانه، وإنّ الذئب يتنكر للإوز ويتودّد إليه حتّى يجتمع حوله، فإذا فعل سارع إلى إتهامه وإفتراسه، وكذلك رجال الدين يعظون ويركلون الأناشيد ليخدعوا الناس ويضلّوهم عن سوء السبيل ويقودوهم إلى مواطن الهلاك».

ويقول آخر: «أهملت عبادة الله، وصارت الكنائس بؤرة الفسق والفجور، والأديرة مرتعا للبغياء، فكثرت المظالم وفاضت تقوى الله من القلوب، وبيعت المناصب المقدّسة، وكره الناس دينهم لما شهدوه من مساوئ زعمائه⁽³⁾، وبالتالي من خلال هذا نلاحظ أنّ المسيحي ملّ من هذا الدين الذي طالما قيّده وفرض عليه نفقات، بالإضافة إلى أنّ اهتمام رجال الدّين آنذاك بحياة البذخ ومظاهر الترف أفقد الكنيسة هذه المهمة الدينية بعض هيبتها وإحترامها لدى الجماهير الأوروبية.

الفرع الثالث: صيغة الصك المعتمدة من الكنيسة:

"إلّا فليرحمك الرّب يسوع المسيح ويغفر لك بفضل ما لقي من الأمّ مقدّسة، وأنا بتفويض منه ومن رسوليّه المباركين بطرس وبولس ومن البابا المقدّس منح لي وعهد به إليّ في هذه الأجزاء أن أحلك أوّلاً من لوم ديني مهما كانت الطريقة التي تعرضت لها، ثمّ من كلّ خطاياك ومن كلّ تجاوز للحدود وكلّ إفراط في الملذات مهما بلغت من الجسامّة، بل حتّى من أيّ إثم تحتفظ بتقريره وإدراكه السدّة البابوية، وبقدر ما يمتد نطاق سلطان الكنيسة المقدّسة أعفئك من كلّ عقاب تستحقّه في المطهر بسبب هذه الآثام، وأعيدك إلى القربان المقدّس للكنيسة وإلى البراءة والطهر الدّين حزتهما في العماد، ولهذا فإنّك

(1) -المطهر: هو معتقد كاثوليكي، وهو مكان تذهب إليه أنفس الخطاة المؤمنين الدّين لم يتوبوا توبة كاملة عن كلّ خطاياهم للحصول على القداسة اللازمة من أجل دخول مجد السماء وهو الفرصة الأخيرة التي يمنحها الرّب للبشر لينضموا إليه، فهو الإهداء الأخير بعد الموت (نقلاً عن الأب لويس برسوم: المطهر، المعهد الأكليريكي الفرنسيكاني القبطي بالجيزة، القاهرة، 1984م، ص 21).

(2) - عزت زكي: المصدر السابق، ص 48.

(3) - محمد علي مصطفى، خير الدين محمد عبدي: تاريخ الفلسفة، ط1، المطبعة الرحمانية، مصر، 1993م، ص 238-239.

عندما تموت ستغلق أمامك أبواب العذاب وتفتح لك أبواب جنة النعيم، وإذا لم تمت الآن فإنّ هذا الفضل سوف يظل في أوجّ قوّته عندما تصبح على وشك الموت بإسم الآب والإبن والروح القدس"⁽¹⁾.

يستفاد ممّا سبق أنّ الباباوات ومندوبيهم في التحصيل قد تجاوزوا في إصدارهم لهذه الصكوك كلّ الحدود والقوانين والصلاحيات لدرجة وصلت إلى تدخلهم فيما هو من صفات الله وحده، فهم لم يتجاوزوا بصكوكهم هذه عن العقوبة على الخطيئة بل زعموا القدرة على محو الخطيئة ذاتها، وضمنوا للمخطئين الجنة وجنبوهم المساءلة أو المحاسبة في المطهر⁽²⁾، وهذا ما آثار موقف "مارتن لوثر" ضدّ البابا ومندوبيه ، يقول "مايكونيوس"، عندما سمع بما فعله "تيتزل" فكتب تقريراً عن هذا عام 1517م فقال: " إنّ ما قاله هذا الراهب الجاهل وبشّر به أمر لا يصدق، لقد أعطى خطابات مختومة ضمّنها أنّ الخطايا التي يعترم المرء أن يرتكبها سوف تغفر له، وقال إنّ البابا يملك سلطان الرّسل والملائكة والقديسين بل يفوق سلطان العذراء مريم نفسها، لأنّ هؤلاء جميعاً كانوا إتباعاً للمسيح أمّا البابا فإنّه يدّ للمسيح⁽³⁾. و يؤكّد "فيشر" ذلك في قوله: "وأنه ليس من المعقول ما ذهب إليه هذا الراهب الجاهل الأحمق حين قال للنّاس أنّهم إذا ما ساهموا عن طواعية واشتروا الثواب وصكّ الغفران، فإنّ كلّ تلال "سانت أنا بورج" ستستحيل إلى كتلة هائلة من فضّة صافية، وأنّه ما إن سمع رنين العملة في الصندوق حتى تكون روح من دفعت الأموال من أجله في طريقها إلى الفردوس"⁽⁴⁾.

وكخلاصة عامة لما تقدم فإنّ صكوك الغفران بصفة عامة ماهي إلاّ عبارة عن منشورات ورقية تباع وتشتري كالسلع، تتضمن الصفح والغفران ليس عن الخطايا الماضية بل والمستقبلية أيضاً⁽⁵⁾، وتمكّن حاملها من دخول مكان معين في الجنة حسب ثمنها.

(1) - ويل ديوارنت: المصدر السابق، ص5.

(2) - راجح إبراهيم محمد السبانين: المسيحية البروتستانتية وعلاقتها بالصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2007م، ص: 12-13.

(3) - ويل ديوارنت: المصدر نفسه، ص6.

(4) - هربرت فيشر: أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ت: زينب عصمت راشد، أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف، مصر، 1965م، ص99.

(5) - ماهر يونان: الطوائف المسيحية في مصر والعالم، مراجعة: القس جرجس صبحي، شركة سبكترام، 2001م، ص47.

قال "بوثن" أحد القدماء المختصين في دراسة صكوك الغفران: "إنّ صك الغفران ليس مجرد عربون لفترة ما بعد الموت، وإنما هو أيضا راحة محببة للنفس في الحياة الدّنيا⁽¹⁾."

وجاء في بيان قرار المجمع الثاني عشر المنعقد سنة 1215م: «أنهى المجمع تعاليمه فيما يتعلق بأمر الغفران، فقال: إنّ يسوع المسيح لما كان من قلّد الكنيسة سلطان منح الغفرانات، وقد إستعملت الكنيسة هذا السلطان الذي نالته من العلام منذ الأيام الأولى، قد أعلم المجمع المقدّس وأمر بأن تحفظ للكنيسة هذه العلمية الخلاصية للشعب المسيحي والمثبتة بسلطان المجمع، ثم ضرب بسيف الحرمان من يزعمون أنّ الغفرانات غير مفيدة أو ينكرون على الكنيسة سلطان منحها، غير أنّه قد رغب في أنّ يستعمل هذا السلطان بإعتدال وإحتراز حسب العادة المحفوظة قديما، والمثبتة في الكنيسة لئلا يمسّ التهذيب الكنسي تراخ بفراط التسهيل⁽²⁾."

المطلب الثاني: الجانب الأخلاقي

تشكّل الأخلاق عاملا مهما في تحديد مكانة الفرد أو الجماعة من خلال إلتزامهم بالشوايت من عدمه، والتي تقرّها المسيحية كتنقوى أخلاقية، وتبئّل وميلا للعبادة مما تضفي على رجل الدين المسيحي سمة القدسية، وسيرة بعض القديسين والآباء الذين خلّدتهم المؤسسة الدّينية، وجعلت منهم رموزا في تحقّق الأخلاق والتّقوى التي مثلها المسيح ومن بعده الآباء والقديسين، هذه السيرة منحت الكنيسة بعدا معنويا جعلها فوق النقد، وهذا ما منح سلوك رجالها بعدا قدسيا غير قابل للنقد من قبل الناس والمجتمع، وبذلك تحولت وظيفة الكنيسة من دينية إلى سيطرة وإستبداد على المجتمع فمن غير المعقول أن يخمن الناس أنّ ما هو مقدّس أن يكذب، ويزني، وينتفع من المال العام ويشرع للسرقة على حساب الدين كما هو الحال في صكوك الغفران⁽³⁾.

لكن الإشارات التاريخية التي يذكرها نقاد الكنيسة عن فساد هذه المؤسسة الدّينية المقدّسة ورجالها خاصّة في العصور الوسطى، كما اعتقدت الشعوب الأوروبية آنذاك، جاء في كتاب قصة الحضارة (ويل

(1) هانس أبرها دمار: تاريخ الحروب الصليبية، ت: عماد الدين غانم، ط1، اللاذقية، 2008م، ص 65.

(2) أحمد مختار رمزي: عقائد أهل الكتاب، ط1، دار الفتح للدراسات والنشر، ص 166.

(3) عامر عبد زيد كاظم الوائلي: الإصلاح الديني (قراءة المفهوم في التجربة المسيحية الغربية)، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، 1439هـ-2018م، ص 40-42.

ديورانت): «أنّ السمعة الأخلاقية لبعض هؤلاء لم تكن كما يليق للحبرّ الأعظم، فنسب البعض لـ"الإسكندر السادس" وجود عدد من الخليلات له، كما أنّه إنهم بشراء المناصب الكهنوتية والمحسوبية، وإنجاب أربعة أطفال غير شرعيين وهو على كرسي البابوية، وتزويجهم بغرض كسب المزيد من السلطة⁽¹⁾.

وعبر "دانتي الجيري"⁽²⁾ "Dante Alighieri 1265-1321م" في كتابه الكوميديا الإلهية "Devuna commedia" عن رحلة خيالية إلى العالم الآخر، وقسمها إلى ثلاث مراحل: الجحيم والمطهر والفردوس، وهو يقدم وصفا للحياة الآخرة من وجهة نظر مثقف مسيحي كاثوليكي متحرر إلى حد ما، وقد تخيل أنّ مرشديه في هذه الرحلة أناس ممن رحلوا إلى العالم الآخر ممن يعتقد أنّ نهايتهم إلى الجحيم، أو إلى الفردوس، أو من إنتهى بهم المقام في المطهر وعلى ذلك إلى الجحيم أو إلى الفردوس أو من إنتهى بهم المقام في المطهر، وعلى ذلك تخيل "دانتي" أنّ مرشده في رحلة الجحيم والمطهر الشاعر الوثني "فرجيليوس"، ليبين له الغامض من أمر ما، ووافقته في الجنة محبّوته "بتريشي" التي رفض أهلها زواجها منه وماتت في الخامسة والعشرين من عمرة، وحزن عليها حزنا شديداً.

ويصور "دانتي" في الجحيم أصحاب الخطيئة وكيفية العذاب، وقسم الجحيم إلى تسع دركات في أسفلها النفوس التي جبلت على الفساد، وأعلاها من غلبت عليهم شهواتهم، وجعل فيها عددًا من عظماء رجال الحرب والسياسية والشعر، ويبقى أصحاب الجحيم فيه إلى الأبد.

أما المطهر فيمثل التوبة والتطهر، ويبقى فيه أصحابه بصفة مؤقتة ينتقلون بعدها إلى الفردوس بعد

⁽¹⁾ -ويل ديورانت: المصدر السابق، ص 20

⁽²⁾ -دانتي الجيري: مفكر وسياسي ولد في فلورنسا، نفي وشرّد ثمنا لآرائه، مرّ في حياته بثلاث مراحل (الشعر الغزلي - العلوم الفلسفية - النضج الفكري) وهو أول من كتب باللّهجة الإيطالية العامية، من أهم أعماله: كتاب المالكية: كتاب سياسي فيه إرجاع الإمبراطوية الرومانية، بشرط ألا يستمد الإمبراطور لقبه من البابا، وإثما من الله، والكتاب نابع من مأساته التي مرّ بها في حياته العملية، ومن أفكاره في الكتاب - الحزب آفة التقدم وأنّ رجال الدّين يستأثرون بالسلطات الدّينية بما لا يتفق مع رسالتهم - لا بد من إصلاح الكنيسة بنشر الثقافة والقناعة بين رجالها، وأيضاً من أشهر كتبه، كتاب الكوميديا الإلهية Deirna commedia وهي عبارة عن ملحمة شعرية بالإيطالية 14000 بيت دينية ودينيوية (انظر: عبد العظيم رمضان: تاريخ أوروبا في العالم الحديث من ظهور الحركة البرجوازية حتّى الحزب البادرة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1997م، ج1، ص 70/69).

التطهر من الخطايا⁽¹⁾. أمّا الفردوس فيمثل الطهارة والنقاء والإيمان، وجعله درجات على هيئة السماوات تنتهي بالذات الإلهية، وفيه أصحاب المثل والأخلاق إضافة إلى محبوبته⁽²⁾.

حملت الكوميديا مبادئ العصور الوسطى وإن تمرد على الكنيسة فخالفها في تصنيف أهل الجنة والنار، فجعل "فرجيليوس" الوثني الذي لم تدركه رسالة المسيح في الجحيم، ومحبوبته الطاهرة النقية من وجهة نظره في الفردوس، في حين أنّها في نظر الكنيسة خاطئة وهي من أهل الجحيم⁽³⁾.

فالكوميديا الإلهية "لدانتي" لا تدور في إطار حماسي حربي، وإنّما في إطار جديد من القيم الروحية "اللوثرية" في إصلاح رجال الدين والطريقة التي يمارسونها في تغيير اتجاهات البشر في السياسة والإصلاح حسب أهواءهم وإستغلالا لسلطانهم في ظلم الشعوب المسيحية، وتسلبهم بإسم الدين على شؤون الدنيا، فتحدى بهذه الملحمة سلطة الكنيسة الكاثوليكية في عصره، وجسّدت ممارسات الكنيسة الكاثوليكية آنذاك وكتبها بالعامية الإيطالية، وترجمت بعد ذلك إلى عدة لغات وهي تدعوا إلى الأخلاق والفضيلة لينعم الإنسان بالفردوس في الآخر، وهذا ما أدى ببعض الباحثين إلى مقارنتها برسالة الغفران لـ "أبي علاء المعري"، ومدى التأثير والتأثير والتشابه بينهما.

و صوّر الكاتب المسيحي "جاد المنفلوطي"، حالة الفساد التي تردى إليها رجال الدين في العصور الوسطى قائلا: «إنّ القلب ليفعم بالأسى، وتقطر النفس مرارة عندما تتعرض للحياة الدّينية في هذه الفترة من العصور الوسطى، فقد عمّ الإنحطاط وساد، ودبّ في الحياة ديبب الفساد، ومن هامة الرّأس إلى باطن القدم أصبحت الكنيسة مريضة مضروبة بضربة طرية، موسوعة بسمة الإنحطاط الخلقي، لا فرق بين قائد ومقود، الجميع زاغوا وفسدوا معا.

ثمّ ضرب مثلا لبيان مدى الفساد الذي تفشى في معسكر القادة من رجال الدين بحالة الكنيسة في فرنسا فقال: (كثيرين من رجال الدين في فرنسا كانوا جماعة العبيد الهارين ولم يكن يربطهم بالكهنوت غير المظهر الخارجي، وقصّ شعورهم على طريقة الكهنة في ذلك الزمان، وكانوا يعتبرون

(1) -دانتي الجييري: الكوميديا الإلهية (المطهر)، ت: حسن عثمان، دار المعارف، مصر، 1964م، الجزء الثاني، ص 18..

(2) -المصدر نفسه، الجزء الثالث، ص 65..

(3) -المصدر نفسه، ص 61.

الآبروشيات التي يخدمون بها ملكا خاصا لهم، يتصرفون فيها كما يشاءون ويبيعونها لمن يدفع أكثر، وكان رئيس أساقفه "روين"، مثلا لا يقرأ ولا يكتب.

ثم يواصل كلامه عن رجال الدين بوجه عام قائلا: "إنّ غالبية رجال الدين في تلك الأيام كانوا من مدمني الخمر، عبدة للعديد من الخطايا، كخطيئة الزنا، وكانوا يعيشون في مجبوحة من العيش يسعون وراء المتع والشّهوات، مهملين لواجباتهم والخدمات الموكّلة إليهم⁽¹⁾.

فحسب رأي الكاتب المسيحي "جاد المنفلوطي" هؤلاء رجال الدين المسيحي لم يأخذوا هذه المناصب كخدمة للرب، وإنما كوظيفة من أجل تحقيق أرباح مادية، وكانوا يسعون في ذلك لشراء هذه المناصب طمعا في الربح الكبير، فانتشرت ظاهرة السيمونية⁽²⁾ آنذاك وأصبحت كالداء فتفشّت بينهم، حتى وصل الأمر للكثير من المجرمين والغير المؤهلين إلى الإستفادة من هذه المناصب الدينية الكبرى عن طريق المال⁽³⁾.

وقد أشار "جيروم". إلى هذه الظاهرة قائلا: "من كان بالأمس طالبا تحت التمرين هو اليوم أسقف، وآخر ينتقل أثناء الليل من مدرج الملهى إلى الكنيسة، وإنسان قضى الليل في السيرك يقف أمام المذبح في اليوم التالي، وآخر كان من وقت قريب من أنصار المسارح هو إلّا مكّرس العذارى في الكنيسة والمهتم برعايتهن"⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ - أحمد علي عجيبة: البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي في العصور الوسطى، ط1، مطابع الشناوي، طنطا، 1416هـ- 1991م، ص: 35-36.

⁽²⁾ - السيمونية: نسبة إلى سيمون وهو اسم عبراني معناه "السامع"، وفي الأصل لفظه نفس لفظ لإسم "سمعان"، وردت قصة سيمون في الإصحاح الثامن من سفر أعمال الرّسل (9-24)، وكان يدهش شعب الساقرة بسحره، فكانوا يقولون أن سحره شيء عظيم، واعتقدوا أن قوة الله العظيمة حلت فيه رجاء فيلبس المبشر والشماس يركز بالإنجيل في الساقرة، ورأى سيمون المعجزات التي تجري على يدي فيلبس، فأيقن أنها تجري بقوة أعظم من سحره، فأمن واعتمد ولازم فيلبس مندهشا من المعجزات التي يجريها، ويبدو أنّ إيمانه لم ينشأ عن توبة إنما عن ثقة في قوة سحرية أقوى من قوة سحره، وسمع يوحنا وبطرس عن عمل الله في الساقرة فنزلا إليها، وأجرى الربّ بهما معجزات أخرى شبيهة بتلك التي حدثت يوم الخميس، فإندهش سيمون أكثر، وأسرع طالبا معرفة تلك القوة السحرية العظيمة مقدما المال ثمنا لذلك، فوّجه بطرس بشدة وطلب منه أن تيوب، وقد عرفت الكنيسة شناعة هذه الخطيئة فأطلقت إسم السيمونية على كلّ من يتاجر في الوظائف الكنسية (نقلا عن قاموس الكتاب المقدّس، ص 339).

⁽³⁾ - سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م، ص 330.

⁽⁴⁾ - جون لوريمر: تاريخ الكنيسة، ط1، دار الثقافة، مصر، 2013م، ج4، ص: 37.

ويذكر "جاد المنفلوطي" في موقع آخر إلى أنّ شراء المناصب لم يقتصر فقط على المناصب الصغيرة بل تجاوز الأمر بالأساقفة والبابوات الذين انحدروا إلى هذا المستوى المنحطّ فيقول: "أنّ الرؤساء لم يكونوا أفضل من رؤوسهم، بل ربما كانوا أرى وأشرّ منهم بكثير، وكانت السيمونية هي الطريق الوحيد للحصول على منصب الأسقف، وكانت هناك تعريفه محدّدة للحصول على هذه الوظيفة".

ويتابع كلامه عن البابوية فيقول: " نعم تشوهت صورة البابوية وتلطّخت بالكثير من التشوّهات التي لم تكن تخطر على بال، وأصبح مركز البابا موضع نزاع بين القادة السياسيين المتنافسين وإتباعهم وبعض الذين شغلوا ذلك المنصب في خلال تلك الفترة لم يكونوا فوق مستوى الشبهات، بل أنّهم كانوا من ذوي السمعة السيئة وإرتكبوا أفعال الجرائم وأبشعها"⁽¹⁾.

وقد وصف أحد الرهبان المسيحيين الحالة التي تردّت إليها البابوية طوال العصور الوسطى، قائلا: «إنّ عيش القسوس ونعيمهم كان يرى بترف الأمراء والأغنياء المترفين، وقد إنحطت أخلاق البابوات إنحطاطا عظيما، واستحوذ عليهم الجشع وحبّ المال، وعدوا طورهم حتى كانوا يبيعون المناصب والوظائف كالسلع، وقد تباع بالمزاد العلني، ويؤجّرون أرض الجنة بالوثائق والصكوك، وتذاكر الغفران، ويأذنون بنقص القانون، ويمنحون شهادات النجاة، وإجازات حل المحرّمات والمحظورات كأوراق النقد، وطوابع البريد، ويرتشون ويرابون، وقد بذّروا المال تبذيرا حتى إضطرّ البابا "أنوسنت الثامن"⁽²⁾، أن يرهن تاج البابوية.

-ويذكر عن البابا "ليو العاشر" أنّه أنفق نصيبه ودخله، وأخذ أيراد خليفته المترقب سلفا وأنفقه، ويروى أنّ مجموع دخل مملكة فرنسا لم يكن يكفي البابوات لنفقاتهم وإرضاء شهواتهم⁽³⁾.

(1) - أحمد على عجيبية: المرجع السابق، ص: 37/36.

(2) - أنوسنت الثامن: جوفاني باتيسيا (1432-1492م)، عاصر العثمانيين في فترة السّلطان محمد الفاتح (https://www.vatican.va/2022/11/11/استرجع يوم: 2022/11/11).

(3) - أبو الحسن الندوي: ماذا خسّر العالم بانحطاط المسلمين، ط10، دار القلم، دار الأنصار، 1977م، ص 191.

ويقول: أحد المؤرخين: «إنّ الأساقفة تحولوا إلى أمراء يلبسون لباس رجال الدين، وإستغلوا تلك الناحية لمصالحهم، منذ القرن السابع حتى الحادي عشر والثاني عشر، وبذلك إنتشرت أمراض في المجتمع الأوروبي يمكن أن يطلق عليها أمراض الكنيسة»⁽¹⁾.

وفي نهاية القرن الخامس عشر ميلادي، وبداية القرن السادس عشر ميلادي، كان "الإسكندر السادس " Allessander " (1492-1503م) عدس الأخلق؛ إنغمس في الموبقات وحاول جمع المال بشتى الوسائل للحصول على إمارة لإبنه غير الشرعي، كما أنّ البابا "جوليس الثاني "juliesse"⁽²⁾. (1503-1510م)، كان يميل إلى الحرب وتقوية ممتلكات البابوية، وكذا طرد الفرنسيين من إيطاليا فإنشغل بالسياسة والمؤامرات.

ومن خلال كلّ هذا لاحظنا كيف إنغمس رجال الدين في الملذات بإسم الكنيسة، وتكوين ثروتهم، على كاهل الطبقة العامة، إلاّ أنّه يجب الإشارة إلى هناك من رجال الدين من كانوا مخلصين، إنتقدوا ممارسات الكنيسة ورجال الدين الفاسدين آنذاك، ونّبها الباباوات بذلك في تقاريرهم السنوية ونصحوا بوجوب الصلح، حيث بدأت الثورات تنشب ضدّ الدين الكنسي، من جراء مواقف وممارسات رجال الكنيسة المنكرة للدين والأخلق بصفة عامة، ممّا أدى إلى بزوغ حركة الإصلاح التي أرادت تنقية الدين من الشوائب والممارسات الأخلاقية، وكان من بين هؤلاء المصلحين نجد كلّ من "جون ويكلف" "Jean wyclif" (1330-1384م) في إنجلترا؛ و"جون هوس" "jean hoss" في بوهيميا (1380-1450م) اللذان خالفت تعليمهما تعاليم الكنيسة، ورفضهم لبعض العقائد الكاثوليكية ونادوا بوجوب الرجوع إلى الكتاب المقدّس وحده والإحتكام إلى الضمير في جميع المسائل الدينية، فهذه التعاليم هاجمت ذلك السلطان الدنيوي، وتلك الثروة الطائلة التي يتمتّع بها رجال الدين وأخيرا رفضهم لسلطة البابوية، فكان الفساد الكنسي والفراغ الروحي والأخلاقي العامل الأساسي لقيام الإصلاح الديني وهو ما تزعمه كلّ من "مارتن لوثر" و "جون كالفن" و "أولريخ زوينجلي".

⁽¹⁾—Davis M H.W.C ،Jerone ،Business and the church ،the century co ،New york ،19 ،p: 131.

⁽²⁾—جوليس الثاني: يوليوس الثاني(1443-1513م)، شغل منصب رئيس الكنيسة(1503-1513م)أطلق عليه لقب البابا المعوار، استرجع يوم: <https://www.elkalma.com2023/12/2/>

المبحث الثاني: النمط الاجتماعي والإقتصادي

المطلب الأول: النمط الاجتماعي

شهدت الأوضاع الاجتماعية في أوروبا في العصور الوسطى تفككا وإنحلالا وفسادا وتمايزا بين أفراد المجتمع الواحد، وإزدياد في أفراد الأسرة الواحدة بشكل لا يتناسب وإمكاناتها المعيشة.

بالإضافة إلى انتشار الطلاق وعادات لعب القمار والسكر والتبذل في اللباس، حتى بات لكل طبقة زيّ تعرف به⁽¹⁾، نتيجة إنتشار النظام الإقطاعي الذي أدى إلى ظهور ثلاثة طبقات متبانية، فالطبقة الأولى هي طبقة المحاربين من النبلاء والفرسان، والطبقة الثانية طبقة رجال الدين، وأما الطبقة الثالثة والأخيرة طبقة العمال والفلاحين، وقد عبّر الملك "ألفريد الكبير"، عن طبيعة المجتمع الأوروبي آنذاك وطبقاته قائلا: (بيت الله مثلث، البعض يقاتل، البعض يصلّي، والبعض يعمل).

ومعنى هذه العبارة، أنّ الملك الإنجليزي شبّه العالم بأنّه بيت الله دلالة على النزعة الدينية وقوتها في العصور الوسطى، وأنّ هذا البيت يتكون من طبقات ثلاثة: هي طبقة المقاتلين أو الفرسان، وطبقة المصلين أو رجال الدين، وطبقة العاملين في الأرض من زراع وعمال وغيرهم⁽²⁾.

وطبعا كانت لهذه الطبقات الثلاثة عملا أو وظيفة خاصة بها، حسب الطبقة التي تنسب إليها فأصحاب الطبقة الأولى وهم النبلاء والفرسان فقد كانت وظيفتهم تولى شؤون الحكم والحرب.

أما الطبقة الثانية وهي طبقة رجال الدين فوظيفتهم هي العبادة وهداية الشعوب، أما الطبقة الثالثة وهي الطبقة العاملة فوظيفتها الكدح، والعمل بجدّ من أجل توفير لقمة عيشها، بالإضافة إلى سد حاجات الطبقة الأولى والثانية، فكانت أكثر هذه الطبقة تعمل في الأرض بإعتبارها العمود الفقري الذي كانت ترتكز عليها الطبقات الأخرى.

فمن نتاج الأرض يأخذ الفرسان والحكام ما يساعدهم على أداء واجباتهم، ومن الأرض ينال رجل الدين نصيبه مقابل تفرغه لإخراج الناس من الظلمات إلى النور وتطهيرهم من الذنوب والآثام،

(1) - سامي الشيخ: المرجع السابق، ص 27.

(2) - إبراهيم أحمد العدوي: المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، ط1، دار المعرفة، القاهرة، 1961م، ص 117.

ومن الأرض يستمد الفلاح قوت يومه، وعليه إرتبطت الطبقات الإجتماعية بعضها ببعض في ظل النظام الإقطاعي⁽¹⁾، وقد أدى هذا التمايز الطبقي في المجتمع الأوروبي آنذاك إلى انتشار العديد من الآفات الإجتماعية الأخلاقية نتيجة الفقر الذي عانت منه الطبقة الكادحة، فكثرت البغاء وارتفع عدد اللقطاء، وانتشرت السرقة والجرائم كالقتل والإغتصاب والشعوذة والسحر واللامبالاة، وتعمق الإحتقان الطبقي بين أفراد المجتمع إلى حدّ الإنذار بإنفجار ثورة، وإتباع العنف وسيلة في حل التناقضات القائمة بين الطبقات الثلاثة، بمعنى أنه وُلد الشعور بالإحتقار والمهانة وإنتشار الفساد، حالة من التدمير الشديد وحافزا لرجال الإصلاح في دعواهم، وفي الإحتجاجات على ممارسات الطبقة الحاكمة المكونة من تحالف السياسيين⁽²⁾، والتجّار ورجال الدين الموالين لروما، فبات الإعتقاد السائد لدى الطبقة الثالثة المضطهدة، بأنّ سبل التغيير الإجتماعي هو الثورة فحسب⁽³⁾.

فالأحوال الإجتماعية في أوروبا في العصور المظلمة كانت بحاجة ماسة إلى التغيير الجذري في كلّ ميادين الحياة، وكانت دافعا قويا إلى ظهور الحركات الإصلاحية المناهضة للطبقتين الآخريتين.

المطلب الثاني: النمط الإقتصادي

بلغت الحياة الإقتصادية حدّا من الإضطراب والتناقض والفوضى نتيجة لإنتشار الفقر وتفشي البطالة والجشع والإستغلال، بفعل تحكم طبقة أصحاب رؤوس الأموال وحرمان الطبقات الإجتماعية الأخرى، بالإضافة إلى انتشار ظاهرة تهريب الأموال خارج البلاد لتمويل صناعات وإستثمارات في بلدان أخرى، ممّا يؤدي إلى وقوع ضرر على الإقتصاد البلاد المنتجة لها، وأيضا الأتاوات الضخمة التي يطالب بها الأمراء المحليون بتأديتها للبلاد البابوي في روما، مقابل إطلاق أيديهم داخل الولايات والأقاليم ناهيك عن إنتشار ظاهرة الربا والإقراض بفائدة، والمضاربة، والغش، والإحتكار الأمر الذي نجم عنه وقوع الظلم والأذى على معظم الفئات الإجتماعية من جانب أصحاب رؤوس الأموال.

وقد أدى تردي الأحوال المعيشية لمعظم الناس، دفع بالبعض إلى العمل أياما وأسابيع وأشهر متواصلة دون أن ينالوا قسطا من الراحة الجسدية والنفسية، وتسديد ما يترتب عليهم من إلتزامات مالية

(1) - إبراهيم أحمد العدوي: المرجع السابق، ص 117.

(2) - سامي الشيخ: المرجع السابق، ص 28.

(3) - المرجع نفسه، ص 28

وإستحقاقات معيشية لهم ولأسرهم، الأمر الذي عمّق الحاجة إلى القيام بإصلاح الإقتصادي عام وشامل، يحقق توزيعاً عادلاً مقبولاً للثروة بين أفراد المجتمع الواحد، وأيضاً يفتح المجال أمام المنافسة الفردية، والإستثمار وتخفيف القيود المفروضة من جانب الأمراء والتجار على عامة الناس، ورفض توريد الأموال المتواصل إلى روما، وتهريب أموال البلاد خارج أرضيها⁽¹⁾.

بالإضافة إلى الدعوة إلى تمويل صناعات وطنية ضخمة، وتشجيع الإستثمار المحلي والوقوف في وجه السياسة الربوية، والجشع والإستغلال الذي يمارسه من يملك بحق من لا يملك، وحماية الملكية الخاصة والفردية وعدّها أمراً مقدّساً، والحضّ على العمل، والدعوة إلى التقشف والإقتصاد في النفقات والإستهلاك، فأصبح الإصلاح الإقتصادي مطلباً لدى غالبية أفراد المجتمع الأوروبي في القرن السادس عشر، وهو ما يفسر وقوفهم إلى جانب الدعوات الإصلاحية لكبار المصلحين الذين في مجتمعاتهم آنذاك نظراً لما تضمّنته دعوتهم الإصلاحية في كلّ الجوانب الحياتية للفرد الأوروبي⁽²⁾.

(1) - سامي الشيخ: المرجع السابق، ص 27/26.

(2) - المرجع نفسه، ص 27.

المبحث الثالث: النمط السياسي والقومي لحركة الإصلاح الديني

بالإضافة إلى وجود بعض الأنماط الإصلاحية هناك النمط السياسي والقومي.

المطلب الأول: النمط السياسي

عامل البابا ملوك وأمراء أوروبا على أهم أبناء الكنيسة، وأنه هو الراعي لهم، فامتد نفوذه الديني يقترب من النفوذ السياسي، حتى إنّ الناس في أوروبا إختلط عليهم أمر من هو البابا، ومن هو الإمبراطور، ومن الذي يحكم الآخر، وكل منهما يزعم أنّ سلطته الأرفع والأسمى، فكان الإمبراطور يطالب بحق الزعامة على العالم، والبابا يقول بأنّ الله أعطى القديس (بطرس) الحق المطلق، وهو الرابطة بين السّماء والأرض، وأخضع إليه الأمراء وجميع دول العالم، وولاية أميراً على ممالك الدنيا، وهو أسمى من جميع الأمراء، وهو من يتّوجههم ويحرمهم ويعزّهم، وأنّ البابا هو الوريث الشرعي لهذا الحق الإلهي⁽¹⁾.

ولعلّه من أكثر الحوادث تأثيراً في تاريخ الكنيسة سياسياً فترة تولى "جريجوري السابع"، منصب البابا، والذي أعطى عهداً على نفسه ألاّ يكون للملوك والقيصرة سلطان عليه، فقد كانت وجهة نظره أنّ الحق والعدل يقضيان أن يكون البابا أعلى مقاما من القيصر، فالقيصر مهما علا شأنه، وزاد سلطانه يطلب من أيّ قسّ وقت وفاته الإعتراف والمباركة، فهل يستطيع أيّ ملك أن يمنح أيّ قسّ الغفران والبركة؟ وإذا كانت هذه هي قدرات أيّ قسّ عادي فما بال رأس الكنيسة وراعيها؟⁽²⁾.

وبالتالي نفهم من وجهة نظر "جريجوري السابع" أنّ البابا أعلى شرفاً ومكانة من القيصر، فأصدر بعد توليه منصب البابا قائمة تضم سبعة وعشرين نقطة تحدد كلّها سلطته كخليفة على العالم كلّه ونذكر بعضها منها:

- لا يحق لأيّ كان أن يقيم البابا، بمعنى أنّ البابا معصوم من أيّ خطأ وأنه هو من يمثل السلطة الإلهية في الأرض، وهذا ما هو إلاّ إشارة على سيطرة الكنيسة التامة على الجميع وفي كلّ مجالات الحياة.

(1) - محمد كرد علي: تاريخ الحضارة في القرون الوسطى والحديثة، دار التقدم، القاهرة، ص 82.

(2) - القس دي روزا: التاريخ الأسود للكنيسة، ت: آسر حطية، ط1، الدار المصرية، القاهرة، 1415هـ-1994م، ص 53.

-الكنيسة الرومانية لم ولن تخطئ أبدا⁽¹⁾، وحتى إن مارست كلّ الإضطهادات على شعوبها آنذاك فلا يجب إنتقاد ممارساتها

-البابا فقط له سلطة خداع الأساقفة، بمعنى أنّ البابا له السّلطة المطلقة في تعيين وخلع من يجب، ومما لا شك فيه سيخلع كلّ من يتعارض ومصالحته الخاصة والسيطرة الداخلية للبابا

-البابا وحده له خلع الملوك والقيصرة وحاشياتهم بمعنى أنّ سلطان البابا لا يقتصر فقط داخل الكنيسة وإنما يتعادها إلى خارج الكنيسة، أي أنّ البابا هو الراعي الأول للدولة وفي كلّ شؤونها الداخلية والخارجية، وأنّ القيصر ما هو إلاّ مفوض من طرف البابا لتسيير شؤون الدولة فقط.

-على كلّ الحكّام وحاشيتهم أن يقبلوا قدمي البابا.

-نواب البابا أعلى شأنًا من أي رجل دين آخر، بمعنى أنّ البابا سيختار من نوابه من يخدم مصالحته فقط، دون مراعاة لمهارة رجل الدين، ولا حجم إيمانه، ولا طريقة ممارسة وظيفته، وأنّ أي رجل دين في الكنيسة مهما علا حجمه فإنّه يبقى قابعا أمام البابا ونوابه.

-البابا الواصل لهذا المنصب بالطرق الشرعية هو بلا جدال هو قديس⁽²⁾. (بشفاة بتري).

وقد أوضح "جريجوري السّابع" بعض المواضع التي كانت في طي النسيان، كموضوع عزوبة رجال الدين، فأعادته إلى ساحة الكنيسة، وأمر رجال الدين أن يفترقوا عن زوجاتهم وأولادهم أو يتركوا مناصبهم، ممّا أدى زيادة انتحار زوجات رجال الدين⁽³⁾، حيث تمّ هدم منازلهم وأسرهن بين يوم وليلة، وحيث فضل أزواجهم مناصبهم على أسرهم، بالإضافة إلى زيادة العلاقات الأثمة، لرجال الدين الذين إنجّهم من العلاقات الزوجية الشرعية إلى غيرها من أجل الإحتفاظ بمناصبهم.

ولعلّه أكبر حدث عرفته فترة "جريجوري السابع" مواجهته مع القيصر (هنري الرابع)⁽⁴⁾، والذي

(1) - القس دي روزا: المصدر السابق، ص 54.

(2) - المصدر نفسه، ص 54.

(3) - المصدر نفسه، ص 55.

(4) - هنري الرابع: (1050-1160م) هاينريش الرابع ملك الرومان (عبد السلام زيدان: هنري الرابع إمبراطور الدولة الرومانية، الموسوعة العربية،

استرجع يوم: <https://mail.arab-ency.com.sy>2023/2/23

إنَّه بالتدخل في شؤون الكنيسة، فإعترف "هنري الرابع" بحقيقته ذلك ولم ينكره لكنه ليس هو أول ملك يفعل ذلك وإنما سبقه كل الملوك سابقا، فأعلن "هنري الرابع" بعد إتهام البابا له، أنه إختيار خاطئ، وأنه لم تتم إستشارته فيه، فردّ عليه البابا بطريقة أعنف، وأصدر أمرا يمنع القيصر من حكم إيطاليا وألمانيا، وأنّ كل من أقسم له بالولاء في حل من يمينهم، وكل من يعتبر "هنري الرابع" ملكا فهو مرتد عن الدين، ولعلّ هذه نقطة من نقاط القائمة السبعة والعشرون وهي:

- للبابا أن يجيز لرعايا أي حاكم التحلّل من العهود وإيمان لولاء التي أقسموها لحاكمهم⁽¹⁾.

وقد وجدت دعوة البابا صدى في ألمانيا، وفي آل القيصر نفسه، فكانت والدته، وابن عمّه في صفّ البابا، وبدأ الأمراء يحلّون أنفسهم من يمين الولاء له، فما كان على "هنري الرابع" إلا أن يعقد إتفاقا وسلاما⁽²⁾، مع البابا، وتوجّه إلى إيطاليا عام 1077م، وهناك تقابل مع البابا في بلدة كانوسا، وقد وضع البابا شروطه على القيصر ومن بينها: أن يضع القيصر تاجه وكلّ دلائل ملكه تحت تصرف البابا، وأن يعلن أنه لا يستحق أن يكون قيصرًا بعد موقفه المخزي مع البابا، وأن يقبل أي جزاء يقرّره البابا لكي يكفر عن ذنبه، وفي فناء القلعة أمر البابا أن يقلع ملابس الملكية وأعطاه ملابس رثة لإرتدائها في الشتاء البارد ثم أعطاه البابا مقصا كبيرا ومكنسة دليلا على مهانته وإستعداده للتأدّب، وتركه البابا على وضعه هذا لمدة ثلاثة أيام في العراء صائما شبه عار، حتّى توسطت له إبنة عمّه التي كانت تحكّم تلك المدينة.

أمّا عن الأسباب الدافعة لأفعال "جريجوري السابع" ضدّ "هنري الرابع" هي ذكرياته عن البابا (جريجوري السادس)، الذي أهانه والد "هنري"، كما أمر البابا "هنري الرابع" إلاّ يعود لممارسة سلطانه، وأن يطلب الغفران والصّفح من البابا، لكن "هنري الرابع" لم يطلب سوى رفع لعنة البابا عنه، وعند عودته إلى وطنه عيّّن أحد الأساقفة بابا لروما وهو (كليمنس الثالث)، وأوصله بنفسه إلى روما، كرد

(1) - سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص 325.

(2) - القس دي روزا: المصدر السابق، ص 54-56.

على البابا رغم أنّ "جريجوري السابع" تنبأ له بالموت خلال عام وأحد عقابا له على مخالفة أوامره، وفرّ "جريجوري" إلى سالرنو، نابولي، ومات عام 25 ماي 1085م، وبالرغم من ذلك فقد بقي له مكانة عالية بين الكاثوليك بإعتباره الأب الرّوحي للمذهب الكاثوليكي، ويعتبر هو من هدّم علاقة الترابط بين الكنيسة والسلطة الحاكمة⁽¹⁾.

وكان مثالا لباقي الباباوات بعده، فخلال المائة العام التالية تمّ خلع وإعلان ثمانية ملوك مرتدّين عن الدّين، كما أنه غيّر لقب الأساقفة في روما من خلفاء "بترى" إلى "خلفاء المسيح"، وبذلك ثبت سلطة البابا الغير القابلة للمناقشة أو النقد حتّى في حلة تدهور أخلاق الباباوات وإنحطاطها.

وظلّ هذا النزاع قائما بين الكنيسة والدولة إلى غاية القرن الثالث عشر ميلادي، الذي أصبح فيه البابا زعيما للعالم المسيحي، وإليه ترجع السلطة العامة في الكنيسة والدولة.

ومن أمثلة ذلك أيضا والذي كان له تأثير كبير في العالم المسيحي عندما تسلّم "إنوسنت الثالث"، البابوية عام (1198-1216م) والذي أرغم الحكام آنذاك لأمره⁽²⁾، ففي حفل تنصيبه فبدلا من أن يلبس عباءة بيضاء اللون، إرتدى عباءة الملك المرصّعة بالجواهر، وتغيّرت كلمات التنصيب التي يتلوها أحد الأرشدياكونات، فأصبحت «تسلّم هذا التاج وأعلن أنك أبو الملوك والقياصرة وحاكم العالم خليفة المسيح في الأرض».

وبما أنّ "أنوسنت" عاصر "جريجوري السابع" بل وكان من أتباعه المقربين فإنّه لم يستغرب هذه الكلمات مطلقا، ثمّ إمتطى "أينوسنت" جواده المرصّع بالجواهر، وإنطلق عبر المدينة قاصداً كنيسة

(1) - القس دي روزا، المصدر السابق، ص 57.

(2) - على عبد الكريم كابان: الإصلاح الديني في المسيحية مقارنة بالإصلاح الفكري في الإسلام، ط1، دار دجلة، 2010، ص 57.

(لاترنو)، وبعد أن أقسم الأمراء والحاشية الملكية يمين الولاء للبابا دعاهم إلى مأدبة حافلة جعلت أقرب إلى تنصيب الملوك منه إلى تنصيب البابا، وبعد سنتين من تنصيبه كان هو الحاكم الفعلي لروما وليس القيصر⁽¹⁾.

وفي ماي 1203م تمرد شعب روما عليه، وإضطره ذلك إلى الهروب بشكل مؤقت خارج البلاد⁽²⁾ وبعد عودته للسلطة مرة أخرى كان "أينوسنت الثالث" أكثر تصميم على أن يصبح حاكم الدنيا والدين والرأس الأكبر للدولة كما هو للكنسية، وفكر في أمر يمكنه التحكم في زمام الأمور فبدأ في إقناع الناس بوجود ملك مخفي، وهذا يجيز له التدخل في شؤون الحكم برضا الجميع، بالإضافة إلى تعيين ملوك يطيعونه فيما يطلب منهم فبدأ بتعيين ملوك وخلع آخرين، كالقيصر "أتوا الرابع"، و"بيتر الأرجواني"، ملكا إنجلترا،... الخ

ومن هنا يتبين لنا أنّ البابا "أينوسنت الثالث" أخطأ في فهم معاني الكنيسة والبابوية، وحتى الفرق بين الخير والشر، وله إحدى المقولات الشهيرة التي قال فيها: «كلّ رجال الدين ينبغي لهم أن يطيعوا البابا حتى لو أمره بالشر، إذ لا يوجد من يستطيع الحكم على البابا وتقييمه»⁽³⁾.

وإستمر حال البابوية بعده من بطش وظلم ونهب وقهر وكبت للحريات، إلى غاية تولي البابا الذي نعته "دانتي" بالحيوان الأسود "بونيفاس الثامن"، وإشتهر عنه أنه ذو نظرات باردة ولسان سليط، كما وصفه أحد المؤرخين «أعجب به الكثيرون وخشى بطشه الجميع، ولم يحبّه أحد»، وكانت من مقولاته الشهيرة «إنّ صدر راعي الكنيسة الرومانية هو منبع كلّ القوانين لذلك وجبت الطاعة العمياء له حتى تستقر الأمور» وكان قد استولى على منصبه بطريق الخديعة، فكان كثير القلق وعدم الإستقرار.

(1) - القس دي روزا: المصدر السابق، ص 58/57.

(2) - المصدر نفسه، ص 59.

(3) - المصدر نفسه، ص 60.

وبعد توليه المنصب بثلاث سنوات، وفي عام 1302م كانت مشكلة أخرى تؤرق البابا "بونيفاس الثامن" ألا وهي علاقته مع الملك "فيليب"⁽¹⁾، ملك فرنسا، فلم يكن معه على وئام، لأنّ الملك "فيليب" غير مطيع ولا يتغض بالتهديد⁽²⁾.

وما زاد من كرم البابا له هو أنه ألقى القبض على أحد الأساقفة، فقرر البابا أن يلجأ إلى سلاح من نوع آخر، إلاّ وهو توجيه كتاب له من الكنسية، وليته لم يفعل ذلك كما جاء في المصادر التاريخية.

وكان "بونيفاس الثامن" يهدف من خلال كتاب هذا تأكيده على أنّ الكنسية هي السلطة الأولى والمتحكمة في كلّ الشؤون الدينية والدينيوية، وقد استعمل حديث المسيح مع تلاميذه عندما قالوا له: "هذان سيفان" ولم يقل لهما "وهذا كثير" وإتّما قال "هذا يكفي"، فالبابا "بونيفاس الثامن" حلّل هذه الكلمات وقال أنّ السيفان يرمزان للسلطتين الدينيّة والدينيوية، وأنهما ليس على مستوى واحد، وإتّما لهما نفس الهدف خدمة الكنسية، فالسلطة الدينيّة تخدم نشر الدين وقوّته، والسلطة الدينيوية تخدمها وتساعدتها في هذا الشأن، وتعمل السلطة الثانية تحت إمارة الأولى، كما أنّ السلطة الدينيّة لها حقّ تقييم السلطة الدينيوية وبيان الخطأ والصّواب لها⁽³⁾، وحال مرارًا وتكرارًا تأكيد سلطته الدكتاتورية، فكتب أيضا "نحن نؤكّد أنّه يجب على كلّ مخلوق أن يكون تابعا لراعي الكنيسة الرومانية حتى ينال الخلاص"⁽⁴⁾، ولنا أن نتصور جشع وطمع البابا "بونيفاس الثامن"، وحبّه تملك العالم المسيحي، وأن لا يتمّ أي شيء دون إذن منه، وكيف استعمل مصطلح الدّين للوصول إلى أغراضه الدينيّة الدينيوية ليفرض سلطته ودكتاتوريته وإضطهاداته على الشعوب المسيحية آنذاك، ولم يأبه أبد إلى قيام ثورات وإراقة الدماء من أجل الإحتفاظ بالمناصب الدينيوية، لأنه فعلا قد أريق دماء كثيرة من أجل الإحتفاظ بمئاته المناصب، وفعلا تستخلص أنّ همّ رجال الدين المسيحي خاصّة في القرون الوسطى لم يكن دنيا، وإتّما

⁽¹⁾ - الملك فليب: (1268-1314م)، ملك فرنسا من أعظم ملوك العصور الوسطى (أمينة تيطار: فيليب الرابع الجميل، الموسوعة العربية استرجع يوم: 2017/6/8، <https://mail.arab.-ency.com.sy>

⁽²⁾ - القس دي روزا: المصدر السابق، ص 63-65.

⁽³⁾ - وجيه محمد زكريا عمران: الحركة البروتستانتية و أثرها على النصرانية و مدى تأثيرها بالاسلام، رسالة ماجستير، قسم الدعوة، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، مصر، 1413هـ-1999م، ص: 67.

⁽⁴⁾ - القس دي روزا: المصدر نفسه، ص 66.

هو تسابق للإحتفاظ بمناصبهم ما زادهم طمعا وجشعا.

لكن ردّة فعل الملك "فيليب" عكس ما توقّعه "بونيفاس الثامن"، إذ أثار ثورة عارمة على هذا التهديد، ونشر "فيليب" خبر إقالة البابا لسلفه السابق "كولستين"⁽¹⁾، وكيف مات جوعا في محبسه الذي سجنه فيه "بونيفاس"، وكيف حارب وإضطهد أهله وسكان بلده من بعده.

وبذلك أقام الرأي العام ضده، ثمّ أمر بإختطاف البابا وترحيله إلى فرنسا وتقديمه للمحاكمة أمام مجلس عام يقضي بتنحيته عن منصبه فوراً وبعث إليه ستمائة من الفرسان والف من الشاة وخيانة حارس أبواب المدينة، وإندهش البابا "بونيفاس الثامن" من جرأة الملك "فيليب" الذي لم يرتدع لتهديدات رأس الكنيسة، فطلب من أعيان المدينة بمساندته مع إعطاءهم مكافآت طائلة، ولكن دون جدوى وضاق الخناق على الباب حتى بدأ الجيش يملي شروط الإستسلام عليه، والتي منها: أن يعيد أساقفة "آل كولونا" للكنيسة، وأن يتنحى عن منصبه وسلّم نفسه.

وبما أنّ البابا "بونيفاس الثامن" كان مغرورا ومعتوها فلم يعطي إهتمامه بالأمر، وفضّل مواصلة القتال العنيف، حتى وصلوا المقاتلون إلى غرفته⁽²⁾، أين كان جالسا على عرش البابوية في كامل حلّته

(1) - كولستين: في عام 1292 يموت البابا نيكولاس الرابع، وبعد وفاته بستين يوما لم يستطيع الأساقفة الاجماع على إختيار أحد، لإنتقسامهم بين مرشحين، أما جيتاني فلم ينضم لأي الفريقين آملا أن يتم إختياره هو، وملاّ الانتظار فلجأ إلى حيلة، وقال أنه تلقى خطاب من بطرس الموروني، الذي كان يعيش بمعزل عن الناس وكثرت الأقاويل على قدسيته، وهذا بخطاب فيه من الضروري الاستقرار على إختيار بابا جديد، ولكن لم يتم الأمر كما اشتهى هو، فعجّل هذا الخطاب واختاروا بابا غيره وهو بطرس الموروني نفسه وعند تولي بطرس عرش البابوية فزع من تغير أحوال الكنيسة، ومن الغنى الفاحش الذي يعيشه رجال الدين وأملاك الكنيسة الكثيرة، ومن تدهور الأخلاقيات في روما، فلجأ بونيفاس إلى حيلة أخرى وهي أنه أدخل مأسورة من خلال ثقب حجرة البابا المتواضعة، وظلّ يهمس له طوال الليل لعدة أيام: «كولستين تنحى عن منصبك إنّه عبيّ كبير عليك»، وكمحاولة أخيرة جمع البابا الكرادلة ورجاهم أن يعثوا بخلياقم إلى الدير، وأن يعيشوا في البساطة التي عاشها يسوع المسيح وعندما قوبل هذا الطلب بالرد المتوقع تنحى البابا عن مكانه وعاد إلى صومعته وعزلته بعد أن إستمر في منصبه لمدة 15 يوما فقط.

وتحقّق بذلك حلم بونيفاس في اعتلاء كرسي البابا عام 1294، وقام بسجن الباب كولستين في قلعة فومون وهناك مات بعد عام ونصف من الجوع والاهمال ولكي يحتاط أكثر من عائلة كولونا (عائلة كولستين) التي كانت تعاديه، ضيق عليهم الخناق حتى ركع أساقفتهم أمامه طالبين العفو عنهم، فقام بونيفاس بطردهم من السلك الكنسي ودمر أختامهم ثم أمر بالهجوم على مدينتهم (بالسترينا بإيطاليا)، وهذا الهجوم تمّ قتل أكثر من 6 آلاف شخص وتدمير كلّ كنوز ومبني المدينة، ولم ينج من هذا الدمار الشامل سوى الكنتارية وكان ذلك عام 1299م، ووصفه دانتي أنه في الدرك السفلي من النار (نقلا عن كتاب التّاريخ الأسود للكنيسة، للقس دي روزا، ص 63-64-65).

(2) - القس دي روزا: الصدر السابق، ص 66.

الفاخرة ويده صليب ذهبي ولكنّ قبل قتله بلحظات، دخل مستشار الملك ليعلن أنه يريد حيا لكي يعقد مجلس محاكمته، وبدلا من قتله تفرّغ الجنود للسلب والنهب آخذين حتّى تاج البابا وملابسة التي كان يرتديها، أمّا البابا "بونيفاس" فأخذ يردد: "الرّب أعطى، الرّب أخذ"، وفجأة جاءته النجدة من أهالي البلدة خشية أن يضرب الله لعنته فوق رؤوسهم لمقتل البابا في أراضهم وأن تصير بلدتهم ملعونة فلا تقام بها الصّلاة أبداً، لذا تجمعوا واقتحموا المكان مفرجين بذلك عن البابا، وهكذا أفرج عن البابا في اليوم الثالث لحبسه، فخرج وقد غدا شخصا آخر، فقد آثر الخوف والوحدة والظلام وأصبح محتل عقليا، وتمّ ترحيله إلى روما وهناك قضى 45 يوما يعضّ على يديه كالكلب، ويخبط رأسه في الحائط، ويوم ذفنه قامت عاصفة هوجاء فلم يحضر ذفنه سوى القليل بأدنى حدّ من المراسم⁽¹⁾.

وأخير نال الملك "فيليب" ما تمناه بعد عناء طويل وهو بابا فرنسي وهو "كليمنس الخامس"، ليكون عجينة لينة في يده، وانتقل كرسي البابوية إلى مدينة "أفينيون"، الصغيرة بعيدا عن المقر التاريخي للكنيسة الكاثوليكية وبعيداً عن مقبرتي "بطرس" و"بولس" المقدّستين، ويعتبر هذا الأمر إهانة للكنيسة وعدم احترام الملك "فيليب" التاريخ الديني للكنيسة، وجاء بعده "كليمنس السادس" الذي عُرف بالبذخ وحبّه للمال وسار على دربه باقي الباباوات.

وبذلك نستخلص أنّ البابوية فرضت نفسها على جميع الأباطرة والأمراء وكانت هي الأمر والناهي، ولم ينجو أي أحد من طغيانها ونفوذها، فالملاحظ من خلال هذا الطرح أنّ العامل الأساسي تتمثل في تدخل الباباوات المستمر في شؤون الحكام، ومحاولاتهم الدائمة لإخضاعهم وإذلالهم وأي محاولة خروج عن البابا وسلطانه فأنها ستكلّف الحاكم عقوبة الحرمان⁽²⁾.

(1) - القس دي روزا: المصدر السابق، ص 67.

(2) - عقوبة الحرمان: إجراء تأديبي تفرضه الكنيسة على أعضائها بهدف دفعهم للتوبة وإعادة العلاقة الصحيحة مع الكنيسة، استرجع

يوم: <https://abouna.org> 2023/5/7

إذن فالعلاقة بين الكنيسة والدولة لم تكن علاقة ودّ ومحبة واحترام، وإنما كانت علاقة إستبداد وقهر وخضوع الدولة للكنيسة، وبذلك نفسر سبب دعم بعض الحكام والملوك للثورات التي كانت تقوم ضدّ الكنيسة.

المطلب الثاني: النمط القومي

يتمثل العامل القومي في رغبة الحكام والشعوب في الانفصال عن الإمبراطورية الرومانية والإستقلال بسيادتهم الذاتية على بلادهم، بعيداً عن الخضوع لسلطان الكنيسة.

يقول المؤرخ "هربرت فيشر": « من أسرع خطاة تحول البابوية في روما إلى دولة إيطالية، ثم وجدت حركات كثيرة تدعو إلى التحرر الفكري، بحيث إنّ آلاف الجداول الصغيرة المنفصلة إلتقت أخيراً في نهر صاحب من الثورة، فتهاوت القيود القديمة التي كانت تكبلّ العقل وتجممه عن تحصيل المعرفة»⁽¹⁾.

وما يؤكّد نموّ الشعور بالقومية في تلك الفترة، ما جاء في كتاب " قصة الحضارة " على لسان "مارتن لوثر" حين وصف كنيسة روما آنذاك بأنها سلطة أجنبية فقال: «لماذا يتحتّم على الكنيسة الألمانية أن تدفع هذه الجزية الدائمة إلى سلطة أجنبية؟ فليستخلص رجال الدين الألمان من تبعتهم لروما، ولينشئوا كنسية قومية تحت زعامة كبير الأساقفة»⁽²⁾.

ومّا لا شك فيه أنّ نموّ الحركات القومية قد بدأ في منتصف القرن الخامس عشر، حيث بدأ الشعور بالحاجة إلى إقامة دولة خاصة، وكنيسة بعيدة عن أي تدخل خارجي وإستمر إلى القرن السادس عشر الذي شهد ولادة الحركة الإصلاحية، حيث أصبح حكام الدول القومية يرفضون سلطة البابا ضمن أراضيهم، ممّا أدى إلى فكرة الإصلاح الديني الكنسي.

⁽¹⁾ - هربرت فيشر: أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة الأوروبية إلى الثورة الفرنسية، ت: زينب عصمت راشد، وأحمد الحليم مصطفى، ط3، دار المعارف، القاهرة، ص 95.

⁽²⁾ - ويل ديورانت: المصدر السابق، المجلد 06، الجزء: 03، ص 29.

المبحث الرابع: النمط العلمي والفكري للإصلاح.

كانت الكنيسة في العصور الوسطى الأوروبية المسيطرة على كلّ مجالات الحياة في أوروبا خاصةً مجال الثقافة والتعليم، وبذلك إصطبغت الثقافة في هذه العصور بالصبغة الدينية، فقد كان العلماء هم أنفسهم رجال الدين، وما يقولونه حينئذ يقبله الناس، وما يرفضه رجال الدين يرفضه جميع الناس، وكلّ ما يصدر من الكنيسة من آراء وتعاليم يجب التسليم بها دون أي نقد وجدل، يقول أحد المؤرخين عن تلك الفترة: «إنّ التباين الكبير بين العصور الوسطى، والعصور الحديثة كان واضحاً بما فيه الكفاية... من بيئة معادية لحرية البحث إلى بيئة يعيش فيها العلم ويتعرع، حيث كانت الكنيسة في القرون الأولى من العصور الوسطى هي وحدها ملاذ الثقافة»⁽¹⁾، وقد كانت اللغة اللاتينية هي لغة العلم الأساسية.

ويفهم من هذا أنّ رجال الدين كانوا يتمتّعون بمنزلة كبيرة، ودرجة عظيمة ويذكر "أبو الحسن الندوي" في هذا الباب فقال: «كان يمكن للباباوات أنّ يتقدموا بأوروبا تقدماً صحيحاً في العلم، والمدينة تحت ظلّ الدين لأنّ نوابهم وممثليهم كانوا يتجولون في البلاد الأوروبية وينزلون من أهلها في جنات مريع، وظلّ ظليل، ويتفاهمون معهم بلغة واحدة، ويتدخلون في أمور سياسية مهمّة، ووجدوا في كلّ بقعة أنصاراً لهم من ذوي الرأي والسياسية يتكلّمون بلغة واحدة، ويساعدونهم في مهام الدولة»⁽²⁾.

بمعنى أنّ مكانتهم وسيطرتهم على الشعوب وحكامها أعطتهم الصلاحيّة الكاملة بغدو نحو التقدم والتطور العلمي والفكري آنذاك، ويواصل "أبو الحسن الندوي" فيقول: «ولكنّهم أساءوا إستعمال هذا لسلطان الهائل، وتلك النفوذ الواسع، فإستغلّوه لأنفسهم ونفوذهم وجاههم»⁽³⁾.

لكنّ في حقيقة الأمر أنّ رجال الدين إستغلّوا مناصبهم الدينية في تحقيق أهدافهم ومآربهم الشخصية، وفي سبيل الحفاظ على هذه المناصب والنفوذ حاربوا كلّ ما يتعارض مع آراء الكنيسة، واستخدموا كلّ أساليب التعذيب والتنكيل والاضطهاد لكلّ معارض ومنتقد للكنيسة ووصفوهم بالمرتدين والخارجين عن الكنيسة، وسنّت قوانين لمحاربة الهرطقة ودعاتها، وفرضت رقابتها على آراء الناس في الكون وظواهره وأسراره، ثمّ شرعوا في وضع سياسة محدّدة لقهر الفكر، وكبح العقل.

(1) - هربرت فيشر: المصدر السابق، ص 10.

(2) - أبو الحسن الندوي: المرجع السابق، ص 192.

(3) - المرجع نفسه، ص 192.

فسلم الأباطرة والحكام بهذه الأفكار، وأخذت الشعوب المسيحية تنادي بنظرية "الخلاص"، الذي لا سبيل إليه إلا عن طريق الكنيسة الكاثوليكية، وأن الذين لا يستسلمون للكنيسة فإنهم سينالون اللعة الأبدية لا محالة، وأن الهرطقة أعظم خطيئة تعرض أصحابها لأشدّ صنوف العذاب⁽¹⁾.

ولو تتبّعنا التاريخ المسيحي منذ القرن الرابع ميلادي لوجدنا سيطرة هذه المعتقدات الكنيسة، وبمساعدة بعض الأباطرة والملوك في سنّ القوانين لمحاربة الخارجين على الكنيسة والتنكيل بهم⁽²⁾.

فجدد في الجماع المسيحية أنّ معظمها تصدر قرارات عقوبات اللعن والطرده والحرمات للمخالفين، وتاريخ المسيحية حافل يمثل هذه القرارات التي عانت منها الشعوب المسيحية عامة، وعانى منها كلّ من حاول السمو بفكره بعيدا عن دياجير الجهل والخرافة والإنحطاط الكنسي⁽³⁾.

لكن في القرن الثاني عشر ميلادي بالتحديد، بدأت الشعوب الأوروبية تستفيق من سباتها، وتخرج عن صمتها القرون الماضية، فأعلنت تمرد بعض شبابها عن رجال الدين الكنسي، لكنّ سرعان ما استطاعت الكنيسة دحرت يقظته إلقاء لما قد يحل بها، بحكم نفوذها وإتساع سلطانها وهيمنتها على الشعوب، فرضت قيود على طلاب العلم والمعرفة، وعلى كلّ ميادين البحث العلمي.

يقول "ويلز": «كان رجال الدين يضيّقون ذرعا بأية معرفة عدا معرفتهم، لا يثقون بأي فكر لم يصحّحوه ويراقبوه، فنصبوا أنفسهم للحدّ من العلم الذي كانت غيرتهم منه بادية للعيان، وكان أي نشاط عقلي عدا نشاطهم يعدّ في نظريهم نشاطا وقحا»⁽⁴⁾، ونفهم من كلام "ويلز" أنّ الكنيسة قاومت وصدّت بكلّ ما أوتيت من قوة اليقظة العقلية في أوروبا، واستخدمت عدّة أساليب وحشية من قتل وتعذيب، وتنكيل وسجن، وكمثال على ذلك:

(1) - توفيق الطويل: قصة النزاع بين الدين والفلسفة، ط3، دار النهضة المصرية، 1979م، ص 90.

(2) - أحمد علي عجيبة: البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي في العصور الوسطى، ط1، قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين، طنطا، مصر، 1416هـ-1991م، ص 40.

(3) - المرجع نفسه، ص 41.

(4) - هربرت جورج ويلز: معالم تاريخ الإنسانية في المسيحية والإسلام والعصور الوسطى وعصر النهضة، ت: عبد العزيز توفيق جاويد، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد 3، ص 950.

- إتهام "أبيلارد" (1079-1142م)⁽¹⁾. الذي نادى بتحرير العقل، ناقش بعض المسائل اللاهوتية على أساس منطقي، فتصدت له الكنيسة وإتهمته بالهرطقة وإنعقد مجمع "سواسون". 1121م، الذي أدانه وقرّر حرق كتابه الذي تناول فيه عقيدة التثليث، فإستدعى "أبيلارد"، وأُكره على إلقاء كتابه في النار بيده، ثمّ سجن في أحد الأديرة في "سواسون"، ولكنّ "أبيلارد" عاد إلى مواصلة بحثه في عزله، لكنّ الأسقف "برنارد" كشفه وعقد مجلس محاكمته عام 1141م، وصدر قرار بإدانته وحرمانه⁽²⁾.

- ثمّ جاء بعده "روجر بيكون" (1214-1294م)⁽³⁾ الذي إتهمته الكنيسة بمزاولة السحر بحكم أنّ منهجه تجريبي⁽⁴⁾، يعتمد على التجربة في كلّ معرفة تستقيها من الطبيعة، فإنعقد مجلس "فرنشسكاني"، وقرّر تحريم كتابه مع حبّسه في غرفته فلبث سجيناً من عام (1277-1292م)⁽⁵⁾.

- وإعتبرت الكنيسة "جاليلو"⁽⁶⁾، زنديق وهرطوق عندما عارضها في قولها أنّ الأرض مركز الكون والشمس تدور حولها⁽⁷⁾، واعترف بذلك بنظرية "كوبر نيكوس"⁽⁸⁾، يقول المؤرخ التاريخي "ويلز"

(1) - أبيلارد: (1079-1142م) بيتر أبيلارد فيلسوف شهير له الفضل في إنشاء جامعة باريس، برز في القرن الثاني عشر ميلادي، له الفضل أيضاً في إيصال التقليد اللاتيني الأصلي في الفلسفة إلى مكانة مرموقة، أحيأ فلسفة أرسطو(بيتر كينج وأندرو أرلينج: فلسفة بيتر أبيلارد، ت: منال محمد خليف، مجلة حكمة، استرجع يوم: 2024/9/25، <https://www.hekmah.org>

(2) - يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ط1، دار الكتاب المصري، 1946م، ص 103.

(3) - روجر بيكون: (1214-1292م) فيلسوف إنجليزي، من أبرز مفكري العصور الوسطى، رائد العلم التجريبي الحديث (الموسوعة العربية استرجع يوم: 2024/2/19، <https://mail.arab.ency.sy>

(4) - المنهج التجريبي: يعرف بأنه المنهج المستخدم حين نبدأ من وقائع خارجة عن العقل سواء كانت خارجة عن النفس أو باطنية فيها لتفسيرها بالتجربة دون الإعتماد على مبادئ وقواعد المنطق الصّورية وحدها(عبد الرحمان بدوي: مناهج البحث العلمي، ط3، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977م، ص 102

(5) - يوسف كرم: المرجع السابق، ص 104.

(6) - جاليلو: (1564-1642م) علم فلكي وفيلسوف وفيزيائي إيطالي، ولد في بيزا بإيطاليا (بيتر ماكمر: فلسفة جاليلو جاليلي، ت: محمد صديق أمون، مجلة حكمة، استرجع يوم: 2024/2/19، <https://www.hekma.org>

(7) - أشرف صالح محمد سيد: قراءة في تاريخ وحضارة أوروبا العصور الوسطى، شركة الكتاب العربي الإلكتروني، لبنان، 2008م، ص 27.

(8) - كوبرنيكوس نيقولا: عالم فلك بولندي، من أصل ألماني، عاش ما بين 1473م-1547م، عمل كاهناً بعد أن أنهى دراسته في جامعة كراكوف، ثمّ نزع إلى إيطاليا، ودرس القانون الكنسي، واهتم بدراسة الفلك، وحاز شهرة واسعة كطبيب (توماس كون: بنية الثورات العلمية، ت: شوفي جلال الكويت، 1992م، ص 263.

عن "جاليليو": «طور آراء "كوبر نيكوس" الفلكية، ولكنّ الكنيسة قرّرت، وهي تكافح النور بشجاعة أنّ الإعتقاد في الأرض أصغر من الشمس وأدنى منها مرتبة، لا يجعل الإنسان، ولذا حمل "جاليليو"، على التراجع عن هذا الرأي، وعلى إرجاع الأرض إلى مكانها الأول كمركز ثابت للكون لا يتحرك، وقضى عليه سبعة من الكرادلة بالسجن مدة من الزمن، وأمر بتلاوة مزامير الندم السبعة⁽¹⁾، مرة كلّ أسبوع طوال ثلاث سنوات»⁽²⁾، فنستنتج من كلام "ويلز" أنّ "جاليليو" بتأكيده لنظرية دوران الأرض حول الشمس، قد دخل في صراع كبير مع الكنيسة، والتي أكّدت على هرطقته ومروقه، فأودعته السجن وأجبرته على التراجع عن رأيه وطمس نظريته، وخشي "جاليليو" على نفسه من الهلاك، فأعلن تراجعه عن رأيه أمام البابا بالإعتراف الآتي: «أنا جاليليو، وقد بلغت السبعين من عمري سجين راعع أمام فخامتك، والكتاب المقدّس أمامي ألمسه بيدي، أرفض وألعن وأحتقر القول للحادي الخاطئ بدوران الأرض»⁽³⁾.

ونرجع أيضا إلى أحد الذين إضطهدتهم وحاربتهم الكنيسة وعاقبتهم أشدّ عقاب "ككوبر نيكوس" الذي قال قبل "جاليليو" بدوران الأرض والكواكب حول الشمس، وكانت فكرة الكنيسة أنّ الأرض هي مركز الكون، لتفرع بعض إنحرافات العقيدة عليها، لأنّه حسب تصور الكنيسة أنّ المسيح تجسّد فيها والخلاص تمّ عليها، ولذلك فإنّ القول بتحركها يتعارض مع ما تقرّره الكنيسة، لذلك لعنته الكنيسة وأحرقت كتبه، وحرّمت على إتباعه الإطلاع عليها، خاصّة كتابه الذي تضمّن هذه النظرية بعنوان "حركات الأجرام السماوية"⁽⁴⁾، فهذه النظرية هي التي هزّت الكنيسة لأوّل مرّة، وقبلها كانت الكنيسة المصدر الوحيد للمعرفة⁽⁵⁾.

يقول "كوبر نيكوس": «أخذت أشعر بشيء من الإنزعاج كيف أنّ الفلاسفة درسوا حتى درجة الإقتان، كلّ ما يتّصل بأدقّ مخلوقات أرضنا بينما نراهم لا يعرفون شيئا يذكر عن الحركات التي يقوم بها

(1) - مزامير الندم السبعة: هي مزامير التوبة أو لإعتراف في الكتاب المقدّس وهي: المزمور6، 32، 38، 51، 102، 130، 143 (جوئان ريد، traditionalcatholicprayers.com/26/9/2020 استرجع يوم: 2024/11/11 .

(2) - هربرت جورج ويلز: المصدر السابق، ص 1008.

(3) - أحمد بن عبد الله آل سرور الغامدي: الصراع بين الكنيسة والعلم أسبابه وآثاره، كلية التربية بجامعة الملك عبد العزيز، ص 345.

(4) - محمد قطب: مذاهب فكرية معاصرة، ط9، دار الشروق، القاهرة، 1414هـ-2001م، ص 48.

(5) - سفر بن عبد الرحمن الحوالي: العلمانية (نشأتها وتطورها ونشأتها في الحياة الإسلامية المعاصرة)، دار الهجرة، ص 150.

جهاز هذا الكون... الذي أبدعه أقدر المهندسين وأمثلهم طرا (حسب قوله)⁽¹⁾، ف"كوبر نيكوس" وجد شعوره حول معرفة خالق الكون مخالفة تماما لشعور جميع المفكرين والفلاسفة آنذاك، ومتعارض مع رأي الكنيسة تماما التي إحتضنت فكرة محدّدة حول طبيعة الأرض، ويكمل قوله: «إنّ أجمل الأمور وأجدرها بمعرفتنا، أليست حقا، هذه العلوم التي تتعلق بحركات هذا الكون الإلهي، وبحركات النجوم السابحة في القبة الزرقاء وما لها من مقاييس وأبعاد وشروق وغروب، والأسباب الخفية التي تقوم وراء الظواهر السماوية الأخرى، فترسم لنا عنها صورة كاملة وهل أجمل من هذه السماء التي تحتوي أجمل ما في الكون؟ وهذا ما تعلنه عاليا إسماء السماء والأرض إذ تعني هذه النقاء والزينة، وتلك كمال الصّورة، فعلم الفلك هو والحالة هذه طليعة فنون الفكر، وهو أخلق العلوم طرّا بالرجل الحرّ»⁽²⁾، يكاد "كوبر نيكوس" أن يعلن ضرورة يقظة العقل الأوروبي آنذاك والتوجه للبحث والسمو بالفكر والتخلّص من قيود وآراء الكنيسة، وأنّ علم الفلك والتعمّق فيه هو أساس كلّ العلوم، فله علاقة بالرياضيات كالحساب والهندسة، والبصريات وعلم الأرض، والميكانيكا، وأنّه أنفع العلوم لأنّ من خصائص العلوم النافعة أن تؤدي بالعقل البشري إلى ما هو أحسن وأفضل، وأنّ تجنّب الشرّ والرذيلة.

ونذكر أيضا من بين الذين نالوا ويلات الكنيسة "جيوردا نو برونو"، هذا الفيلسوف الإيطالي الذي تبني نظرية "كوبر نيكوس" وقال بأنّ هناك أشكال من الحياة خارج الكرة الأرضية، فكفّرت الكنيسة وإعتبر هو لاهيا لآخر من الهراطقة والملحدّين وحاكمته الكنيسة وأدانتها، ودامت محاكمته وسجنه أكثر من ست سنوات، وبقي مصرّا على رأيه، ثمّ أحرقتة عام 1600م⁽³⁾.

وكانت الكنيسة مذعورة خوفا من أن يتفوّه "برونو" بكلمة وهو في طريقه للمحرقة فيتلقاها الناس وتؤثر فيهم يقول "ريوني": «لقد كمّموه قبل أن يأخذوه إلى المحرقة لتفادي الّا تتسبب عباراته في قلقلة معتقدات الجمهور الذي حضر لمشاهدة المحرقة وقد تمّ إضفاء رتبة "كبير علماء الكنيسة" عام

(1) - رولان موسنييه: تاريخ الحضارات العام: القرنان السادس عشر والسابع عشر، ت: يوسف أسعد داغر-فريد م. داغر، ط2،

منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1987م، مج: 4، ص 49.

(2) - المصدر نفسه، ص 50.

(3) - سفر بن عبد الرحمن الحوالي: المرجع السابق، ص 150.

1930م، على الكردينال "بلامين"، الذين تولى إدانة "برونو" رسمياً...»⁽¹⁾، وهنا يوضح "إنريكو ريبوني" أنّ الكنيسة لم تندم أبداً عن حرق "برونو"، ولم تبدي أي أسف على ذلك، بل حتى أنّها اعترضت بشدة على إقامة تمثال "ليجوردانو برونو" في أحد ميادين روما عام 1889م، وفي عام 1929م، طلب البابا من "موسوليني"⁽²⁾، هدم هذا التمثال قبل ترسيم الكردينال "روبرتو بلامين"، الذي كان قد أدين "برونو"، وفي فبراير 2000م حينما عقدت ندوة حول "جيوردانو برونو" في كلية اللاهوت في نابولي، أرسل الكرسي الرسولي إلى رئيس الندوة رسالة عليها توقيع الكردينال "أنجيلو سودانو"، سكرتير الدولة في الفاتيكان يرد بها: «إنّ تطور فكره قد دفعه إلى إختيارات فكرية وثقافية، ستتكشف مع الوقت في العديد من النقاط الحاسمة، أنّها لا تتماشى مع العقيدة المسيحية»، ثمّ تلقى الرسالة بعاقبة قرار الحكم على "برونو" وتنفيذه، لا على لجنة محاكم التفتيش، وإتّما على السلطة المدنية التي كانت هي التي تتولى تنفيذ أحكام الموت حرقاً، وهنا "ريبوني" يشير قائلاً: «لكي ندرك مغزى هذه الرسالة المكتوبة عام 2000م والتي تدافع عن أساقفة عام 1600م أنّ الحكم في روما كان آنذاك خاضعاً للسلطة البابوية وحدها»، ويقول أنّ الرسالة تنتهي بعبارة: «إنّ ما يخرج عن هذا الموقف تاريخياً أنّ قضاة المحكمة كان كلّ ما يعنيه هو إظهار الحق والعمل على الصالح العام إضافة إلى أنّهم قد جاهدوا لإنقاذ حياته»⁽³⁾.

ويقول ريبوني: «أنّ هذه الوثيقة صادرة في 2000/02/17م كوثيقة رسمية من الفاتيكان، وهي موجودة في موقع الفاتيكان على الإنترنت وليست وثيقة وهمية أو من العصور الوسطى»⁽⁴⁾.
وكنتيجة لما سبق نقول أنّ الممارسات البربرية، والأحكام التعسفية التي صدرت من الكنيسة وموقفها من العلم والعلماء أدى إلى تأخر ظهور العلوم في أوروبا، وانعدام الكثير من الحقائق العلمية التي عجز العلماء التفوه بها.

(1) - زينب عبد العزيز: الإلحاد وأسبابه (الصفحة السوداء)، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، 2004م، ص 100.

(2) - موسوليني: (1883-1945م) بينيتو أندريا موسوليني، رئيس دولة إيطاليا من (1900-1943م) <https://artsand>

culture.google.com استرجع يوم: 2024/7/22

(3) - زينب عبد العزيز: المرجع السابق، ص 101.

(4) - المرجع نفسه، ص 101.

فالكنسية آنذاك انتهجت سياسية قتل كلّ طريق يؤدي إلى نمو الحياة خاصّة العلمية في أوروبا وما ينفع الناس، وقد ذكرت "هونكه" واصفة هذا التأخر بقولها: (والسبب في تأخر هذا النمو يعود في حقيقة الأمر إلى الروح المسيطرة آنذاك، وإلى النظرة السائدة للكون والبشر، فكلّ تفكير خلاق كان يقف عاجزاً أمام طريقة التفكير القاسية التي كانت الكنيسة تدعو لها، وتعلم الجيل الإنصياع التام لتعاليمها والخضوع لأقوالها بلا قيد أو شرط)⁽¹⁾.

وفي نفس الصدد يقول أحد المؤرخين "بول هازار": (وكانت القسوة تزيد بمقدار ما كانت الدعاية الفلسفية تسير أكثر نشاطاً وكان الخطر والمنع يزدادان خطورة في البلاد التي كان الناس فيها يغمضون عيونهم...) ⁽²⁾، (وبهذا فإن الإنسان الأوروبي عاش في صراع بين ما تدعو إليه الكنيسة، وينادي إليه العلماء...) ⁽³⁾، ممّا أدّى إلى انفجار الشعوب الأوروبية في العصور اللاحقة.

وهذا ما يؤدي بنا إلى طرح الإشكال الآتي: هل فعلا الحركات الإصلاحية توافقت ومطالب الشعوب الأوروبية؟ هل فعلا الحركات الإصلاحية حققت أهدافها الإصلاحية في مختلف مجالات الحياة الأوروبية، أم أنّها كانت تدعو إلى الإصلاح الديني الكنسي فقط؟ ماهي شعاراتهم من أجل ضمّ أكبر عدد من الشعوب الأوروبية في صفوفهم ومساندتهم لنجاح وبلوغ أهداف هذه الحركات الإصلاحية؟ وهذا ما سنتطرق إليه في الفصول اللاحقة من البحث بإذن الله عز وجل.

⁽¹⁾ - زيفريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ت: فاروق بيضون، كمال الدسوقي، ط5، 1401هـ-1981م، ص 306.

⁽²⁾ - بول هازار: الفكر الأوروبي في القرن 18 (من متسكيو إلى ليسنج)، ت: محمد غلاب، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، الجزء 1، ص 93.

⁽³⁾ - أحمد بن عبد الله آل سرور الغامدي: المرجع السابق، ص 385.

الفصل الأول:

زعماء الحركة البروتستانتية

المبحث الأول: أولريخ زوينجلي (Hilrrich Zurigli):

المطلب الأول: أسبقية "أولريخ زوينجلي" في الإصلاح على "مارتن لوثر"

كانت سويسرا البلد الأكثر تمتعا بالحرية الدينية من كل بلدان أوروبا في عصر الإصلاح الديني، مع أنّها كانت بالإسم جزءا من الإمبراطورية الرومانية المقدّسة، فنجد غرابة في انسجام بين الإصلاح الديني في كلّ من ألمانيا وسويسرا، رغم أنّ حركة الإصلاح فيهما كانتا مستقلتين، فكلّ من ألمانيا وسويسرا كانتا تخضعان لظروف مغايرة، فمن الناحية السياسية نظام الحكم في ألمانيا كان ملكيا، بينما في سويسرا كان جمهوريا، فالإصلاح في ألمانيا كان صراعاً ضدّ الإمبراطورية، أمّا في سويسرا فكان ثورة على النظام الديمقراطي، وفي هذا السياق لا بد أن نبيّن بعض الحقائق التاريخية، أولاها: أنّ حركة الإصلاح الزوينجالية لم تقم ضدّ مساوئ الكنيسة فحسب، وإن استحوذت على الجانب الأكبر من آراءه ومعتقداته، ولهذا إعتبر حركته حملة ضدّ الكنيسة ومعتقداتها، وإتّما امتدّت لتشمل سائر نواحي الحياة في مجموعها الدينية، والإجتماعية، والسياسية، حيث إمتزج فيها التنديد بنظام الجنود المرتزقة، والإنتصاف للطبقات الكادحة من الحكام المترقين، وبالمطالبة بالإعتماد في المسائل الدينية على الكتاب المقدّس وحده ومهاجمة سلطان البابا، بالإضافة إلى انخراط "زوينجلي" في سلك الإكليروس، وأثره الكبير في بروز إسمه برونزا قويا واضحا في الأوساط الدينية والسياسة والإجتماعية في المقاطعة، وتبوأ مكانة عالية في المجتمع السويسري⁽¹⁾.

ثانيتها: إختلفت كتابات الباحثين كثيرا عن أيهما الأسبق في الإصلاح "لوثر"، أم "زوينجلي"؟ خاصّة وأنّهما كانا متزامنين والفرق بين بداية هذا وذلك في الميلاد، لكن وبالرجوع إلى المصادر التاريخية التي تناولت هذه الإشكالية نجد أنّ "زوينجلي" يؤكّد أنّ حركته في سويسرا لا تدين في نشأتها لحركة "مارتن لوثر" في ألمانيا، حيث قال في هذا الشأن: «أخذت أبشر بالإنجيل سنة 1516م، أي في زمن لم يكن قد سمع فيه إسم لوثيروس في هذه البلاد، فلم آخذ التعاليم الإنجيلية عن لوثيروس إنّما أخذتها من أسفار وحي الله»⁽²⁾.

(1) - عبد العزيز محمد الشناوي: أوروبا في مطلع العصور الحديثة، دار المعارف، مصر، 1969م، ص 408.

(2) - ميرل دوينيه: تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر، دط، مكتبة الشعلة، بيروت، 1878م، المجلد الأول، ص 301.

فنفهم من مقولة "زوينجلي" أنه يشهد لنفسه على أسبقيته في حركة الإصلاح بالإضافة إلى أنّ مقاطعة زيورخ⁽¹⁾، قد قامت بدور هام في قيام هذه الحركة سنوات طويلة، مما يثبت لنا أنّ حركة الإصلاح الديني في سويسرا قد احتفظت لنفسها بطابع خاص⁽²⁾.

وأيضاً ما يؤيد شهادة "زوينجلي" لنفسه أنّ البابا "يوليوس الثاني"، في عام 1510م وافق على أن يدير مجلس المدينة في جنيف والأديرة، وأن يضع قواعد الأخلاق العامة في نطاق سلطته، ومن ثمّ فإنّ روح الإصلاح الديني كانت قد تحققت في "زيورخ" و"جنيف" قبل ظهور أفكار "لوثر" بسبع سنوات، وهي سيادة السلطة الزمنية على السلطة الدينية⁽³⁾.

ومن هذا يتّضح لنا أنّ "زوينجلي" قد أنصفه التاريخ في دعواه التي تقضي بحقه في أسبقيته للإصلاح الديني؛ مع بقاء القاسم المشترك بين جميع المصلحين وهو محاربة ومجابهة طقوس الكنيسة وخرافاتها وحياة الترف التي كان يحياها رجالها، وممارساتهم الشنيعة على الشعوب الأوروبية آنذاك، وفي موضع آخر يقول "زوينجلي": «إنّني ابتدأت أبشر بالإنجيل عام 1516 للمسيح، أعني في زمان لم يكن قد سمع فيه بإسم لوثيروس في هذه البلاد، فلم أتعلم تعليم المسيح من لوثيروس، ولكن من كلام الله، فإذا كان لوثيروس يبشر بالمسيح فإنّه بفعل ما أنا فاعل لا غير»⁽⁴⁾، ويعلق "دويناه" على هذا الكلام فيقول: «وصحة ما قلناه واضحة من تاريخ إصلاح جرمانيا وسويسرا، فزوينجلي لم يكن له اتّصال بلوثر، ثمّ لاشك بوجود حلقة موصلة بين هذين الرجلين ويجب أن نفتش عليها لا في العلا بل على الأرض، فإنّ الذي منح من السماء الحق للوثر منحه لزوينجلي أيضاً، فرباط الإتحاد هو الله»⁽⁵⁾.

وبالتالي فيمكننا القول أنّ بوادر الإصلاح الديني عند "لوثر" و"زوينجلي" قد تزامنا في نفس الوقت، إذ لم يكن "زوينجلي" هو السّباق للإصلاح الديني، بالرغم من وجود العديد من الفوارق الاجتماعية والجغرافية والبيئية والثقافية وغيرها.

(1) - زيورخ: تقع شمال سويسرا في سطح جبال الألب، منطقة زراعية بها غابات كثيرة سكانها معظمهم بروتستانت، يتكلمون الألمانية، ويعملون بالصناعة والتجارة (نقلا: محمد نصار: الموسوعة العربية المسيرة، ص 1764).

(2) - عزت زكي: المصدر السابق، ص 86-88.

(3) - ويل ديوارنت: المصدر السابق، ص 112.

(4) - ميرل دويناه: المصدر السابق، ص 555.

(5) - المصدر نفسه، ص 584.

المطلب الثاني: ولادته وحياته:

ولد "زوينجلي" يوم 1 جانفي 1484م، بعد ميلاد "لوثر" بسبع أسابيع في قرية "فلدهاوس" الواقعة على بحيرة "زيوخ" في سويسرا⁽¹⁾، من عائلة كثيرة الأولاد، وهو الابن الثالث وله أربعة إخوة وأخت⁽²⁾.

وكانت أسرته ميسورة الحال، فلم يعاني في طفولته من شقاء الحياة وغلبة العيش ومرارة الجوع كما كان الحال مع "مارتن لوثر"، حيث كان أبوه قاضي تلك القرية أو عمدة المقاطعة، وكان أحد أعمامه يعمل رئيسا لأحد الأديرة، واشتغل عم له آخر قسيسا في إحدى المدن، أما أمه "مارغريتا ميلي" فكانت شقيقة أحد القساوسة⁽³⁾، فكان لهذه الحياة الكريمة التي عاشها "زوينجلي" منذ ولادته الأثر البالغ على حياته القادمة المستقبلية، وفي تكوينه الشخصي بعد ذلك، فلم يكن يعاني من العقد النفسانية التي يمكن أن تتسرب إلى آراءه وأفكاره، بحيث أنه لم يمارس مهنة لم تكن من مستواه العائلي والإجتماعي، هذه النشأة الجيدة مهدت الطريق "لزوينجلي" إلى مواصلة دراسته في المدارس والجامعات، فانتقل "زوينجلي" من القرية إلى مدينتي باسيل "Bene"، أين واصل تعليمه، ثم دخل جامعة فينا حيث أتم بفلسفة القرون الوسطى، كما تقدم لدراسات "المذهب الإنساني الجديد"⁽⁴⁾، وعاد إلى سويسرا حيث حصل على درجة البكالوريوس، ودرجة الماجستير من جامعة "باسيل"، يقال إن مجال تعليمه كان متسعا جدا بحيث امتد من بداية الفلسفة اللاهوتية للعصر الوسيط إلى أحد فلسفات النزعة الإنسانية وفي عام 1506م رُسم "زوينجلي" وعُيّن راعيا لأبروشية "جلاروس" "glarus"⁽⁵⁾.

(1) –Rev.WM.m Black burn and Author ; Ulrich Zuringli the patriotic Reformer ،1808 ،p23.

(2) –Airne Humber: Mlrich Zuringli et sou époque ،Lau sanne ،imprimerie et libraire de marc duclox 1844 ،p1.

(3) –ول ديوارنت: المصدر السابق، ج3، مج6، ص113.

(4) –المذهب الإنساني: إتجاه فكري ظهر في عصر النهضة، يجتمع فيه الكثير من المذاهب الفلسفية والعلمية والأدبية والأخلاقية، كان تركيزه على الإنسان وتحريره من قيود العصور الوسطى وسيطرة الكنيسة(إلهام سرحان: مفهوم النزعة الإنسانية: <https://www.mawdoo3.com> استرجع يوم: 2024/10/6

(5) –عزت زكي: المصدر السابق، ص87.

قضى بها عشر سنوات، وفي هذه الفترة قام بنسخ رسائل "بولس" من الأصل اليوناني مع تعليقات كثيرة، وهوامش وتفسير عن أشهر الآباء، ولحد الآن مازالت موجودة هذه النسخة في مكتبة "زيورخ"، بالإضافة إلى أنه درس اللاتينية وكتابتها، قال في هذا الصدد: «إنّ هذا كان لمجرد المعرفة فقط، لا لأخذ آراءهم قضية مسلّمة»، فأراد أن يبرز سبب إهتمامه بتعلم اللغات ونسخ كتابات الأوائل خصوصا مؤلفات: أوغسطينوس⁽¹⁾، ويكليّف، وهس، وبالأخص إرازمس، والتي كانت المفضّلة لديه⁽²⁾.

المطلب الثالث: العوامل الخاصة بـ"زوينجلي" لقيام حركة الإصلاح الديني:

مما لاشك فيه أنّ لكلّ مصلح ظروف وعوامل خاصّة دفعته إلى القيام بحركة الإصلاح الديني، سواء أكانت عوامل وطنية لبلد المصلح، أو تعمّق أحد المصلحين في دراسة خاصّة، أو حادثة شخصية وقعت لأحد المصلحين، مع وجود الظروف العامة والمشاركة بين جميع المصلّحين، ولعله من بين أهمّ الأسباب الخاصّة بـ"زوينجلي" لقيام حركة الإصلاح الديني ما يلي:

الفرع الأول: حال الكنيسة السويسرية

ظلت الكنيسة في أوروبا لسنوات طويلة تمسك بزمام الأمور الدينية والسياسية والعلمية والاجتماعية وغيرها، محوّلة لنفسها حقّ السيادة على جميع الشعوب الأوروبية إلاّ أنّه هناك بعض الشعوب التي لم ترضى بالعيش تحت سيطرة الكنيسة وجبروتها، ومن بين هذه الشعوب الأوروبية الشعب السويسري، علق عليه المؤرخ "هربرت فشير"⁽³⁾ بقوله: «الذين كانوا يرون أنّه من العار على من يحترم نفسه من أهل سويسرا أن يتلقى إعانة أو أجرا من دولة أجنبية، وهكذا سرعان ما أخذت خميرة الوطنية الدفينة تفعل فعلها بين مواطني سويسرا، فعاهدوا أنفسهم إلاّ يكونوا تبعيا لفرنسا ولا للإمبراطور، بل يكونوا مواطنين صالحين للإتحاد السويسري، وصاحب هذا الإصرار على أن يكونوا سويسريين بأيّ ثمن،

(1) - أوغسطينوس: هو أورليوس أوغسطينوس يكنى بالقديس أوغسطين ولد بمدينة تاجيست يوم 13 نوفمبر 354م، لأب وثني وأم مسيحية (أحمد سايح مرزوق: القديس أوغسطينوس ومواقفه السياسية من خلال كتابه مدينة الله، مخبر الدراسات التاريخية والأثرية، المركز الجامعي تيبازة، الجزائر، المجلد الرابع عشر، العدد 1، 2023م)

(2) - عزت زكي: المصدر السابق، ص 87.

(3) - هربرت فشير: مؤرخ إنجليزي وسياسي ليبرالي، ولد عام 1865م بلندن، توفي عام 1904م، من مؤلفاته: أصول التاريخ الأوروبي الحديث، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، نابليون (نقلا عن عزيزة فوال باتي: موسوعة الأعلام (العرب والمسلمين والعالمين)، دار الكتب العلمية: بيروت، 2009م، ص 218).

إصرار آخر على أن لا يكون تابعين لروما مهما كلفهم ذلك»⁽¹⁾، ونستنتج من قول "فيشر" أنّ السويسريين يمتقنون التدخل الأجنبي في شؤونهم، هذه الروح الوطنية كان لها دور كبير في بروز الحركة الزوينجالية ضدّ الكنيسة، فالجتماع السويسري كان أرضاً خصبة لنمو هذه الحركة وإنتشارها وإزدهارها . (فقد كانت حركة أخلاقية من ناحية وإنسانية ووطنية من ناحية أخرى، ودينية من ناحية ثالثة)⁽²⁾، وقد ركّز "زوينجلي" على فساد كنيسة روما وبدعها وممارساتها الشنيعة، خاصّة وأنّ حال الكنيسة في سويسرا لا يقلّ عن حال كنيسة روما يقول "ديوارنت": (إذا كانت الكنيسة في سويسرا لينة العريكة وقاسية، كما كانت إيطاليا..... حيث استمتع القساوسة السويسريين بالخطايا، وكان أحد الأساقفة السويسريين يتقاضى من رجال الدّين التابعين له أربعة جيلدرات)⁽³⁾ عن كلّ طفل يولد لهم وجمع في عام وأحد 1522 جيلدر من هذا المصدر، وشكا من أنّ كثيرين من القساوسة يقامرون، ويترددون على الحانات ويشملون علنا دون أن يدفعوا رسما للأسقفية)⁽⁴⁾، وقد تمكّن "زوينجلي" من خلال عمله الديني أن يتعرف على مفاصد الكنيسة، والأفعال الإباحية لرجال الدين، هذا ما دفع به إلى العزم على مقاومة شرورهم فلم يتردّد بين ضميره الأخلاقي وصالحه الخصومي، بل تقدم بشجاعة، وواجه الكنيسة وخرافاتها والأفعال المارقة لرجالها فشنّ حملته على نظام الرهبنة، والأديرة، فألغى نظام الرهبنة، وشجّع على أكل اللحم أثناء الصيام، ذلك أنّ المسيحيين يمتنعون عن أكل اللحم في صيامهم، كما سمح لرجال الدين بالزواج، وتزوج هو سنة 1522م⁽⁵⁾، وأكّد على أنّ المعيار الوحيد لقبول العقائد المسيحية أو رفضها هو الكتاب المقدّس فقط، لذا ألزم على نفسه أن يعرض جميع العقائد التي تنصّ عليها التعاليم المسيحية من الكتاب المقدّس، فما وجد له أساسا قبله كعقيدة، وما كان من ضلالات الباباوات والقساوسة وإفترائهم ردّة، بالإضافة إلى بعض الآراء بخصوص إصلاح الكنيسة وأحوال رجال الدين في بيان له تضمن سبع وستين (67) مادة، من بنود الإيمان التي كان ينادي بوجوب إتباعها⁽⁶⁾، والتي سنذكر

(1) –هربرت فيشر: أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ت: زينب عصمت راشد، أحمد عبد الرحيم مصطفى، ط3، دار المعارف، مصر، ص 106.

(2) –المصدر نفسه، ص 106.

(3) – جيلدر: هو عملة هولندية (قاموس المعاني عربي الجليزي <https://www.almaany.com>) استرجع يوم: 2025/8/8

(4) – ول ديوارنت: المصدر السابق، ص 111.

(5) – علي حيدر سليمان: تاريخ الحضارة الأوروبية الحديثة، ط1، دار وسط، بغداد 1990، ص 82.

(6) – ول ديوارنت: المصدر السابق، مج6، ص 117.

بعضها لاحقاً.

يقول "زوينجلي": (وأخيراً وصلت إلى حيث لا أثق في أيكلمة بقدر ثقتي في الكلمات التي انبثقت من الكتاب المقدس وعندما حاول إبناء الموت القعساء أن يدسوا أعمالهم الخاصة كأثماً أعمال الله، تطلعت لأرى ما إذا كانت توجد للإنسان وسيلة يكتشف فيها أيهما الأفضل، أعمال الإنسان أو أعمال الله وفي بحثي عن حجر الاختيار وجدت حجر الصدمة، وحجر عثرة يسوع المسيح في رسالة بطرس الأولى عند قوله: «ها أنا أضع في صهيون حجر زاوية مختاراً كريماً والذي يؤمن به لن يخزي، فلکم أنتم الذين تؤمنون بالكرامة، وأما الذين لا يطيعون فالحجر الذي رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية وحجر صدمة وصخرة عثرة»⁽¹⁾، بدأت أجرب كلّ عقيدة بحجر الاختبار، فإذا وجدت تعليماً من المحتمل أن يجتاز الاختبار قبلته، وإلا فأنا أرفضه، حينئذ بدأت أكتشف ما إذا كان قد أضيف أي شيء للعقيدة الحقيقية، ولهذا لم أستطع أن أنساق وراء أية قوة أو تهديدات لكي أثق، وأومن بأشياء بشرية بنفس الثقة التي أثق بها الأمور الإلهية»⁽²⁾؛ فأراد "زوينجلي" أن يؤكد على أن أساس العقيدة المسيحية هو الكتاب المقدس وتعاليم المسيح، والحجر المقصود هو المسيح الذي رفضه اليهود.

وبدأ "زوينجلي" في نشر دعوته وأفكاره ومبادئه التي لقيت رواجاً كبيراً لدى المقاطعات السويسرية التي كانت تبغض الكنيسة لأنها تتدخل في شؤونهم، وفي المقابل "زوينجلي" الذي كان يريد تحطيم قيود الجهل والخرافة التي كانت الكنيسة الكاثوليكية تعمل جاهدة على لفّ الناس في أكفانه والزيادة من متانة تلك القيود⁽³⁾.

الفرع الثاني: المعتقدات الفاسدة والخرافات الكنسية في سويسرا

لما إنتشرت المعتقدات الفاسدة في سويسرا، وسيطرت على عقول السويسريين وقلوبهم، ما أدى إلى ضرورة تنقية هذه العقول وتصفية القلوب من هذه الشوائب.

وكان من أشدّ الخرافات التي أثّرت في نفسية "زوينجلي" عندما طُلب منه أن ينتقل إلى أبروشية،

⁽¹⁾ 1- بطرس 2: 7.

⁽²⁾ -وجيه محمد زكريا عمران: المرجع السابق، ص 104.

⁽³⁾ -حامدي سفيان: حركة الإصلاح البروتستانتية وأثرها في التحولات السياسية والثقافية في العصر الحديث، رسالة دكتوراه، تخصص: الحضارة الإسلامية وحوار الثقافات، المعهد العالي أصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، 2021-2022، ص 104.

أفسدنا، بطلب من رئيس دير البندكتين، في أفسدنا ليكون واعظاً لكنسية الدير، وكان ذلك الدير قد نُسجت حوله أكثر من قصة وأصبح مزاراً لأكثر من جماعة، فهناك تمثال العذراء الذي نُسبت إليه المعجزات، وعلى باب الدير كان يوجد تمثالاً لملاك يحمل لوحة نُقش عليها: "هنا تستطيع أن تنال غفراناً كاملاً لخطاياك".

وفي عيد الملائكة⁽¹⁾، كان مألوفاً أن ترى الجموع تصعد الجبل لزيارة الدير، وهم ينشدون مدائحهم وتراتيلهم، وعددهم مائة ألف كل عام كانت تزور هذه المدينة للتبرك، وطلب المعجزات، ونوال الغفرانات بشفاعة سيدة الدير العذراء مريم⁽²⁾، فتمثال العذراء كان كعبة القاصد يتوافد عليه السائحون من كافة أقطار أوروبا، فكان هذا الأمر حافزاً للمصلح السويسري أن يسعى إلى تغيير هذه المعتقدات والخرافات، وبما أنه اشتهر بالوعظ بالإنجيل، بدأ يوعظ الناس (من الجموع التي كانت تحمل النذور والعطايا لنوال الغفران من سيدة الرسل "العذراء مريم"، فكان يصرخ فيهم إن الخلاص عطية مجانية بإستحقاق يسوع المسيح، يعطيها الله لمن يطلب بروح الإيمان، كما أن الله موجود في الدير بكيفية لا تختلف عن وجوده في أي مكان آخر، فهو حال في كل مكان، يسمع صلواتكم وأنتم في بيوتكم)⁽³⁾، فكان يقول (لا تتوهموا أن الله موجود في هذا الهيكل وجود أخص من وجوده في مكان آخر من الخليقة، أيا كان فمهما كانت البلاد التي تقطنون بها، فإن الله محدق بكم ويسمع طلباتكم، فهل تقدر التماثيل والقديسين أن تحصل لكم نعم الله، فماذا تنفع كثرة الكلام التي تقرن بها الصلاة، وأي قوة للأردية الطويلة الفاخرة والأحذية المزركشة بالذهب، فإن الله ينظر إلى القلوب وقلوبنا بعيدة عنه)⁽⁴⁾.

ولاشك أن أفكار "أولريخ زوينجلي" لم تكن لترضي الكثير من السامعين في أول الأمر، الذين أحسوا بالخيبية عندما قيل لهم أن مسعاهم قد خاب في طلب الغفران على الطريقة التي ألفوها، وأن

(1) - عيد الملائكة: تحتفل الكنيسة الكاثوليكية في 2 أكتوبر بهذا العيد، إعتقاداً منها أنه عيد لتكريم الملائكة الحراس القديسين الذين يحموننا يومياً، هذا النهار عينه "البابا أكليمنطوس العاشر" سنة 1670م (نقلاً عن موقع أبونا abona-org-المركز الكاثوليكي للدراسات والإعلام في الأردن، تحرير: الآب د. رفعت بدر نشر السبت 2021/10/2م).

(2) - عزت زكي: المصدر السابق، ص 89-90.

(3) - المصدر نفسه، ص 90.

(4) - ميرل دويناه: المصدر السابق، ص 584.

سفرهم لتمثال العذراء كان عبثاً ولم يكونوا ليقنعوا بالغفران المجاني المعطى لهم بواسطة المسيح، لكنّ ما تميّز به "زوينجلي" من أسلوب خاطب به قلوب الناس مثيراً لمشاعرهم الدينية، جعل أفئدة الجماهير الوافدة على كنيسة "افسدلن" تصغي إليه وإلى التعاليم الجديدة⁽¹⁾.

يعلق "ميلر دويناه": على المواعظ التي كان يقدمها "زوينجلي"، وما أحدثته من آثار بالغة على الجماهير فيقول: (فإمتلاً الجمهور بأسره حيرة عندما سمعوا كلام الحوري، الفصيح وانصرف البعض يقشعرون، وتردد البعض بين إيمان آباءهم وهذا التعليم الذي تكفل لهم السلام، وذهب كثيرون إلى يسوع الذي نودي لهم به كوديع ولطيف وأرجعوا الشموع التي كانوا قد جاءوا بها لكي يقدموها للعذراء، فرجع جمهور من الزائرين إلى أوطانهم ينشرون في كلّ مكان ما قد سمعوه في "افسدلن" من أنّ المسيح هو وحده يخلص، وأنّه يخلص في كلّ مكان، ومراراً كثيرة كانت جماهير كاملة عند إستماعها هذه الأخبار المذهلة ترجع قبل أن تكمل زيارتها)⁽²⁾، وتبنى "زوينجلي" الدعوة في نشر المواعظ وأصول النصرانية كما جاءت في الكتاب المقدّس، وجابه الكنيسة ومعتقداتها الخرافية، فرفض كلّ التقاليد الكنسية والطقوس والأسرار، فأراد أن يمسح ويزيل الغبار عن كلّ المعتقدات المسيحية التي ألصقتها الكنيسة في العقلية الأوروبية في العصور الوسطى، وما ساعد "زوينجلي" في التركيز على الخرافات الكنسية ومجابهتها، هو دراسته للفلسفات والمذاهب الفكرية المختلفة، فرفض عبادة مريم العذراء وتقديسها وهذا إستناداً إلى نصوص الأناجيل بعيداً عمّا أقرته المجامع⁽³⁾ النصرانية⁽⁴⁾ (لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما ممّا في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض لا تسجد لهنّ ولا تعبرهنّ)⁽⁵⁾، بمعنى أنّ عقيدة تقديس وتمجيد الصور والتماثيل تخالف وصية العهد القديم كما ذكرنا سابقاً.

(لئلا تفسدوا وتعملوا لكم تمثالاً منحوتاً على شكل صورة ما من ذكر أو أنثى أو شكل شيء

(1) - حامدي سفيان، المرجع السابق، ص 107.

(2) - ميلر دويناه: المصدر السابق، ص 584

(3) - المجامع النصرانية التي أقرت عقيدة تقديس الصور والتماثيل والأقنونات كان مجمع نيقية الثاني (المسكوني السابع) عام 787م، في عهد البابا أديان الأول (772م-795م) (أسدرتسم: حرب في الكنائس، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 1958م، ص 28/27.

(4) - أحمد شبلي: مقارنة الأديان، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984م، ج2، ص 109.

(5) - الخروج 20: 4-5.

من البهائم التي على الأرض أو شكل طائر ذي جناح مما يطير في السماء أو شكل شيء مما يدب على الأرض أو شيء من السمك مما في الماء تحت الأرض⁽¹⁾.

الفرع الثالث: مرافقة "زوينجلي" الجنود المرتزقة

أدت الظروف الاقتصادية التي كانت تعيشها سويسرا بأبناءها للدخول في نظام الجنود المرتزقة خاصة وأنّ سويسرا كما شبّهها المؤرخون بالمدرسة الحربية التي منها تعلمت الأمم المحيطة بها فنون الحرب، ومنها تلقنت كيف تتقن أساليب الهجوم والدفاع، وقد إشتهر الجنود السويسريين بالشجاعة والأقدام وقوة الإحتمال، وذاعت عنهم الشهرة في كل مكان، حتى ترتب عليه فكرة الجنود المرتزقة وهي عادة عرفت بها سويسرا آنذاك، حيث يتم فيها إنخراط أبناءها بكثرة هائلة في سلك جيوش الممالك الأجنبية، وبالرغم من تعلّقهم الشديد بحال وطنهم وحرّيته، فإنّ جاذبية الذهب الأجنبي أغوت الكثيرين منهم أن يهجروا مراعيهم في سبيل خدمة الغرباء.

وقد أصبحت هذه العادة شرا قوميا قطيعا كان له أسوأ الأثر في سويسرا كلّها، فهُجرت الزراعة، وترمّلت النساء، وعائلات كبيرة أتكّلت في إبناءها، وآلاف منهم ذهبوا ولم يعودوا، والذين عادوا منهم رجعوا وقد إنحطت أخلاقياتهم، وبذلك تدهورت حالة الشعب⁽²⁾، وقد بدأ العمل بنظام الجنود المرتزقة في سويسرا عندما عقد "لوسين الحادي عشر" ملك فرنسا سنة 1474م مع الإتحاد السويسري أول إتّفاق من إتّفاقات التعبئة العسكرية، تقرّر بمقتضاه أن يكون للحكومة الفرنسية دون غيرها الحقّ في أن تستخدم في قواتها البرية محاربين سويسريين نصفه جنود مرتزقة، يُجمعون من المقاطعات السويسرية في مقابل مرتبات عالية يتقاضونها من الحكومة الفرنسية⁽³⁾.

وقد ظلّ العمل قائما بهذه الإتّفاقيات وما تبعها من إتّفاقيات بين الحكام الفرنسيين والمقاطعات السويسرية حتى عام 1509م، وبعد هذا التاريخ تحوّل الجنود السويسريين من مدافعين عن فرنسا إلى مهاجمين ومحاربين لها في صفوف الجيوش البابوية⁽⁴⁾، ولكنّ ممّا يؤسف ويحزن القلب عند ذكره، ولو أنّه

(1) - الثنية 4: 14-19.

(2) - أندروملر: المصدر السابق، ص 506.

(3) - جلال يحيى: أوروبا في العصور الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، 1981م، ص 446.

(4) - عزت زكي: المصدر السابق، 88-89.

قد أجمع عليه جميع المؤرخين الذين نعرفهم هو أنّ أصل هذه الكارثة الوطنية وسببها الأول بابا روما، الذي في منازعاته الكثيرة مع الأمم الأخرى كان يجد نفسه مضطراً لأن يستعين بسويسرا، ويلتمس من رجالها تلك المساعدة التي كان يأبى رعاياه أن يقدموها له، أمّا عن جبن أو خيانة، وهكذا كانت الخزينة الرسولية تغذي الحرب بالمال، بينما كان السويسري الفقير الشجاع يقرّر مصير البابا، كان الكهنة الموزّعين في نواحي سويسرا أن يقنعوا الفقراء البسطاء المحتاجين أنّ التحاقهم بالحرب شيء مقدّس، وأن يخضعوا لأبيهم المقدّس، وقد جاء يوم فيه بلغت عند السويسريين روح الطمع في الرّبح والكسب وبيع النفس بالمال إلى حدّ أن وضعوا خدماتهم في سوق المزاد والبيع، فمن دفع أكثر ضمن الحصول عليهم، وهذا ما جعل البابا يبزّر السخاء العظيم في توزيع الغفرانات والبركات، الأمر الذي ترتّب عليه بطبيعة الحال إنتشار الفساد الأدبي والإنحطاط الخلقي بين الكهنة والشعب على السواء، ومن ذلك الوقت بدأ الإحترام الشديد الذي كانت كنسية سويسرا تكنّه من عهد يعبد فيه بابا روما يتلاشى سريعاً⁽¹⁾، وفي هذه الفترة هدّد ملك فرنسا "فرانسوا الأول"⁽²⁾ وتوعّد بالإنّتقام من البابا "ليو العاشر"⁽³⁾ بسبب تحالفه مع "شارل الخامس"⁽⁴⁾ ضدّه، فخشى البابا مغبّة هذا التهديد، فأرسل طلباً إلى سويسرا لغرض تدعيمه بالجنود

(1) - أندرو ملر: المصدر السابق، ص 506.

(2) - فرنسوا الأول: ولد في كونبلك عام 1494م وهو من أسرة فالوا valois، اعتلى عرش فرنسا في مطلع عام 1515م، وصف بحبّه للمغامرات الحربيّة، وكان له دور كبير في الحروب الإيطالية (1494-1559) بحجة حقوقه الوراثية في ميلان، إمتاز بعلاقة مع الدولة العثمانية، لاسيما التجارية والعسكرية، توفي في 1547م، (نقلا عن:

the neo encyclopédie Britannica ، 4 ، 16th ، ed (chicago encctopedia Britannica onc ، 1988 ، p 923-924.

(3) - ليو العاشر: هو جوفان يدي لورينزو دي ميديشي، ولد في فلورنسا 1475م، رحل إلى روما، كان له ميل شديد حياة البذخ والترّف، كان يمول الأعمال الفنية السائدة آنذاك من مال الكنيسة الخاصّ ممّا أدّى إلى عجز مالي كبير في خزينة الفاتيكان، ومن أجل عودة الأمور إلى نصابها اعتمد على اصدار بيع صكوك الغفران هذا الأخير أدّى إلى أزمة حادة بينه وبين لوثر ممّا نتج عنه انقسام الكنيسة (محمد عبد الرحمان: ليو العاشر عدو (مارتن لوثر) الذي باع صكوك الغفران من أجل اللوحات الفنية

www.youm7.com استرجع يوم: 2023/4/4

(4) - شارل الخامس: ملك إسبانيا وإمبراطور (الإمبراطوية الرومانية المقدّسة ولد في 24 فيفري 1500م في مدينة غينت gohent الواقعة شمال بلجيكا، وهو الابن الأكبر للأرشيدوق فليب الجميل 1478-1506م) وأمّه الملكة خوانا المعتوهة (1479-1555)، ينتمي إلى عائلة آل هابسبورغ النمساوية الأصل، انتخب إمبراطوراً للإمبراطوية الرومانية المقدّمة في 28 جوان 1519م، امتاز عهده بكثرة الحروب والتوسعات ضدّ فرنسا والدولة العثمانية وبمعارضته ورفضه لحركات الإصلاح الديني بلغت الإمبراطوية في عهده أوج عظمتها وتوسعت رقعتها الجغرافية توفي في 21 سبتمبر 1558م بعد عمر قارب عاما واستمر حكمه 40 عاما (نقلا عن:

karl Brandi the enperor charles loudon ; 1939 ، p61-66.

والمساعدات اللازمة صدًا لأي عدوان فرنسي مرتقب⁽¹⁾، وكان ذلك عام 1513م فأرسلت له سويسرا مجموعة من الجنود المؤجّرة من إقليم "جلاروس"⁽²⁾، ليحاربوا في سبيل البابوية ضدّ الجيوش الفرنسية في إيطاليا⁽³⁾، وكان "زوينجلي" من بين الذين أرسلوا وكان يحمل سيفه على الرغم من كونه رجل دين، وقد حمل سيفه دفاع عن روما، وجرت العادة أن يرافق أمير الولاية وراعي الأبروشية الجيوش في الحرب.

ومع أنّ الإنتصار كان حليف السويسريين في بادئ الأمر، إلّا أنّ الدائرة دارت عليهم بعد ذلك، وهلك خيرة الشباب في موقعه "مارين أنعام" 1516م⁽⁴⁾، وقد شهد "زوينجلي" تلك المذبحة التي لحقت بالجنود السويسريين، فأثّرت هذه الهزيمة على عقليته وولّدت عنده الرغبة بضرورة الإصلاح الديني، وعارض نظام الجنود المرتزقة حيث شعر أنّ السويسريين كانت تستغلهم الكنيسة وقوات أوروبا الرئيسية⁽⁵⁾، فضلا عن رؤيته كبرياء الأساقفة وأبّتهم، وجشع الكهنة، وجهلهم، فشنّ حملة عنيفة على الكنيسة ورجالها وخاصة الداعين لإستمرار الحروب وإستغلال الجنود السويسريين فيها، وعندما إستمر "الكاردينال شيز" في تجنيد الفرق السويسرية للبابا، حينها أوضح "زوينجلي" لجمهور المصلين عنده أنّ "الكاردينال" كان لا يرتدي قبعة حمراء دون داع لأثّما: (إذا عصرت لرأيت دم أقرب الأقربين بقطر ثناياها)⁽⁶⁾، وبكلمات "أولريخ زوينجلي" هذه أعلن أنّه من العار أن تهدر دماء أبناء وطنه في غير مصلحة قومية، لقيت رواجاً وإستحساناً بين سكان "زيورخ" الذين عاهدوا أنفسهم ألا يكونوا أتباعاً مأجورين لملك فرنسا أو لإمبراطور الدولة الرومانية المقدّسة أو البابا نفسه⁽⁷⁾، وقد أوقفت "زيورخ" تجنيد أبناءها منذ عام 1521م⁽⁸⁾.

(1) - عزت زكي: المصدر السابق، ص 88.

(2) - جلاروس: تقع في شرق سويسرا على نهر لينث، وهي وجهة سياحية شهيرة بفضل قربها من زيورخ وتاريخها الصناعي العريق ومناظرها الخلابة (<https://www.myswitzerland.com>) استرجع يوم: 2023/6/23

(3) - جلال يحيى: المرجع السابق، ص 447

(4) - Richrard lodg a history of modern europe 1453-1878 ،london 1969 ،p64.

(5) - J.W.C. Wand ،History of the snodern church form 1500 ،to present day ،London ،1971 ، p106-107

(6) - ويل ديورانت: المصدر السابق، ص 115-116.

(7) - عمر عبد العزيز: دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1992، ص 183.

(8) - إيرل كينزنز: المصدر السابق، ص 348.

الفرع الرابع: بيع تأشيرة الغفران في سويسرا

تزامن وجود "زوينجلي" في "أفسدالن" أن جاء أحد الفرنسيين المدعو (شمشون) عابرا الألب في موكب بابوي عظيم بالطبل والزمر، فاستنكر "زوينجلي" هذا العمل؛ فوعد الشعب في "زيورخ" ببقاء هذا الطفيلي الغريب، وكان من تأثير "زوينجلي" أن بضاعته بارت، وإضطرّ إلى تخفيض أسعار بيع الغفرانات للفقراء، بما يوازي بضعة مليمات، فلأغنياء غفرانات على رقوق من الجلد بأربعة شلنت فقط، وللفقراء حل من البابا على ورق عادي بمليمات.

وكان من وقاحة رسول البابا "ليو العاشر" أنه لم يكلف نفسه أخذ الإذن من أسقف "كونستانس"، فأصدر الأسقف أمر إلى جميع الكهنة في البلاد بطرده حيثما ذهب، وقال "زوينجلي" للشعب: (غفران الله مجاني ليس بحاجة إلى بيع أو شراء لأنّ الثمن قد دفعه المسيح بالكامل على الصليب) ثمّ يضيف (حيثما يريد الشيطان إزعاجي بتقصيراتي وعجزتي، إسمع صوت الله في الإنجيل يقول لي: مالا تستطيع أنت أن تفعله، قد أكمله المسيح بالتمام).

وعند اقتراب "شمشون" من المدينة، أرسل إليه أهل "زيورخ" وفدًا، يطلب منه أن يعود أدراجه إلى روما، وهنا ثارت نائرة المجمع المقدس على تصرفات "زوينجلي"، الذي كان قد عين قسًا للكرسي البابوي، يقول المؤرخ دوبنياه: (إنّ مجمع سويسرا كان أكثر حزمًا من مجمع ألمانيا، ذلك لأنه لم يكن هناك كرادلة وأساقفة، لذلك رأى البابا أنه من الحكمة أن يتصرف بشيء من الكياسة والحلم، منذ ذلك الحين وجد "زوينجلي" نفسه في موقف معاد للبابا على الرغم من أنّ الأخير حاول إغراءه بالوعود بواسطة رسول خاص، وهكذا رفض الراتب الذي كان يصله من روما قائلاً: (كنت أعتقد أنّي أستطيع أن أتمتع بسخاء البابا، وأناذي بمعتقداتي بضمير صالح ولكنني حينما تقدمت في معرفة ابن الله، رأيت أنّي ينبغي أن أرفض البابا وعطاياه)⁽¹⁾.

وفي عام 1519م خطى أولى خطوات الإصلاح الفعلية، حيث أقنع مجلس المدينة بالإستناد إلى تعاليم الكتاب المقدس دون غيره في الحكم في القضايا الدينية، وهذا ما سمّاه أحد المؤلفين العامل

(1) - عزت زكي: المصدر السابق، ص 93.

الأساسي الديني في نجاح الإصلاح"⁽¹⁾.

تعلق المؤرخة "إلين هويت" : (شهدت سويسرا بروز حركتين، الأولى تنتج غفرانا للخطايا في مقابل دفع المال، والأخرى تقدّمه بالمسيح، فروما تبيح إرتكاب الخطيئة وتجعل منها مصدرا لثروتها، بينما "زوينجلي" يدين الخطيئة، ويوجه أنظار الناس وقلوبهم إلى المسيح كصانع للخلاص)⁽²⁾.

وعلى إثر ذلك قام مجلس "زيورخ" بالدعوة لعقد مؤتمر كنسي في 29 فيفري 1523م، لغرض بحث ودراسة موضوع الخلاف مع "زوينجلي"، وقدّم توجيه الدعوة لكل شخص لديه شكوى ضدّ "زوينجلي" للحضور إلى ذلك الجمع والإدلاء بالتّهم ضدّ "زوينجلي"⁽³⁾.

وفي صباح اليوم نفسه وصل العديد من رجال الدّين من مختلف المدن السويسرية وترأس الجمع "مارك روست" "Mark Rost"، كمندوب من الجمهورية، وطلب الأخير من جميع من لديه إعتراض على بيان "زوينجلي" وما تضمّنه من أمور تقديم شكوى ضدّه بدون خوف أو تردد⁽⁴⁾.

فأدّى تعرض "زوينجلي" لصكوك الغفران ومهاجمته بعض المعتقدات الدّينية، إلى إنفصاله عن البابوية عام 1529م⁽⁵⁾، يقول "دوبنياه": (لقد وجدت فيه روما عدوًّا أكثر صلابة من لوثر)⁽⁶⁾، فـ"لوثر" كان رآهبًا، متشبّعًا بالعقائد البابوية من قبل.

الفرع الخامس: موقفه من معيدي المعمودية

وفي عام 1522م واجه "زوينجلي" ضغوطا من بعض أتباعه والدّين عرفوا بإسم معيدي المعمودية Anabaptisis، لأنّهم أصرّوا على إعادة المعمودية الدّين يتجددون، وفي عام 1525م منع مجلس المدينة هذه الجماعة من عقد إجتماعاتها بل ونفاهم من المدينة، وثمّ إعدام أحدهم غرقا عام 1527م وإسمه "فيلس مانز" "Filix manz"، وما بين (1498-1527م)، فقد "زوينجلي" مساندة "لوثر" بعد المباحثة

(1) –Steven ozment: the age of Reform ،1250-1550 ؛ p323.

(2) – أُلن ج، هويت: الصراع العظيم، ت: إسحاق فرج، ط3، دار الشرق الأوسط للطباعة والنشر، لبنان، 1997، ص 159.

(3) –G-R-Potter ،Hildrych Zurngli ،london ؛ 1978 ؛ p31.

(4) –Philips dehaft: the Greeds of christendon ،Vol ،I ،(the histouy of creads) ،Michigan ، 1985 ،p363.

(5) – عبد المجيد نعتعي: أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة، دار النهضة، 1983م، ص 69.

(6) – ميرل دوبنياه: المصدر السابق، ص 517.

التي جرت بينهما في مابورج عام 1529م، وذلك عندما لم يستطيع الرّجلان الوصول إلى إتّفاق حول حضور المسيح في العشاء الربّاني لذا فإن حركة "زوينجلي" تطورت ونمت منفصلة عن الحركة اللوثرية، ومع قدوم 1535م إختفت هذه الجماعة تماما من سويسرا بسبب المعاملة القاسية من فرض الغرامات المالية والقتل والنفي، بالإضافة إلى هروب أصحابها إلى بلدان أخرى⁽¹⁾.

الفرع السادس: النزعة المسلحة عند "زوينجلي"

إتّبع "زوينجلي" سياسة إستخدام القوة في نشر دعوته، فنحاض هو وأتباعه الحروب من أجل نشر دعوته وإيقاف تمدد الكاثوليكيّة، وذلك بعدما إنتقلت آراءه الإصلاحية إلى مقاطعات سويسرا، كمقاطعة "برن" القريبة من "زيورخ"، فقامت حكومة "برن" في مارس 1523م بإصدار مرسوم أكّد على عدم إثارة الفتنة والخلافات والتمسك بمبادئ العقيدة الكاثوليكيّة⁽²⁾.

وفي يوم 1 ماي 1526م، عقد مجلس كنسي للحدّ من إنتشار الآراء الزوينجالية، وتمّ دعوة "زوينجلي" وأنصاره لحضوره إلاّ أنّ مجلس "زيورخ" رفض السماح له بالذهاب إلى "برن" خوفا على سلامته وذهب عنه بعض نوابه، إلاّ أنّ أعضاء المجلس الكنسي قاموا بإصدار الحرمان بحق "زوينجلي" وأتباعه وتحريم تداول مؤلفاته والعمل ببطلان آرائه الإصلاحية، إلاّ أنّ حكومة "برن" المحلية أعلنت رفضها التام لقرارات ذلك، ممّا أدى في نهاية المطاف إلى إنقسام الولايات السويسرية إلى مؤيد ومعارض لإصلاحات "زوينجلي"، فانقسم المجتمع السويسري المكون من ثلاثة عشر ولاية إلى معسكرين متناحرين عرف الأول بالتحالف الديني المسيحي المدني "The Ciric christion Alliances" ويتكون من ثمان ولايات وهي كلا: من (زيورخ، برن، بوال، كونستانس، سانجون، مهون، شافهوزن، ستراسبورغ) وكلّها إتّبع مذهب "زوينجلي"⁽³⁾.

—أمّا الولايات الكاثوليكيّة فقامت بتشكيل تحالف مضادّ عام 1529م، عرف بالإتحاد المسيحي

(1) —إيرل كيرنز: المصدر السابق، ص 300-301.

(2) —P-J-Helm، History of Europe (1450-1660)، New york، 1961، p 126.

(3) —Presroed Snith: the Reformation in Europe (New york، 1962، p125-127.

"The christion union"، ضمّ كلا من: (شفيتزر، وأرى، وانتر، فالدن، وزج، ولوسون)⁽¹⁾، وكان هدف الإتحاد المسيحي المحافظة على المبادئ الكاثوليكية والوقوف في وجه أنصار زوينجلي التحالف الديني المسيحي⁽²⁾.

لذا أراد "زوينجلي" فرض البروتستانتية على المقاطعات الكاثوليكية في سويسرا، فاشتدّ الخصام بينهم وبين الكاثوليك، وأصبح الجانبان مستعدين للحرب، ومّا زاد في عمق العداء بين الطرفين حادثة حرق أحد البروتستانت في منطقة كاثوليكية عام 1529م، فأدّى ذلك إلى إعلان الحرب بين الطرفين، وإلتقت جيوش الطرفين في مدينة (كايل)، وقبل بدأ المعركة إتفق الطرفان على عقد الصلح، ثمّ أتبعوا ذلك بمعاهدة سلام إتفق فيها الكاثوليك والبروتستانت على أن يحترم كلّ جانب تعاليم الإقليم الآخر، وسمّيت هذه المعاهدة بمعاهدة "كايل".

وفي عام 1531م، اجتمع مجلس "زيورخ" وذلك لإكرآه المقاطعات الكاثوليكية على السماح بحرية الوعظ والتبشير البروتستانتية على أرضها، ولما رفضت المقاطعات الكاثوليكية ذلك أعلن البروتستانت الحرب عليها، فعبرت الجيوش الكاثوليكية التي كانت مكوّنة من جيش حاشد هائل العدد والعدّة حدود مدينة "كايل"، حيث قابلهم البروتستانت بأقلّ منهم في العدد، وإستطاع الكاثوليك بذلك هزم البروتستانت، وفي عام 1532م عقدت بين الطرفين معاهدة "كايل الثانية" والتي تقرّر فيها أنّ لكلّ مقاطعة ومدينة في سويسرا الحق في إختيار مذهبها وتقرير مسائلها الدينية بنفسها، ومنذ ذلك الوقت بقيت سويسرا مقسّمة بين البروتستانت والكاثوليك إلى حد الآن⁽³⁾.

الفرع السابع: تأثر "أولريخ زوينجلي" بـ"إراسموس"

يعدّ "إيراسموس"، رائد من رواد النهضة الإنسانية، ومن أكثر رجال العصر معرفة باللغة اللاتينية، وهو أول من طبّق مناهج النّقد الحديث في دراسة رسائل "القديس بولس" التي إعتمدها الإيطاليون في دراسة مخلفات قدامى الإغريق الفكرية، فعرف بنزاهته وبأسلوبه النقدي فكان يقنع من يقرأ كتاباته

(1) - أندرو ملر: المصدر السابق، ص 554.

(2) - محمد مخزوم: مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي، ط1، بيروت، 1990م، ص 145.

(3) - عبد الفتاح أبو عليه، اسماعيل أحمد ياغي: المرجع السابق، ص 101.

بأنه مسيحي كاذب لأنه لا يتصرف كالمسيحي الحقيقي، مستثرا بذلك الضمير المسيحي من أجل تحقيق صحوة تعود بالمسيحية إلى بدايتها التي كانت عليها في عصر الرسل، يقول "إيراسموس" في كتابه "رفيق المناضل المسيحي": (ترى قريبك تتحالف عليه الآلام فلا تهتم لأمره ولا تكثرث لوضعه، كل ما يهملك أنت، أن يسلم رأسك، لا تأخذ فيه شفقة ولا رافة فالأمر لذلك سيان، هل تستطيع أن تقول لي لماذا لا تشعر نحوه بأي عاطفة؟ الجواب بسيط للغاية، يا أخي فأنت لا تشعر بشيء نحوه لأنّ نفسك ميّنة فيك لأنّها لا تنعم بالحياة الحقيقية التي هي الله، إذ حيث يكون الله تكون المحبة لأنه هو مصدر المحبة⁽¹⁾، وما إن بلغت أفكار "إيراسموس" مسامع "زوينجلي" حتى أعجب به، وصار دائم الإطلاع على ما ينتجه "إيراسموس" من أفكار وما يدوّنه من كتب؛ ويذكر أنّ أحد قصائد "إيراسموس" أثّرت فيه كلّ التأثير، وكان قد ذكر فيها يسوع المسيح كأنّه يخاطب الجنس البشري الهالك بذنوبه، وإذ كان وحده بمخدعه كرر في نفسه عبارة بها يتشكى يسوع من أنّ الناس لا يطلبون كلّ نعمة منه مع أنّه ينبوع كلّ ما هو صالح، فصارت تلك الكلمات، دائمة ملازمة لـ "زوينجلي"، وكان كلّ ما ذكرها يقول: (المسيح، هو كنزنا الوحيد)، ليؤكّد "زوينجلي" على أنّه هو المخلّص الوحيد من الخطيئة الأبدية⁽²⁾.

يعلق "دويناه" على تأثر "زوينجلي" بـ "إيراسموس" فيقول: «إنّ رجلا عظيما من ذلك العصر كانت له سطوة عظيمة على "زوينجلي" فطالما ظهر شيء من مؤلفاته حتى بادر مصلح زيورخ إلى شرائه، ولما زار "إيراسموس" بازل سنة 1514م، كتب إلى "زوينجلي" يخبره أنّه يهنئ أهالي سويسرا بإجتهادهم في مذهبهم، وهناك تمّ تنظيم لقاء بينهما أعلن فيه عن مدى إعجابه وميوله الفكري لـ "إيراسموس"، ثمّ رجع "زوينجلي" إلى جبال مولده وقلبه وعقله مملوءان من كلّ ما كان قد رآه وسمعه في بازل، فكتب إلى إيراسموس بعد رجوعه يقول: «إني لو لم أظفر منك ببعض الخطابات لما كنت أقدر أن أنام ولا شيء لأفتخر به مثل رؤيتي إيراسموس»⁽³⁾، ليس غريبا أنّ اللقاءات التي تكون مع العلماء والعظماء تؤثر كثيرا وبصورة واضحة على الأشخاص، خاصة وأنّ "زوينجلي" كان عظيم زمانه، فأثّرت فيه أفكار "إيراسموس"، وتبناها وسعى إلى تحقيقها خاصّة وأنّ "إيراسموس" كان يُكرّس الكره والعداء

(1) - رولان موسنيه: المصدر السابق، مج4، ص 77.

(2) - ميرل دوينياه: المصدر السابق، ص 572.

(3) - المصدر نفسه، ص 572.

لرجال الدين الكنيسة الكاثوليكية، فإستفاد "زوينجلي" كثيرا من تجاربه وسار على خطاه من أجل تحقيق مراده، وكان بمثابة الحافز للخوض في تجربة الإصلاح الديني للكنيسة الكاثوليكية، خاصة وأنه كان متأثرا بالنزعة الإنسانية، وأن "إيراسموس" يُعدّ من رواد النزعة الإنسانية في القرن السادس عشر.

وللإشارة يتبيّن أنّ فكر "إيراسموس" ومدى تأثيره في قيام حركة الإصلاح الديني في سويسرا، يُعدّ من بين نقاط الاختلاف بين "مارتن لوثر" والمصلح السويسري حيث أنّ هذا الأخير يعتبره الطريق الصحيح الذي يحدوا حدوه، في حين أنّ "لوثر" يعتبره عدوًا للفكر الإصلاحية، وأنّ أفكاره مهدّدة وخطيرة خطورة الكنيسة الكاثوليكية، وهذا لسعيه إلى هدم البناء القديم للكنيسة وتأسيس فكر جديد متحرّر من السلطة الزمنية في خضم حاجة الكنيسة إلى العودة إلى ما كانت عليه في القرون الأولى.

المطلب الرابع: مبادئ وأفكار "زوينجلي"

الفرع الأول: مبادئه

قامت الحركة الزوينجالية على مجموعة من المبادئ المقيّدة لتقاليد وقرارات الكنيسة التي أثّرت في طمس معالم وتقاليد النصرانية الحقيقية حسب رأي "زوينجلي"؛ ولعلّه من بين المبادئ الحركة الزوينجالية ما يلي:

1/- «يخطئ كلّ من يقول الإنجيل لا يساوي شيئاً إذا لم ترضى عنه الكنيسة»، بمعنى أنّ "زوينجلي" أكّد على سلطة الكتاب المقدّس، وأنّ القرارات الكنسية التي لا تستمد من الكتاب المقدّس فهي لا تساوي شيئاً.

2/- «يتضمن الإنجيل الحقيقة بأكملها في وضوح وجلاء»، بمعنى أنّ الإنجيل يحتوي جميع ما جاء به المسيح من معتقدات وتقاليد، وهذا ما يؤاخذ على "زوينجلي" وباقي المصلحين البروتستانتين حينما لم يبيّنوا الاختلافات والتناقضات العقدية التي اشتملها الإنجيل.

3/- «المسيح هو الكاهن الأعظم الخالد الوحيد، والدّين يزعمون أنّهم كهنة عظام، وإنّما يعارضون في الحقيقة شرف المسيح وجلاله»، أي أنّ رجال الدين الكنيسة لا يمثّلون المسيح، فأفعالهم وأخلاقهم تتنافى مع شرف المسيح.

4- «أنّ المسيح الذي ضحى بنفسه يوماً فوق الصليب قد قام بالتضحية الكافية والدائمة للتكفير عن خطايا كلّ المؤمنين، ومن ثمّ فهو تذكّار للتضحية الوحيدة على الصليب»، كلمات "زوينجلي" هذه تؤكد على عقيدة فكرة حلول المسيح في العشاء الرباني.

5- «المسيحيون غير مكلفين بأيّة أعمال لم يأمر بها المسيح ويمكنهم أن يأكلوا في جميع الأوقات كلّ أنواع الطعام»، فأبطل "زوينجلي" العديد من التعقيدات والطقوس الكنسية، كالصوم الطويل، وأكل بعض الأطعمة كأكل اللحم أثناء الصوم⁽¹⁾.

6- «كلّ ما يبيحه الله ولم يحرمه حلال، ومن ثمّ فإنّ الزواج مباح لكلّ الناس»، فأبطل عقيدة عزوف، رجال الدّين عن الزّواج، وكان هدفه من هذا القرار شفاء رجال الإكليروس من شرّهم الاجتماعي الخطير داخل الكنيسة، فقد كان معروف جيداً أنّ معظم الكهنة احتفظوا بمحظيات حملن أطفالاً غير شرعيين بأعداد كبيرة طبقاً لسجلات الكنيسة ولد نحو 1500 طفل غير شرعي للكهنة كلّ سنة في أبروشية "كونستانس" وحدها، ولأنّ هذه العلاقات غير شرعية، كان من حقّ الأسقف أن يفرض الغرامات التي بدورها جلبت له دخلاً ما يقرب من 6000 فلورين في السنة، ويعلق القس "جون لوريمر" فيقول: «هكذا كانت هذه الصور الخزينة للسلطة الأسقفية التي تستغل خطايا الإكليروس للربح المالي، ويقدر ما كان هناك من أسباب أخرى فإنّه من أجل ذلك أعلن "زوينجلي" أنّه من الصّواب وبحسب الكتاب يتزوج الكهنة، وهو نفسه تزوّج سرا كما ذكرنا سابقاً، من أرملة اسمها "أنارينهارت" عام 1522م، وأعلن زواجه عام 1524م قبل ولادة طفله الأول⁽²⁾.

7- «لا أساس للسلطة الروحيّة التي يطلق عليها اسم الكنيسة في الكتب المقدّسة، وهي تعاليم المسيح»، وبذلك ينتقد سلطة الكنيسة الروحية على المسيحيين.

(1) - الصوم في المسيحية: تعددت طرق الصيام المسيحي حسب تعدد الطوائف المسيحية، فهناك من يصوم 40 يوماً، وهناك من يصوم نصف يوم، وهناك من يصوم يومين أو ثلاثة في الأسبوع وغيرها. مع الإمتناع عن أكل بعض الأطعمة، ويختلف عندهم الصّوم حسب الطوائف المسيحية (الآب لويس حزبون: الصّوم في ضوء الكتاب المقدّس وتعليم الكنيسة،

https://www.abouna.org استرجع يوم: 2019/9/24

(2) - جون لوريمر: المصدر السابق، ص 169.

8- «إلا أنّ السلطة الزمانية تؤيدها تعاليم المسيح وسلطته» بمعنى أنّ الدولة تؤيدها تعاليم المسيح ولا سلطة للكنيسة على الدولة وقرارتها السياسية.

9- «لا أعلم فرية أعظم من تحريم الزواج الشرعي على القساوسة»، فهذا المبدأ الذي نادى به "زوينجلي" ساعد على زواج الإكليروس.

10- «على جميع الرؤساء الروحانيين أن يبادروا بالتوبة، وأن ينصبوا صليب المسيح وحده، وإلا هلكوا»⁽¹⁾.

ورفض "جوهان فابر" الأسقف العام لأبرشية كونستانس هذه الآراء والمبادئ جملة وتفصيلاً، وطالب بأن تطرح أمام مجامع كبيرة أو أمام المجلس العام للكنيسة، ورأى "زوينجلي" أنّ هذا لا ضرورة له، فبعد أن أصبح العهد الجديد في متناول الناس باللغات الدارجة، صار في وسع الجميع أن يحصلوا على كلمة الله ليحكموا على هذه الآراء وهذا يكفي...، ووافق المجلس وأعلن أنّ "زوينجلي" بريء من الهرطقة، وأمر كلّ رجال الكهنوت في "زيورخ" بأن تكون عظامهم مقصورة على ما يجدون له سند في الكتاب المقدّس، وقبل معظم القساوسة أمر المجلس، وتزوج الكثيرون منهم وتعمّدوا باللّغة الدارجة، وأغفلوا أمر القدّاس، وتخلّوا عن تقديس الصّور، فبدأوا المتعصبين بإتلاف الصّور والتماثيل بلا تمييز في كنائس "زيورخ"، وانزعج "زوينجلي" من إنتشار العنف والعصبية، فرتبّ مناظرة يوم 26 أكتوبر 1523م، حضرها 550 من عامة النّاس، و350 من رجال الكهنوت. وتمخّضت عن أمر أصدره المجلس يقضي بأن تتولى لجنة من أعضاءها "زوينجلي" إعداد كتيب يتضمن تعليمات، توضح العقيدة للنّاس، وأن يتوقّف العنف بجميع صورته⁽²⁾.

فأعيدت المسيحية في أيام "زوينجلي" في "زيورخ" إلى بساطتها البدائية من قراءة الكتاب المقدّس، والوعظ وتوزيع العشاء الرباني، ولم يقبل بأيّ قدّاس أو احتفال ديني لم يكن المسيح قد أقرّ وضع نظامه⁽³⁾.

(1) - ويل ديوارنت: الصدر السابق، ص 117-118.

(2) - المصدر نفسه، ص 118.

(3) - نزيه معلوف: تاريخ عصر النهضة الأوروبية، دار المعارف، ص 175.

وإحتجت السلطات الدينية الكاثوليكية على ما أقره "زوينجلي"، فطلب بابا الكنيسة من أهالي "زيورخ" أن ينبذوا تعاليم "زوينجلي"، إلا أن سكانها أعلنوا استقلالهم التام عن البابوية، فاشتعلت نيران الثورة في جميع أنحاء سويسرا، وأعلن "زوينجلي" إستقلاله عن البابوية عام 1525م⁽¹⁾.

الفرع الثاني: أفكاره

تبني "زوينجلي" عدة أفكار نذكر منها ما يلي:

-الخطيئة الأولى وسبيل الخلاص:

يقول أحد الباحثين: «قضية آدم أو أبينا الذي قضم التفاحة، ومنذ تلك الوهلة ونحن تحت ناموس الموت.....هذا التفسير يمثل إشكالية أرهقت الرجل المسيحي عبر قرون عدّة»⁽²⁾، من هذا المنطلق بدأ "زوينجلي" يلتمس مبررات القبول لهذه العقيدة التي أنهكت وشغلت الفكر المسيحي لقرون عديدة، حيث يشعر أبناء الجنس البشري أنهم محاطون بلعنة أبدية بسبب تلك الخطيئة الموروثة التي لا بد لهم فيها ولا مهرب منها، بمعنى آخر المسيح هو سبب هذه الخطيئة التي لا ذنب له هو الآخر بها، وعليه أن يقدم نفسه فداءً لكي يخرج البشرية من هذه الخطيئة الأبدية؛ والتي لا ذنب له فيها، فوجد المصلح السويسري في سقوط الإنسان الأول مفتاحًا لتاريخ الجنس البشري. فقال: «إنّ الإنسان قبل السقوط خلق بإرادة حرة، بحيث لو أراد لكان قادرًا على حفظ الشريعة، ومرض الخطيئة لم يكن قد وصل إليه بعد، وكانت حياته بيده، ولكنّه لما رغب في أن يكون مثل الله مات، ولم يمت هو فقط بل كلّ نسله أيضًا. فإذا بما أنّ جميع الناس قد ماتوا بآدم، فلا أحد يقدر أن يردّهم إلى الحياة ويرفع عنهم لعنة الخطيئة الأولى إلاّ الله نفسه»⁽³⁾، فقام بالتضحية بإبنه الوحيد وأعاد الحياة للبشرية وخلّصها من الخطيئة الأبدية مقابل الإبن البار لوالده، والوالد الجاحد الحاقد على إبنه.

فالمصلح السويسري رأى أنّ العلاج الأوحد الذي يستطيع أن يبيث في الإنسان الحياة الحقيقية، مصرًا على فكرة أنّ المسيح إله قد فدا بموته الإنسانية فداء لا ينتهي إلى الأبد، ويقول "زوينجلي"

⁽¹⁾ -نزيه معلوف، المرجع السابق، ص 176.

⁽²⁾ - نوي أنطوان: الخلاص اليوم، ت: يوسف سمير، ط1، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ص 102.

⁽³⁾ - ميرل دوبنياه: المصدر السابق، ص 615.

«حيثما وجدت الخطيئة فهناك الموت لا محالة، وأمّا المسيح فكان بدون خطيئة ولا في فمه غشّ ومع ذلك مات واحتمل هذا الموت عنا وارتضى أن يموت لكي يردنا إلى الحياة، وبمّا أنّه لم تكن له خطايا شخصية فقد وضع الآب الرحيم خطايانا عليه»⁽¹⁾.

ومن الواضح أنّ جهود "زوينجلي" انتهت إلى إيجاد المخرج المنشود للإنسانية من قبضة تلك اللعنة بما قرّره في أنّ موت المسيح كان الغداء لتلك الخطيئة، وفي الحقيقة كان لهذا المخرج هدفاً آخر من أهداف المروّجين له، وهو تحقيق عالمية الديانة المسيحية التي ذهب نبيّها فداء للإنسانية جمعاء على مرّ العصور.

-ويرى "أندرو ملر": أنّ أغلب مساعي "زوينجلي" كانت تتمحور حول تحقيق السّلام والمصالحة بالإيمان بذبيحة المسيح الغالية، التي قدّمت مرة واحدة على صليب الجلجثة⁽²⁾، مردّداً ما جاء في رسالة بولس⁽³⁾، الرسول الثانية إلى أهل كورنتوس: « لكنّ الكلّ من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح، وأعطانا خدمة المصالحة»⁽⁴⁾، وجاء في مواضع أخرى من العهد الجديد، ففي إنجيل متى: "إنّ ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل يخدم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين"⁽⁵⁾، وفي إنجيل يوحنا: «لأنّه هكذا أحبّ الله العالم حتّى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كلّ من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»⁽⁶⁾.

ولعلّ تذكير "زوينجلي" المتواصل بموت المسيح وتكفيره بالنيابة عن المؤمنين من بعده، ومطابقة ذلك للنصوص التي وردت في العهد الجديد في مواطن مختلفة، بعث نوعاً من الإطمئنان والراحة في النفوس المتعطّشة والضمانة للخلاص، وبمّا أنّ سبيل الخلاص والنجاة عطايا من عند الله، فقد دحض "زوينجلي" في مرحلة لاحقة دعوى استحقاق الأعمال البشرية إنّما هو بطلان وحمافة محضّة أو ضرب من النفاق والوقاحة، فلو كان من الممكن الخلاص بواسطة الأعمال لما كان من الضروري أن يموت

⁽¹⁾ - ميرل دوينياه: المصدر السابق، ص 616.

⁽²⁾ - صليب الجلجثة: إسم يشير إلى يقع خارج مدينة القدس القديمة، ويعتقد حسب الإنجيل أنّ يسوع صلب عنده، تعود تسمية هذه المنطقة إلى الأرمية بمعنى الجمجمة (موضع الجلجثة/الجمجمة - كنائس القدس، موقع سلطنة الجبل بلا دنس، استرجع يوم: 2024/1/19، <http://pergabriel.com>).

⁽³⁾ - أندرو ملر: الصدر السابق، ص 510.

⁽⁴⁾ - 2 كورنتوس 5: 18-21.

⁽⁵⁾ - متى 20: 28.

⁽⁶⁾ - هوشع 3: 16.

المسيح، فجميع الذين أتوا إلى الله إنما أتوا إليه بواسطة موت المسيح⁽¹⁾.

ومن الواضح أنّ "زوينجلي" قد روج لفكرة جدية تمثّلت في محور الخطايا حين علق الصليب، كما حُسب للناس برّ المسيح الذي أكمل الناموس بطاعته عنهم، فأساس تبريرهم أمام الله كما يعلن الإنجيل هو كفارة المسيح، فجاء في الرسالة الثانية لأهل كورنثوس: «أنّ الله قد كان في المسيح مصالحا العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم، لأنّه جعل الله لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن برّ الله فيه»⁽²⁾، فالإنسان يتبرأ أمام الله بسبب كفارة المسيح إذ حمل آثامنا وأعطانا برّه، إذ يجب لنا طاعته الكاملة وحياته البارة التي عاشها⁽³⁾.

«فكذلك برّ إنسان واحد يأتي جميع الناس بالتبرير الذي يهب الحياة، فكما أنّه بمعصية إنسان واحد جعلت جماعة الناس خاطئة، فكذلك بطاعة واحدة تجعل جماعة الناس بارة»⁽⁴⁾؛ فحسب رأي "زوينجلي" أنّ الله أرسل المسيح إلى الأرض ليسبغ نعمة الخلاص على البشرية من خلال فداء ابنه وحيدته للذين يأتون من بعده ليخلصهم من الإثم المتوارث واللعنة الأبدية تحت شعار الله محبة وتحمل وزر ما اقترفه غيره ولغيره.

الوعظ بتعاليم المسيح (المسيح هو المعلم الوحيد):

سيطرت الكنيسة الكاثوليكية على المنظومة الحياتية لقرون عديدة باعتبارها الممثل الشرعي للمسيح، والمخوّلة للتصرف في جميع شؤون حياة الإنسان المسيحي، ممّا أدّى بالمجتمع الأوروبي المسيحي إلى التخلف والجهل طوال القرون الوسطى.

وطبعا لم تستثنى سويسرا من هذه السيطرة الكنيسة، ومن هذا الجهل، والتخلف لأجل ذلك ظهر الواعظ المتميّز الذي استقى جميع عظاته من تعاليم المسيح، من مصدرها الأساسي الكتاب المقدّس، فكرّس "زوينجلي" حياته لخدمة المسيح وإعادة الكنيسة الأولى، وتحرير الشعوب من سيطرة رجال الدين وإستغلالهم للشعوب الأوروبية بصفة عامة، والشعب السويسري بصفة خاصة، فمجدّ الرب

(1) - ميلر دوينيا: المصدر السابق، ص 616.

(2) - 2 كو 5: 19-21.

(3) - ميلر دوينيا: المصدر نفسه: ص 617.

(4) - رومية 5: 19.

وعظم إبنه الوحيد الذي من أجل خلاص النفوس ونشر الإيمان بذل نفسه.

فإحتذى "زوينجلي" حذو المسيح في تصرفاته ومواعظه للناس، فإنجذبت إليه القلوب، فهو مثل المسيحي الحقيقي، منفتحاً بذلك على الموروث القديم وواعظاً بتعاليم المسيح، ولم تكن لديه عبارات النفاق بل كان ذلك مكتوباً في قلبه وظاهرًا في سلوكه، فكان خالياً من تلك الكبرياء، وتلك الخشونة الرهبانية التي تهين على حد سواء بسطاء هذا العالم وحكماءه، ممّا دفعت الجماهير للإنبهار به والإنجذاب إليه، وإذ كان خدوماً ونشيطاً في منبره، كان رقيقاً نحو جميع الذين التقى بهم في الأزقة أو في الأماكن المشتهرة⁽¹⁾.

وكانت مواعظ "زوينجلي" ترمي إلى العودة بالناس إلى السلطة الحقّ الأولى، والسيد الحقّ، وهو الله، فدعا إلى تنقية الكنيسة من الرواسب التي علقت بها في العصور الوسطى⁽²⁾، بعد أن حادت الكنيسة عن مسارها الروحي، ويجب العودة إلى الإلتزام بتعاليم المسيح، فكلمة الله مازالت ميسورة وليست حكراً على أحد، ويمكن ترجمتها إلى اللغات المحلية في أوروبا، فعمل "زوينجلي" على استنباط المبادئ والعقائد من الكتاب المقدّس، وصاغها على شكلٍ عظاتٍ حماسية بلغة قومه، فأعلن أنّ السلطة الحقيقية هي التي تأتي على لسان الرّب في كلماته وليس على لسان القساوسة⁽³⁾.

ويرى "جون لومير": أنّ أبرز شيء في خدمة "زوينجلي" هو عظاته المطابقة لتعاليم المسيح، حيث كان يعظ مباشرة من الإنجيل على نحو لم يسبق أن سمعوا مثله في "زيورخ" وبهذا المقدار كانت قوة إقناعه حتّى أنّه كسب الإحترام الشعبي والرسمي لسلطان الكتاب المقدّس⁽⁴⁾.

إذن فـ"زوينجلي" إتّبع في عظاته منهج المسيح وتعاليمه، وكانت دعوته إلى عودة الكنيسة الأولى ولم يركز عمله في إصلاح العقيدة المسيحية والعودة بها إلى حقيقتها الأصلية.

-العشاء الرباني في مفهوم "أولريخ زوينجلي"

رفض "زوينجلي" رفضاً كلياً مفهوم الكنيسة الكاثوليكية، وكذلك مفهوم "لوثر" و"كالفن"

(1) - ميرل دوينيه: المصدر السابق، ص 597.

(2) - مفيد الزيدي: تاريخ أوروبا لحديث والمعاصر، ط3، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009م، ج1، ص 428.

(3) - جون لومير: المصدر السابق، ص 165.

(4) - المصدر نفسه، ص 165.

بخصوص حضور المسيح في العشاء الرباني⁽¹⁾، فيرى "زوينجلي" أنّ العشاء الرباني ليس إلاّ مناولة تذكارية لموت المسيح وفدائه لخطيئة الخليقة في زعمهم⁽²⁾، فجاء: «وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا، هذا جسدي، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلّكم، لأنّ هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي سيسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا، وأقول لكم إنّني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً في ملكوت أبي»⁽³⁾، وجاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: «...أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا جسدي المكسور لأجلكم، اصنعوا هذا للذكري، كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشوا قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي، اصنعوا هذا كلّما شربتم لذكرى»⁽⁴⁾.

فالمراد بكلمة هذا هو "جسدي" عندما قدّم لأصحابه الخبز بالمعنى المجازي، وهي إشارة فقط ليس المقصود بها المعنى الحقيقي، فيخالف بذلك "زوينجلي" رأي الكنيسة التي تُقرّ أنّ الخبز والخمر يتحولان إلى جسد ودم المسيح، ويعرف بسرّ تناول.

المطلب الخامس: وفاته ومؤلفاته

الفرع الأول: وفاته

في عام 1531م شنّ الكاثوليك حرباً على البروتستانت، بسبب قطع الصلة التجارية والحصار الإقتصادي على المقاطعات الكاثوليكية في سويسرا من طرف البروتستانت في المقاطعات السويسرية الأخرى، ممّا أدى إلى انتشار المجاعة والأمراض التي أزهقت آلاف الأرواح من سكان تلك المناطق، وحاول "زوينجلي" حثّ المقاطعات على فكّ هذا الحصار عن الكاثوليك إلاّ أنّ محاولاته حالت دون ذلك، فلم يبق من الكاثوليك إلاّ أن تحركت قواتها نحو الحدود، وبلغ عددهم ثمانية آلاف مقاتل، وكان هدفهم دخول "زيورخ" والقضاء على "زوينجلي" وأنصاره.

(1) - حناجرس الحضري: المصدر السابق، ص 330.

(2) - وجيه محمد زكريا عمران: المرجع السابق، ص 170.

(3) - متى 26: 26-29.

(4) - 1 كو 11: 23-25.

وفي مقابل ذلك تأهبت المقاطعات البروتستانتية للدفاع عن نفسها بقيادة "زوينجلي"، وكان عددهم سبعمائة مقاتل فقط، وإلتقى الطرفان على مقربة من "كابل"، التي كانت فيها المعركة الفاصلة بين الطرفين، والتي بلغت خسائر البروتستانت ستمائة مقاتل أمّا الكاثوليك خسروا ثمانين مقاتل فقط⁽¹⁾، وكان "زوينجلي" من بين الضحايا الذين سقطوا في معركة "كابل" وقد قام حاكم مقاطعة "لوسرن"، بتمزيق جثته إلى أربعة أجزاء، ومن ثمّ حرقها تعبيراً عن كرهه وحقده على "زوينجلي"، وما إنجر عن حركته من دمار وخراب بين إبناء الوطن الواحد.

وقد أثارت طريقة مصرع "زوينجلي" والتكليف بجثته موجة غضب عارمة في المقاطعات البروتستانتية، خاصةً "زيورخ" و"برن"، فقامتا قواتهما بالهجوم على الجيش الكاثوليكي في ولاية "تسوج"، ممّا أدّى إلى انهزام البروتستانت مرة أخرى، فطلبوا الهدنة وعقد الصلح بين الجانبين وانتهى الصراع بينهم بالإتفاق على ترك كلّ مقاطعة من المقاطعات السويسرية أن تختار بواسطة مجالسها الدينية المذهب الذي تريده⁽²⁾.

الفرع الثاني: مؤلفاته

لم يؤثر الكثير من مؤلفات "زوينجلي" إلّا ما كتبه أيام إصلاحاته ووعظه للناس، فألّف "مقدمة قصيرة في المسيحية"، أرسلها إلى جميع رجال الدين في المقاطعة السويسرية. بالإضافة إلى أنّه صاغ عقيدته بتوسعه في رسالتين باللاتينية: "الدين الحقيقي" و"الزائف"

-De vera et false religione 1529

-Ratio fidei 1530.

⁽¹⁾ –Lay.o.Qualbens ،Ahistory of the christion church ،now york ،193. ،p259.

⁽²⁾ – عبد العزيز محمد الشناوي: المرجع السابق، ص 97.

المبحث الثاني: (مارتن لوثر) "Martin Luther"

يعد "مارتن لوثر" من الشخصيات الهامة التي أحدثت تغييراً كبيراً في الحياة الإنسانية بصورة عامة، والكنيسة المسيحية بصفة خاصة، حيث أنّ شخصيته وأفكاره أثارت جدلاً كبيراً بين المؤلفين والمؤرخين، فنجد من الكاثوليك من كتب عليه ووصفه بأبشع الصفات والإحتقار حتى أخرجوه من ربة المسيحية، مثلما وصفته الكنيسة الرومانية منذ آلاف القرون، في حين نجد من البروتستانت من كتب فيه عبارات المدح والإبداع والإلهام، وحتى من عدّه من الأنبياء الذين أقامتهم العناية الإلهية لخير الإنسانية وخلصها.

وقد بيّن لنا التاريخ أنّ "مارتن لوثر" قد ترك بصماته على الفكر الإنساني والتاريخ والكنيسة، وأثّر واجه رجال الدين الكنسي، وانتقد ممارساتهم على الشعوب الأوروبية آنذاك، ما أدّى إلى الانفصال التام عن الكنيسة الكاثوليكية وتأسيس كنيسة مستقلة عنها وإمتدت إلى الآن.

المطلب الأول: مولده وحياته:

جرت العادة قديماً بين فلاحي أحد المقاطعات الألمانية، أنّ الإبن الأكبر يرث سكن أبيه وحقوله، وأنّ ينتقل الأولاد الآخرون إلى أماكن أخرى في طلب معيشتهم فتزوج وأحد من هؤلاء إسمه "يوحنا لوثيروس" بمرغاريتا لندمان" إبنة رجل من سكان "نيوستدت" في أسقفية "ورنسبرج" ثم ذهباً ليعيشا في "إسلاين"، وهي قرية صغيرة في "سكسونيا"، ليكسبا خبزهما يعرق وجههما.

- وكان يوحنا رجلاً مستقيماً في شغله سليم القلب ثابتاً، كان يقرأ كثيراً، والكتب حينئذ نادرة الوجود، فانتهز كلّ فرصة لتحصيلها، وكان يشغل كلّ فرصة للمطالعة في قته راحته.

- أمّا "مارغريتا" ولدت إبناً في اليوم العاشر من نوفمبر قبل منتصف الليل بساعة واحدة عام 1483م بإيسلاين، وأول ما فكر فيه والدها "لوثر" أن يكرسها حسب إيمانها الولد لخدمة الرب، وفي الغد حمل الأب إبنة إلى كنيسة ماربطرس، حيث تعمد ودعي "مريتونس" تذكراً لليوم الذي ولد فيه⁽¹⁾.

(1) - ميرل دوبيناه: المصدر السابق، ص 77.

ولم يكمل لوثر الستة أشهر حتى إنتقل أبواه من إيسلابن إلى منسفلدت من أجل حياة أفضل، وفي هذه القرية نشأ "لوثر"، وشبّ فيها وابتدأ نشاطه وهناك بانت مزاياه، وأنجب والداه بعده ستة أطفال⁽¹⁾.

وكانت المدة الأولى من سكن عائلة "لوثر" في منسفلدت كثيرة المصاعب والمشقات، فعاشا في أول الأمر بفقر شديد يقول "لوثر": «والدائي كانا فقيرين جدا، فإنّ أبي كان قاطع حطب فقيرا، وحملت أمي مرارا حطبا على ظهرها لكي تحصل أسباب معيشة أولادها، وكابدا أشدّ الأتعاب من أجلنا»⁽²⁾، فعاش "لوثر" طفولة قاسية تركت فيه ذكريات سيئة في بداية دراسته تمكّن من قواعد اللغة اللاتينية في مدرسة مانسفيلد المحلية، لأنّ اللغة الألمانية كانت لغة الناس الذين لم يتلقوا تربية حسنة، وكانت المدارس تعاقب التلميذ الذي يضبط متكلّمًا الألمانية.

وعندما بلغ الثالثة عشر من عمره إنتقل إلى مدرسة ثانوية تديرها جمعية دينية في "ماجد يبرج"، وفي سن الرابعة عشر حوّل إلى مدرسة "سان جورج" في "إيريناخ"، وأمضى فيها ثلاث سنوات، وأرسله والده عام 1501م إلى الجامعة في «إرفورت»، وكان برنامج هذه الجامعة "اللاهوت والفلسفة".

تأثر "لوثر" في جامعة «إرفورت» بعلماء الإنسانيات، وتعلم اليونانية، والعبرية، وقرأ أمهات الكتب الكلاسيكية باللاتينية؛ وفي عام 1505م حصل على درجة الماجستير في الآداب، وفي نفس العام بدأ بدراسة القانون، وفجأة بعد شهرين من هذه لدراسة قرر الشاب أن يصبح راهبا، الأمر الذي أفرغ والده يعلق "ويل ديورانت" على هذا القرار فيقول: «هذا القرار يعبر عن التناقض في خلقه فقد كان قويا يفيض بالحيوية إلى حد الإنغماس في الشهوات»⁽³⁾، في حين أنّ "دانيال أوليفيه" التمس له العذر بقوله: «إنّ صاعقة شديدة ضربت عند قدميه فسيّبت له خوفا شديدا لدرجة أنّه نذر حينها أن يكون

⁽¹⁾ - ويل ديورانت: المصدر السابق، ص 10.

⁽²⁾ - J-H. merle d'Aubigné, D-D la reformation du 16^é Siècle ton 1, librairie ch, Meyneis et compagnie, p 135.

⁽³⁾ - ويل ديورانت: المصدر نفسه، ص 11.

رأهبا... وأنه ترهب ليستميل حظوة الله وليجد الإطمئنان من الدنيوية الإلهية»⁽¹⁾، وكان لبعض الأحداث الأثر البالغ في حياة "لوثر"، من ذلك المرض الشديد الذي ألمّ به بسبب كثرة دروسه، وموت أعزّ أصدقائه بمرض خطير، وأيضا اغتيال صديق له يدعى "ألكسيس" "Alexis" في ظروف غامضة⁽²⁾، كما أنّ الله خلّصه مرة من موت محتم عندما سقطت صاعقة بالقرب منه ألقته طريحا على الأرض⁽³⁾، فكانت هذه الحادثة منعرجا خطيرا في حياة "لوثر"، ذلك أنّ الموت المفاجئ أخذت حيزا من تفكيره ليغرم على تطهير نفسه والعيش وفق تعاليم الرسل.

أمّا عن معيشتته في الدير الذي ذهب ليكون رأهبا مبتدئا فيه، فقد كانت معيشة بسيطة متواضعة، فكان يكسب الدير ويقوم بتنظيفه، ويكثر من تلاوة الصلوات مرارا وتكرارا في دير "الرهبان أوغسطين"، وصفه "وبل ديورانت": «كنت رأهبا ورعا أراعي أحكام الطائفة التي أنتمي إليها بشدة إلى حدّ أنه... إذ قدّر لرأهب أن يدخل لجنة عن طريق الرهبة فيأتي أدخلها لاحالة... ولو أنّ هذا الأمر طال أكثر من هذا لكنت عذبت نفسي حتى لموت بالسهرة والصلاة والقراءة وغيرها من الأعمال»⁽⁴⁾.

وفي هذا الدير بدأ التكوين الروحي لـ"مارتن لوثر"، وفي أحد الأيام صادف رسالة للمصلح "جون هوس"، وبعد قراءتها أثارت في نفسه بعض الشكوك العقائدية زادت من اضطرابه الروحي، وتساءل قائلا: «ترى لماذا أحرق رجل إستطاع أن يكتب بمثل هذه الروح المسيحية وبهذه القوة؟ لقد أغلقت لكتاب وأشحت بوجهي وقلب جريح»⁽⁵⁾، وقد أولى أحد القساوسة من دير الراهبان أوغسطين إهتمامه بلوثر، فأمره بدل التّقصّف أن يقرأ الكتاب المقدّس، وتعاليم القديس أوغسطين: وأعرب الراهبان عن جزعهم لما أصابه فأعطوه كتابا مقدّسا باللاتينية، وكان آنداك الكتاب المقدّس من المقتنيات النادرة لأي شخص.

(1) - مجموعة من المؤلفين: تاريخ الكنيسة المفضل، ت: صبحي حموي اليسوعي، ط1، دار المشرق، بيروت-لبنان، 2003، المجلد الثالث، ص 25.

(2) - فايز فارس: أضواء على الإصلاح الإنجيلي، ط1، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، مصر، 1984م، ص 26.

(3) - (مارتن لوثر): أصول التعليم المسيحي (الكتابخيسم الصغير)، ت ونشر: المركز اللوثيري للخدمات الدّينية في الشرق الأوسط، بيروت، لبنان، ص 8.

(4) - ويل ديورانت: المصدر السابق، ص 12.

(5) - المصدر نفسه، ص 13

وفي عام 1508م أو 1509م، لفت إنتباهه عبارة وردت في رسالة القديس بولس إلى أهل رومية: «لأنّ فيه أعلن بَرُّ الله بإيمان لإيمان كما هو مكتوب أمّا البار فبالإيمان يحيا».

وقادته هذه الكلمات في بطاء إلى العقيدة التي تذهب إلى أنّ الإنسان يمكن أن يرجع إلى طريق الحق وينجو من النار ليس بالأعمال الطيبة فقط بل بالإيمان بالمسيح وبفدائه للبشر من الخطيئة الأبدية، كما وجد في تعاليم أوغسطين فكرة أخرى لعلها جدّدت مخاوفه وهي فكرة أنّ الله قدّر حتى قبل الخليقة أن تحظى بعض الأرواح بالخلاص وأن يزيحَ بالباقي في جهنم، وأنّ الإختيار تمّ بمشيئة الله أن يكون الخلاص بالتضحية بالمسيح، فأقرّ مرة أخرى إلى أنّه الأساس في الخلاص عن طريق الإيمان⁽¹⁾.

وفي عام 1511م إنتقل "مارتن لوثر" لملكاً آخر هو "دير أوغسطين" بمدينة «فيتنبرغ» الملاصق لجامعة "فيتنبرغ"، وذلك بناءً على توصية وأمر من رئيس الدير.

وفي عام 19 أكتوبر 1512 تحصل على درجة الدكتوراه في العلوم اللاهوتية، كما حصل على قسط وافر من التعليم العالي، حيث درس القانون والبلاغة والفلسفة، والآلهوت، والموسيقى، فإمتهن التعليم كدكتور في تفسير الكتاب المقدّس، فشرح مجموعة المزامير من (1513-1515م)، وكانت هذه المجموعة تحتوي على جميع أمور التقوى والتعليم المسيحي.

وفي إلقاء الدّروس الكتابية كان يتّبع نص الكتاب المقدّس فينتقل من موضوع إلى موضوع لكنّه كان يعود دائماً إلى الموضوع نفسه، الذي يشغل عقله من قبل وهو موضوع "الخلاص"⁽²⁾، فكانت دروسه تعكس رأيه الشخصي، وهو أنّ الخلاص الموهوب للمسيحي هو الخلاص بالإيمان لا بالأعمال.

فإستغل "لوثر" عمله في هذه الجامعة للتعبير عن آرائه ومعتقداته بشكل صريح⁽³⁾، وبقي مقيماً في ذلك الدير، ويعمل في تلك الجامعة حتى وفاته.

(1) - فايز فارس: المصدر السابق، ص: 27.

(2) - ويل ديورانت: الصدر السابق، ص: 14.

(3) - فايز فارس: المصدر نفسه، ص: 28.

المطلب الثاني: العوامل الخاصة ب(مارتن لوثر) لقيام حركة الإصلاح الديني

لكلّ زعيم من زعماء حركة الإصلاح الديني البروتستانتية أسباب خاصة دفعته للقيام بهذه الحركة، بالإضافة إلى الأسباب العامة، فلكون الأسباب الخاصة هي المحرك الفعلي، سنتحدث عن هذه الأسباب أولاً:

الفرع الأول: التكوين الشخصي لـ"مارتن لوثر"

النشأة الفقيرة التي نشأ فيها "مارتن لوثر" كان لها تأثير عميق انعكس في آرائه فيما بعد، بالإضافة إلى العنف والبؤس الذي واجهه في بداية حياته سواء من والده، أو في حياته المدرسية يقول: «أنّ أباه كان رجلاً فظاً غليظاً يستثار بسهولة..... إنّ أباه ثابر على يوماً حتى أنّهما ظلّا زمناً طويلاً يناصب كلّ منهما الآخر العدا»، وفي مناسبة أخرى أنّ أمه جلّده حتىّ سال دمه لأنّه سرق جوزة فيقول: «إنّ الحياة الخشنة التي عشتها معهما هي التي دفعتني إلى أنّ ألبأ فيما بعد إلى الدير وأصبح راهباً»، إيماناً من أبوي "مارتن لوثر" أنّ العصا والقسوة هي الوسيلة السحرية لتقويم وضبط الأخلاق.

بالإضافة إلى أنّه في المدرسة تلقى العصى والجلد حيث يذكر أنّه في مرة من المرات أخطأ في إعراب إسم فأخذ مزيداً من الضرب والجلد⁽¹⁾.

فهذه النشأة الفقيرة القاسية شكّلت شخصية "مارتن لوثر"، فكان عنيفاً صارماً متّصفاً بالجمود، لم يؤمن بالبحث الحرّ ولا بالتسامح، لهذا السبب رفض "لوثر" قبول إمكانية التطور في الفكر الديني، بل التزم بجزم بإيمانه بأن جميع الحقائق المتعلقة بالمشاكل النهائية للحياة والفكر تكمن في الكتاب المقدّس، ومن ثمّ فإنّ الحركات العقلية الحرّة في الفكر الأوروبي لم تستمد أصولها من "مارتن لوثر" الذي كان معادياً للسامية عنيفاً⁽²⁾.

– كان لتكوين شخصية "لوثر" أثر في توليد شعور بالفخر والإعتزازية، ممّا أوجد فيه القدرة على مواجهة كلّ ما كان عليه حتى وصل إلى النقطة التي قالها في مقولة هذه: «إنيّ أحمل حقد العالم

(1) – ويل ديوارنت: المصدر السابق، ص 10.

(2) – هربرت فيشر: المصدر السابق، ص 98.

بأسره، ومقت الإمبراطور والبابا وكلّ بطانتهم حسن، بإسم الربّ إلى الإمام» فكان له من الشجاعة ما يكفي لأن يتحدى أعداءه، فكان متيقن مما فعله⁽¹⁾.

الفرع الثاني: زيارة "مارتن لوثر" لروما

في سنة 1511م ذهب "لوثر" إلى روما لمهمة تخصص بالرهبة التي كان تابعا لها، لحل المشكلة التي كانت قائمة بين الأديرة الأوغسطينية في ألمانيا فيما يخص، موضوع تجمّع هذه الأديرة في جمعية واحدة⁽²⁾.

وكانت زيارة روما في نظره نظر كلّ راهب وكاهن هي أصل حياته وفرصته فكان يشاق أن يرى المدينة التي لقيت بأورشليم المقدّسة، حيث استشهد القديسون، وناضل المسيحيون الأولون، ... المدينة التي كانت تمتلئ بالكنائس وحيث توجد ذخائر القديسين (بقايا من ملابسهم وأجسادهم وممتلكاتهم) والتي كان يعتقد الناس آنذاك أن من يزور تلك الأماكن ينال الغفران لخطاياها⁽³⁾، حينها كان لوثر لا يزال يعتقد كثيرا من الخرافات والأوهام، والبدع كالمطهر والصلاة للقديسين وغيرها.

فسار لوثر إلى روما سيراً على الأقدام، زيادة في التعب والتذلل، فقد كان يقطع 40 كيلو متراً يوميا، على مدى 35 يوما ذهابا ومثلها أيابا، لكن روما خبت آمال ذلك الراهب الشاب القادم إليها من بعيد... في رحلته كان كثيرا ما ينزل ضيقا على أحد الأديرة للراحة، وهنا إصطدام لوثر بالواقع المرير للربان في دير بنديكتوس، فتعجب في نفسه بسبب حياة البذخ التي وجد عليها رجال الدين هناك، من ثيابهم الفاخرة، وأطعمتهم، ومسكنهم، ويوم الجمعة رأى المائدة مغطاة باللحم، مع أن الجمعة يوم من أيام الصيام عن اللحوم عند النصارى، وهنا أبدى لوثر رأيه وإعتراضهم عليهم فإتهموه بأنه جرمانى خشن⁽⁴⁾، فتعجب لوثر مما رآه في هذه الزيارة راجع لحياة الفقر والحرم التي عاشها، ما أخذت قلقا في نفسه وأبدى معارضته لهم.

(1) - ويل ديورانت: المصدر السابق، ص 140.

(2) - حنا جرجس الخضري: (مارتن لوثر)، حياته تعاليمه، بحث تاريخي عقائدي لاهوتي، دار الثقافة، القاهرة، 1983، ص 48.

(3) - القس فايز فارس: المصدر السابق، ص 27.

(4) - ميرل دوبيناه: المصدر السابق، ص 550.

- لم تقصر الصدمات على "لوثر" في ما رآه من بذخ الرهبان وترفهم بل إمتدّت لبعض ممارسة رجال الدّين للشعائر الدّينية التي كان يعتقد في قداستها (إذ كان يوماً على المائدة مع عبد من لأساقفة فأخذوا في قص المضحكات لإعتقادهم أنّه مثلهم، ومن ذلك أنهم كانوا أحياناً يقولون مكان الكلام السري الدّي يعتقدون أنّه به يستحيل الخبر إلى لحم والخمر إلى دم بهذه العبارة الهزلية: "خبزاً أنت ولا تزال خبزاً، خمر أنت ولا تزالين خمرًا"، كما أنّه فوجئ أنّه وجد بعض الرهبان قد أكملوا سبعة قداسات على مذبح قريب منه قبل أن يكمل هو قداسه، وقال أحدهم لآخر أسرع، أسرع وأرجع إلى سيدتنا إنهما؛ وهذا ما يدل على أنّه لا يوجد في المسيحية أي تقديس لمعتقداتهم الأساسية وماهي إلاّ هزل في هزل فلو كانت بتلك الأهميّة لما التزموا بها وبتأديتها على أكمل وجه⁽¹⁾.

أثناء تواجد "لوثر" بروما زار الأماكن المقدّسة، بعد أن كان منساقاً مثل سائر النصارى وراء خرافات رجال الكنيسة، فقام بزيارة كنيسة القديس بطرس، وفيها صعد السلم المقدّس Scala santa والمعروف "بسلم بيلاطس" المكون من ثمان وثلاثين درجة أو ثمان وعشرين، قصد إنقاذ جدّه من المطّهر حيث أنّ الإعتقاد السائد عند النصارى الكاثوليك أنّه بصعود كل درجة من درجات ذلك السلم بنزول جزء سبع سنوات وما كاد أن ينتهي من درجات المطّهر حتّى راودته الشكوك ولعبت به الظنون في هل هو حقاً بذلك العمل إستطاع أن يغفر لجدّه خطايا⁽²⁾، يقول "لوثر": «لقد أردت وأنا في روما أن أخلّص جدي من المطّهر، وصعدت سلم بيلاطس وكنت أتلو على كل درجة الصلّاة الرّبانية، ولكن عند وصولي إلى النهاية تساءلت في نفسي: ومن يعرف إذا كان هذا الأمر حقيقة أم؟»⁽³⁾.

قضى "لوثر" أربعة أسابيع في روما زار خلالها أحياء المدينة للتعرف على عاداتهم وتقاليدهم، وكان يتوقع أن يرى فيها الشك والعبادة وسط قوم متأثرين بالكنيسة ورجالها إلاّ أنّه إنصدم عندما وجد أهلها منشغلين باللّهو والعبث، وأنّ الفساد منتشر بين القساوسة فمعظمهم مدّنسون بالخطايا ولهم الجرأة على فعل المعاصي والإستهانة بالدّين، وكان الذين يعدّهم قديس صالحين، قد إنغمسوا في الرذيلة

(1) - ميرل دوبيناه: المصدر السابق، ص: 560.

(2) - السيد رجب خراز: عصر النهضة (دراسة في الحضارة الأوروبية الحديثة)، دار النهضة العربية، ص: 245.

(3) - فايز فارس: المصدر السابق، ص: 28.

وحبّ الشهوات، وذلك بدعوى أنّ سحائب الرضوان قد أنزلت عليهم من دون الناس، وأنّ الله قد غفر لهم سابق ذنوبهم ولاحقها⁽¹⁾.

يقول "لوثر": «لم يكن يخطر بظنيّ أنّ بلاط البابوية بهذه الدرجة من الفسق والفجور وما كان لي أن أصدّق ما يحدث لولا أنّي رأيته بنفسي، إنّما جهنّم التي بنيت من فوقها مدينة روما»⁽²⁾، فذهب "لوثر" إلى روما بقلب مفتوح، وعاد منها متغير الحال متمردًا على الكنيسة ورجالها وطقوسها.

الفرع الثالث: تأثر "مارتن لوثر" بفلسفة القرون الوسطى والفلسفة الإسلامية

-عندما دخل "لوثر" إلى الجامعة، درس الفلسفة على يد الأستاذ "بودوكس"، والذي لقب بعلامة إيتزنيخ، كما أنّه درّس على يد عدد كبير من أساتذة هذه الجامعة الذين اعتبروا من صفوة الأساتذة وأفضلهم: أمثال "يوحنا جريفينستين" (jean Grevenstein)، ثمّ على يد "جرار هكر". "Gerard Hecker" الذي صار فيما بعد رآبها في دير القديس أوغسطينوس، وهو نفس الدير الذي إختاره "مارتن لوثر" فيما بعد.

كان منهج الجامعة يحتوي على دراسات للقواعد والمنطق والفلك والهندسة وعلوم ما وراء الطبيعة والموسيقى والتاريخ والفلسفة، وكانت فلسفة "أرسطو" تسيطر على هذه العلوم، كما كانت تسيطر أيضا على العلوم اللاهوتية الدينية بطريقة ملحوظة، ولهذا السبب كان "مارتن لوثر" مضطراّ لأن يدرس فلسفات وتعاليم القرون الوسطى، فاطّلع على كتابات "أوكام" (Occame) و"سكوتس" و"توما الإكويني"⁽³⁾ و"بونافنتيرا"، الذين كان لهم إطلاع واسع على الفلسفات الإسلامية فتأثروا بفلسفة "إبن رشد" و"إبن سينا" و"الغزالي" خاصة.

(1) -على كابان عبد الكريم: المرجع السابق، ص: 93.

(2) - حنا جرجس الحضري: الصدر السابق، ص: 30.

(3) - توما الإكويني: أكبر فلاسفة اللاهوت المسيحي في القرون الوسطى (1225-1274م) (مؤسسة هنداي: تاريخ الفلسفة

الأوروبية في العصر الوسيط، الفصل السابع، القديس توما الإكويني www.hidawi.org استرجع يوم: 2018/8/29

يقول عباس محمود العقاد: «وكان لوثر من أكثر الناس إطلاعا على فلسفة القرون الوسطى، لأنه كان أستاذا للفلسفة في جامعة ويتمبرج، ولم يكن غريبا عن مناقشات علماء اللاهوت وعلماء الكلام ... ولقد ترجم لوثر التوراة إلى اللغة الجرمانية بعد أن حجرت اللاتينية على لغة الدين والعلم مئات السنين ولم يحطم قيودها المرهفة إلا ذلك الإقبال المطرد على دراسة العربية»⁽¹⁾.

فكان تأثر فلاسفة القرون الوسطى بفلاسفة الإسلام التي درسها "مارتن لوثر"، فظهرت في بعض القرارات التي تحدى بها الكنيستة ورجالها آنذاك كتكسير قرار تحريم الزواج على رجال الدين، فتزوج برأهبة كاثوليكية متحديا ومحتجا ضد ما أقره مجمع ترانت عام 1545م⁽²⁾، فيتضح لنا مدى تأثر "لوثر" بفلسفة القرون الوسطى التي بدورها تأثرت بالفلسفة الإسلامية.

الفرع الرابع: إنزواء لوثر في الدير الأوغسطيني

قال "لوثر" عن نفسه: «آه لو كان في إستطاعتي أن أكون رجلا تقيا وأرضي الله»؛ لم يتوانى "لوثر" لحظة في تفضيل وإختيار الطريق لإرضاء الله وحصوله على برّه، فهرب من العالم وإلتجأ إلى الدير، ففي عمل الدير يسعده عن العالم وشواغله ومشاكله وتجاربه، وهناك يكرس وقته وحياته لله، فإنطلق "لوثر" في حياته الجديدة، من أجل أن يريح قلبه ويهدأ ضميره، خاصة بعد التجارب والتساؤلات التي خاضها في حياته.

وفي 17 جويلية 1505م أي بعد حادثة العاصفة بأسبوعين دعا جماعة من أصدقائه وزملائه في الدراسة والتدريس لقضاء سهرة ممتعة معا، وفي نهاية هذه السهرة وقف "مارتن لوثر" وأخبرهم بأنه سيرحل عنهم: «الآن أتم تروني وغدا سوف لا تروني، ولهذا فقد دعوتكم لأودعكم»، فإندهش الحضور من قوله لهم، وعندئذ قام بتوزيع بعض أمتعته القليلة من ملابس وأشياء أخرى وعندئذ فهموا أنّ الأمر جدي.

وفي 18 جويلية 1505م كتب "مارتن لوثر" خطابا لوالديه ليخبرهما أنّه سيلتزم الدير، ثمّ قدّم استقالته

⁽¹⁾— عباس محمود العقاد: المجموعة الكاملة لمؤلفاته، حضارة الإسلام، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978م، المجلد العاشر، ص:83.

⁽²⁾— حنا جرجس الخضري: المصدر السابق، ص:30.

للجامعة في نفس اليوم مع الخاتم الذي أعطي له كأستاذ ثم بعدها انطلق في رحلته الروحية ليهدأ ضميره⁽¹⁾.

اختار "لوثر" الدير الأوغسطيني، وكان هذا الأخير شديد الصرامة فمثلا كانت الصلاة فيه سبع مرات يوميا، والإستيقاظ في الساعة الواحدة، فعندما يقرع الجرس الأول كان على الراهب أن يرسم علامة الصليب ويستعد لإرتداء ثيابه، وعند قرع الجرس الثاني عليه الخروج من غرفته والتوجه إلى الكنيسة ليصلي صلاة تعبدية للمخلص، وأن لا يتناول إلا وجبة واحدة في الساعة الثانية بعد الظهر، لمدة تصل إلى نصف أيام السنة، وفي هذه الفترة لا يأكلون لحما ولا زبدة ولا جبنا ولا بيضا، بالإضافة إلى بعض الأشغال اليدوية التي كان على كل راهب مبتدئ القيام بها، بحيث أنه كان لزاما على الراهب المبتدئ أن يقوم بجولات تسوية في المدينة وهذا لكي يتعود على التواضع والطاعة، وهذا ما يستوجب على الكنيسة أن تنتج فئة راذخة طائعة لأوامر البابا، فئة مهينة لبيع صكوك الغفران مستقبلا، وهذا ما يؤكد أن هذه العملية ماهي إلا إهانة للشباب المثقف الجامعي، ولهذا السبب طلبت الجامعة من الدير إعفاء "لوثر" من هذه المهمة، وكان هذا هو قانون الدير بالنسبة لكل الذين التحقوا به، يقول "لوثر": «أن إخوة الدير لا يقبلون الإستثناءات لأي شخص جديد أيا كان».

ومن الواضح أن "لوثر" لم يكن متدمرا من قانون الدير، بل قام بكل ما طلب منه من صلاة وصوم وغسل وكنس ورشّ وتسول في المدينة وغيرها، فيقول عن نفسه: «كانت حياتي عبارة عن صوم وسهر وصلاة وعرف، فقد كدت أن أقتل نفسي بالسهر وبالدراسة وبالصلاة وبالأعمال الكثيرة الأخرى»، فكان يريد أن يجمع ما أمكنه من الاستحقاقات والأعمال والصلاة ليهدأ باله ويرتاح قلبه، لذلك قال: «لقد رأى الآخرون في حياتي مظهرًا عظيمًا للقداسة على أنّها لم تكن واضحة في عيني فقد كنت محطّما وحزينًا»، ولربما سبب حزنه أنه لم يكن مقتنعا بهذه التضحيات، وهل محبة الله لا تكون إلا بقتل النفس وتعذيبها؟

ومضى على "لوثر" مدة طويلة، حتى جاء اليوم الموعود الذي أعلن فيه نذره النهائي للرهبة في سبتمبر 1506م، وعيّن باسم الراهب الأوغسطيني ونال رسامته في 4 أبريل 1507م في كاتدرائية

(1) - حنا جرجس الحضري: المصدر السابق، ص 31-33.

أرفورت، وفي يوم 2 ماي من نفس السنة أقام الدير حفلا عظيما بمناسبة أول قدّاس، يقوّم به الكاهن "لوثر"، وإحتاز إختبارا مريّرا قاسيا فقال: «عندما قمت بخدمة أول قدّاس لي، شعرت أنّي على حافة الموت»، ولربّما هو الخوف والإضطراب الذي أوصله إلى درجة شعوره بالموت.

وإنتهى القدّاس ونال تهاني المدعوون، وعند إلقاء كلمته الأخيرة قال: "أنّ الحياة الرهبانية هي الحياة السعيدة الإلهية"، وبعدها رجع "لوثر" إلى صومعته وابتدأ من جديد دراساته وتأملاته وصراعه لأنّه كان يرى الله أنّه قاضيا مخيفا ويسوع ديانا للأحياء والأموات⁽¹⁾.

ولعله تكون لهذه الظروف التي عاشها "لوثر" الأثر الكبير في تغيير وجهة رأيه من رآهب محبّ لديره إلى عدو لدود لهم، بالإضافة إلى ما رآه من مخالفات أخرى فيما بعد.

الفرع الخامس: صكوك الغفران

إنّ فكرة صكوك الغفران لم تكن جديدة في ذلك الوقت، بل يرجع تاريخها على زمن الحروب الصليبية⁽²⁾، فقد منح بعض الباباوات هذه الإمتيازات الدّين كانوا يذهبون إلى الحرب مخاطرين بحياتهم، وبعد ذلك كانت تمنح أيضا للذين يذهبون إلى الأماكن المقدّسة، كما أنّها منحت أيضا للذين كانوا يساهمون في أعمال البرّ الإحسان، كبناء الكنائس والمستشفيات... الخ.

إنّ حقيقة فكرة الصكوك الغفران تعود إلى تعاليم الكنيسة الكاثوليكية التي كانت تنصّ على أنّ الحصول على الخلاص، يتم عن طريق التعاون بين الله والبشر، أي أنّ نعمة الله تتعاون مع الإنسان وتساعد على أن ينال خلاصه عن طريق عملية الغداء التي قام بها المسيح، وعن طريق الأعمال الصالحة، إلا أنّ التقصير والخطأ وارد من قبل الإنسان، فكان لا بدّ من التوبة والإعتراف، ويجب على كلّ نصراني أن يعترف أمام الكاهن بأخطائه لكي يحصل على الغفران، لذا يتعيّن عليه القيام بأعمال

(1) - حنا جرجس الحضري: المصدر السابق، ص 40/36.

(2) - الحروب الصليبية: حروب مقدّسة عند النصارى، كانت بين الحادي عشر - الرابع عشر ميلادي بدعوى استعادة الأراضي المقدّسة، خاصّة القدس من المسلمين (الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غرنال، دار الجيل، مصر، 1995م، الجزء الأول، ص 710.

خاصّة بالتوبة، هذه الأعمال يمكن أن تكون في صورة صلوات، صوم، صدقات... الخ، أمّا الإنسان الذي لم يقم بأعمال كافية لخلاصه، فإنّه بعد موته يظل فترة من الزمن في المطهر يلقي نوعاً من العذاب حتّى يتطهر من الذنوب تماماً، فما كان على الكنيسة إلا أن تجد مخرجاً لهذا العذاب الذي يلقيه الإنسان أثناء تواجده في المطهر، ويمكن تخفيفه، وذلك بتقديم الهبة المالية بشراء صكوك الغفران⁽¹⁾، فصكوك الغفران ماهي إلا إمتداد لنظام الكنيسة وسر الإعتراف والتوبة وهي مأخوذة من خزينة الإستحقاقات في السماء، أو ما يعرف "بكنز الكنيسة"⁽²⁾.

وقد علّلوا ذلك بأنّ بعض القدّسين قاموا بأعمال صالحة كافية لخلاصهم فقط، بينما قام البعض الآخر بأعمال حسنة كثيرة زادت عن حاجاتهم، مثل المسيح الذي لم يكن في حاجة أبداً على أعمال حسنة، ولكنّه عمل كثيراً جداً كذلك قامت لسيدة العذراء والتلاميذ وعدد كبير من القدّسين على مرّ العصور بأعمال صالحة كثيرة، زادت عمّا كانوا في حاجة إليه لخلاصهم، وكانت تسمية الكنيسة بحسنات القدّيسين الزائدة، فهي في خزانة أبدية، وهي ملك لها وللكنيسة الحقّ في التصرف فيها كما تشاء ومن حقّ الكنيسة أن توزّع هذه الحسنات المودعة تحت تصرفها على النفوس التي لم تستطيع أن تعمل أعمالاً حسنة كافية لخلاصها أثناء حياتها على الأرض⁽³⁾.

ويذكر التاريخ أنّ أوّل صكّ رسمي أصدرته كنيسة روما كان في القرن الحادي عشر، وفي بداية الأمر أحاطت الكنيسة هذه العقيدة بعدّة احتياطات وشروط، فكان الحاصل على صكّ الغفران لا يخلص إلاّ من المطهر فقط⁽⁴⁾.

ومع مرور الوقت تغيرت هذه الشروط، وأصبحت صكوك الغفران تجارة رابحة شائعة لجأت إليها الكنيسة في ظروف كثيرة كلّما احتاجت إلى المال، فبرزت بكلّ قوتها إبان الحروب الصليبية،

(1) - حنا جرجس الحضري: المصدر السابق، ص 59-60.

(2) - مريم بنت بنيان الحربي: البروتستانتية وأثرها على العالم، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدّين، قسم العقيدة، المملكة العربية السعودية، 1468هـ، المجلد الأوّل، ص 66.

(3) - أندروملر: المصدر السابق، ص 301-302.

(4) - حنا جرجس الحضري: المصدر نفسه، ص 60.

ففي عام 1095م أعلن البابا "أوروبان الثاني"⁽¹⁾، الغفران المطلق لجميع الخطايا لكل من يشترك في الحروب الصليبية⁽²⁾، جاء في بيان عن مشروعية هذه الصكوك في كنيسة روما: «قد عزمنا بفضل السلطان المخوّل لنا من السماء أن نفتح الباب على مصرعيه على ذلك الكنز المقدّس من استحقاقات الأم وفضائل المسيح ربنا ووالدته العذراء، وجميع قديسيه التي جعلها تحت تصرفنا صانع الخلاص للبشر، فمن واجبكم أيها الإخوة الأفاضل البطارقة والمندوبون ورؤساء الأساقفة والأساقفة يجب أن تشرحوا بكلّ إيضاح قوة الغفرانات وفعاليتها ليس فقط في الخلاص من العذاب التكفيرى الآتى، بل من العقاب الزمى الذي يوقعه عدل الله عن الخطايا السالفة، كما يجب أن تبيّنوا مقدار العون العظيم الذي يصل من هذا الكنز السماوي كنز استحقاقات المسيح وقدسيتها أولئك الذين ماتوا تائبين حقيقيين في محبة الله، ولكن قبل أن يكفروا تكفيرا كاملا بالثمر الذي يليق بالتوبة عن خطايا السهو والعمد وإلاّ يتطهرون بنار المطهر»⁽³⁾، وقد أصبحت صكوك الغفران التي يعطيها الكاهن على نوعين:

1-صكوك الغفران للأحياء: وكان على كلّ من يريد الحصول على هذا الصكّ أن يندم على خطاياها، وأن يعترف بها أمام الكاهن، ثمّ ينفذ العقوبات التي يفرضها عليه الكاهن بعد الإعراف لكي يكفر عن ذنوبه المرتكبة.

2-صكوك الغفران للأموات: وهو الحصول على صكّ لتحرير النفس المطهّرة من المطهر، وكان يمكن الحصول على هذا الصكّ كتابة، وينصّ الصكّ على عدد من السنين التي يريد الطالب أن يعفي من النفس المطهّرة من المطهر، وكان لكلّ صكّ ثمن معيّن سواء في التضحيات الشّخصية ودفع مبلغ من المال⁽⁴⁾.

ولقد كان المسؤول عن الحملة الدعائية لصكوك الغفران في زمن "لوثر" في بعض الولايات الألمانية هو الرأهب "Johan Tetzel"، فنظم حملات واسعة النطاق للدعاية والوعظ، فكان يصل إلى المدن التي كان يريد أن يبيع فيها الصكوك في موكب ضخم مهيب بالإعلام والأجراس، والشموع تتقدّمه

(1) - أوروبان الثاني: بابا روما (1024-1099م)، فرنسى اسمه أودو، كان رأهبا في دير كلّوني، ثمّ التحق بخدمة جريجوري السابع، عند انتخابه بابا دعا إلى الحروب الصليبية عام 1095م (الموسوعة العربية المسيرة: المرجع السابق، ص 110).

(2) - أندروملر: المصدر السابق، ص 259.

(3) - حنا جرجس الخضري: المصدر السابق، ص 440.

(4) - جون لومبر: المصدر السابق، ص 113.

إلى الكنيسة، هناك يعرض المرسوم البابوي على وسادة من القטיפفة على المذبح العالي، ومن تحتها الخزانة الحديدية لجمع التَّقود، وكان "تيزل" يباشر مواعظه مثيرا لعواطف الشعب نحو الأقباء الراحلين، ومؤكداً لهم أنه بمجرد أن ترد العملة النقدية في الصندوق تقفز الروح من المطهر»⁽¹⁾، هذا الأمر أثار إشمئزاز البعض مما أدى إلى عقد اتفاق سري بين بائع الغفرانات وبين الحاكم، على أن يتقاسمان الأرباح مقابل تشجيعه له، أما عامة الشعب البسيط فيخرجون من كل مكان، حاملين الشعارات والرايات والأموال فارحين من أجل الحصول على الشهادة التي تعلن أنّ أحد الأقباء قد توقّر له عدد من سنوات عذابه⁽²⁾.

وفي عام 1517م جاء "تيزل" لبيع صكوك الغفران، وكان جاهلاً وادّعى أنّها كفيلة لتخليص من يشتريها من كلّ ما ارتكب من إثم وخطأ حتى أكبر الكبائر، لأنّها تعوض التوبة والإعتراف للكهان، وهنا ثارت نفس "لوثر" وتحركت مشاعره، وانتّهب فرصة اجتماع أهالي "وتنبرج" بمناسبة عيد الشهداء، وبمناسبة تدشين الكنيسة احتجّ وعارض قرار الكنيسة⁽³⁾.

لم يترد "لوثر" في محاربة بيع صكوك الغفران، والتي رآها أنّها مجرد مفسدة تساهم في تنويم الضمائر، فقرّر إعداد تقرير ضدّ "خمس وتسعين" قضية باللغة اللاتينية لأنّها لغة العلماء آنذاك، وسمّره على باب كنيسة "ويتنبرج"، وأعلن استعداده لمناقشة هذه البنود والدفاع عنها في حوار مفتوح مع ذوي الشأن مؤكداً استعداده للرجوع عنها، إذا تبين عدم صحتها وتوافقها مع كلام الله⁽⁴⁾.

يعلق "sagrandeur Mer.C.B.Benni" فيقول: «فتارت غيرة لوثر لذلك واتقد قلبه حسدا وتقلّى على جمرات الغضب إذ فضلت الرّهنة الدومنيكية على رهبته في ذلك، فأخذ ينفث سمّه بكتابات بها يطعن الغفرانات المذكورة وينكر حقيقتها، فأقبل عليه أصحابه وكشفوا له الضلالة الجسمية التي أهوى فيها، فكان يعدّ تارة بإستقباحها والخضوع لحكم الكرسي الرسلي، وتارة ينعطف إليها بإصرار وعناد»⁽⁵⁾.

ويبدو أنّ تعليق "Sagrandeur" فيه لوم وإعتراض على رأي "لوثر" في صكوك الغفران ومحاربتة

(1) -جون لومير: المصدر السابق، ص 114.

(2) -عزت زكي، المصدر السابق، ص 47.

(3) -جلال يحيى: المرجع السابق، ص 442.

(4) -علي كابان عبد الكريم: المرجع السابق، ص 95.

(5) -قورلس بهنام بني: الدرّة النفسية في بيان حقيقة الكنيسة، دير الآباء الدومنيكان، الموصل، 1867م، ص: 5/4.

للكنيسة، ويرد "لوثر": «إنّ الصكوك البابوية لا تمحو الذنوب ولا تحقق المصالحة مع الله، المسيحي لا يمكن أن يشتري السلام مع الله فقط القلب المنسحق والمنكسر يسترد العلاقة الصحيحة»⁽¹⁾، فكان دائم الشعور بالقلق بسبب الآثار السلبية لصكوك الغفران فيقول: «الطمأنينة الكاذبة الفظيعة يمكن أن تضللّ البسطاء وتقودهم إلى الإعتقاد بأنّ نار غضب الله يمكن إطفائها بالمال»⁽²⁾.

فحاول "تيزل" استخدام كلّ نفوذ الدومينكان لكي يسكت صوته، لكنّ "لوثر" وجد دعماً من الرهبنة الأوغسطينية، فكان صراع بين الحركتين الرهبانيتين في السنوات الأولى للإصلاح.

وفي عام 1519م وجد "لوثر" نفسه أمام إصلاح الكنيسة من الخارج طالما أنّها لم تستجب من داخلها للدعوات المتكررة بإصلاح نفسها بنفسها⁽³⁾، فكتب "لوثر" خطاب مباشر للبابا يقول فيه:

" ليو العاشر إذ أعيش بين وحوش هذا الدهر الذين أشنّ الحزب عليهم للعام الثالث، أشعر بأني ملزم من حين إلى آخر أن أرفع نظري إليك أيها الآب المغبوط ليو، وأن أفكر فيك في الواقع حيث أنّه يتم النظر إليك من حين إلى آخر باعتبارك السبب الوحيد لحربي...." ⁽⁴⁾، وهنا جهر بخروجه عن البابا وقواعده، ويتمثل نص ما علقه (مارتن لوثر) على باب كنيسة "ويتنبرج" فيما يلي:

1- قال رينا وسيدنا يسوع المسيح: «توبوا لأنّه على المؤمنين أن تكون حياتهم عبارة عن توبة خالصة»، فيرى "لوثر" أنّه لا بد من التوبة حتّى يكون مؤمناً فيدخل في ملكوت المسيح.

2- لا توجد توبة ذاتية داخلية التي ليست موجهة ضدّ الدّين ينغمسون في شهوات الجسد، فأراد أن يوضح من خلالها أنّ هناك توبة واعتراف أمام الذات فقط لا البابا ولا الكاهن.

3- أنّ هذه الكلمة تجب أن لا تفهم بأنّها الكفارة المقدّمة عن الذنوب، والتي تعني الإعتراف بالخطايا لدى الكهنة (القس)، فهنا ينكر سر الإعتراف الذي تقرّ به بالخطايا لدى الكهنة (القس) في الكنيسة الكاثوليكية، وتعدّ سرّ من أسرارها (التوبة).

(1) - ماهر يونان عبد الله: الطوائف المسيحية في مصر والعالم، ت: جرجس صبحي، المركز المصري للطباعة، 2001م، ص: 158 .

(2) - المرجع نفسه، ص: 159.

(3) - أشرف صالح محمد سيد: أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ط1، دار وانا، للنشر الرقمي، الكويت، 2009م، ص: 101.

(4) - (مارتن لوثر): مختارات من كتابات الرجل الذي عبر تاريخ المسيحية، ت: هدى بهيج، ط1، سلسلة الكلاسيكيات المسيحية، 2017م، مج1، ص: 54.

- 4- لذلك فإنّ عقوبة الخطيئة تستمر طالما كراهية النفس لها مستمرة، حتّى إذا دخلنا ملكوت السمّوات، أي أنّ الخطيئة مستمرة مع ما يفعله وما يمارسه رجال الدّين الكنيسة.
- 5- البابا ليس له سلطان أو الحق أن يغفر الذنوب، ولا يستطيع أن يغفر تلك الخطايا التي تُبتهها بإرادته أو بالقوانين والشرائع الكنيسية التي سنّها، وفي هذا يلغي "لوثر" قدسية البابا، وإلغاء عقيدة أساسية من عقائد الكنيسة الكاثوليكية، التحليل والتحرّيم والوساطة.
- 6- أنّ البابا لا يستطيع أن يغفر أي ذنب يمكن يغفره الله، فالله وحده قادر على غفران الخطايا، فإنّ الخطيئة والشعور بالذنب والإثم سوف يبقى ولا ينسى.
- 7- الله لا يغفر الخطايا لأي واحد وفي نفس الوقت يجب على المذنب أن يتواضع، ويعترف بخطاياها أمام القس أو من يتوب عنه الخوري مثلا.
- 8- إنّ القوانين التي تخصّ التكفير والغفران عن الخطايا تنطبق على فترة الحياة ولا تعرض على حالة ما بعد الموت أي الوفاة.
- 9- لذلك فإنّ الروح القدس الحال في البابا، هو رحيم بنا لأنّه في مراسيمه دائما يستثني مقالة الموت التي هي ضرورة.
- 10- الجهل والشرّ هما من أعمال هؤلاء القسيسين الدّين في حالة الوفاة يهيئون ويحضّرون قانون التكفير عن الذنوب في المطّهر، وهو المكان الذي تبقى فيه الأرواح قبل الدخول إلى ملكوت السمّوات.
- 11- هذا التغيير والتبديل في العقوبات الكنسية إلى عقوبات في المطّهر هي واضحة بجلاء كظهور الرّؤان⁽¹⁾. الذي يزرع عندما ينام الأساقفة أي "الرعاة الكنسيون".
- 12- في الأزمنة السّابقة كانت العقوبات الكنسية لا تفرض بعدئذ، بل قبل الغفران كإمتحان، وإختبار الذات والإعتراف لأغراض التّوبة الحقيقية⁽²⁾.
- 13- الموت يحرّر بالوفاة من كلّ أنواع العقوبات الكنسية التي يجب أن ترفع عنهم، أي الأموات لهم الحق في أن يتخلصوا منها.

⁽¹⁾ - الرّؤان:عشب ينبت بين أعواد الحنطة غالبا ، حبه كحبها إلا أنّه أسود وأصفر،و هو يخالط القمح فيكسبه الرداءة(معجم اللغة

المعاصرة، (https://www.arabdict.com). استرجع يوم: 2022/2/3

⁽²⁾ - علي كابان عبد الكريم: المرجع السابق، ص: 159.

- 14- إن كانت صحّة الروح الحقيقية فيها نقص وشائبة، فهنا يجب أن لا هناك نقص وشائبة في المحبّة، فالموت يجلب معه الخوف وهو من الضرورة، خوف عظيم وقليل من المحبّة والأعظم هو الخوف.
- 15- الخوف والرعب هو أنّ هذا كافي لوحده (أن نقول لا شيء لأمر أخرى) لإستمرار عقوبة الدخول إلى المطّهر، والتي هي قريبة إلى الرعب من اليأس.
- 16- جهنّم، والمطّهر، والسماء، تظهر وكأّتها تختلف لتعلّم النّاس، وغالبا يسعى النّاس للتأكيد على الخلاص.
- 17- مع أنّ الأرواح في المطّهر، فمن الضروري أن يظهر بأنّ الرعب يخفّ والمحبّة تزداد.
- 18- ويظهر أنّه ليس من المؤكّد سواء بسبب ما ورد في الكتاب المقدّس، بأنّ هؤلاء (الذي في المطّهر) هم خارج حكم الغفران بسبب وفرة المحبّة لهم.
- 19- ويظهر مرة أخرى أنّه غير مؤكّد بأنّ هؤلاء أو على الأقل معظمهم واثقون أو موقنون من قداستهم الخاصّة، وهكذا فيجب علينا أن نكون واثقين تماما.
- 20- لذلك فإنّه بواسطة المغفرة التامة، فإنّ البابا لا يقصد جميعهم بل على الذين يفرض عليهم هذه المغفرة وهو بنفسه يقرّر ذلك.
- 21- إذن فإنّ هؤلاء الوعاظ والمبشرين بالغفرانات هم في خوف، والذي يقول بأنّه بواسطة غفرانات البابا سوف يصبح الشّخص معفوًا من كلّ عقوبة وينال الخلاص.
- 22- حيثما هو يغفر الأرواح في المطّهر (أي البابا) فلا عقوبة، وبموجب القانون الكنسي يجب أن يعاقب بها في هذه الحياة.
- 23- إذا كان من الممكن لمنح الغفران من الخطايا لأي واحد مهما كان، فهذا يؤكّد أنّ هذه الغفرانات سوف تمنح إلى الذي هو أكثر دائما من الذي أقل.
- 24- ويحتاج هذا، لأنّ إليه القسم الأكبر من النّاس يمدعون بواسطة الوعود غير المميّزة للخلاص من العقوبة.

- 25- السلطة التي يمتلكها البابا وبطريقة عامة حول المطهر تشبه تماما صلاحية تلك القوة التي هي موجودة لدى أي أسقف أو خوري بطريقة خاصة ضمن حدود خورنته وأبرشيته.
- 26- القوة التي يمتلكها البابا وبصورة عامة، يعمل جيدا إذ يغفر خطايا الأرواح فيه لا بقوة المفاتيح التي لا يملكها بل بواسطة شفاعته.
- 27- الواعظ الذي يقول: حالما يضع أي واحد فلسا يظنّ في صندوق التبرعات فإنّ روحه سوف تطير خارجة من المطهر.
- 28- من المؤكّد عندما يظنّ الفليس في صندوق التبرعات يريح ويخجل، ويمكن أن يتضاعف ويزداد لكن النتيجة هي شفاعة الكنيسة التي هي بقوة الله وحده.
- 29- من يعلم فيما إذا كلّ الأرواح التي هي في المطهر سوف تشتري فتخرج منه، كما هو وارد في أسطورة العشاء الرباني.
- *إحتجاجات لوثر من (1-29) تمثل إحتجاجه ضدّ صكوك الغفران للنّفوس المطهّرية، حيث حاول أن لا يتعدى رعاية الكنيسة وتوجيه الناس فقط وليس له سلطان على الأرواح في المطهر.
- 30- لا يوجد ما يؤكّد بأنّ توبته مخلصة، وأنّ ندمه من كلّ قلبه وهي أقلّ ما يتطلب للحصول على غفران كامل.
- 31- أنّ الرجال التائبين والنادمين هم قلة ونادرون في الحقيقة، وهكذا الإنسان الذي يشتري الغفران نذرًا، هناك أناس على الأغلب نادرون.
- 32- على الناس أن يكونوا على حذر ضدّ هؤلاء الذين يدّعون أنّ عفو وصفح وغفران البابا هدية لا تتمن من قبل الله بواسطة الرجل الذي يسترضيه ويعتمد عليه (ويقصد به البابا).
- 33- لهذه النعم المقدّسة تخصّ العقوبات فقط للأسرار المقدّسة، وهذه هي محدّدة من قبل إنسان رجل واحد وهو البابا.
- 34- أنّهم يوعظون ويعلمون بأنّه لا يوجد مذهب مسيحي يعلم بأنّ الندم والإعتراف بالإثم ليس ضروريا للذين ينوون شراء الأرواح لتخرج من المطهر أو لشراء كرسي الإعتراف.

35- كلّ مسيحي حقيقي حيا كان أو متوفي له نصيب في كلّ النعم والبركات التي وهب المسيح له وكذلك الكنسية، وهذه منحت له من إله بدون رسائل الغفران.

36- كلّ مسيحي تائب توبة حقيقية له الغفران الكامل الصحيح لكلّ عقوبات وآثامه، حتّى بدون رسائل الغفران.

37- و رغم ذلك فإنّ الغفران والإشتراك في نعم وبركات الكنيسة، والتي هي مخلّعة وممنوحة من قبل البابا ليست مرفوضة ومختصرة، فهي غفران إلهي مقدس.

38- من الصعب جدا حتّى رجال ووعلماء الكنيسة معًا، وأنّه في نفس الوقت أن يأمرنا ويوجدوا الناس أو أي واحد ليكونوا متسامحين في العفو والغفران، وأنهم بحاجة إلى ندامة وتوبة حقيقية، وفي هذه يؤكد "لوثر" على وجوب الإعتراف أمام الكاهن.

39- التوبة والندامة الحقيقية تبحث وتجب العقوبات، ولكن العفو والصفح بسخاء ويوفر يخفف العقوبات فقط ويكون سببا في كرهاها أو على الأقل يجهز ويهيء فرصة لكرهاها والإبتعاد عنها.

40- يجب الوعظ والإعلام عن مسامحة رسولية مع التنبيه والتحذير لأنّ معظم الناس لا يفكرون بالقيام بأعمال جيّدة توفرها المحبّة والمودّة.

41- يجب أن يعلم المسيحيون بأنّ البابا لا يقصد بيع الغفران ليقرن بأية طريقة مع أعمال الرّحمة.

42- يجب أن يعلم المسيحيون بأنّ الذي يتصدّق على الفقير ويساعد المحتاج يعمل عملا هو أفضل من شراء الغفرانات.

43- بما أنّ المحبّة تزداد وتنمو بأعمال المودّة والحبّ والخير ويصبح الإنسان بها على أحسن حال، فبالغفرانات لا يصبح الإنسان أكثر سموا أو يذهب نحو الأحسن، بل يصبح أكثر حرّية من العقاب.

44- على المسيحيين أن يعلموا بأنّ الذي يرى إنسانا محتاجا ولم يساعده، بل يعطي نقوده للكنيسة لكسب الغفران لا يشتري غفرانات البابا، بل سخط لله.

45- على المسيحيين أن يعلموا أنّه ما لم يكن لهم أكثر ممّا يحتاجون إلى الله في سبيل عشيتهم منهم يجب عليهم، أن يحتفظوا بما هو ضروري لهواهم الخاصّة، لا أن يبدّدوا أموالهم في سبيل كسب الغفرانات.

46- يجب على المسيحيين أن يعلموا بأنّ شراء الغفرانات هي قضية إرادة حرة محضة، وليست أمراً أو وصية تطبق إجبارياً.

47- يجب أن يعلم المسيحيون بأنّ البابا في تأمينه للغفرانات فهو يحتاج له حاجات ورغبات صلواتهم الورعة التي تتلى لأجله خير من النّقود التي يقدمونها.

48- على المسيحيين أن يعلموا أنّ غفرانات البابا هي مقيدة إذا هم لم يصنعوا ثقتهم بها لكنّها مضرة، لأنّه من خلالها يفقدون خوفهم بالله.

49- على المسيحيين أن يعلموا فيما إذا عرف وعلم البابا ابتزاز وغفرانات لوعظ للنّاس، فإنّه نادراً ما يعلم بأنّ كنيسة القديس بطرس سوف تتحول إلى تراب ورفات وبعد ذلك يجب أن تبنى بواسطة جلد ودم وعظام خراف رعيته.

50- على المسيحيين أن يعلموا إن كانت هذه هي إرادة البابا، وكواجب عليه يفرض عليه أن يقدم أمواله الخاصّة للعديد من هؤلاء الباعة المتجولون، وحتىّ إذا وصلت الحاجة لبيع القديس بطرس، والقصد منه أنّ الذين كانوا يبيعون به غير صحيح ولا تصل إلى الجهات العليا منها إلاّ القليل.

51- أنّ تأمين الخلاص والإنقاذ بواسطة رسائل الغفران إن هو إلاّ ابتزاز واغتصاب حتىّ الذين هم المندوبون والبابا نفسه رفضوا ذلك، فإنّهم يضحّون بأنفسهم في سبيل ذلك.

52- هؤلاء هم أعداء المسيح وأعداء البابا الذي جعل كلمة الله تتعرض للمزايدة وتبقى صامته في بعض الكنائس في سبيل تلك الغفرانات التي يجب أن يوعظ ويؤكّد عليها في الكنائس بدلا من كلمة الله.

54- ظلم وضرر قد جرى على كلمة الله، لأنّ الوقت المخصّص للوعظ بالغفرانات هو ضعف الوقت الذي يخصّص لشرح كلمة الله.

55- من الملاحظ في الكنائس أنّ هدف البابا ومقصده حول الغفرانات والتي هي أمور بسيطة يحتفل بها بمرّ جرس وأحد مع احتفال فردي وبعد ذلك يقرأ الإنجيل الذي يعتبر أعظم شيء في الإحتفالات، الذي يجب أن تضرب له أجراس عديدة، ومئات المواكب والإحتفالات.

56- إنّ خزائن وأموال الكنيسة خارجة عن سلطة البابا، وعن تأمين غفراناته.

- 57- لأنها ليست ثروات دينيوية زائلة وهذا واضح بالتأكيد لدى العديد من الباعة الذي لا يكسبونها عبثا وبسهولة، ولكن فقط يجمعونها ويكسدونها.
- 58- أنها ليست غفرانات السيد المسيح ولا القديسين وحتى بدون البابا دائما تقل عملها ورحمتها داخل الإنسان، والصليب، والموت، وجهنم، للرجل الخارجي.
- 59- قال "القديس لوزنس": "أنّ خزائن وثروات الكنيسة كانوا فقراء الناس، وهنا يستعمل القديس بموجب إستعمال الكلمة في ذلك الزمان الذي عاش فيه".
- 60- بدون طيش أو أي تهور نحن نقول بأنّ مفاتيح الكنيسة، أعطيت بغفرانات المسيح وهي ملك الثروات والخزائن.
- 61- أنه لمن الواضح: لأجل مغفرة الخطايا لحالات ما يجيء به المستقبل فإنّ قوة البابا بنفسها كافية لذلك.
- 62- أنّ الكنوز الحقيقية للكنيسة هي على الأكثر الإنجيل الذي هو شعاع البشارة الممجدة ونعمه الله.
- 63- لكنّه من الطبيعي أنّ الكنوز هي مكروهة لأنها تجعل الأول أن يكون في آخر الإنجيل.
- 64- من جهة أخرى فإنّ كنوز الغفرانات طبيعيا هي المقبولة أكثر لأنها تجعل الخير أن يحل محل الأول.
- 65- لذلك فإنّ خزائن الإنجيل هي شبكات والتي بما أولا كان يصطاد الرجال الأغنياء.
- 66- أنّ ثروت وكنوز الغفرانات هي شبكات، التي هي الآن تصيد الأثرياء من الناس.
- 67- الغفرانات التي ينادي الوعظ بها ويتباكون عليها معتبرين غياها أعظم الرحمات هي معروفة لتكون في الحقيقة هكذا، وعلى المدى البعيد تعزز المكاسب.
- 68- على الرغم من أنّ الغفرانات هي في الحقيقة الأصغر من النعم إذا قورنت مع نعمة الله.
- 69- الأساقفة والخورنات لها أن تحدد لتسمح وتفسح المجال للمندوبين والمسؤولية عن الغفرانات مع كلّ التبجيل.

- 70- لكن لا يزال معظم الذي يرتبطون بالخورنات ليسد دواء عيونهم ويضعوا بكل آذانهم، إلا قليل من الرجال الذين لا يعظون بموجب أحلامهم الخاصة عوضا أن تكون لهم علاقة برجال البابا.
- 71- الذي يتكلم ضد الحقيقة وحول الغفرانات الرسولية دعه، وليكن محروما وملعوناً.
- 72- لكن الذي لا يزال حارسا وحريصا، وضد الرغبات والشهوات والفسوق والفجور ورخصة غفرانات الوعاظ دعه يكن مبارك.
- 73- أن البابا وبكل عدل يردد ويرفع صوته ضد هؤلاء الذين بواسطة فهمهم، وأية طريقة أخرى يخططوا لها الأحرار والإساءة لإعاقة مسيرة رسائل الغفران.
- 74- لكن بالرغم من كثرة ما يقصد ويصرخ لبابا ضد هؤلاء، فأنتهم يستعملون الغفرانات ويأخذونه، صحبة وذريعة لإيجاد وسيلة لإلحاق الضرر بالمسيرة الحقيقية والمحبة المقدسة.
- 75- لكي تعتقد بان الغفرانات البابوية كم هي عظيمة على درجة أنها تستطيع أن تبرئ وتحلل للشخص حتى إذا كان قد ارتكب خطيئة محال وانتهاك حرمة أم الله، وهذا جنون.
- 76- نحن نقول عكس ذلك بأن غفرانات البابا ليست قادرة على إزالة الهفوات الصغيرة ضد التي لا يمكن الصفح عنها بقدر ما يكون ذنبه قد ازداد.
- 77- وقد قيل: حتى القديس بطرس إذا كان الآن لا يستطيع أن يمنح نعماً أعظم وهذا يعتبر تجديفاً ضد بطرس والبابا.
- 78- نحن نقول عكس ذلك: فأنه حتى البابا الحاضر وأي بابا آخر مطلعاً وفي كل ما عنده من بركات وأكثر، وفي ترتبه لأن يكون فصيحاً في الإنجيل وفي القوة والهبات السماوية.
- 79- لنقل: عن الصليب الذي مهد ومزخرف رمزين بأسلحة البابا وأذرع، والذي يستقر بأذرع وعاظ الغفرانات هو النظير المساوي لصليب السيد المسيح، فإن هذا القول هو تجديف.
- 80- الأساقفة والخورنات وعلماء الدين يسمعون بهذه الأقاويل لتنتشر بين الناس سيكون لهم حساب عسير عنيفاً⁽¹⁾.

(1) - علي كابان عبد الكريم: المرجع السابق، ص: 160-166.

81- هذه المواعظ التي تكبح وقد أطلق لجامها تجعل الأمن من هناك مسألة أن تكن غير سهلة حتى للناس المتعلمين ليخلصوا من العقاب بسبب البابا المفترى عليه أو حتى من الأسئلة اللاذعة التي ترد من سواد الناس وعامتهم.

82- لكي نعلم ونفهم: لماذا لا يعمل البابا لأجل أن يفرغ المطهر لإنقاذ الحب لمقدس والحاجة الرهيبة للأرواح الموجودة هناك، إذ هو يجرر ويفتدى عددًا غير محدود من الأرواح في سبيل كسب النقود الدنسة التي تبني بها الكنيسة، فالأسباب السابقة ستصبح تأكيدًا أكثر وأخيرًا فهذا شيء عادي ومبتذل وتافه.

83- لماذا تقام القداديس والصلوات لأجل المقابر والذكريات أوقاف في حياته منذ زمن هو الخطأ ليصلي على المرتدين.

84- ومرة أخرى ماهي الرحمة الجديدة لله والبابا، هل هي لأجل التَّقود إذ الخروج من عذاب المطهر، ويشترى روح الله الورعة كصديق لله، ولأنّ ذلك الورع وروحه المحبّوبة تملك الحاجة إلى ذلك التحرر لحبّ المصلحة.

85- لماذا كانت قوانين التوبة الكنسية طويلة منذ أن كانت ذات فعالية حقيقية فأصبحت ميتة والآن مقبولة، وذلك بتأثير الغفرانات كما كانت وإلى الآن قوية.

86- ومرة أخرى: نقول لماذا بابا اليوم الذي ثروته هي أعظم من أي أغنياء العالم يبني تمام هذه الكنيسة الوحيدة كنيسة القديس بطرس على حسابه الخاص ومن أمواله، مفضلًا نقود فقراء معتقدين⁽¹⁾.

فمن المسألة (30) غلى غاية المسألة (86) يتكلم فيها "لوثر" أيضا على صكوك الغفران الخاصة بالأحياء، وشرح فيها أنّ الشرط الأساسي للحصول على الغفران هو التوبة الحقيقية وتبين من هنا أنّ "مارتن لوثر" لم يكن في أول دعوته معارضا للكنيسة، وإنما أراد التغيير والتّجديد.

87- و ثانية ما الذي يجعل البابا يغفر وما مشاركته ليؤمن لأولئك الذين هم يندمون ندما تاما، هل عنده مشاركة ومساهمة صحيحة في الغفران.

(1)-علي كابان عبد الكريم: المرجع السابق، ص 167.

88-وثانية: ماهي البركات العظيمة التي تأتي إلى الكنيسة فيما إذا كان البابا يعمل مئة مرة خلال اليوم ما يعمله الآن مرة واحدة ويمنح من يعتقد الغفرانات والمشاركات ومفضلا إياها على الأموال.

89-منذ متى كان البابا وغفراناته يبحث عن إنقاذ الأرواح دون الأموال، لماذا يعلق ويحرم مؤقتا الغفرانات الكنسية المؤقتة حتى الآن، ولتي كان لها نفس التأثير.

90-فليكبح ويقمع هذه المناقشات والشكوك لموجود لدى عامة الناس بالقوة وحدها ولا يجلها بإعطاء الأسباب الموجبة، هذا يؤدي إلى فضح الكنيسة والبابا وتعرضها إلى سخرية أعدائها وتجعل المسحيين يشعرون بالإحباط وعدم السرور.

-أما المسألة من 69- إلى غاية 90، تحذر "لوثر" الذين يرتكبون الخطايا والموبقات بدعوى أنهم حصلوا على صكوك الغفران، كما أنه تحدث عن المبالغة في سلطان البابا.

91- لذلك فإن الغفرانات كان يوعظ بها بموجب الروح والعقل لدى البابا كل هذه الشكوك سوف تحل، لابل لا تكون مخرجا أو وجودا.

92-بعيدا، وبعدهد ومع كل هؤلاء الأنبياء الذين قالوا للناس المؤمنين بالسيد المسيح، سلام، ولكن لا يوجد هذا السلام.

93-رحمة على أولئك الأنبياء الذين قالوا لجماعة المؤمنين بالمسيح الصليب، ولكن لا وجود للصليب.

94-المسيحيون كلهم يجب أن يبحثوا وينصحوا ليكونوا متقنين ومجتهدين للمسيح القادم رئيسهم، خلال الدنيوية والموت وجهنم.

95-وهكذا ستكون واثقا من دخولك اللجنة مع الأكثر من خلال العديد من المحن بدلا من ترسيخ السلام⁽¹⁾.

-أما من المسألة 91 إلى غاية 95-يحتم "لوثر" هذه الاحتجاجات بتحذير لشعب من الأنبياء الكذبة الذين ينادون للشعب بالسلام، ولا سلام حقيقي، يعلن للشعب أن دخول السماء أو الحصول

(1)- علي كابان عبد الكريم: المرجع السابق، ص 167-168.

على الخلاص ليس طريقا هينا لينا يشتري ويبيع بالمال، إن دخول ملكوت السموات لا يتم بالوعود الكاذبة بل بالتوبة الحقيقية وانسحاق القلب⁽¹⁾.

وختم "لوثر" هذه الملصقة بالقول:

«أيها الأب الأقدس أني ألقى نفسي أمام قداسكم خاضعا بكل مالي وحالي، أذبحوني أو أقتلوني... إنني أقبل صوتكم كما لو كان صوت المسيح متكلمًا عاملا فيكم، فإن كنت أستحق الموت فلن أرفضه لأن للرب الأرض وملؤها، فليكن إسم الرب مباركا، وليحفظكم الله للأبد»⁽²⁾.

لقيت هذه الإحتجاجات دعما واسعا بين أولئك الذين دعموا "لوثر"، وانضموا إلى صفوفه، مدفوعة بعوامل مختلفة:

فأبدى البعض بسبب كراهيتهم وتدمرهم من الضرائب التي فرضها عليهم البابا، ودعمه الفلاحون لأنهم توقعوا أن تكون هذه الحرية الدينية التي وفرها لوثر وسيلة لتحريرهم من قيود العبودية⁽³⁾، وأيدته البعض من المتحمسين لهدم كل شيء في الأنظمة القديمة وخلق عالم جديد يتماشى مع عصر النهضة⁽⁴⁾.

وعلى إثر ذلك اتهم "لوثر" بالهرطقة، وأنه راهب مخمور مختل العقل، وحررت معه عدة مجالات ومناقشات للعدول عن رأيه، إلا أن "لوثر" أصر على رأيه وموقفه، فأصدر البابا "ليو العاشر" في يناير 1521م، قرارًا بجرمانه وحرق مؤلفاته.

فصدرت وثيقة بابوية عقب مجمع لاتيران الخامس، تحت مسمى "جواب على مقالات" مارتن لوثر بعنوان الغفرانات مما جاء فيها: «الحبر الروماني، خليفة بطرس، لذي ألقى إليه سلطة المفاتيح ونائب المسيح يسوع على الأرض، بقرة سلطة لمفاتيح التي تفتح ملكوت السموات ينزعها ما يحول دون ذلك في المؤمنين أعني الخطيئة، وعقوبة الخطايا الفعلية: الخطيئة بسر التوبة، والعقوبة الزمنية على حسب

(1) - حنا جرجس الحضري: المصدر السابق، ص 55-56.

(2) - القس فايز فارس: المصدر السابق، ص 32.

(3) - سلوى بنت أحمد بن يحيى المحرزي: التناقضات العقديّة بين الطوائف النصرانية وآثارها، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، جامعة أم القرى، المملكة السعودية، 1434هـ-1435هـ، ص 186.

(4) - هيلين إليبري: الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، ت: سهيل زكار، دار قتيبة، ص 109.

العدالة الإلهية بغفران الكنيسة، فالخبر الروماني يستطيع لأسباب عديدة أن يمنح هؤلاء المؤمنين، أعضاء المسيح برابط المحبة في هذه الحياة أو في المطهر، غفرانات مستمدة من فيض استحقاقات المسيح والقديسين، فعندما يمنح بسلطته الرسولية الغفران للأحياء والأموات، يوزع على عاداته كنز استحقاقات يسوع المسيح والقديسين، جاعلا الغفران بالحل "الإعتراف"، أو على سبيل التوسل ولهذا فجميع الذين نالوا هذا الغفران سواء كانوا أحياء أو أمواتا قد تحرروا من العقوبة الزمنية الناجمة بموجب العدل الإلهي، عن خطاياهم الحالية.

بقدر الغفران الممنوح أو المكتسب، وإننا نقرر بسلطتنا الرسولية وبمضمون هذه الرسالة أنه هكذا يجب أن يكون التفكير والوعظ تحت طائلة الحرم المسبق»⁽¹⁾.

المطلب الخامس: "مارتن لوثر" والكنيسة

بعد أن أعلن "لوثر" أنه لا يؤمن بعصمة البابا والمجامع صدر ضده مرسوم من البابا أطلق عليه مرسوم البراءة، جاء فيه: "أهض يا رب انتصر لقضيتك على الثعالب الضارية التي تسعى لتدمير الكوكب وعلى الخنزير الذي يريد إتلافها" بمعنى أن البابا وحاشيته قد أدركوا حقيقة خطر "لوثر" على مصالحهم الخاصة، فردّ عليه "لوثر" بتأليف ثلاثة مؤلفات وهي:

الفرع الأول: رسائل إلى نبلاء الأمة المسيحية الألمان

يعتبر هذا الكتاب العمود الفقري للحركة الإصلاحية، وذلك لمحتواه الشامل بشأن هذه الأمة وربط الشعور القومي لدى الألمان بأبعادها المختلفة، وخاصة الإستغلال المادي من جانب الإيطاليين للشعب الألماني النبيل، الذي اسند إليه هذه المهمة الربانية وتحقيق هذه الرسالة لإصلاح الكنيسة، ولهذا كان مضمون هذا الكتاب ونصوصه أثرا كبيرا لدرجة أن الطبعة البالغة أربعة آلاف نسخة قد نفدت في خلال أسابيع قليلة من طبعها.⁽²⁾

⁽¹⁾ - هيلين إليزي: المصدر السابق، ص: 110.

⁽²⁾ - موسى بن عقيلي بن احمد الشيعي: تقديس الأشخاص عند النصارى وآثاره رساله ماجستير كلية الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة جامعة أم القرى المملكة السعودية 1429 هـ، ص 378.

الفرع الثاني: السبي البابلي للكنيسة:

يهاجم "لوثر" في مؤلفه هذا كنيسة روما أسرارها السبعة، وما تضمّنته من شعائر مقدّسة، فأنكر هذه الأسرار، ولم يعترف إلاّ بسرّين منها وهما التعميد، والعشاء الرباني والذي نقدّ فيه مبدأ التناول الخاص بالعشاء الأخير والذي يتمّ ممارساته في القدّاس الكاثوليكي وعدم إقتنائه بالإستحالة، ويكون "لوثر" بتوجّهاته هذه قد حطّم كرامة وسيادة طبقه رجال اللاهوت.⁽¹⁾

الفرع الثالث: كتاب حربه المسيحي

في هذا الكتاب ذكر "لوثر" بأنّ الخلاص من العذاب لا يأتي عن طريق الأسرار السبعة والأعمال الصّالحة، وإتّما يأتي عن طريق الإيمان، وأجاز لرجال الدّين الزواج مثل عاقّة النَّاس، وأعلن فيه أنّ المسيح هو إنسان حر⁽²⁾، بالإضافة إلى مؤلفات ومنشورات أخرى.

في عام 1521م استدعى الإمبراطور شارل الخامس (1519-1556م) "لوثر" للحضور أمام الدايت من (الجلس النيابي) الألمانيّ المجتمع في مدينة "وورمز"⁽³⁾ برئاسة الإمبراطورية نفسه للمحكمة فطلب ممثل البابا منه تغيير موقفه والتراجع عن كلّ ما قام به، إلاّ ان لوثر رفض ذلك أمام الإمبراطور وأمراء ألمانيا بقوله: "ما لم اقتنع بشهادة الكتاب المقدّس أو بسبب واضح لأني لا أثق في البابا ولا في الجامع وحدها حيث أنه من المعروف أنّهم كثيرا ما أخطأوا وناقضوا أنفسهم فأنا ملتزم بأقوال الكتاب المقدّس التي اقتبستها وضميري أسير كلمة الله أني لا أستطيع أن أنكر أي شيء، فإنه ليس مأمونا ولا صوابا أن أخالف الضّمير، لذلك لا أستطيع أن أفعل شيئا خلافا لذلك هنا أثبت، ليت الله يعينني"، فأثر "لوثر" بكلامه في بعض الأمراء في الدايت، عدا الإمبراطور الذي لم يتأثر وطلب منه ترك القاعة، وسمح له بالرجوع إلى محل إقامته في سكسونيا وذلك للأمانة الذي منحه أيّامه لمدة شهرين ومدة محاكمته⁽⁴⁾.

(1)- عبد الغني محمود: المسيح والمسيحية والإسلام، ط1، دار الفكر، القاهرة 1984 م، ص2

(2)- يوسف الحارث غنيمّة: البروتيسانت والإنجليون في العراق، مطبعة الناشر المكتبي، بغداد، العراق، 1983 م، ص 17.

(3)- مدينة وورمز: تقع في وادي نهر الراين العلوي بولاية رايتلاند بإلاتينيات الألمانية جنوب غرب البلاد.

(4)- عليّ كاهان عبد الكوم: المرجع السابق، ص: 97.

ولما إنتهت مدة الأمان في 26 جانفي 1521 مصدر مرسوم وورمز الدّي نص جزء منه على ما يأتي: " يجب أن يعتبر "مارتن لوثر" من كلّ منا ومنكم ومن كلّ واحد عضوا مقطوعا من الكنيسة، ومن الله، ومنشقا عنيدا وهرطوقا مجاهرا واجب القبض عليه حيا أو ميتا إلا أنّ أمير سكسونيا "فريدريك الحكيم" قام بحمايته وقدم له الملجأ في قلعة "وارتبرج" التي كانت تقع في قمة أحد جبال مقاطعة سكسونيا ولكن هذه الإجراءات فشلت في كفح إنتشار أفكار لوثر خلال المدة التي قضاها في القلعة، ووقف "لوثر" نفسه لترجمة الكتاب المقدّس من اليونانية إلى الألمانية عام 1522م.⁽¹⁾

وأخذت تعاليم "لوثر" بالإنتشار في الكثير من المدن الألمانية، إلاّ أنّه ظهر في تلك الفترة متعصبون دينيون وافدون من جميع أنحاء أوروبا إلى ألمانيا، وقاموا بأعمال العنف والهجوم على الكنائس، هذه الأمور أضرت كثيرا بقضية الإصلاح لأنّ الكاثوليك استغلوا هذه الحادثة، وأنهموا "لوثر" بتشخيص أعمال الشغب والإضطراب فإضطر للعودة إلى "ويتنبرغ".⁽²⁾

وفي العام نفسه بدأ بإلقاء سلسلة من العضات الدّينية دعا فيها بشدّة إلى مراعاة النظام، وأعلن بأنّ حركة الإصلاح الديني بريئة من العنف وإراقة الدماء كوسيلة لتحقيق أهدافها.⁽³⁾

الفرع الرابع: ثورة الفلاحين

وفي عام 1525 م، قام الفلاحون بالثورة ضدّ النبلاء ورجال الدّين وذلك لغرض التخلّص من الضرائب والتحرر من ساداتهم، وقام بعض الفلاحين بالدعوة إلى قتل القساوسة والأشراف فعمت الفوضى واشتدّت الثورة مما أدى إلى خوف النبلاء على أنفسهم.

أمّا "لوثر" فقد عطف في بادئ الأمر على الفلاحين، ونصحهم بالدخول إلى الكنيسة، فلمّا رفضوا ذلك وإستمروا في الفوضوية انقلب عليهم، وطلب من الحكومة القيام بإستخدام الشدّة والقسوة لأجل القضاء عليهم فاستجاب الأمراء لطلب "لوثر" وحاربوا الفلاحين ولم تستقر الحال إلاّ بعد أن قتل منهم 10,000 فلاح.

⁽¹⁾ علي كابان عبد الكريم: المرجع السابق، ص: 98.

⁽²⁾ أحمد عبد الغفار عطار: الديانات والعقائد في مختلف العصور، ط1، مكة المكرمة، 1981م، ج3، ص: 524.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص: 524.

وفي عام 1526م، اجتمع الدايت الألماني في مدينة "شيفرين"⁽¹⁾ للبحث في المسألة الدينية وتمثيل قرار مجمع "وورمز" بحق "مارتن لوثر" والذي يقضي بطرده من الكنيسة إلا أنه لما اجتمع المجلس أصدر قرار في غير مصلحة الكنيسة والذي قرّر فيه أنّ لكلّ أمير الحق في أن يسلك السبيل الذي يراه صالحا في موضوع قرار مجمع "وورمز" وهو في ذلك مسؤول أمام الله والإمبراطور، وبذلك أعطى الحق لكلّ أمير حرية إختيار المذهب الذي يريد اعتناقه إلا أنّ مجلس "سيشرا" انعقد مرة أخرى في 1529 م، وكان الكاثوليك هم الأغلبية في هذا المجلس فأصدر الإمبراطور "شارل الخامس" الأمر بأنّه لا يجب إجراء تغييرات كنسية جديدة، وأن يسمح بإقامة العبادات الكاثوليكية في المناطق اللوثرية وأصدر قرار "ورمز" ضدّ اللوثرين⁽¹⁾، فأعلن اللوثريون إحتجاجهم ضدّ تلك القرارات ومن هنا أطلق عليهم إسم "المحتجين" "protestant"، وهم الذين رفضوا تعاليم الكنيسة الكاثوليكية.

المطلب السادس: وفاته وأهم مؤلفاته

الفرع الأول: وفاته

و في السنوات الأخيرة من حياة "لوثر" عانى من ظروف صحّيّة كالدوار، والإغماء والطنين، وإنسداد إحدى عينيه خاصّة من عام (1531م إلى غاية 1546م) على إثر الصراع مع روما للشقاكات بين زملائه الإصلاحيات وموافقته قيام الأمير "فيليب" الزواج بزوجتين كلّ هذا زاد من تدهور صحته، وفي عام 1576م عانى "لوثر" من الحصى في الكلى، والمثانة وإلتهاب المفاصل والأذن وتمزق طبلة أذنه، وفي 1544م بدأ يشعر بآثار الذبحة الصدرية، هذا التدهور الصحي جعله سريع الغضب وشديد القسوة في كتاباته وتعليقاته فكانت آخر خطبة له في كنيسة "أيسلين" مسقط رأسه عام 15 فيفري 1946م، قبل ثلاث أيام من وفاته وقد خصّصها بشكل كامل لليهود حيث اقترح فيها الإستعجال بطردهم من ألمانيا إن لم يصبحوا مسيحيين حتّى لا ينتشر الكذب والإفتراء في ألمانيا.

وفي 17 فيفري تناقش مع أشقائه حول إرث والده في تلك الليلة بعد السّاعة الثامنة تماما شعر بالألم في صدره، وعند العاشرة استيقظ نتيجة شعوره بزيادة ألم في صدره وكان آخر كلام له مع صديقه

(1)- محمد أبو حطب خالد: مارتن لوثر والإسلام، ط 1، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ص: 53.

"جوستوس جونانس" و"ماكيل كوليبوس" فسأله أيها القس الآب هل أنت مستعد للموت بثقة في المسيح وأنت معترف بالمذهب الذي كنت قد عملت بإسمه، فكان ردّه نعم قبل السكتة الدماغية التي منعته من الكلام لاحقاً، وعند الساعة الثانية وخمس وأربعين دقيقة صباحاً.⁽¹⁾ يوم 18 فيفري 1546م، توفي وله من العمر 62 عاماً مباشرة بعد وفاة إبنته "لينشن" "Lenchen" في الثالثة عشر من عمره. ودفن في كنيسة القاعة في "فيتنبرغ"، وقد عثر لاحقاً على قطعة من الورق الذي كان قد كتبها باللاتينية: "إننا جميعاً شحاذون.... هذه هي الحقيقة".⁽²⁾

الفرع الثاني: مؤلفاته

بعد أن أعلن "لوثر" أنّه لا عصمة للبابا والمجامع صدر مرسوم في حقه من البابا أطلق عليه مرسوم "البراءة" وقد جاء فيه: "أنهض يا رب انتصر لقضيتك على التّعاليب الضارية التي تسعى لتدمير كرمكم وعلى الخنزير الذي يريد إتلافها" فكان رد "لوثر" على ذلك بتأليف ثلاثة كتب وهي:

1- كتاب رسائل إلى نبلاء الأمة المسيحية الألمان: يعتبر العمود الفقري للحركة الإصلاحية

وذلك لإحتوائه على برامج شاملة بشأن هذه الأمة وربط الشعور القومي لدى الألمان وخاصة إستغلال المادي من جانب الإيطاليين للشعب الألماني الذي أسند إليه مهمه إصلاح الكنيسة وقد كان لمضموني هذا الكتاب الأثر الكبير لدرجة أنّ الطبع البالغة أربعة آلاف نسخة قد نفذت في خلال أسابيع قليلة من طبعها⁽³⁾

2- كتاب السبي البابلي: إحتوى هذا الكتاب على تنفيذ وانتقاد "لوثر" لأسرار الكنيسة السبعة

وما تضمنته الكنيسة من شعائر مقدسة فنكر هذه الأسرار ولم يعترف إلاّ بسرّين وهم التعميد، العشاء الرباني فإنّ نقد مبدأ التناول في هذا الأخير وكيفية ممارساته في الكنيسة الكاثوليكية فلم يقتنع بالإستحالة ويكون بذلك قد حطم كرامة وسيادة طبقة رجال اللاهوت.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ - نقلاً عن موقع <https://www.aljazeera.net>، على الساعة: 23:00.

⁽²⁾ - القس فايز فارس: المصدر السابق، ص: 40.

⁽³⁾ - موسى بن عقيلي بن أحمد الشيخ: المرجع السابق، ص: 378.

⁽⁴⁾ - عبد الغني محمود: المرجع السابق، ص: 139.

3- كتاب حرية المسيحي: في هذا الكتاب ذكر "لوثر" بأنّ الخلاصة من العذاب لا يأتي عن طريق الأسرار السبعة والأعمال الصالحة عندما يأتي عن طريق الإيمان كما أجاز لرجال الدين الزواج مثل عامة الناس، وأعلن فيه أنّ المسيحي هو إنسان حر⁽¹⁾. بالإضافة إلى عدة رسائل وكتب أخرى مثل: -ترجمة الكتاب المقدّس في اللّغة الألمانية عن النص اليوناني الذي نشره "إيراسموس"، ألفها "لوثر" عام 1521م.

- كتاب في عبودية الإرادة وكتبه "لوثر" ردا على كتاب "إيراسموس" في حرية الإرادة كتبه عام 1525م.

-رسالة حول المجامع الدّينية كتبه عام 1539 م

-رسالة ضدّ مجددي التعميد.

-رسالة باباوية روما أسسها الشيطان.

-رسالة أحاديث المائدة.

-تفسيرات لبعض أسفار العهد القديم والعهد الجديد .

-حواشي على بعض مؤلفات القديس أوغسطين.⁽²⁾

وله العديد من الكتب الأخرى تضمنت بعض الأفكار التي تتصل برسائله الإصلاحية بشكل مباشر وقد لاقت هذه الكتابات تأييد الكثير من النّاس وإلتف حوله أتباع ساخطين على تصرفات الكنيسة في روما تبنا أفكار "لوثر" وحده فأنكروا حق الغفران والإعتراف وطقوس العشاء الرباني وغيرها، فكانت مبادئ "لوثر" وأتباعه ردة فعل على ممارسات المؤسسة البابوية الفاسدة وابتعادها عن تعاليم المسيحية الأولى هذا ما أدى إلى نجاح حركة "لوثر" بالإضافة إلى بعض العوامل التي ساهمت في نجاح

⁽¹⁾ يوسف الحارث غنيمة: المرجع السابق، ص: 17.

⁽²⁾ القديس أوغسطين: (354-430م) ولد في طاغاست في إفريقيا (سوق أهراس بالجزائر) والدته مونيكا المسيحية (ت388)، والده باتريسيوس (ت372)، تلقى مبادئ المسيحية مبكرا، اعتنق المانوية مدة تسع سنوات، وفي عام 383م انتقل إلى ميلانو وعمل كأستاذ للبلاغة، وفي عام 386م عاد إلى المسيحية وتم تعميده عام 387م، ثم عاد إلى الجزائر برفقة ابنه وبعض أصدقائه، وفي عام 391م، تم ترسيمه كاهنا في أبرشية المدينة البحرية هيبو، له الكثير من الأعمال: أشهرها الأطروحات الخمس الطويلة والتي ألفها بين عامي (396-426م). (موسوعة ستانفورد للفلسفة، ت: ناصر الحلواني، القديس أوغسطين، حكمة، 2020م).

وتوسع دائرة حركة الإصلاح الديني مثل:

- 1- عدم تدخل الإمبراطور في مقاومة الحركة إلا بعد مدة طويلة ازدادت قوة وعددا
- 2- مصادفة قيام حركة "لوثر" عصر النهضة الأوروبية، وهو العصر الذي أنيرت فيه عقول أوروبيين والتي نادى بالتححر من سلطة الكنيسة والعادات والتقاليد الدينية والاجتماعية.
- 3- سوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية وظهور الطبقة، وهذا كان سببا كافيا لجذب الطبقة الكادحة من فلاحين وفقراء وظنوا أنّ "لوثر" منفذا ومخلصا لهم من ظلم الإقطاع، لكن باءت آمالهم بالفشل.
- 4- البعد القومي لـ "لوثر" بعد إعلانه ألمانيا يجب أن تكون للألمان وقد رحب الألمان بهذه الفكرة لما يعانونه من تدخل خارجي لفترة طويلة.
- 5- طبيعة ألمانيا السياسية وانقسامها إلى إمارات مستقلة جعلت أمراءها يرحّبون بفكرة "لوثر" لكي تكون خطوة في سبل تحقيق استقلالهم السياسي إلى جانب إنفصالهم الديني وقد ساعد على هذه الحركة ما تلقاه "لوثر" من حماية ومساعدة من أمير ساكسونيا "فريدريك الحكيم"⁽¹⁾ والذي أواد قرابة عام في قلعة واتنبرج.⁽²⁾
- 6- دور جامعة واتنبرج⁽³⁾ التي أصبحت المركز الرئيسي لدعوة "لوثر"
- 7- دور بعض العلماء والمفكرين الذين دعموا حركة "لوثر" فتنبوا أفكار "لوثر" ودرسوها ونشروا، أمثال "فيليب ملانكتون"⁽⁴⁾
- 8- دور المطبعة التي اخترعت حديثا في ألمانيا والتي أسهم إسهاما فعالاً وجادا في طبع ونقل أفكار "لوثر"
- 9- ترجمة "لوثر" للكتاب المقدس وطبعه باللغة الألمانية

⁽¹⁾ فريدريك أمير ساكسونيا: (1463-1525م) ولد في توراجاو بألمانيا والده إرنست ووالدته إليزابيث من بارفاريا ميونخ، أسس عام 1502م جامعة فيتنبرغ التي كانت الموطن الأول للإصلاح البروتستاني بقيادة مارتن لوثر.

(<https://www.loverllmilkcenter.or>). استرجع يوم: 2024/12/12

⁽²⁾ قلعة واتنبرج: قلعة تاريخية تقع في ألمانيا شيدت عام 1067م تعتبر منذ 1999م من مواقع التراث العالمي على لائحة اليونسكو، من أشهر المعالم الأثرية في ألمانيا. المركز الألماني للإعلام (German information Cente arob world). يوم: 2024/12/12

⁽³⁾ جامعة واتنبرج: 1502م جامعة ألمانية برزت في وقت الإصلاح البروتستاني أسسها وفي عام 1933م تم تغيير اسمها إلى جامعة (مارتن لوثر) (<https://ar.uni24k.com>), استرجع يوم: 2024/12/12

⁽⁴⁾ فيليب ملانكتون: لاهوتي ألماني تعاون مع لوثر في نشر أفكاره عرف بسعه علمه وقوه الحجه انشاء العديد من المدارس والجامعات اعداد تنظيم الجهاز التعليمي الألماني(1497-1560م) (معجم اعلام المورد. ص 448. البعلبكي).

10- التأثير الذي كان يطبعه على المستمعين عند إلقاء خطبه. وغيرها من الأسباب التي ساهمت في نجاح دعوة "لوثر" وأفكاره حيث إمتدّت الحركة وتوسعت إلى العديد من البلدان والأقطار.

المبحث الثالث: "جون كالفن" john calvin

قبل البدء في الحديث عن حياة وتعاليم "جون كالفن" لا بدّ من ضرورة الحديث عن الأوضاع العامة التي شهدتها فرنسا بلده في تلك الحقبة الزمنية والتي كان لها دور كبير في إنتشار أفكار المذهب الجديد آنذاك

المطلب الأول: أوضاع فرنسا العامة

الفرع الأول: وضع فرنسا

حكم فرنسا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الملك "لويس الحادي عشر"⁽¹⁾ (1461-1483م)، وقد أرجع المؤرخون الفرنسيون هذا الأخير الفضل في تدعيم نظام الملك في فرنسا وتثبيت الحدود الفرنسية والعناية بتكوين الجيش الملكي وحكم البلاد حكم فرديا فكان يصدر المراسيم ويسنّ القوانين على مسؤوليته الخاصة، وذلك بعد أن عطّل المجلس النيابي الذي كان قائما، ولم يجتمع هذا المجلس طول مدة حكمه إلاّ مرة واحدة فقط، فكان الملك وحده يعقد المعاهدات ويقرّ الشؤون الخارجية لفرنسا بعد أن قضى على الإستقلال المحلي لكثير من المدن في إدارة شؤونها.⁽²⁾

وقد بدأت فرنسا بغزو الأراضي الإيطالية عام 1494م، وذلك بعد أن زجّت نفسها في السياسة الأوروبية بمشروعها الذي بدأه ملكها "شارل الثامن"، وبذلك شبّ الصراع بين ملوك فرنسا وأباطرة إيطاليا، وبالرغم من انشغال ملوك فرنسا بالحروب الإيطالية إلاّ أنّهم لم يغفلوا عن تدعيم عروشهم ضدّ الأشراف وضدّ النزاعات الإقليمية في البلاد وأصبحت السلطات الملكية أكثر تحكما وأشدّ قوة.

لقد بدت فرنسا في أواخر القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر، وكأَنَّها الدولة الأكثر ثباتا

⁽¹⁾ لويس الحادي عشر: 1423 1483 louis XI، ملك فرنسا حكمها من سنة 1462 حتى توفي وعمل على تقوية فرنسا وتوحيدها بعد حرب مائة عام، أثقل رعاياه بالضرائب فأبغضوه ونقموا عليه، أرسى قواعد الملكية المطلقة في بلاده (نقلا عن: البعلبكي: معجم أعلام المورد ص 394)

⁽²⁾ ويل ديوارنت: المصدر السابق، ج8، ص 190

والأمتن بنيناها لأتّها الدولة الأوروبية التي تمتلك أكبر جيشا قويا إضافة إلى الموارد المالية التي كانت تأتيها من الداخل والخارج، وهذا ما يؤكّده "ميكيافيلي" في كتابه عرض أحوال فرنسا الذي كتبه عام 1510م الذي يقول فيه: (اليوم أصبح تاج فرنسا وملوكها أكثر قوة أكثر غنى أكثر قدرة من أي وقت مضى،... إنّ خضوع الشعب التام للملك يتيح له التقليل من المصاريف التي ينفقها على قلاعه وحصونه فهو لا يحتاط إزاء رعيته...أذان سكان فرنسا متواضعون ومطيعون جدا.وينظرون إلى ملكهم بكلّ إجلال...أنّه يجني موارده الخيالية بواسطة الضرائب)⁽¹⁾

وكان رجال الدين في فرنسا يتمتّعون بإمتميازات كبيرة جعلت منهم الطبقة الأولى في المجتمع وكانت مكانة الكنيسة الرومانية قوية في فرنسا، وذلك لأنّ رجال الإكليروس فيها كانوا مرتبطين بالبابا أكثر من ارتباطهم بالدولة.

وفي فترة حكم "فرنسوا الأول"⁽²⁾ عام 1561م، إتّفق مع البابا "ليو العاشر" إتفاقية تعطي الحق لملك فرنسا تعيين الأساقفة ورؤساء الأديرة في بلاده، فزادت قوة ملوك فرنسا إتجاه طبقة الإكليروس الذين انقطعت علاقتهم "بروما" وضعف ولائهم للبابا.⁽³⁾ ولعله هذا السبب هو الذي جعل ملوك فرنسا فيما بعد لا يرحّبون بالمذهب البروتستانتي خاصة وأنّ الحروب الدينية إلهية إستمرت مدة طويلة من الزمن آنذاك.

فالأوضاع السياسية في فرنسا نستنتج أنّها لم تقدّم للفرنسيين التغيير المطلوب سواء على المستوى الديني أو السياسي، فالحكومة الفرنسية لم تأخذ على عاتقها مهمّة إعادة إصلاح الأوضاع القائمة أو إعادة تشكيل أوضاع جديدة خاصّة أنّ البلاط أو النبلاء ورجال الكاثوليك كانوا يعارضون ذلك. وقد إنتشرت اللوثرية في فرنسا بادئ الأمر، ثمّ إستقرّ رأي المصلحين هناك على رأي الكالفينية،

(1) جان بيرنجيه، أيفودارن، فيليب كونتامين، فرنسيس راب: موسوعة تاريخ أوروبا العام منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر، ت: وجيه البعيني، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1995م، ج2، ص: 214-215.

(2) "فرنسوا الأول": "François I" (1494-1547م): تولى حكم فرنسا عام 1515م في آخر حياته، وأحدث تغييرا إقتصاديا واجتماعيا في بلاده، أسر في معركة "بافيا" عام 1525م (معجم أعلام المورد ص: 317-318)

(3) عبد الحميد البطريق: تاريخ أوروبا الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، مطبعة جامعة الرياض، 1987م، ص: 113-114

التي تحمل المبادئ التي تتلاءم مع العقلية الفرنسية، بالإضافة إلى أنّ "كالفن" فرنسي، وكتب تعاليمه باللغة الفرنسية، وبالتالي لقيت استحابة من الجماهير الفرنسية، فأطلق على الكالفنيين الفرنسيين إسم "الهُوجنوت"⁽¹⁾، فإستهوى عددا كبيرا من الأشراف والإقطاعيين الذين أخذوا على عاتقهم مهمة الإصلاح الديني في مقاطعاتهم مقلّدين بذلك أمراء ألمانيا حين قرّروا أن يكون الحق لهم وحدهم في إختيار المذهب الذي يجب إتباعه في أقاليمهم.

بدأ الإصلاح الديني في فرنسا يتوسع، فالحركة الإنسانية، والتي فتحت للفكر المسيحي آفاقا جديدة، وفي تلك الفترة أصبحت كافة الأحداث في فرنسا تتركز على الملك "فرنسوا الأول"، فقد كان متمسكا بوحدة الإيمان في مملكته، ولا يقبل بحركات من أي نوع سواء كانت دينية أم غير ذلك، إذا كانت موجهة ضدّ السلطات القائمة. وبذلك نُميّز بين فترتين مختلفتين أثناء حكم "فرنسوا الأول" الفترة الأولى تمتد من بداية إنتشار التيار الإصلاحي في فرنسا عام(1520 إلى غاية 1534 م)، واتّصفت هذه الفترة بأنّها حركة إصلاح سلمية، يقف منها الملك والبلاط موقفا سلميا قريبا من الحيادية، يميل إلى المعارضة، أمّا الفترة الثانية أصبح الملك أكثر استعدادا لإضطهاد المصلحين، وإشتدّ هذا الميل عنده حتى آخر حكمه، ثمّ بعده ابنه "هنري الثاني"⁽²⁾ (1547- 1559م) ثم عهد "فرنسوا الثاني" (1559-1560م)، و"شارل التاسع"⁽³⁾ (1560- 1574م)، وقد تميّزت مدة حكم هؤلاء الملوك بإستمرار الإضطهاد الذي أدى إلى مذابح وحروب طاحنة.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ الهوجنوت: إسم أطلق على بروتستانت فرنسا معتنقي مذهب كالفن في السادس عشر، اشتقت من كلمة أَيْغَنوس وتعني الجماعة، لاحقهم الملك فرانسوا الأول، إذ أعدم عام 1545م ثلاثة آلاف منهم. (راغب العلي: الهوجنوت، الموسوعة العربية، mail-arab-

ency.com). استرجع يوم: 2024/12/12

⁽²⁾ هنري الثاني: "henry II" (1519- 1559م) ملك فرنسا، تولى الحكم عام 1547م حتى وفاته، وهو ابن الملك "فرنسوا الأول"، وزوج الأميرة الشهيرة "كاترين دي ميديتشي"، كان كاثوليكيّا متعصبا (البعليكي: معجم أعلام المورد، ص: 477)

⁽³⁾ شارل التاسع: (1550- 1574م)، ملك فرنسا تولى عرش المملكة عام 1560م، حتى وفاته وهو ابن "هنري الثاني"، وفي عهده

انفجر الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت (البعليكي: معجم أعلام المورد، ص: 255-256)

⁽⁴⁾ محمود عبد الرحمن دادو: المرجع السابق ص: 133 - 136.

ثم جاء حكم الملك "هنري الثالث"⁽¹⁾ (1574-1589م)، الذي كان في عهده الصراع سياسيا أكثر منه دينيا. فخفت بذلك حملة الإضطهاد ضد البروتستانت، وتولى الحكم من بعده "هنري الرابع"، الذي كان زعيما للبروتستانت (1589-1610م) وخلال فترة حكمه حاز البروتستانت على إمتيازات، مما أدى إلى إنقسام فرنسا إلى قسمين قسم للكاثوليك وآخر البروتستانت إلى غاية تولي المالك لويس الثالث عشر⁽²⁾ (1610-1642م) الذي حاول مدة حكمه الحفاظ على وحدة البلاد .

الفرع الثاني: أوضاع مدينة "نويون"

تعتبر من أعرق المدن الفرنسية، فمن القرن السادس ميلادي إحتلت أسقفية هذه المدينة مكانة مرموقة، وفي القرن السابع تم تأسيس الدير الرئيسي فيها وفي القرن الثامن أصبحت أكبر مركز ديني في شمال فرنسا.

وكانت مدينة نويون عرضة للغزوات المستمرة بسبب موقعها الجغرافي، في سنة 1553م أشعل الغزاة النيران فيها. وفي هذه الظروف كتب "كالفن" خطابا إلى راعي الكنيسة يقول فيه: أن هناك مظهرا أدهشه وهو أن بيت أبيه ظل قائما ولم يهدم بالرغم من الحريق الذي تعرضت له المدينة. وكان أسقف نويون يحتل مكان السيد أو الحاكم فهو الذي كان يُصدر القوانين المحلية، ويفرض الضرائب ويشرف على النظام من الناحية الروحية والمدنية، ومنذ ولادة "كالفن" كان يترى على كرسي الأسقفية في هذه المدينة والذي كانت تربطه علاقة صداقة ومحبة وثيقة بين عائلته وعائلة "كالفن".

وكان التيار الإصلاحية في فرنسا يواجه الهجوم من الداخل والخارج ، فمن الخارج كانت تنوي المدينة الواقعة على حدود بلاده كلها كاثوليك متعصبون، ومن الداخل كان تهديد الكاثوليك كبيرا.⁽³⁾

⁽¹⁾ هنري الثالث: (1551-1589م) ملك فرنسا، تسلم الحكم منذ سنة 1574م حتى آخر حياته، وضعه وأمه "كاترين دي مديتشي" مذمجة راح ضحيتها الآلاف من البروتستانت قبل تسلمه الحكم بستين، وتواصلت الحروب الدينية خلال فترة حكمه مما أدى إلى إغتياله (البعلبكي: معجم أعلام المورد، ص: 487)

⁽²⁾ لويس الثالث عشر: (1601-1643م) مالك فرنسا تولى الحكم وعمرة لا يتجاوز العاشرة من عمرة عام 1610م حتوفاته، وهو ابن المالك هنري الرابع وزوجته ماري دي مديتشي. (البعلبكي: معجم أعلام المورد، ص 394).

⁽³⁾ حنا الحضري: جون كالفن (دراسة عقائدية تاريخية)، ط1، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، ص 17-18.

المطلب الثاني: حياة "جون كالفن"

الفرع الأول: ميلاده ونشأته

ولد جون كالفن يوم 10 جويلية 1509م في مدينة نويون، والتي تبعد عن باريس ما يقارب 100 كلم، وكان أبوه جيرارد كالفن ذكيا وطموحا لذلك إستطاع أن يجمع في فترة قصيرة عدّة مناصب ووظائف في وقت واحد، فقد عُيّن عام 1481م كمسجل رسمي للعقود الخاصة في مدينة نويون كما أنّه كان يشغل أيضا وظيفة وكيل الأعمال المالية الخاصة بالكنيسة والكهنة، وسكرتيرا لأسقف العائلة الأرستقراطية في نويون ومستشارا للإكليروس ونبلاء المدينة⁽¹⁾.

تزوج "جيرارد كالفن" من فتاه برجوازية تدعى "جان ليفرانك" ولقد كانت مثالية متعبّدة، وتعودت أن تصحبّ إبنتها "جون" لزيارة الأماكن المقدّسة فقال: "أتذكر أنني قبلت بعضا منها في دير أوركامب القريب من نويون أثناء العيد"⁽²⁾.

ويذكر بعض الباحثين أنّ أمه جعلته يقبل ما قدّم إليه من بعض بقايا القديسين، ورأى الكاتدرائية "نويون" بعضا من شعر القديس يوحنا وقد احتفظ بهذه الذكريات عندما كانت أمه تقوده لزيارة بعض الأماكن المقدّسة والكنائس⁽³⁾.

ولقد كان "لكالفن" أربعة أخوه وهم: شارل: وكان الأكبر كاهنا في مدينة نويون وتوفي بعد موت أبيه مباشرة محروما من الكنيسة عام 1537م.

"-أنطون": إنضم إلى التيار الإصلاحى، وساعد أخاه «كالفن» في عمله وصحبه لمدة 28 سنة وكان لا يزال حيا عندما كتب "كالفن" كتابه أنظمة الدين المسيحى، و فرانسوا: الذي مات صغيرا ثمّ أختهم "ماري" الذي توفيت هي أيضا صغيرة⁽⁴⁾. توفيت أمه وهي في ريعان شبابها، وعمر "كالفن" لم يتجاوز أربع سنوات فتركته طفلا صغيرا، ويعتقد بعض المؤرخين بأنّ حرمان "جون كالفن" من حنان

⁽¹⁾-Canogzy ,the cambridge companion to john calvin ,P: 3.

⁽²⁾-Walker .history of the christian church. P: 389

⁽³⁾- هاري إيرتس: مصلح في المنفى. ت: وليم وهبة بياوي، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، ص: 19.

⁽⁴⁾- حنا الحضري، المصدر السابق، ص 16 .

الأم أتر كثيرا على حياته وتصرفاته فيما بعد.

وكان أصدقاء "كالفن" في شباهم من عائلة (هانجز) وهي عائلة كاثوليكية محافظة جدا لذلك فإن محيطه العائلي وأصدقاء شبابه ومسقط رأسه كان ذلك مؤشرا، جعل "كالفن" شديد التمسك بعقيدة الكنيسة الكاثوليكية كما كانت تمارس في فرنسا.

وقد عرف "كالفن" من والده الضغوطات الداخلية للكنيسة الكاثوليكية، لأن هذه الأمور كانت تشغل اهتمام "جيرارد كالفن" والذي تم طرده فيما بعد نتيجة فشله في تقديم مبرر مقبول عن موضوع كان يتولاه فإضطرّ للدخول في منازعات مع سلطة الكنيسة في "نويون"⁽¹⁾.

وبما أنّ "كالفن" تربى في أحضان الكنيسة فقد كان خبيرا في عقائدها ومشاكلها، وبدأ دراسته في وقت كانت قد ظهرت فيه مختلف المفاهيم المسيحية الإصلاحية على يد بعض المصلحين قبله كـ"جون ويكيليف"، "جون هس"، و"إيراسموس"⁽²⁾ وغيرهم، لذا فقد كان "كالفن" مزود بالأسس الأولية لمهمته الإصلاحية.

ويصفه المؤرخ "هربرت فيشر" في كتابه "أصول التاريخ الأوربي الحديث": "من الممكن أن نصفه بأنه بطل من أبطال الرياضة لا رياضة الجسم، ولكن رياضة الفكر أو أنه قديس مجرد من النوازع العاطفية أو قد نقول عنه إنه قد ولد موجّها للضمير"، بمعنى أنه كان هادئا متحفظا كما وصفته كتب التاريخ مشرق التفكير والتعبير دائم التفوق على من جادله، وذلك بفضل ما لديه من ذخيرة عن آباء الكنيسة، وكان تفكيره يمتاز بالبساطة وهذا ما منحه السلطة على أصحاب العقول الرخوة المترددة"⁽³⁾.

⁽¹⁾ هاري إيرتس: المصدر السابق، ص: 20.

⁽²⁾ إيراسموس: (1469-1536م) فيلسوف هولندي، من رواد الحركة الإنسانية في أوروبا عرف بطبعه الساخر في كتابه (مديح الحمق) قام بالتعليق على نصوص العهد الجديد، وحاول أن يضع مبادئ الحركة الإنسانية حسب التوجهات المسيحية، كما أراد أن يقرب بين المذهب الكاثوليكي وإتباع الحركات الإصلاحية الجديدة.

(Igdir universitesi, <https://eramus.igadir.edu.tr>) استرجع يوم: 2024/12/12

⁽³⁾ هربرت فيشر: المصدر السابق، ص: 152.

الفرع الثاني: حياته الدراسية

لا شك أن تجربة اليتيم التي عاشها "كالفن" وحرمانه في سن مبكرة كان سببا من الأسباب الرئيسية التي جعلته منطويا على نفسه ، وقاسيا في أحكامه سواء على نفسه أم على الآخرين.

وبحكم العلاقة الوثيقة التي كانت تربط "كالفن" بعائلة "هانجر"، فقد وجد فيها ملاذا له، فتبنته دراسيا وثقافيا، وكانت هذه العائلة معروفة بثرائها وأنها من الطبقة البرجوازية النبيلة، فقد عاش "كالفن" في هذا الوسط الراقي آنذاك، واستفاد كثيرا من الحياة الأرستقراطية، فتعلم أسلوب التفكير والفلسفة والسياسة.

فبدأ مشواره التعليمي في مدرسة "دي كابيتيس" في مدينة "نويون" التي مكث فيها إلى أن بلغ الرابعة عشر عاما، وانتشر الطاعون في تلك المدينة مما أدى إلى تحول "كالفن" وأبناء عائلة "هانجر" إلى الدراسة في باريس⁽¹⁾ ، وفي مرحلة لاحقة أرسل "كالفن" إلى مدرسة "دي لامارش" عام 1523م وكانت هذه المدرسة أكثر المدارس حداثة في تلك الفترة تعليما ومنهجيا، وتكفل عمه باحتضانه ولم يقضي فيها إلا سنة واحدة، إلا أنه خرج منها بإنطباعات مؤثرة وذكريات صاحبه كل حياته، حتى أنه أهدى بعض مؤلفاته لبعض أساتذته الذين درّسوه في هذه المدرسة أثناء الطفولة.⁽²⁾

ثم إنتقل بعد ذلك "جون" إلى مدرسة "مونتجي" اللاهوتية سنة 1524م، وقد عرفت هذه المدرسة بنظامها الصارم القاسي، فلم تكون أفضل حالا من السجن، حيث أنه وصفها "إيراسموس" وهو أحد متخرجي هذه المدرسة فقال: (عشت في هذه المدرسة وقتا طويلا، حيث يتحدثون طوال اليوم عن الأمور الدينية لدرجة أنّ النفس جدرانها تشبعت بهذه التعاليم، أما أنا فلم أخرج منها إلا بمزاج عكر وكمية لا تحصى من القمل، وكان الطعام تافها وقليلًا والدراسات قاسية تتطلب سهرا طويلا، لدرجة أنّ عددا كبيرا من الشباب الذين يعقد عليهم آمال المستقبل أطاح بهم الموت منذ السنة الأولى لإلتحاقهم بها. وقد أصيب عدد كبير منا بالجنون والبرص، وكان الطعام قليلا كي يعوّدوا إكليروس المستقبل على الصيام، وبالرغم من روح الشح التي كانت تسيطر على المسؤولين عن توزيع الغذاء، فقد كان

⁽¹⁾ عبد الجليل شليبي: عظماء قادة الأديان، ط1، مؤسسه الخليج العربي، 1991 م. ص: 217-218.

⁽²⁾ Alexander ganozy، 'the cambridge companion to john calvin، p: 4.

كرمهم بلا حدود في الضرب بالسياط وتوزيع التأديبات والعقوبات المتنوعة).⁽¹⁾ وهذا هو منهاج التربية القائمة على الشدة والقسوة في تكوين الناشئة آنذاك، ونيل المعرفة وتحصيل العلم يتطلب تضحيات كثيرة من التلاميذ، ولا شك أنّ هذا النمط القاسي من الحياة أثر على تصرفات "كالفن" في حياته وفي العديد من مواقفه.

لكن بالرغم من كلّ هذه المشاق والصعوبات لم تقف حاجزا بين الدراسة والتحصيل العلمي أمام "كالفن". فانصبّ إهتمامه بدراسة كتب القديس أوغسطين وغيره من القديسين، فكانت حافزا له للتمييز حتّى حصل على درجة العلمية بإمتياز، كما تعلم اللغة اللاتينية في سنّ مبكرة.⁽²⁾

بالإضافة إلى أنّه كوّن علاقات كثيرة مع أصدقاء مخلصين إنضموا فيما بعد إلى تيار الإصلاح والطائفة الكالفينية خاصّة، فكانت فترة كافية غنية في ثمارها وإنعكاساتها على شخصية "كالفن" فيما بعد.

ولقد كان "جيرارد كالفن" ينوي أن يدرس إبنه العلوم الدينية لكن بعد الخلافات التي جرت بينه وبين الإكليروس والتي إنتهت بطرده، فرأى أنّ مجال الحقوق يفتح مجال حياة أفضل. فشجع إبنه إلى دراسة القانون في جامعة أورليانز (Orléans) وتعدّ من أهم المدن الفرنسية وأكثر شهرة، ومرة أخرى كان "كالفن" متميزا بتفوقه على زملائه، فإعتبروه أستاذا لا طالبا، فكان معلما أكثر منه سامعا.⁽³⁾

ومن المعلوم آنذاك أنّ جميع العلوم قد بنيت على أساس لاهوتي، فلا تستطيع أن تقدم أي مفهوم يتضمن مخالفة للاهوت بما في ذلك علم الحقوق والقانون، وكان من الطبيعي أن يرسم المحامي قسا، فإستغل "كالفن" ما لديه من ذخيرة لاهوتية وتوظيفه في دراسة الحقوق.

وفي هذه الفترة بدأ "كالفن" بدراسة أفكار "لوثر" و"زوينجيلي"، واتّصل بالذين كانوا مقتنعين بالأفكار الإصلاحية الجديدة من أساتذة وأصدقاء، فتعمق في دراسة تاريخ الكنيسة وسير رجالها، ودرس

⁽¹⁾G.R potter and M.greengrass ،documents of modern history(john calvin) ،British library cataloging in publication data ،london ،1983.p: 03

⁽²⁾عبد الجليل شلي: المرجع السابق.ص: 219

⁽³⁾جون لويجر: المصدر السابق، ص: 20.

العهد الجديد فأصبح يميل إلى مناقشة بعض معتقدات الكنيسة الكاثوليكية، وإزداد حماسه لفكرة الإصلاح الكنسي ببحثه عن ملاذ لنشر تعاليمه وكتابة أفكاره. وفي سنة 1532م نال درجة البكالوريوس في القانون، وحصل على ما سماه بنفسه "إختبار الإهتداء" والذي غير حياته التي صارت مكرّسة لمحاربة خرافات رجال الدين وطغيان الكنيسة.⁽¹⁾

وتخرج "كالفن" من الجامعة فأقترح عليه بعض أساتذة الجامعة أن يتقدم لنيل درجة الدكتوراه في نفس العام الذي تخرّج فيه. ولم تكن مدة دراسة الدكتوراه سوى سنة واحدة، فتقدم بها ونالها سنة 1533م من جامعة "أورليان".⁽²⁾

إستقر بعد ذلك في باريس وكرس كلّ جهده لدراسة اللاتينية واليونانية وتعرفه على العديد من الأصدقاء والأساتذة، ومن أبرزهم "نيكولاس كوب" التي ساعدته كثيرا في دراسات العلوم الإنسانية⁽³⁾، وعند تواجده في باريس تعددت الأسباب التي حالت دون بقائه فيها، حيث أثارت قضية الإعلانات التي قامت مجموعة من المتطرفين البروتستانت بإلصاقها على جدران المدن الكبرى ومنها باريس.

وفي عام 1534م غادر "كالفن" فرنسا بعد صدور مرسوم ملكي ضدّ البروتستانت، ليستقر بعد ذلك في "بازل" السويسرية خاصّة بعدما إتهم فيه أنّه هو الذي حرر الخطاب الإفتتاحي لعيد جميع القسيسين عام 1533م، الذي ألقاه رئيس جامعة باريس، وفي هذا الخطاب غلب عليه الطابع اللوثري، وهو ما لفت إليه الأنظار.⁽⁴⁾

الفرع الثالث: رحلة "جون كالفن" إلى جنيف وإستقراره فيها

يقول "جون كالفن": "إنّ توسلات ويليام لن تجد قطعا، فإندفع يلعني ويقول أنّ الله لا بدّ أن يجرمني من السلام لو بخلت عليهم بالإعانة وسط تلك الحاجة الماسة والوقت العصيب، وإنّ لعنة الله

⁽¹⁾ علي عبد الكريم كابان: المرجع السابق، ص: 108.

⁽²⁾ محمد صالح: تاريخ أوروبا من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية، دار المحاظ، بغداد، 1401هـ - 1981م، ص: 194.

⁽³⁾ -George tourn, Jean Calvin, le réformateur de genève, traduit lasserre, édition olivetan, p: 20.

⁽⁴⁾ حنا جرجس الخضري: المصدر السابق ص: 59

ستلحقني في هذا المكان الذي يحتاجني"⁽¹⁾، وحسب ما جاء في كتب التاريخ أنّ "كالفن" عزم الذهاب إلى "ستراسبورغ" الألمانية، كانت الطريق المؤدية إلى هناك مغلقة بسبب الحرب، فكان من الضروري المرور عبر مدينة جنيف السويسرية، وكان عازما على قضاء ليلة واحدة فقط، كما قال في مقدمة شرحه لكتاب "المزامير": (وبما أنّ الطريق المباشر إلى ستراسبورغ التي كنت ذاهبا إليها كان مغلقا بسبب الحرب، فقد قررت أن أمرّ بجنيف مروراً عاجلاً، وكان في نيتي أن لا أقضي فيها أكثر من ليلة).⁽²⁾

وفي تلك الفترة كانت جنيف تعاني من الرواسب الفكرية لرجال الكنيسة، وتجاهلهم للفكر الإصلاحية فيها، كان هناك "جيروم فاريل"، الذي إلتقى بـ"جون كالفن" وأعجب بقدراته ومواهبه العلمية، فألح عليه بالبقاء مؤكداً أنّه سيكون خير مساعد على إعادة بناء كنيسة بروتستانتية جديدة، بل وأنّ مكوثه في جنيف واجب لخدمة الله في مغادرته هروبا من مشيئته، كما حذّره أنّ اللعنة الإلهية ستلحقه طوال حياته⁽³⁾، فإرتعب "كالفن" عند سماعه كلام "جيروم فاريل"، وأثار ذلك تفكيراً كبيراً بداخله، وفي الأخير إستجاب لطلب "جيروم فاريل"، وقرر المكوث في جنيف، وخدمة ما يمليه عليه واجبه إتجاه هذه المدينة. وعيّن أستاذ في الآداب المقدّسة، ومنظم للكنيسة الجديدة، وبدأ بمساعدة "جيروم فاريل" في إعداد مشروعه الإصلاحية التوعوي من خلال نشر مقالات منظمة للكنيسة وحائّة على التعليم، وضرورة التحلي عن المبادئ الفاسدة التي ابتدعتها الكنيسة الكاثوليكية.

وقد أثار عمل "كالفن" و"فاريل" مخاوف بين معتنقي الأفكار الكاثوليكية الذي قد يؤدي إلى خلق شكل من أشكال النفوذ الديني الكنيسي، ممّا دفعهم إلى التضييق على "كالفن" و"فاريل".

فحدّروا "كالفن" قصد إبعاده عن الساحة الفكرية والسياسية، وتمّ إرغامه عام 1537م على مغادرة المدينة، فإتجه إلى ستراسبورغ من جديد، وهناك أصبح كاهنا في كنيسة البروتستانت اللاجئيين من

(1) القس حلمي يعقوب: يا إخواننا البروتستانت هلموا نتحاور، كنيسة القديسين مارمرقس والبابا خاتم الشهداء، مصر، ص: 68.

(2) حنا جرجس الخضري: المصدر السابق، ص: 59

(3) جونات هيل: تاريخ الفكر المسيحي. ت: سليم اسكندر، مايكل رأفت، ط1، دار الكلمة للطباعة والنشر. مصر. 2013م. ص:

فرنسا وعمل على تطوير مجموعة من المؤسسات وعقد العديد من المؤتمرات⁽¹⁾، لكن ومع عودة تفشي الفوضى في "جنيف"، ومع وفاة "جيروم فاريل" ناشد أهالي تلك المدينة "كالفن" إلى العودة لمسيرة الإصلاح، وهذه المرة مكوثه في جنيف كان دائما وأصبحت المدينة تحت قيادته دينيا.⁽²⁾

وتميّزت هذه العودة إلى جنيف بالقوة والحكمة في مجارة الأمور، فقام بوضع مسودة أحكام كنائسية كخطوه أولى، وذلك لبناء كنيسة بروتستانتية خاصة بالمدينة، وتمّ تبنى هذه المسودة مجلس المدينة، كما أسّس ما يعرف "بجمعية الرعاة" تحت مسمى المجلس الكنسي، وهي عبارة عن محكمة تحال إليها القضايا المتعلقة بعبدة الأوثان والهرطقة، وأعطى لنفسه المزيد من الصلاحيات، بإعتباره رئيسا لمجمع الكرادلة.⁽³⁾

أمّا سياسيا فقد استحوذ على غالبية الأصوات في مجالس جنيف عام 1555م، ممّا أدى إلى إستياء الوطنيين له، وإشتدتّ مقاومتهم له، وعلى الرغم من ذلك تواصلت سيطرته على جنيف التي أضحت في عهده مركزا حيويا للإصلاح الديني في أوروبا، ووصل حكمه ونفوده على الأوضاع العامة وتعامله بحزم مع القضايا السائدة، حيث نفّذ الإعدام في 58 مرة بين (1542م - 1546م)، وقام بنفي 76 شخصا بسبب مخالفتهم للقانون الجديد.⁽⁴⁾

وأصبح لـ"كالفن" التدخل في كلّ صغيرة وكبيرة، فحارب الإسراف في شتى صورته ومظاهره، فكانت حكومته آنذاك تحدّد عدد الأطباق التي تقدم في كلّ وجبة غذائية، وتحدّد أنواع المأكولات التي يتناولها الفرد، محارب الملابس الخليعة التي كانت ترتديها النساء كما حارب لباس الرجال إذا كان فيه خروج عن الحشمة والحياء، وخضعت الأماكن العامة للتسلية واللعب لرقابة شديدة، وكان الإحراق حيّا عقوبة

⁽¹⁾ -إنعام بنت محمد عقيل: طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها. ط1. مؤسسه عكاظ للطباعة والنشر. جدة. السعودية. 2013. ص: 160.

⁽²⁾ -جونات هيل: المصدر السابق، ص: 207.

⁽³⁾ -الكرادلة: مركز رسمي لأسقف مسؤول في الكنيسة، وهي جمع "كاردينال" وإليهم يعهد البابا تدير شؤون حاضرة الفاتيكان، يتميزون بلباسهم إلأحمر إلى القرمزي بحسب الطقوس والمراسيم الدّينية، لا يتجاوز عددهم أكثر من 200، لكنهم مع ذلك يمثلون أعلى المراتب في الكنيسة بعد البابا. (انديندننت عربية: الكرادلة...أمراء الكنيسة الكاثوليكية، 49: 21/04/2025/ 12: <https://www.Independantarabia.com>).

⁽⁴⁾ -إنعام بنت محمد عقيل: المرجع نفسه، ص: 161.

الهرطقة أو مخالفة مبادئ "كالفن"، كما كان حضور الصلاة في الكنيسة إجباريا ومعاقة كلّ من تخلف عنها.⁽¹⁾

ولعلّه من أهمّ الأحداث التي يحتسبها التاريخ لـ"كالفن" هو الحدث الذي كان مع الطبيب الإسباني "ميشيل سرفيه" الذي نادى بعدة مبادئ عقديّة تخالف تماما مبادئ الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية على السواء ومن بينها:

-رفض أزلية الإبن ولاهوته.

-رفض عقيدة الثالوث.

-رفض الخطيئة الأصلية وعماد الأطفال: وكان "ميشيل سرفيه" يريد أن يحاور "كالفن" ويناقشه في آراءه ومبادئه التي عرضها في كتابه "مبادئ الديانة المسيحية" وعندما لم يتمكّن من الأمر ألف كتابا تحت عنوان "إصلاح المسيحية" فنّد فيه آراء "كالفن"، وتمّت طباعة الكتاب سرا في مدينة "فيينا"، وعندما سمع "كالفن" بالأمر إعتبره هرطوقيا، خارجا على مبادئ الدين المسيحي، فتوعّده في خطاب له عام 13 فيفري 1546م أنّه إذا حضر إلى جنيف فلن يخرج منها حيا.

وقد جاءت الفرصة لـ"كالفن" عندما دخل "ميشيل سرفيه" جنيف، ودخل إليها وصادف في ذلك اليوم أن وجد سكانها يستمعون إلى المواعظ الدينية التي تُلقى في الكنيسة، فإستهوته فكرة الدخول للكنيسة لسماع "كالفن" شخصيا، حينها أمر "كالفن" السلطات بالقبض عليه ومحاكمته مدة شهرين ونصف، وصدر الحكم بإحراقه حيا، ونفّذ فيه الحكم في 27 أكتوبر 1553م على بوابة المدينة⁽²⁾.

وقد آثار هذا الإعدام جدلا دينيا وقانونيا كبيرا، تعرض خلاله "كالفن" لموجة عارمة من السخط العام في الداخل والخارج، حيث أنّه ظهر في الأسواق بعد فترة قصيرة كتاب وضعه نخبة من رجال الدراسات الإنسانية البروتستانت وكان ممّا جاء فيه: (أنّه أمر مباح لكلّ فرد أن يعبد الله طبقا لإيمانه هو، وليس طبقا لإيمان الآخرين).

⁽¹⁾- عبد العزيز محمد الشناوي: أوربا في مطلع العصور الحديثة، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2011م، ج1، ص: 394

⁽²⁾- عبد العزيز محمد الشناوي: المرجع السابق، ص: 394.

(qu'il fut loisible a chacun d'odorer die suivant la foie non d'autrui ،mais la sienne).

ويجمع المؤرخون على أنّ "كالفن" قد واجه حرجا كبيرا واهترت صورته عند الجماهير بعد هذا الموقف، وقد دلّ هذا الأمر على أنّ الحركة الكالفينية لا تؤمن بحرية الفكر والكلام.

بينما يرى بعض المؤرخين أنّ "كالفن" لم يكن حاقدا على "سرفيتوس" إلى هذا الحد بل إنّه لم يسعى إلى إعدامه، يقول richard gamble:

Severtus was tried by the city for heresy a'd his sad story ends in execution ، although calvin approved of the death sentence ،as did all protestants at the time ،he was not legaly responsible for the execution of severtus: only the city magistrates could perform such acts. All this will hardly sound like much of a defense to those who attempt to believe the worst about John Calvin. However, it should also be added that Calvin was persistent in his personal appeals to Servetus that he changed his mind as he visited him in prison. Calvin furthermore requested that Servetus' sentence be reduced from burning to beheading, a much more humane means of execution, but that request was denied by the city authorities⁽¹⁾.

” تمت محاكمة سرفيتوس في المدينة من أجل بدعته، وقصته الحزينة إنتهت بالإعدام، وعلى الرغم من أنّ كالفن وافق على عقوبة الإعدام كما فعل جميع البروتستانت في ذلك الوقت إلاّ أنّه لم يكن المسؤول القانوني عن تنفيذ هذا الحكم بحقه، فقضاة المدينة هم الذين يمكنهم أن يقوموا بأعمال كهذه، وهذا ليس دفاعا أمام أولئك الذين يحاولون أن يصدّقوا أسوأ الأمور عن كالفن، ومع ذلك ينبغي أن نضيف أن كالفن كان مستمرا في النداءات الشخصية إلى سرفيتوس بأن يغير رأيه كلما زاره في السجن، وطلب منهم أن يخفض حكم سرفيتوس من الحرق إلى الذبح-قطع الرأس-كوسيلة أكثر إنسانية من الإعدام حرقا. لكنّ هذا الطلب رُفض من سلطة المجلس⁽²⁾”

⁽¹⁾-Donald McKim and others: The Cambridge Companion to John Calvin, United Kingdom, 2004, p:197.

⁽²⁾-جون لوكليير: تاريخ التسامح في عصر الإصلاح.ت: جورج مركز دراسات الوحدة العربية، 2009، ص: 413.

لكن ما أورده البعض الآخر من المؤرخين عكس ما سرده المؤرخ "Richard Gamble"، يقول "فولتير" عن "كالفن": "حينما كان عدوه موثقا بالأغلال ظلّ يكيّل له الشتائم، ويأمر بالإساءة إليه بكلّ وسيلة يلجأ إليه الجبناء حينما يصبحون هم السادة، وأخيرا، بالضغط المستمر على القضاة، وباستخدام ماله من ثقة عند من يرشونهم، وبالصياح وجعل الآخرين يصيحون بأنّ الله يطلب إعدام "سرفيه" عمل "كالفن" على إحراق "سرفيه" حيا، وإستمتع بعذابه، وهو الذي لو كان قد وضع قدميه في فرنسا لكان قد أحرق هو نفسه وهو الذي طالما رفع صوته عاليا ضدّ كلّ ألوان الإضطهاد" (1)

ويقول "ميلر": "كتب كالفن إلى أحد أصدقائه رسالة ورد فيها عبارات تشعر بالفرح والسرور الذي ينتابه نتيجة هذا الحكم الذي حقق أهمّ مأرب له، يقول فيها: (لقد أعلن الرعاة كلّهم بالإجماع أنّ سرفيه جدّد أباطيله الكفرية، تلك التي عكّر بها الشيطان فيما مضى صفاء الكنيسة، ولم يعد بالإمكان إحتمال هذا المسخ، إنّ جماعة (بال) حازمون في الموضوع، والزورخيّين يفوقون الجميع اضطراما... وسكان (شافهوش) موافقون، كما أنّ رعاة (برن) يشاطروننا الرأي، وهناك رسالة تحريضية من مجلس هذه المدينة تركت عظيم الأثر في نفوس أعضاء مجلسنا" (2).

وهذا النصّ كما أورده المؤرخ "ملر" دليل قاطع يوضح الحالة الشعورية التي كان عليها "كالفن" نتيجة الحكم على "سرفيوس" بالحكم بالإعدام، فغيرة "كالفن" على مسيحيّته ومبادئه لا بد منها، وأنّ "كالفن" إنتقد الأفكار الباطلة التي قال بها "سرفيوس" فكرة التوحيد، وقال بأنّها هي إحدى الأباطيل التي عانت منها الكنيسة في فترة من التاريخ الكنسي، فيوضح "ملر" ذلك في موضع آخر من كتابه قائلا: « وفي مجال الدفاع عن "كالفن" يمكننا أن نقول عن هذه لم تكن غلطته، بل هي غلطة العصر الذي عاش فيه، على أنّنا يجب أن نضع في بالنا أنّه لم يكن المسيح أمامنا مثالنا وقائدنا في الحياة، لا يمكننا أن نتخلص تماما من مثل هذه الأفكار الناموسية في أي عصر.» (3) فحسب تصريح "ملر" أنّ كالفن سعى لقطع جذور أفكار سرفيوس الباطلة ولم يسعى إلى إعدام سرفيوس نفسه، فكانت تهمّه الخدمة التي يقدمها للكنيسة البروتستانتية بصفة خاصة، ولا يهّمه مصير سرفيوس الهرطوقي الذي كان ضحية لأفكار هرطوقية سابقة.

(1) - عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق، ص: 264.

(2) - أندرو ملر: المصدر السابق، ص: 626.

(3) - المصدر نفسه، ص: 544.

ولعلنا نستطيع أن نخالف قرار "كالفن" ورأي المؤرخ "أندرو ملر" في هذا إنطلاقاً من مبدأ التسامح الديني⁽¹⁾، الذي نادى به البروتستانتية وإعتبرته أهمّ، مبدأ تقوم عليه فـ"كالفن" من خلال موقفه مع "سيرفيوس" يؤكّد أنّه نادى بمبدأ التسامح الديني لكنّه خالف العمل به، وهو الأمر نفسه الذي عملت به الكنائس الإصلاحية، وكان هذا الأمر وصمة عار لم يحسها التاريخ من سجلات المصلح "جون كالفن".

وفي السنوات الأخيرة من حياة "كالفن" امتدّ نشاطه في اتّساع ونشر حركة الإصلاح الديني لتشمل أنحاء أوروبا، وأصبح بذلك هو القوة الموجهة لحركة الإصلاح في فرنسا، والأراضي المنخفضة وإنجلترا واسكتلندا وبولندا.

وفي هذه السنوات تعرف على "تيودور دي بيز" (Théodor de Bèze) النازح إلى جنيف أثناء هجرة الفرنسيين عام 1548م، وأصبح الساعد الأيمن لـ"كالفن" وكان أول رئيس للأكاديمية التي أنشأها كالفن عام 1559م، وكان له الدور البارز في صفوف البروتستانت الفرنسيين (1519م-1605م).

ويرى المؤرخون الفرنسيون أنّ "كالفن" مثل العبقرية الفرنسية أحسن تمثيل، فقد أنشأ حكومة دينية علمانية في جنيف⁽²⁾، في حين أنّنا نجد البعض الآخر من المؤرخين يرى أنّها لونا من ألوان الإستبداد الذي لا يطاق والفضول الذي لا يحتمل خاصّة أنّ حكومة "كالفن" كانت تتدخل في الحياة الخاصّة للأفراد.⁽³⁾

(والمواقع أنّ الحكومة الكالفينية تمثل الانتقال من نقيض إلى نقيض، فبينما كان المجتمع مدينة جنيف يسوده التطرف والإنحلال الخلقي وحياة الجحون، إذا بحركة كالفن تنقل المجتمع الجنيفي إلى حياة

(1)-التسامح الديني: هو محبة الناس جميعاً وإلقاء السلام عليهم دون الإلتفات لدينهم، ويقوم على أساس تقبل الآخر وإحترام معتقداته بعدم إجباره على الدخول إلى دينه أو السخرية وإعطائه الأمان. (فيروز هماش، التسامح الديني، 5 أبريل 2022م،

8: 39، <https://mawdoo3.com>، استرجع يوم: 20/12/2024

(2)- عبد العزيز محمد الشناوي: المرجع السابق، ص: 394-396.

- المرجع نفسه، ص:

(3) 396

التقشف في تطرف وفي صرامة. كما أنّها ألغت الأديرة، ولكنها فرضت الحياة الديرية بكلّ صرامتها ولزمتها على أعضاء المجتمع في جنيف رجالا ونساء، شبيبة وشبابا، وهذا هو وجه التطرف في التنظيم الكنسي الذي أرسى قواعده كالفن.... ولهذا فإنّ الحركة الكالفينية من هذه الناحية كانت أداة ردع عنف وقمع أكثر منها أداة تنشد حرية الفرد والإنسان.⁽¹⁾

المطلب الثالث: وفاة "جون كالفن" وأهم مؤلفاته

الفرع الأول: وفاته

وبعد عمر دام خمسة وخمسين عاما، قضى "كالفن" ما يزيد على ثلاثين عاما من عمره في حركة الإصلاح الديني، نال السقم من جسمه وتفاقم عليه المرض. إذ كان يشكو من الربو وآلام في الرأس، وسوء الهضم، وأتهدت الحمى جسده وأبرزت عظامه، كما صار يعاني من نزيف متكرر على مستوى الرئتين، فلزم الفراش طوال الوقت وفي 25 أبريل 1564م حرر وصية، ودّع فيها زملائه وطلب منهم المغفرة لما صدر عنه من قسوة في إصدار التعاليم، كما أوصاهم بأن يتشبّثوا بالعقيدة المسيحية وحضرته الوفاة يوم 27 ماي 1564م.⁽²⁾

الفرع الثاني: أهم مؤلفاته

ألّف "جون كالفن" عدداً من المؤلفات التي دافع فيها عن مذهبه، ومبادئه ونذكر أهم هذه المؤلفات:

1/ كتاب الأنظمة Instituo Religion christiane:

إشتغل كالفن أثناء إقامته في استراسبورج على تطوير كتابه " الأنظمة "، فنقّحه ووسع حجمه أكثر ممّا كان في نسخته الأصلية، وفي هذا الكتاب عبّر "كالفن" عن آرائه وأفكاره عن ماهية الدين المسيحي، وأبرز فيه مفاهيم جديدة لحركة الإصلاح الديني، كما دعا فيه إلى قيام كنيسة جديدة مستقلة عن كنيسة روما في مبادئها وأفكارها⁽³⁾، ويعد هذا الكتاب من أهمّ مؤلفات "جون كالفن" ويعتبر أحد

(1) _ عبد العزيز محمد الشناوي: المرجع السابق، ص: 397.

(2) _ ويل ديورانت: المصدر السابق، ص: 255/4.

(3) _ محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص: 200.

الوثائق الأساسية للإصلاح، فلم يقرأ كتاب أكثر منه في تلك الفترة، فترجم إلى عدة لغات، الألمانية الإنجليزية، والإيطالية والإسبانية، واليونانية، قال عنه أحد الكتاب الكاثوليك: « كتاب "الأنظمة" قدّم العنصر الجوهرى الذي طال انتظاره، والذي يدونه لم يكن في استطاعة البروتستانتية أن تتوقع تأسيس نفسها كمنافس مؤثر للكنيسة الكاثوليكية، وأيضاً لأنه كان من تأليف كاتب عظيم.»⁽¹⁾، وقيل أيضاً: « لقد أنجز كالفن عملاً، من الواضح الآن، إنّه ليس لاهوتى آخر، ولا حتى ميلانكتون Melancthon، كان قادراً على إنجازهِ في حينه، إنّه لم يقدّم فقط صيغة نقية جازمة لمبادئ الإصلاح الرئيسية، بل أيضاً صبّ هذه المبادئ في قالب من تقديم الإيمان المسيحى الكلاسيكى»⁽²⁾، ويقول "كالفن" عن "كتاب المبادئ" أو "أصول الإيمان": « إنّ محاولة هدم كتاب المبادئ هي محاولة لهدم الكتاب المقدّس.»⁽³⁾، وهذا أمر يؤخذ على "كالفن" إذ أنّه وضع "كتابه المبادئ" و"الكتاب المقدّس" على مستوى واحد .

نشرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب عام 1936م. ثمّ ظهرت بعد ثلاث سنوات طبعته الثانية، أمّا الثالثة فصدرت عام 1543م، وظلّت النسخة الأكثر تداولاً لمدة كبيرة إلى حين صدور النسخة الأخيرة عام 1559م.

أمّا الطبعة الأولى فقد احتوت على ستة فصول: الناموس، العقيدة، الصّلاة الربانية، الأسرار، أمّا الثانية فقد أضيف فيها بعض الأبواب وظهر فيها اهتمام أكبر باللاهوت من سابقتها، أمّا الثالثة فقد تميّزت بتزايد محاور الإهتمام فيها إذ قسمت إلى واحد وعشرين فصلاً، في حين صدرت الطبعة الأخيرة في شكل أربع مجلدات، وقد إحتوت ثمانين فصلاً وهي الطبعة الأخيرة المتداولة⁽⁴⁾.

بالإضافة إلى أنّ "كالفن" كتب هذا الكتاب دفاعاً عن العقيدة الإنجيلية ضدّ إضطهاد الملك "فرانسيس الأول" للبروتستانت في فرنسا والمجازر التي ارتكبت بحقهم، طالباً منه قراءة الكتاب المقدّس لفحص العقيدة إن قد خالفت الكتاب المقدّس بشيء أو أنّها خرجت عن مفاهيم كنيسة المسيح فكتب

⁽¹⁾ _Henri Daniel – Rops: The protestant Refomation ،volune ،I ،1963 ،P: 400.

⁽²⁾ _ جون لوريمر: المصدر السابق، ص: 221.

⁽³⁾ _ المصدر نفسه، ص: 205.

⁽⁴⁾ _فارس فرنك نصوري: البروتستانت في فرنسا خلال فترة حكم الملك فرانسيس الأول (1515 - 1547م)، مجلة الأبحاث ميسان، العدد التاسع عشر، جامعة البصرة، المجلد العاشر، 2014م، ص: 195.

في مقدمة كتابه: (يا فرنسيس الجبار العظيم ... يا ملك فرنسا المسيحين، إنّ ما قام به بعض الناس ضدّ كنيستنا الصغيرة من المظالم لم يبق في كلّ مملكتك مكانا لعقيدة مسيحية سليمة، فقد هوجمت كنيستنا المسكينة هجوما لا يستند على قانون أو ضمير، إنّنا لم نهاجم كنيسة المسيح، أنّي أناديك لتؤدي واجبك كملك أقامك الله خادما له لتجري الحق والعدل، إنّ الملك الذي لا يخدم الله ليس الملك الذي أقامه الله).⁽¹⁾

وقد بوّب "جون كالفن" في كتابه هذا العقيدة المسيحية ووضع لها الأسس والأنظمة الكنسية اللازمة لتحسينها⁽²⁾، مستخلصا رأيه من نص الكتاب المقدّس: (الذي نزل هو الذي صعد أيضا فوق جميع السماوات لكي يملأ الكلّ، وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلا والبعض أنبياء، والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين، لأجل تكفيل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح)⁽³⁾، فاستنتج من هذا النص أنّ الله أرسل روحه القدوس إلى الكنيسة فأقام بها أناسا من البشر كي يكونوا مسؤولين عن الخدمة المقدّسة، فيرى أنّ الله منح هؤلاء بعض العطايا الروحية كي يستطيعوا القيام بهذه الخدمة في الكنيسة⁽⁴⁾، فقام "كالفن" بتقسيم المجلس الكنسي إلى أربعة أنواع من الخدمات كالآتي:

1/ خدمة الراعي: كان هؤلاء يعرفون بجماعة المحترمين، وتكون مهمة هؤلاء إعلاء الحق الإلهي والتبشير للخليقة كلها فمهمتهم دعوية، وهم أيضا مسؤولون عن فحص المرشحين للرسامة الكنسية، ويرى "كالفن" أنّ هذه الخدمة هي التي وكلّها الرّب لخدمته، وعلى الرعاة أيضا أن يقوموا بممارسة الفرائض والعمل على نمو الحياة الروحية بتقديم النصائح والتحذيرات للشعب وحفظ النظام العام في الكنيسة، ويجمعون أسبوعيا لدراسة الكتاب المقدّس.⁽⁵⁾

2/ المعلمون: وهم الذين خوّل إليهم مهمّة التعليم والسهرة على سلامة العقيدة وتفسير الكتاب المقدّس، ولم يرد في هذا الكتاب تعريف واضح يميّز مهمة الراعي من وظيفة المعلم، فكالفن يخلط بينهما

(1) _ ليبب مشرقى: حديث مع جون كالفن، دار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر، ص: 99.

(2) _ المرجع نفسه، ص: 98.

(3) _ أفسس 4: 12/10.

(4) _ حنا جرجس الخضري، المصدر السابق، ص 238.

(5) _ علي كابان عبد الكريم: المرجع السابق، ص: 113.

في كثير من الأحيان، والواضح من حديث "كالفن" عن وظيفة الراعي الذي أعطاه صلاحية القيام بوظائف المعلم.⁽¹⁾

3/ الشيوخ: يرى "كالفن" أنّ الشيخ يكون معنيا الأمور المدنية أكثر من الأمور الدينية، لذا فقد فهم بعض الباحثين والمؤرخين أنّه يقصد بكلامه الشيخ العلمانيين، خاصة وأنّ المهمة الوحيدة التي أضافها لهم في تعليمات حفظ النظام، وأسند إلى الشيخ أيضا الإشراف على تطبيق الدستور واللوائح الكنسية ضمن الكنيسة، وإعداد تقرير للهيئة التي ستعيّن لإجراء الإصلاحات الجديدة في الكنيسة، ومحاسبة ومعاينة كلّ من يخرج عنها⁽²⁾، فإذا ما خرج أحد المؤمنين عن المسلك الصحيح أو تصرف تصرفا مخالفا للكتاب المقدّس أو العقيدة الكالفينية، فإنّه يتمّ استدعاءه للمثول أمّا المجلس للتحديث معه وتقدم النصح والإرشاد، والطلب منه الرجوع عن تصرفه الخاطئ، وإذا رفض فإنّه على المجلس اتّخاذ القرار المناسب بحقه وغالبا ما يكون طرده من الكنيسة⁽³⁾، وهذا ما يسمى بالنظام المشيخي، ومنذ ذلك الوقت عرفت كنيسة بالكنيسة المشيخية Presbyterian وعليه فإنّ مجلس الشيوخ ما هو إلّا حكومة مصعّرة داخل الكنيسة تجمع بين رجال الدين والعلمانيين، وكان عددهم اثني عشر شيخا.⁽⁴⁾

4/ الشماسة: أمّا خدمة الشماسة في نظامه الديني، فهي عنده أبسط الخدمات وتشمل أمرين:

ـ الإشراف على الناحية المالية في الكنيسة والإهتمام باحتياجات الفقراء، وتوزيع العطايا عليهم.

ـ الإهتمام بزيارة المرضى والفقراء.⁽⁵⁾

ويعتقد "كالفن" أنّ هذه الوظائف الأربع في غاية الأهمية، لأنّ الله قد منحها للكنيسة حتى يكون فيها كلّ شيء بنظام وترتيب، ثمّ يعرض "كالفن" بعد ذلك كيفية إختيار هؤلاء الرعاة والمعلمين والشيوخ والشماسة، فيرى أنّ الله يدعوا هؤلاء من الأزّل ويعينهم في أماكنهم، ويسمي هذه الدعوة

(1) ـ جون لوريمر: المصدر السابق، ص: 230.

(2) ـ نور الدين حاطوم: تاريخ عصر النهضة الأوروبية، دار الفكر، دمشق، ص: 186.

(3) ـ هاري إيبيرتس: المصدر السابق، ص 187.

(4) ـ سامي الشيخ محمد: المرجع السابق، ص: 189.

(5) ـ حنا جرجس الخضري: المصدر السابق، ص: 239.

بالدعوة السرية، والشخص الذي يدعوه الله هذه الدعوة لا بد أن يكون مؤهلاً بالتعليم السليم والحياة المقدسة، وكلّ المواهب الأخرى اللازمة للقيام بالخدمة، ويستشهد على ذلك بقوله: "ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله".⁽¹⁾ وأيضاً: "بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولا لإنجيل الله".⁽²⁾ بمعنى أنّ بولس قد اختاره الله منذ الأزل ليكون مكتملاً وحاملاً لإنجيله، ثمّ يضع في المقام الثاني الدعوة العامة من الكنيسة، وتظهر في إعطاء الشعب أصواته في اجتماع عام تحت إشراف الرعاة الآخرين، ووجود هذا الإجماع على شخص ما هو تأكيد لإختيار الله له لخادمي الكنيسة.⁽³⁾

والملاحظ لهذا الكتاب أنّ "كالفن" لم يعطي مبادئ إصلاح ديني جذري، وإنّما صبّ هذه المبادئ في قالب من تقديم الإيمان المسيحي الكلاسيكي، وبالتالي المبادئ التي نادي بها ماهي إلاّ إحياء وتحديث للموروثات القديمة التي غابت طيلة فترة العصور الوسطى، فالشعوب الأوروبية آنذاك كانت متعطشة لإصلاح جذري للكنيسة لأنّها باتت شبّح مخيف لهم في كلّ أوقاتهم، تمارس عليهم الظلم والإستبداد فأروا نور الحرية في كتابات والمبادئ التي نادي بها "كالفن"، ولكن في الحقيقة شتّان بين المقروء والتطبيق في الواقع.

2/خطاب الكاردينال: وهو ثاني أعمال "جون كالفن" من حيث الأهمية، وكان الغرض من هذا الكتاب هو الدفاع عن الإيمان الإصلاحية من خطر الخطابات المضادّة المطالبة بالعودة إلى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية، واشتمل الكتاب على ضرورة ترك البروتستانت لتعاليم كنيسة روما والتبرير لذلك، وأنّ هذا النفور من الكنيسة الكاثوليكية هو خطوة رئيسية لاستعادة الصورة الأصلية للكنيسة الأولى كنيسة الرسل الأوائل.⁽⁴⁾

وأنّ السبب الأول للمصلحين تركهم كنيسة روما هو أنّ هذه الأخيرة هي ذاتها تركت كلمة الرب⁽⁵⁾، لكنّ الحقيقة أنّ هذا الكتاب ما هو إلاّ تلبية لطلب قادة كنيسة جنيف، وما أدركوه أنّ "كالفن" له الشجاعة وقوة البلاغة للرد على الحملة الكاثوليكية الناقدة للبروتستانت، بالإضافة إلى جملة

(1) _ العبرتين: 4/5.

(2) _ رومية: 1/1.

(3) _ هاري إيبيرتس: المصدر السابق، ص: 151.

(4) _ جون لوريمر: المصدر السابق، ص: 222.

(5) _ المصدر نفسه، ص: 222

المقالات التي نشرها، وما لاقته من تأثير على الشعوب الأوروبية المتطلعة إلى كلّ تغيير، مثل مقالة " الفضائح " التي كتبها عام 1550م ضدّ الإنحرافات الوثنية، ومقالة الجبر الأزلي والتي ردّ فيها على التهجمات التي تعرض لها مذهبه وغيرها من المؤلفات والمقالات⁽¹⁾، بالإضافة إلى بعض الشروحات والتفاسير مثل: " تفسير كورنتوس، تفسير غلاطية، تفسير أفسس، تفسير العهد القديم، شرح الرسالة إلى أهل فيليبي، شرح الرسالة إلى أهل كولوسي، شرح رسالة العبرانيين".

ومن جملة كتب "كالفن" أيضا كتاب "كاتشيسم" Catechisme الذي عرض فيه أهم المبادئ العقائدية التي انتهى إليها عن طريق السؤال والجواب، وأيضا علّق على كتاب "الحلم" لـ "سينيكا" وهو كتاب فلسفي سُمّي على إسم مؤلفه، الذي كتبه في عهد الإمبراطور الروماني "نيرون" خلال القرن الأولى للمسيحية ملتصقا من الإحسان والتسامح مع رعاياه، فكتب "كالفن" تحليلا نقديا للكتاب إنطلاقا من معرفته بالقانون الروماني بالإضافة إلى معرفته بالمسيحية كأساس لبيان التشابه بين الرواقية⁽²⁾ والمسيحية، وكان هذا الكتاب يعتبر من بدايات أعمال "كالفن" والذي لم يلق راجا كبيرا، ولم يحظ بالنجاح كما اعتقد "كالفن"⁽³⁾، وفي نهاية الحديث عن إنجازاته العلمية نلاحظ أن مؤلفات "كالفن" خاصة كتاب " أنظمة الدين المسيحي " Instutution of christion religion كان لها الصدى الكبير على مستوى تاريخ الكنسية حتى الآن، بالإضافة إلى الشخصية القوية التي كان يتمتع بها "كالفن"، والتي ساهمت بشكل كبير سرعة إنتشار مؤلفاته وأبحاثه.

المطلب الرابع: أهم المبادئ التي نادى بها "جون كالفن"

الفرع الأول: تنظيم الكنيسة

لعله من أهم اهتمامات "جون كالفن" هو تنظيم للكنسية، فبعد أن قدم إلى "جنيف"، علم أنّ أفضل طريقة لجعل هذه المدينة مدينة مثالية هو تنظيم الكنسية، واعتبارها هي المشرفة على حياة

(1) _ ليبب مشرقي: المرجع السابق، ص: 56.

(2) -الرواقية: لفظ يطلق على المدرسة الفلسفية الكبيرة التي أنشأها "زينون" بمدينة أثينا في بداية القرن 3م، سماها بالرواقيين نسبة إلى الرواق المنقوش الذي كانت تلقى فيه المحاضرات الفلسفية. (عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1945م، ص: 05).

(3) _ هاري إيبيرتس: المصدر السابق، ص: 68.

الأهالي، فهي التأثير الأقوى على حياة الناس كلهم، فهي الحارس والمنذر الذي يعلن فيه الحق الإلهي فتوقف الذين يعثرون الآخرين عند حدّهم، وأن تعزل الذين لا يسلكون بأمانة، وأن تحكم على تعاليم المهرطقة كي لا ينشروا عدواهم بين الناس.⁽¹⁾

ويشير إلى الدور المهم الذي تقوم به الكنسية في توصيل الرسالة، حيث يرى أنّ الإنسان ضعيف بذهنه، ويقبل بقلبه وأصم بسمعه، كما أنّ طبيعته تقتضي أن يكون كسولاً في الأمور الروحية، لذلك فإنّ الروح القدس يستخدم الكنسية لقيادة هذا الإنسان إلى المسيح المخلص الفادي⁽²⁾، ويفرق "كالفن" بين نوعين من الكنيسة:

1/ الكنيسة غير المنظورة:

وسميت بهذا الاسم لأنّها غير معروفة من الناس بطريقة شاملة تامة لكنّها معروفة من الله، فهو وحده الذي يعرف أعضاء الكنيسة لأنّه هو الذي اختارهم وتبناهم، وهم منتشرون في العالم وهذه الكنيسة ليست من شأن البشر، ولا من شأنهم أن يضعوا لها قوانين تحكمها بل من شأن الله لأنّه هو الذي يعرف من هم أتباعها، فالكنسية الغير منظورة حسب "كالفن" هي الكنيسة المختارة لأنّ الله اختار أعضاءها وعيّنهم عليها منذ الأزل، فقدّسهم فأصبحوا بنعمته أولاده وعلى رأسهم المسيح.⁽³⁾

2/ الكنيسة المنظورة:

وهي الكنيسة المنتشرة على كلّ سطح الأرض، والتي تتمثل في اجتماع المسحيين في مكان معين، ويكونون هؤلاء تحت إدارة الراعي أو الواعظ، والتي تعترف بالإيمان والمعمودية والعشاء الرباني، وفيها أناس مختارين وغير مختارين، قد يكونون أشرارا أو قديسون فهي تختلف عن الكنيسة الغير المنظورة بهذا الاعتبار، ويرى "كالفن" أنّه لا يجب النظر إلى هذه الكنيسة باستهانة لأنّها شيء جوهري في حياة المسيحي، كما أنّه لا يجب الإبتعاد عنها مطلقا، لأنّه وحسب تبرير "كالفن" لهذه الأهميّة يكمن

(1) حنا جرجس الحضري: المصدر السابق، ص: 238.

(2) _Gerrish, the Cambridge companion to John Colvin. page: 289.

(3) _ حنا جرجس الحضري: المصدر نفسه: 234 .

في أنّ غفران الخطايا هو الطريق إلى دخول ملكوت الله وهذا الغفران لا يمنح إلاّ عن طريق الكنيسة⁽¹⁾، فيصفها بأنّها كالأم التي حملت بأولادها وولدتهم وأرضعتهم وتعني بهم وهم كبار فيقول: " خارج الكنيسة لا يوجد خلاص."⁽²⁾

ولعلّه في هذه العبارة الأخيرة نرى أنّ " كالفن" قد بالغ، لأنّه من خلال كلامه هذا قد ربط الخلاص بالكنيسة، وهذا أمر يدهش له الكثيرون إذ الخلاص كما بيّنه هو لا إرتباط له إلاّ بالإختيار المسبق، فالمقصود من ذلك أنّ من يعيش خارج الكنيسة بلا ممارسة طقوسها من التعميد والعشاء الرباني فإنّه لا خلاص له.

ولعل سبب تبني "كالفن" هذا المبدأ هو خروج الجماعات التي خرجت تنادي بالتحرر من قيود الكنيسة ونظامها، ونادت بعدم ضرورة وجود الكنيسة أساسا وكانت موجهة ضدّ الكنيسة الكاثوليكية. فكانت هذه الجماعات تعلّم الناس بأنهم يستطيعون أن يعبدوا الله في أي مكان وبأي طريقة، هذه التعاليم فجعت "كالفن" خاصة أنّها صدرت من جماعات وحركات فوضوية، قد تؤدي إلى إهمال أهمية الكنيسة وإنقاص مكانتها في حياة الناس، فكانت ردة فعله أن تمسك بهذا المبدأ ، وقال بأنّه لا خلاص خارج الكنيسة، حتى يظهر بذلك أنّ الكنيسة تحتل مكانة مهمة في حركة الإصلاح.

وحين يتكلّم "كالفن" على الكنيسة فإنّه يسند إليها سلطانا يدهش له، فيصفها بأنّها كالأم التي حملت بأولادها وولدتهم وأرضعتهم وتعني بهم وهم كبار، وعن طريقها يحصل الإنسان على الخلاص وعلى مغفرة الخطايا لذلك ربط الخلاص بالكنيسة، فمن يعيش خارج الكنيسة بلا ممارسة طقوسها من التعميد والعشاء الرباني، فإنّه لا خلاص له.

ولعل هذا الشرط الذي وضعه "كالفن" كان محل إستغراب الكثير من الإنجليين، إذ أنّه أكد أنّ مسألة الخلاص لا إرتباط لها بالأعمال أبدا ، وأنّ الخلاص إنّما يرتبط فقط بالإختيار الإلهي المسبق.⁽³⁾ وربما خرج جماعات في "ألمانيا" و"فرنسا" و"سويسرا" آنذاك تنادي بخروج من قيود الكنيسة وضرورة

⁽¹⁾ _ رولان موسينييه: تاريخ الحضارات العام (القرن 16/17) ت: يوسف داغر، فريد داغر، ط2، منشورات عويدات، بيروت، 1987، الجزء الرابع، ص: 98.

⁽²⁾ _ حنا جرجس الخضري: المصدر السابق، ص: 234

⁽³⁾ _ محمود عبد الرحمن دادو: المرجع السابق، ص: 233.

التحرر منها ومن نظامها، وكانت تنادي في الناس أنّ الإنسان يستطيع أن يعبد الله في أي مكان وبأي طريقة، وهذا ما خشي "كالفن" أن ينتشر ويذاع بين الناس، كما تنادي به هذه الحركات الفوضوية كما وصفها فيؤدي هذا التسيب إلى إهمال الناس للكنيسة والحط من مكانتها، ويصبح مبدأ من مبادئ الإصلاح، فكانت ردة فعله قوية فتمسك بفكرة أنّه لا خلاص خارج الكنيسة حتى يُظهر بذلك أنّ الكنيسة تحتل مكانة مهمة في حركة الإصلاح.

الفرع الثاني: مجلس الكنيسة (الإكليروس)

أسس "كالفن" مجلس الكنيسة معتمدا في ذلك على ما استخلصه من الكتاب المقدس "الذي نزل هو الذي صعد أيضا فوق جميع السماوات لكي يملأ الكلّ، وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء، والبعض مبشرين، والبعض رعاة ومعلمين لأجل تكميل القديسين الخدمة ببيان جسد المسيح".⁽¹⁾، فيفهم هذا النص أنّ الله قد أرسل روحه القدوس إلى الكنيسة فأقام بها أناسا من البشر كي يكونوا مسؤولين عن الخدمة المقدسة، وهو يرى أنّ القيام بهذه الخدمة في الكنيسة.⁽²⁾

ويقوم هذا المجلس على أربعة أنواع من الخدمات كما يلي:

1- خدمة الراعي: "يعرفون بجماعة المحترمين"، ومهمتهم هي التنصير⁽³⁾، وهي مهمة دعوية وأيضاً اختيار المرشحين للرسامة الكنسية⁽⁴⁾، بالإضافة إلى العمل على نمو الحياة الروحية بتقديم النصائح والتحذيرات للشعب، وحفظ النظام العام في الكنيسة، وأيضاً دراسة الكتاب المقدس أسبوعياً، فيرى "كالفن" أنّ هذه الخدمة التي وكلّها الربّ لخدمته.⁽⁵⁾

2- المعلمون: وهم الذين حوّل إليهم مهمة التعليم وتفسير الكتاب المقدس.

3- الشيوخ: مهمة الشيوخ هي إغاثة على الأمور المدنية أكثر من الأمور الدينية.

(1) _ أفسس 4: 12/10.

(2) _ حنا الحضري: المصدر السابق، ص: 238.

(3) _التنصير: حركة دينية سياسية إستعمارية، بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بهدف نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث عامة والمسلمين خاصة. (موسوعة الأديان: تعريف التنصير).

(4) _الرسامة الكنسية: سر كهنوتي يمنح بموجبه الشخص درجة كهنوتية في الكنيسة المسيحية، تتضمن وضع اليد والصلوات لتكريس

الشخص لخدمة الكنيسة وأداء مهام كهنوتية. (ظلال فرج كيلانو، الرسامة الكهنوتية، 12 جانفي 2023م، <https://abouna.org>

استرجع يوم: 2024/2/12

(5) _ علي كابان عبد الكريم: المرجع السابق، ص: 113.

4- الشماسة: وهي نظام ديني، وهي أبسط الخدمات عند "كالفن" وتشمل ما يلي:

أ_الإشراف على الناحية المادية في الكنيسة

ب_الإهتمام بإحتياجات المرضى والفقراء وتوزيع العطايا عليهم.⁽¹⁾

وأصبحت الكنائس الكالفينية فيما بعد تعرف بإسم " الكنائس المشيخية "، بعد تطبيق هذا النظام الديني في الكنيسة، وقد أخذت هذه التسمية من لفظة (شيوخ)، لأنّ الذين نظموا أمورهم لم يكونوا الأساقفة بل الشيوخ، عكس الكنائس اللوثرية التي بقيت على نظام الدّين مثل الكنيسة الكاثوليكية، فالكنائس المشيخية حكما عند الشيوخ من كبار السن الذين شكّلوا مجالس لحكم الكنائس .

_ المساواة في الكنيسة:

وتظهر هذه المساواة في أنّ كل كنيسة لها استقلاليتها لا علاقة لها بالدولة، وليس فيها تسلسل مراتب فالمسؤولون فيها سواسية، ومن هنا يتّضح الإختلاف الظاهر بين الكنيسة الرومانية والكنيسة الكالفينية من حيث النظام، فالكنيسة الرومانية نظامها بسط النفوذ وتسلسل الطبقات، أمّا نظام الكنيسة الكالفينية فهو نظام إتحاد كنائس، ورئيسها هو المسيح، والكتاب المقدّس.

_ مهمة المتابعة والتوبة في الكنيسة:

يرى "كالفن" أنّه على الكنيسة أن تحثّ على حياة القداسة، وعليها أن تستعمل أسلوب التأديب لفصل الذين لا يعيشون بحسب الدعوة إلى دعوا بها، ومن حقّ الكنيسة عزل هؤلاء وفصلهم عن مائدتها إلى أن يعترفوا بخطاياهم ويتوبوا عنها.

ويرجع في ذلك إلى الكتاب المقدّس كي يؤيد فكرته، وورد في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ما يلي: (أمّا الذين من خارج، فالله يدينهم فأعزلوا الخبيث من بينكم).⁽²⁾، وجاء في إنجيل متى: (وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة، وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار).⁽³⁾، ف"كالفن"

⁽¹⁾ _ حنا جرجس الخضري: المصدر السابق، ص: 240.

⁽²⁾ _ كورنثوس: 13/5.

⁽³⁾ - متى: 17/18.

شدّد في تنظيم كنسية (جنيف) على عزل الأعضاء الذين لا يسلكون بسرية حسب الدعوة التي يتلقونها.⁽¹⁾

وهنا نلاحظ أنّ «كالفن» في نظامه الديني لم يفتح هذا المجال لأحد فإستبعد العاصي، وهذا ما يتناقض مع الإختيار الذي قال به "كالفن" ، ومن الممكن أن يكون هذا المستبعد من المختارين للخلاص في الأزل، بالإضافة إلى أنّ "كالفن" لم يميز بين الدين والأخلاق فالسلوك الأخلاقي مثل العقيدة ويجب أن يلتزم به ، ولتنظيم هذا السلوك فقد أسس نظاما يعتمد على الزيارات المنزلية حيث يقوم أحد شيوخ الكنيسة بالزيارة سنويا كلّ بيت عُيّن له في الحي، ويسأل السكان عن مراحل حياتهم، لكن هذا الأمر بلغ بهم إلى أسوء حدود التطرف والتشدّد اللامنطقي فحدّد اللون المسموح به في الملابس ومقدارها وعدد الأطباق المسموح بها في الوجبة الواحدة، وفرضت الرقابة على المطبوعات كما فعل الكاثوليك، وهكذا ازداد الضغط على الشعب بالكثير من الأمور، وإن كانت مخالفة لهذه القوانين كانت تعاقب بالزجر وغرامة مالية ،والإصرار على المخالفة يعاقب بالسّجن ، أو بالنفي، أمّا الفسق فإنّ مرتكبه لأول مرة يعاقب بالنفي أو بالموت غرقا، أمّا جريمة الزنا والكفر، وعبادة الأوثان فعقوبتهما جميعا بالإعدام، حتى أنّ "ول ديورانت" يوثق أنّه قد قطع رأس طفل لأنّه ضرب والديه²، وبلغت هذه الأحكام التعسفية وأمثالها إلى أنّه بين سنة 1542م إلى آخر حياة "كالفن" سنة 1564م، ونفدّ حكم الإعدام في 58 شخصا ونفي 76 آخرين⁽³⁾.

الفرع الثالث: الخلاص المسيحي

يرى "جون كالفن" أنّ المسيح هو الوسيط الوحيد بين العبد وربّه، فإذا كانت النفس البشرية لا تخلو من النقص والميل إلى إرتكاب الخطايا والإنسياق وراء الشّهوات، فإنّ إيمان الإنسان بالمسيح هو الوسيلة الوحيدة لتخليصه من هذه الخطايا وتطهير النفس التي دنستها كثرة الذنوب، "فإن ربي الذي ضحى بنفسه من أجل الإنسانية وهو الوحيد القادر على تحقيق الخلاص للبشرية، ولكن رحمة الله

(1) - حنا جرجس الحضري: المصدر السابق، ص: 237.

(2) -ول ديوارنت: المصدر السابق، ج 24، ص: 231

(3) -Olson ،The Cambridge companion to John Calvin p162

اختارت بعض البشر للظفر بالنجاة وهم الذين وهبهم الله إيماناً راسخاً بتكفير المسيح عن ذنوبهم وقد فسرها "كالفن" وقال: (إن الرب قرّر بمشيئته الحرّة وقبل وقت طويل، من منا يكتب له النجاة ومن يعذب في النار) وخطورة هذه العقيدة تكمن في أنّها تلغي أي أثر للأعمال أو دور فيما يسمى عندهم بعملية التبرير من الخطيئة⁽¹⁾.

فـ "كالفن" يبيّن مفهوم الإختيار المسبق في اللاهوت المسيحي فالله قد قرّر مسبقاً من سيخلص ومن سيعاقب دون أن يكون للأعمال والأفعال البشرية دوراً في هذا القرار لذلك يعلق "الآب صبحي حموي" على عقيدة القدر المسبق الذي نادى بها "كالفن" فقال أنّ هذه العقيدة قد تؤثر على دوافع الأفراد للقيام بالأعمال الصالحة أو تجنب الأعمال السيئة وهذا راجع لشعور الفرد أنّ مصيره محدد مسبقاً.

ويرى أيضاً أنّ الفرد لكي يأمن إستحقاق خلاص المسيح يجب أن يقر بمبدأ المناولة الروحية التي هي رمز الإتحاد مع المسيح بالإيمان بواسطة الروح القدس، فيحل في النفس المخطئة إنساناً جديداً ويأخذ في محاربة الإنسان القديم ويتغلب عن جميع الآلام بالرغم من إمكانية تكرار العثرات والسقوط في الخطايا⁽²⁾.

الفرع الرابع: الأسرار المقدسة.

أنكر "جون كالفن" أسرار الكنيسة المقدسة التي تبنتها الكنيسة الكاثوليكية آنذاك، وأثبت بطلانها بإستثناء التعميد والعشاء الرباني، واعتبر القربان المقدس أنّهما سرّان من أسرار الكنيسة ولهما دور مهم في حياة المؤمنين لذلك قال: " أنّ التعميد والعشاء الرباني هما سند للإيمان في ساعة الإضطراب"، بمعنى أنّ هذه الطقوس توفر قوة روحية وتأكيداً للمؤمنين في أوقات الشدّة، فالتعميد حسب نظره يظهر وعد الله بالرحمة والغفران ويعزز الإيمان في حياة المؤمن، أمّا العشاء الرباني فيعتقد فيه أنّه مشاركة المؤمنين وجسد ودم المسيح روحياً فـ "كالفن" يرى أنّه عند الممارسة الصحيحة لهذه الأسرار فإنّها توفر الراحة والثبات للمؤمنين في مواجهة التحديات والإضطرابات في الحياة، وهي وسيلة لتجديد الإيمان والثقة في عود الله⁽³⁾.

(1) -الآب صبحي حموي اليسوعي: تاريخ الكنيسة المفضل، ط 1، دار المشرق، بيروت، 2002م، ص: 80

(2) - رولان موسنييه: المصدر السابق، ج4، ص: 98.

(3) - حنا جرجس الخضري: المصدر السابق، ص: 329/330

فلاحظ إهتمام "كالفن" وتمسكه بعقيدة التعميد والعشاء الرباني كسر مهم من أسرار الكنيسة واكتمال إيمان المؤمن إلا بتجديد هذه الطقوس لتجديد الإيمان والثقة بين العبد وربّه إلا أنّ علاقة الإنسان بالله لا تحتاج إلى طقوس معينة أو وسائط متعددة ، فالعلاقة هي مباشرة ويكفي أنّ لإنسان يتوب إلى الله تعالى بصدق وعزم دون الحاجة إلى تضحية أو طقوس معينة ، فالطبيعة الرمزية للطقوس المسيحية تؤكد على أنّها وسيلة للخلاص الأبدي، في حين ما هي إلا طقوس التقرب إلى الله وطلب المغفرة في الواقع المسيحي.

الفرع الخامس: الكنيسة والدولة

يؤمن "كالفن" بأنّ هناك علاقة وثيقة ومتينة بين الدولة والكنيسة بحيث تشكلان كيانين مترابطين مقدّسين في آن واحد ، كلّ من هذين الكيانين يستمد قوته وشرعيته من الآخر ، وقد أوجد الله هذا التكامل بينهما لتحقيق أهداف سامية ومتوازنة، فالكنيسة المؤسسة الروحية تتولى مسؤولية إصدار وتنظيم كل التفاصيل المتعلقة بالعقيدة والعبادة والأخلاق مما يوفر الإطار الروحي والأخلاقي للمجتمع في المقابل تتولى الدولة بوصفها المؤسسة المدنية مسؤولية حماية الكنيسة ودعم قواعدها ومبادئها، وتتبنى مواقفها لتحقيق الإستقرار والنظام في المجتمع وبهذا التكامل والتعامل بين الكنيسة والدولة يتحقّق المقصد الذي خلقها الله من أجله، وهو بناء مجتمع متماسك ومتوازن قائما على القيم الروحية والأخلاقية.

فهذا التكامل في نظر "كالفن" يعكس الإرادة الإلهية في خلق مجتمع منسجم ومستقر، حيث تعمل المؤسساتان معا لتحقيق المصالح المشتركة على رفاهية المجتمع⁽¹⁾، فالكنيسة والدولة من المنظور الكالفيني كالزّوحي والجسدي لمجتمع مسيحي واحد⁽²⁾. فنلاحظ ممّا سبق في المنظور الكالفيني أنّ العلاقة بين الدولة والكنيسة تتلخص في عدة نقاط من عدة زوايا:

أولاً: من حيث الإستقلالية والتداخل: اندماج السلطة الدينية بالسلطة المدنية ما قد يؤدي إلى فقدان الإستقلالية لكل من الكنيسة والدولة، وهذا الدمج قد يؤدي إلى تضارب في المصالح ويحد من حرية الفرد.

⁽¹⁾ - موسى بن عقيلي بن أحمد الشيخ: المرجع السابق، ص: 386. (موقع هدى الإسلام: عبد الحي الفرماوي أكتوبر 2005

www.hotiekislon.com استرجع يوم: 2024/12/12

⁽²⁾ - رولان موسيني: المصدر السابق، ج 4، ص: 98.

ثانياً: قد يؤدي المنظور الكالفيني إلى الطابع التسلطي، حيث أنّ الكنيسة تسيطر على الدولة وتفرض معتقداتها على المجتمع، وبذلك قد يؤدي أيضاً إلى تقييد الحريات الفردية والفكرية.

بالإضافة إلى أنّه قد يؤدي هذا الأمر إلى تأثير الكنيسة على القرارات السياسية، ممّا يؤدي إلى سياسات غير عادلة وغير فعّالة إذا كانت مبنية على اعتبارات دينية أكثر منها مدنية، وكذلك يقضي على النقد والتعددية في الآراء بحيث تصبح الآراء المخالفة للعقيدة السائدة آنذاك غير مقبولة وهرطقة خارجة عن القانون. وأيضاً "كالفن" بنظامه هذا لم يراعي حقوق الأقليات الدينية، فيفرض بذلك هيمنة دينية معينة على حساب آخر.

وبذلك نكون قد خلصنا إلى أنّ نظرة "كالفن" للدولة والكنيسة تحتاج إلى تفكير نقدي وإعادة تنظيم إلى هذه الأفكار التي قد تؤدي فيما بعد إلى هيمنة وسيطرة على الشعوب آنذاك.

بالإضافة إلى أنّ "كالفن" قد أنكر جميع إدعاءات البابا بسيادة الكنيسة على الدولة كما ذكرنا سابقاً، من إستقلالية الدولة المدنية وإستقلالية الكنيسة الروحية، وكلاهما كيانان مستقلان ولكل منهما مسؤولياته الخاصة كما رفض أنّ البابا يمتلك سلطة على الدولة⁽¹⁾، ومن خلال هذه النقاط يؤكد "كالفن" على إستقلالية الكنيسة والدولة وضرورة إتباع الكتاب المقدّس.

الفرع السادس: الكتاب المقدّس

يأتي مفهوم الكتاب المقدّس كمركز أساسي في تعاليم "جون كالفن" فهو المرجع الأساسي للتعليم المسيحي والروحي ونلخص ذلك في النقاط الآتية:

- يعتبر "كالفن" الكتاب المقدّس مصدر السلطة العليا في الكنيسة، فكل تعليم أو قرار يجب أن يستند إليه، ممّا يعكس إلتزاماً قوياً بفكرة أنّ الكتاب المقدّس هو كلمة الله المكشوفة⁽²⁾، وأنّه هو الأساس الذي يبنى عليه كل تعليم، كما يشدّد على أهميته تطيقه في الحياة اليومية، ويرى أيضاً أنّ الكتاب المقدّس هو الأساس للوحدة المسيحية، وأنّه هو المرجع المشترك للتعليم والعبادة.

(1) - عادل المعلم: مقدمة في الأصولية المسيحية في أمريكا، مكتبة الشروق الدولية، ص: 95.

(2) - كامل سعفان: مسيحية بلا مسيح، دار الفضية، القاهرة، مصر، ص: 328.

- يؤمن "كالفن" أنّ الكتاب المقدّس هو كلمه الله الملهمة وأنّه خالي من الأخطاء، والإيمان به يعكس إلتزاماً قويا بفكرة أنّ الكتاب المقدّس هو المصدر الموثوق للتعليم المسيحي⁽¹⁾، فيظهر ممّا سبق أنّ الكتاب المقدّس يلعب دوراً أساسياً في اللاهوت الإصلاحى الكالفينى.

لكن نلاحظ أنّ إعتقاد "كالفن" الكلى على الكتاب المقدّس ممّا قد يؤدى إلى إهمال العقل والتجربة الإنسانية في فهم العقيدة المسيحية، وأيضاً إعتقاد "كالفن" أنّ الكتاب المقدّس هو كلمة الله الغير المحرفة، في حين أنّ الكتاب المقدّس قد تعرض للتحريف في العديد من المواضع. بالإضافة إلى أنّه قال بضرورة فهم وتفسير الكتاب المقدّس تفسيراً حرفياً، ممّا قد يؤدى بالمجتمع المسيحي إلى تفسيره كلّ حسب رغبته، ممّا يؤدى إلى حدوث إختلافات في الآراء والأفكار فينتج عنه تضارب من كل النواحي وفي جميع الحالات.

وأيضاً قام "كالفن" بالحدّ من دور الكنيسة والتقاليد في فهم العقيدة المسيحية، وهذا ما لم تتفق عليه بعض الشرائح في المجتمع المسيحي.

⁽¹⁾ القس سهيل سعود: الإيمان المصلح للقرن الحادى والعشرون، ط1، 2021، ص: 79

المبحث الرابع: نقاط الإتفاق بين الرؤى الفكرية لرواد الإصلاح الديني

تأثر التاريخ الأوروبي بشكل كبير بالتحول البروتستانتية، حيث ساهم كل مصلح في تقديم رؤيته الفريدة والمستقلة، معبراً عن أفكاره ومعتقداته التي تشكلت بناءً على فهمه وتصوره للعقيدة المسيحية. وتدور هذه الأفكار بشكل عام حول محور الإصلاح الديني، حيث تتسم بالتفاعل والتباين، مما يؤدي إلى تعقيدات في فهم الصورة الفكرية البروتستانتية. وسنسعى في هذا المبحث إلى استعراض أهم الأفكار الإصلاحية الرئيسية والشعارات التي حملتها الحركة، بهدف توضيح نقاط الإتفاق والإختلاف بين الرؤى الفكرية لزعماء الإصلاح البروتستانتية.

المطلب الأول: مرجعية الكتاب المقدس:

يعتبر الكتاب المقدس مصدرًا وحيدًا للمعرفة الدينية الروحية في سياق الإصلاح البروتستانتية، وقد أكد زعماء الإصلاح على أهمية الكتاب المقدس كمرجع أساسي للعقيدة المسيحية، ورفضوا بعض التقاليد الكنسية، التي لم تكن مدعومة بالكتاب المقدس، معتبرين أنّ الكتاب المقدس هو الأساس الذي يدين جميع الناس أمام الله، وليس من الحكمة في شيء حفظه في مناديل كما فعل الكاثوليك منذ أمد بعيد، كونه أقدس من أن تراه أعين الناس أو أن تسمعه آذانهم، وما إن إنطلق الإصلاح البروتستانتية حتى أصبح في متناول الجميع، ولم يبقى حكرًا على فئة دون غيرها⁽¹⁾.

وكان "مارتن لوثر" هو أول الدعاة لهذا المبدأ خاصة بعد ذهابه إلى مدينة روما مقر الكنيسة المقدسة، ورؤيته لما صدم حسّه، وأزعج نفسه، مدينة لاهية عابثة، ورجال دين دنستهم المفسد بسبب إبتعادهم عن تعاليم الكتاب المقدس، فإنتقدهم وإستنكر أفعالهم خاصة تجاهلهم لتعاليم الكتاب المقدس، وأعلن رفضه لكل تقليد يتعارض مع كلمة الله، وأصرّ على ضرورة اتّخاذ الكتاب المقدس دستورًا لتفسير أي موضوع عقائدي⁽²⁾، كما إستنكر أيضا قدسية البابا في غفران الذنوب، وأكد أنه لا يكون إلا بالتوبة التي مرجعها إتباع ما جاء به الكتاب المقدس دون سواه، حيث جاء في أطروحاته البند الرابع

(1) - أندرو ميلر: المصدر السابق، ص 431.

(2) - جلال يحيى: المرجع السابق، ص 442.

والخمسين (ظلم وضرر قد جرى على كلمة الله لأنّ الوقت المخصص للوعظ بالغفران هو ضعف الوقت الذي يخصص لشرح كلمة الله)⁽¹⁾.

وفي هذا السياق فإنّ "مارتن لوثر" يستنكر ممارسات الكنيسة الكاثوليكية في ذلك الوقت، حيث كان التركيز على الغفران وبيع صكوك الغفران أكثر من التركيز على فهم الكتاب المقدّس وشرحه، فهذا التركيز حسب رأيه يضر بتعاليم المسيحية ويشوه مضمونها، لذا يجب العودة إلى تعاليم الكتاب المقدّس والتركيز عليه، فتحدى "لوثر" الكنيسة الكاثوليكية بكلماته التي ترد صداها عبر القرون فقال:

«Unless Iam convinced by the testimony of the Scriptures or by clear reason (for I do not trust either in the pope or in councils alone, since it is well knowon that they have often erred and contradicted themselves), Iam bound by the scriptures Ihave quoted and my conscience is captive to the word of god, Ican not and I will not recant onything, Since it is neither safe no rightht to go against conscience may god help me Amen».⁽²⁾

«إن لم أكن مقتنعا من الكتاب المقدّس، وبالمنطق الواضح لأنني لا أثق في البابا ولا المجامع الكنسية⁽³⁾، لأنّ الجميع يعلم بأنّه من الممكن أن يخطئوا ويناقضوا أنفسهم، فأنا ملتزم بكل ما استشهدت به من الكتاب المقدّس وكلمة الله هي التي تتحكم في ضميري، ولا يمكنني أن أتراجع عمّا قلته وكتبته، فليس من الصواب أو لإمكان أن تخالف ضميرك وها أنا ذا واقف هنا، ولا أستطيع أن أفعل غير ذلك وليساعدني الله أمين»⁽⁴⁾.

⁽¹⁾—علي عبد الكريم كابان: المرجع السابق، ص: 164.

⁽²⁾—Martin luther, selections from his Edited and with an Introduction by: John dilleneberger, Anchor books, 1961, p68.

⁽³⁾—المجامع الكنسية: هي اجتماعات رسمية للأساقفة والرهبان والكهنة في الكنيسة المسيحية، تهدف إلى مناقشة القضايا الدينية واللاهوتية والتنظيمية، واتخاذ القرارات، وقد لعبت المجامع الكنسية دورا هاما في تشكيل العقيدة المسيحية، من أشهر هذه المجامع: كمجمع نيقيا (325م)، مجمع القسطنطينية (381م)، مجمع أفس (431م)، مجمع خلقدونية (151م) وأهم المواضيع التي ناقشتها: طبيعة المسيح والثالث المقدّس والخلاص (نقلا عن كتاب: الأب ميشال أبرص- الأب: انطوان عرب: مدخل إلى المجامع المسكونية، ط1، المكتبة البوليسية-لبنان-بيروت، 1996م، ص: 20 (بتصرف)).

⁽⁴⁾—جوناثان هيل: المصدر السابق، ص: 164.

فهنا "لوثر" يظهر تركيزه وإهتمامه الكبير بالكتاب المقدس كمرجع أساسي للعقيدة والممارسة الدينية، وهذا التركيز يعكس لنا جزءًا من أفكار لوثر الإصلاحية، وفي نفس السياق ينتقد سلطة البابا والجماع الكنسية معبراً أنّها يمكن أن تخطئ وتناقض نفسها، وهذا النقد يعكس لنا جزءاً من التوترات بين "لوثر" والكنيسة الكاثوليكية في ذلك الوقت، كما أنّه يظهر لنا في نفس السياق مدى إلتزامه بالضمير والكلمة الإلهية معتبراً أنّه لا يمكنه أن يتراجع عما قاله وكتبه، وهذا الإلتزام يعكس جزءاً من قوة شخصية لوثر وعمق إيمانه بالكتاب المقدس.

وبيّنت الدراسات التاريخية لنا أنّ هذه الكلمات كان لها أثر تاريخي كبير حيث ساهمت في تشكيل حركة الإصلاح الديني وتغيير مسار التاريخ الديني والسياسي في أوروبا. وبالرغم من أنّ "لوثر" كتب الكثير من الكتب والمقالات والأبحاث والترانيم⁽¹⁾، إلا أنّ ترجمة الكتاب المقدس هي أفضل الأعمال بالنسبة له، وقد قال في هذا الصدد:

« I would to God that my books were out of the way, and that the people night read and follow the holy scriptures alone».⁽²⁾

«أودّ لو أنّ كل كتيبي تتلاشى حتى لا يبقى سوى الكتاب المقدس ليقرأه الناس بإجتهد وعناية»⁽³⁾.

ويبدو من كلام "لوثر" أنّه يُرغب الناس في الإبتعاد عن الكتابات البشرية كإهتمام الناس بكتبه، أو ما يمليه عليهم الباباوات والكرادلة، وأنّ كتاب الله سيكون في متناول كل إنسان وهو مرجعيته، وموضع ثقته، ويذكر أحد المؤرخين أنّ مفهوم مرجعية الكتاب المقدس عند "لوثر" واسعة واتّسمت بمبادئه في التفسير بالمرونة، وبأنّها مزيج من الأشياء التي يميل المفسرون المعاصرون إلى الفصل بينها، مثلما عناه

⁽¹⁾–الترانيم: ج مفردها ترنيم أو التراتيل أي الفناء بلحن ويقول المعجم في باب "رّم": رّم المغني أي رجح صوته ترّم أي رّم والرّم هو الصوت، فالترنيم أو الترتيل هو إلقاء الكلمات والأشعار التي هي بقافية أو بدون، وذلك من خلال وضعها في لحن معين وغنائها به (موقع الأنبا تكلا هيمانوت، تراث الكنيسة القبطية الأرثوذكسية st-takle-org) استرجع يوم: 2024/6/12

⁽²⁾–The table talk of Martin luther, translated and Edited by: William Hazlitt. London 1872, p314.

⁽³⁾– ميلر ستيفن: تاريخ الكتاب المقدس منذ عهد التكوين وحتى اليوم، ت: وليم وهبة، ط1، دار الثقافة، مصر، 2008م، ص: 165.

النص المقدّس في الماضي، وما الذي يجب أن يعنيه اليوم، ففي بعض الأحيان كان يطبق حكماً إنجيلياً تطبيقاً حرفياً على صفه الدراسي أو على أتباع كنيسته في القرن السادس عشر، فيما رفض في أحيان أخرى الإلتفات إلى بعض فقرات الإنجيل لأنّها اتصّلت بالماضي ولم تجمعها علاقة مباشرة بالحاضر، بل كانت كلمة "اليوم" إحدى الكلمات المفضّلة لديه في عظاته ومحاضراته، وكان الإنجيل إلى حد كبير هو عالمه، فالتقويم الذي اتّبعه هو الكنسي، والتاريخ الذي اعتنقه هو الخلاص البشري وتماه يوم البعث، أمّا معلومه فهم البطارقة والرسل والحواريون والمعلمون على مر تاريخ المسيحية، والإنجيل هو كتاب كنيسته، ورفض ما كان سائداً في تلك الأيام من إستحواذ أقطاب الكنيسة الكاثوليكية على تفسير الإنجيل كيف ما شاءوا ليفرضوا على القطيع المسيحي⁽¹⁾.

ومما سبق ذكره فإنّ "لوثر" إهتم اهتماماً بليغاً بالكتاب المقدّس، وأصبح متاحاً لجميع النّاس كما أباح الولوج إلى تعاليمه دونما وساطة من الكنيسة...

بعد استعراض أهمية الكتاب المقدّس عند "مارتن لوثر" يأتي دور "أولريخ زوينجلي"، وهو شخصية أخرى هامة في الحركة الإصلاحية، والذي كان معاصراً لـ "لوثر"، كان له أيضاً رؤية فريدة حول الكتاب المقدّس وأهميته في الحياة الدينية،

فكان يرفض وبشدة أي تقليد كنسي يتنافى مع تعاليم الإنجيل خاصة في خضم الترسبات الفكرية التي أنتجتها الكنيسة الكاثوليكية⁽²⁾، وكرّس نفسه لفهم تعاليم الكتاب المقدّس، فدعا النّاس إلى الخضوع للكتاب المقدّس بإعتباره كلمة الله، وجعل منه القانون الوحيد الغني على ما دونه من القوانين الوضعية، وقال أنّ الكتاب المقدّس ينبغي أن يفسر نفسه، فلم يتناول على شرح ما فيه من أجل دعم رأي شخصي أو مصلحة ذاتية، وكان يعظ بإنجيل "متى" إصحاحاً بعد إصحاح، حسب وحي الروح القدس من دون شروح بشرية مستقيا كل شيء من ينايبع الكتب المقدّسة فقط.

⁽¹⁾ - سكوت إتش هندريكس: (مارتن لوثر)، مقدمة قصيرة جداً، ت: كوثر محمود محمد، مراجعة: هبة عبد العزيز غانم، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014، ص: 58.

⁽²⁾ - ميلاد مقرحي: تاريخ أوروبا الحديث، ط1، جامعة قار يونس، بنغازي، 1996م، ص: 99.

حتى أنّ المهتمين بتاريخ حركة الإصلاح الديني اعتبروا أنّ تعالي شعارات الكتاب المقدّس على لسان "زوينجلي" إنّما هو توجيه إلهي، يقول "دوبيناها" في هذا السياق: (إنّ الذي أعطى الحق للوثر من السماء اعطاه أيضا لزوينجلي)⁽¹⁾، بمعنى أنّ الله أعطى الحق والفهم الصحيح لـ "لوثر" و "زوينجلي"، وألهمهما فهم الكتاب المقدّس وتعاليم المسيحية وهو من قادهما إلى الإصلاح الديني.

ومع ذلك يبدو أنّ هناك بعض الجوانب التي لم يأخذها "دوبيناها" في الإعتبار، كالاختلافات اللاهوتية لكل من "لوثر" و"زوينجلي"، وهذا الاختلاف قد يؤدي بنا إلى تساؤلات حول ما إذا كان كلاهما قد تلقيا الحق الإلهي نفسه، بالإضافة إلى البيئة التي عاش فيها "لوثر" و"زوينجلي" ومدى تأثرهما بالظروف السياسية والاجتماعية والثقافية آنذاك.

ويتحدث "زوينجلي" عن أهمية الكتاب المقدّس فيقول:

«the sacred books are from god, and god who enlightens minds and hearts, will give you to understand that the speech is from god. and the word of god can not fail it is radiant and illuminating, and it teaches itself and reveals itself and enlightens the soul with all salvation and blessings. and comforts it with god, and humbles it, so that it loses or even forsakes itself to embrace god»⁽²⁾

«إنّ الكتب المقدّسة آتية من الله والله الذي ينير العقول والقلوب سيعطيك أن تفهم أنّ الكلام آت من الله، وأنّ كلمة الله لا يمكن أن تخيب، فهي لامعة ومنيرة، وهي تعلّم نفسها وتكشف عن ذاتها وتنير النفس بكلّ الخلاص والنعمة، وتعزيها بالله، وتجعلها تتضع بحيث تفقد نفسها أو حتى تخسرها لتعانق الله»⁽³⁾.

وفي هذا القول يبرز "زوينجلي" أنّ الكتب المقدّسة هي كلمة الله، وهو الذي ينير العقول والقلوب، مما قد يسمح للإنسان بفهم كلمته، وأنّ هذه الكلمة لامعة ومنيرة، فهذا القول يعكس فكر "زوينجلي" حول أهمية الكتاب المقدّس ويضيف في نفس السياق يقول:

(1) - زكي عزت: المصدر السابق، ص: 87.

(2) - Huldreich Zuringlis samtliche werke v 1, unter Mitcurkung des Zurngli vereins in Zurich, 1905, Emil Egli, geong finsler, p164.

(3) - إلن ج. هويت: الصراع العظيم، ت: إسحاق فرج، ط3، دار الشرق، الأوسط للطباعة والنشر، لبنان، 1997م، ص: 190.

«As I began to subject my self wholly to the bible, philosophy and theology
Kept proposing debates to me, At last, I come to this points I thought, you must
abandon all those lies and learn the meaning god intends in his plain lord, then
I started asking god to give me light and his words become easy for me to
comprehend».⁽¹⁾

«عندما.... بدأت أخضع نفسي بالتمام للكتاب المقدس كانت الفلسفة واللاهوت التعليمي
يقترحان عليّ دائما المجادلات، أخيراً وصلت إلى هذا إذ فكرت قائلاً: ينبغي لك أن تترك كل ذلك
الكذب وتتعلم المعنى الذي يقصده الله من كلمته البسيطة، وحيث بدأت أسأل الله أن يمنحني النور فبدأ
من السهل علي فهم كلماته»⁽²⁾.

يبين "زوينجلي" أنه يعتمد على الكتاب المقدس كمصدر وحيد للحقيقة، وأنه يحاول فهمه
من منظور فلسفي ولاهوتي، لكن يبقى الفهم البسيط هو الأقرب للعقول، دون تعقيدات الفلسفة
واللاهوت، وهذا القول يعكس رفض "زوينجلي" للمناهج الفلسفية واللاهوتية المعقدة، ومخثه عن الفهم
البسيط للكتاب المقدس.

وبالرغم من انفتاحه على الأدب والفنون الكلاسيكية الإغريقية وإطلاعه على الأفكار
الأفلاطونية التي غذت عقليته النقدية، فإن سلطة الكتاب المقدس كانت هي الطاغية على جميع قراراته،
وقد كان أكثر انكباً على قراءة الإنجيل من "لوثر" قراءة إنسانية⁽³⁾، واستخلص من تلك القراءات
الأفكار الأساسية لمذهبه⁽⁴⁾.

كما أنّ "زوينجلي" أيضاً ترجم الكتاب المقدس وشرحه في خطبه اليومية، وتصادق مع الكثير

⁽¹⁾—Huldreich Zwingli's santliche werle V1. Emil Egli georg finsler, p 165.

⁽²⁾— إلن. ج هوایت: المصدر السابق، ص: 191.

⁽³⁾— الإنسانية: هي حركة فكرية وفلسفية وأخلاقية تؤكد على قيمة وكرامة الإنسان سواء كان فرداً أو جماعة، ظهرت في عصر النهضة
بإيطاليا ومنها إنتقلت إلى باقي البلدان الأوروبية الغربية (محمد قطب: مذاهب فكرية معاصرة، ط7، دار الشروق، القاهرة، بيروت
1413هـ-1993م).

⁽⁴⁾—جان بيرنجيه وآخرون: موسوعة تاريخ أوروبا العام، أوروبا منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر، ت: وجيه
بعيني، ط1، دار منشورات عويدات، بيروت، 1995م، ص: 272.

من العلماء سواء من أتباع "لوثر" أو من زملاء الدراسة الذين شاركوه نفس الأفكار وناصروه في عمله⁽¹⁾ ويذكر "ميرل دوينيا" : " لما افتتح زوينجلي الإنجيل المترجم وقرأ الصفحة الأولى إذ تكلم عن تاريخ البطارقة والأنبياء على نحو فصيح، صرخ سامعوه المتعجبون قائلين أننا لم نسمع قط مثل هذا، فداوم على تفسير إنجيل "متى" حسب المتن اليوناني، وذكر أسمى الحقائق بعبارات بسيطة ليبلغ وعظه جميع الرتب، أي إلى الحكماء والعلماء كما الأمين والجهلة، وأظن في مدح مراحم الله غير المتناهية، وناشد جميع سامعيه أن يلقوا كل توكلهم على الكتاب المقدس لينير قلوبهم، ودعاهم بكل حرارة إلى التوبة مقاومًا بنشاط التقاليد الكنيسة المتنافية في جوهرها مع الكتاب المقدس، معتبرًا إياها العامل الأول في تدهور الفكر المسيحي طوال قرون، والسبب الرئيسي في اغتراب المؤمن عن الكتاب المقدس وبالتالي عن دينه"⁽²⁾.

وربما هذا القول يظهر "زوينجلي" كشخصية تؤكد على أهمية الكتاب المقدس في الحياة المسيحية بالإضافة إلى الإنتقاد للتقاليد الكنسية التي لا تتماشى مع الكتاب المقدس، مما يدل على رغبته في إصلاح الكنيسة وتجديدها، كما أنّ أسلوبه يتسم بالبساطة في شرح الكتاب المقدس ليتلاءم مع مستوى جميع الناس بغض النظر عن مستواهم الثقافي والاجتماعي ولعل هذا القول للمؤرخ "ميرل دوينيا" يعكس لنا نهج "زوينجلي" الإصلاحية حيث كان يركز على الكتاب المقدس وينتقد التقليد الكنسي.

وفي الأخير نستنتج أنّ الكتاب المقدس هو السلطة المحكّمة والمقياس الوحيد الذي اعتمده "أولريخ زوينجلي" في حكمه على التعاليم الكنيسة في ذلك الوقت، وإنطلاقاً منه أسس لثورة إصلاحية ساهمت إلى حد كبير في تغيير تاريخ سويسرا خاصة.

أمّا المصلح الفرنسي "جون كالفن"، أولى هو الآخر مكانة خاصة للكتاب المقدس، وجعل منه منطلقاً لأفكاره ومرجعاً لمنهجه الإصلاحية.

تجدد الإشارة إلى أنّ مقت رجال الكنيسة الكاثوليكية للكتاب المقدس وإقصاءه من المراجع المعتمدة عندهم في التعاليم، أو إيلاءه مرتبة دون التي هو أولى بها بتعلة عدم صلاحيته لكل زمان

⁽¹⁾—لوران فان موسيهم: تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة في ستة كتب، ت: هنري هوس، المطبعة الأمريكية، بيروت،

1870م، ص: 518.

⁽²⁾—ميرل دوينيا: الصدر السابق، ص: 595.

ومكان، يتعارض بشكل صريح مع ما جاء به الكتاب المقدس نفسه على غرار ما ورد على لسان أشعيا حيث يقول: «أما أنا فهذا عهدي معهم، قال الرب: روعي الذي عليك، وكلامي بين الذي وضعته في فمك لا يزول من فمك، ولا من فم نسلك، ولا من فم نسل نسلك، قال الرب، من الآن وإلى الأبد»⁽¹⁾، فيشير هذا الإصحاح إلى أنه هناك ثقة بين الرب وشعبه، وأنه سيحفظهم بكلمته وروحانيته، وأنها ستسمر إلى الأبد.

ويعلق "كالفن" على ما جاء في سفر أشعيا، فيشير إلى أهمية الكتاب المقدس كمرجع أساسي للكنيسة، وأنها يجب أن تخضع لسلطانه وتوجيهاته، لكي تحظى بالسعادة الحقيقية الكاملة⁽²⁾، وفي هذا "كالفن" يؤكد على أهمية الكتاب المقدس في حياة الكنيسة، كما يشدد على ضرورة الخضوع لسلطان الكتاب المقدس لتحقيق السعادة الحقيقية.

فهاجم "جون كالفن" في كتابه "أسس التعليم المسيحي" أولئك الذين تخلوا عن الكملة الإلهية، وهم يتصورون وسيلة أو أخرى للوصول إلى الله، معتبرا أن الضلالة قد تملكهم وقد طغت عليهم الغطرسة الشديدة، فهم يزدرون بكل قراءة ويهزؤون بسداجة من أولئك الذين مازالوا يتبعون الحرف المائت والقاتل الصبياني والوضيع بتعلة رفض العودة إلى الوراء⁽³⁾، وإستند "كالفن" في هذا السياق إلى ما جاء في رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس: «نافعة للتعليم والتقويم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر لكي يكون إنسان الله كاملا، متأهبا لكل عمل صالح»⁽⁴⁾.

بمعنى أن هذا الإصحاح يبيّن أهمية الكتاب المقدس في حياة المؤمنين، وأنه ضروري لفهم الإيمان المسيحي، والكتاب المقدس يوبخ الخطأ ويصحح السلوك وأنه الموجه والمؤدب للفرد المسيحي.

فلاحظ أن هناك تطابق بين رسالة بولس الثانية تيموثاوس وقول "كالفن" فهما يؤكدان على أهمية الكتاب المقدس كمرجع أساسي للإيمان والممارسة المسيحية، ف"كالفن" الظاهر أنه تأثر بآراء

(1) - أشعيا: 21/59.

(2) - جون كالفن: أسس الدين المسيحي، ت: أديب عوض، ط1، دار منهل الحياة، 2017م، ج1، ص: 98

(3) - المصدر نفسه، ص 99.

(4) - تيموثاوس: 16: 3-17.

بولس في رسالته الثانية إلى تيموثاوس، وطبقها في تعاليمه الخاصة.

والملاحظ أنّ "كالفن" أراد أن يرتقي بالكتاب المقدّس إلى مرتبة المصدر الوحيد لكل تعليم إلهي، وجعله حكماً يفصل بين الحق والباطل، معلناً بذلك معارضته الحازمة للأفكار والممارسات الكاثوليكية آنذاك، فرفع شعار "الكتاب المقدّس وحده".

وكان يرى أنّ اللاهوت المسيحي يرتكز أساساً على الكتاب المقدّس، معتبراً إياه المرجع الوحيد والكافي لبناء لاهوت مسيحي صحيح، وقد حثّ اللاهوتيين على الغوص في تفسير الكتاب المقدّس لكي يستخلصوا المعنى الحقيقي لكلماته⁽¹⁾.

وأضاف المصلح الفرنسي "جون كالفن" أيضاً أنّ الله كان غريباً عن المؤمنين المسيحيين لا يفقهون شيئاً عنه، إلّا ما جمعه من معلومات متناثرة من أفواه رجال الدين الكاثوليك الذي يعانون هم أنفسهم من عدم الفهم القويم للكتاب المقدّس لافتقارهم الكفاءة العلمية والروحية.

لذلك يعتبر أنّ معرفة الله مبنية بدقة وحيوية أكثر في كتاب الله فجدير بالمؤمن أن يبحث في الكتب المقدّسة، ففيها يقدم الله نفسه لذلك وجب على الجميع أن يبحثوا عن ذات الله في كلمته المكتوبة⁽²⁾، وكان تعامل "كالفن" مع الكتاب المقدّس منقطع النظر، ذلك أنّه كان يتمتع بوحدة من ألمع العقليات التحليلية في الكنيسة، والتي استفاد منها لإنتاج أول عمل لاهوتي نظامي مستند على الكتاب المقدّس للبروتستانت⁽³⁾.

في الختام نقول إنّ أفكار "لوثر" و"كالفن" و"زوينجلي" حول سلطة الكتاب المقدّس والصلاحيات الكنسية تظل ذات أهمية كبيرة للعالم المسيحي الغربي اليوم، فالكنيسة المعاصرة تحتاج إلى إستلهاً هذه التعاليم لتجديد علاقتها بالدين لتستعيد قوتها الروحية، إلّا أنّه هناك بعض النقاط التي وجهها النقاد لزعماء الإصلاح الديني:

⁽¹⁾—ذياب عيسى: مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ط1، دار منهل الحياة، لبنان، 2009م، ص: 72.

⁽²⁾—جون كالفن: المصدر السابق، ص: 103/1.

⁽³⁾—ميلر ستيفن: المصدر السابق، ص: 166.

1- /تتميش التقليد الرسولي والآبائي: (التقليد الكنسي)، فقد إعتبر النقاد أنّ الإعتقاد الحصري على الكتاب المقدّس هو تتميش للتراث الروحي واللاهوتي العريق للكنيسة مثل الجامع المسكونية (كجمع ترنت (1563-1545م) الذي عقد كرد فعل على الإصلاح البروتستاني، والذي أكّد على أهمية الكتاب المقدّس والتقليد الكنسي، كمرجعين أساسين للكنيسة، وجمع نيقية الأول 325م، مجمع القسطنطينية الأول حول صياغة وتطوير قانون الإيمان، توضيح عقيدة الروح القدس وتأكيد ألوهية المسيح، وغيرهم من الجامع المسيحية التي عقدت والتي تعتبر مرجعية أساسية لدى المسيحيين، وحتى بعض المصلحين في البداية دون الإلتزام الكلي لها.

وأيضاً تتميش التراث اللاهوتي لآباء الكنيسة الأوائل، الذين شرحوا العقيدة، وفسروا الكتاب المقدّس، وساهموا في بناء اللاهوت المسيحي كالقديس "أوغسطين" (354-430م)، وأيضاً "أثناسيوس الرسولي" (1)، (296-373م)، و"يوحنا ذهبي الفم" (349-407م) (2)، وأيضاً "أيريناوس" أسقف ليون (130-202م) (3)، و"كليمان الإسكندري" (4)، و"أوريجانوس" (5)، في القرن الثالث، هؤلاء الآباء كانوا المرجع الأول لفهم نصوص الكتاب المقدّس، ضمن سياق لاهوتي شامل، فربطوا بين النص والتقليد الكنسي مثل "أثناسيوس" الذي لم يفصل أبداً بين الكتاب المقدّس والتقليد الكنسي في رسالته الشهيرة حول قانونية أسفار العهد الجديد وعدد 27 سفراً، وقال في مقدمة رسالته (أنّ هذه الأسفار المقدّسة قد استملت التقليد من الرسل، وثبتها الروح القدس في حياة الكنيسة) (6).

(1) -أثنا سيوس الرسولي: أثنا سيوس الإسكندري (293-373م) كان بطريك الإسكندرية في القرن الرابع، تمّ الإعتراف به كقديس من الكنيسة الكاثوليكية مؤخراً بعد الكنائس الأرثوذكسية (أثناسيوس، فهرس كتابات آباء كنسية الإسكندرية (الكتابات اليونانية)، ط1، دار بوبار، 2003م، ص: 197-200.

(2) -يوحنا ذهبي الفم: (347-407) يوانوس خريسوستوموس كان بطريك القسطنطينية، إشتهر كقديس ولاهوتي، عرف ب ذهبي الفم لفصاحته ويعتبر قديماً لدى جميع الطوائف المسيحية (مجموعة من المؤلفين: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ط1، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، 201م، ص: 609).

(3) -كليمان الإسكندري: تيطس فلا فيوس كليمنضس (150-215) ولد في أثينا من أبرز معلمي مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، وحد بين الفلسفة اليونانية واللاهوت المسيحي، من أهم مؤلفاته (كتاب التحريض، المري) (Academia-edu https://www.academia.com // استرجع يوم: 2024/12/12)

(4) -أوريجانوس: (185-254م) فيلسوف ولاهوتي، أحد المفكرين المسيحيين الأوائل ساهم في تشكيل الفكر المسيحي (تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، مرجع سابق، ص: 117-119)

(5) -القمص أنطونيوس فكري: القديس أثناسيوس الرسولي، حياته، تعاليمه كتابته، كنيسة مارمرقس، مصر، ص: 54-56.

(6) -آب حنا الفاخوري: اللاهوت العقيدي، دار المشرق، بيروت، الجزء الأول، ص: 278-280.

بمعنى أنّ الروح القدس لا يعمل فقط في الكتاب، بل في الجماعة التي تحفظه وتفهمه، وأنّ تفسير الكتاب المقدّس يجب أن لا يفهم إلا في ضوء المسيح، فقال (كما أنّ الموسيقى تحتاج أذنًا مدربة، فكذلك الكتاب لا يفهم دون نور المسيح)، وكان يقرأ الكتاب داخل الليتورجيا والصلاة والصوم، لذلك كثير من تفسيراته تأتي مرتبطة بمواسم الصوم والفصح، قال "جون هنري نيومان": "من يفصل الكتاب المقدّس عن التقليد يقتل روحه ويجعل منه وثيقة جامدة"⁽¹⁾، بالإضافة إلى التقاليد الليتورجية فهي بالنسبة للمسيحيين ليست فقط شكلا، بل تعتبر مصدرا حيا للوحي والتقليد.

فالكينيسة الكاثوليكية رأت أنّ الإصلاحيين قطعوا العلاقة العضوية مع إستمرارية الإيمان الرسولي عبر العصور.

2/- الطبيعة التأويلية للنص ومخاطر الفردانية التفسيرية:

فتح زعماء الإصلاح من خلال تناول الكتاب المقدّس بين عامة الناس إلى تفسيره بشكل فردي دون مرجعية سلطوية مركزية، ودون ضبط منهجي وجماعي، وهذا يتنافى مع منهجيات التفسير التاريخي النقدي المعتمد في العلوم اللاهوتية الحديثة مما أدى إلى نسبية معرفية وفوضى لاهوتية، ما نتج عنه إنقسامات مذهبية مختلفة، مثل ظهور فرقة الآنابابتست الذين أخذوا قراءات راديكالية⁽²⁾، للنصوص⁽³⁾، وكانوا محل انتقاد حتى من "لوثر" و"كالفن" أنفسهم مثل قراءتهم للعهد الجديد حرفيا، ورفضوا معمودية الأطفال باعتبارها غير كتابية بالإضافة إلى بعض الطوائف البروتستانتية مثل اللوثريين، الكالفينيين، المعمدانين... الخ

3/- إهمال البعد التاريخي والتطوري للنص:

يرى النقاد الحداثيون واللاهوتيون الليبراليون، أنّ الإصلاحيين لم يأخذوا بعين الاعتبار الطبيعة التاريخية للكتاب المقدس وأسس القراء العلمية كإختلاف الأجناس الأدبية لكل نوع قواعده وأسلوبه

(1) - القمص تادرس يعقوب ملطي: علم الباتولوجي، مطرانية الكنيسة القبطية، الإسكندرية، مصر، ص: 112.

(2) - الراديكالية: (الجذرية) نسبة إلى كلمة Radical، مصطلح يشير إلى تبني مبادئ أو آراء متطرفة تسعى لتغيير جذري في البنى الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية القائمة، وغالبا ما تستخدم في أساليب ثورية (عبد الكريم عاشور: الراديكالية والتطرف "مقاربة مفاهيمية" 18 نوفمبر 2022، مركز المسار للدراسات والبحوث).

(3) - القمص حلمي القمص يعقوب: كتاب النقد الكتابي، موقع الأنبا تكلا St-Takla.org-books-library.net

وغايته، فالكتاب المقدس ليس كتابًا واحدًا بنمط لغوي واحد بل هو مجموعة كتب حسب الطوائف المسيحية، كتبت خلال قرون، وتنوعت أجناسها الأدبية (سرد، شعر، نبوة) بالإضافة إلى الظروف التاريخية مثل السبي البابلي، الإحتلال الروماني، التوترات بين اليهود والمسيحين، البيئة الاجتماعية الفكرية واللغوية التي كتبت فيها النصوص ما يؤثر على فهمها وتشكيل محتواها⁽¹⁾.

4/- القطيعة مع العقل والفلسفة: ⁽²⁾.

"مارتن لوثر" عبر عن موقعه بوضوح عن عداوته للفلسفة، خاصة فلسفة أرسطو وإعتبر العقل أنه عدو الإنسان، فوصفه بأنه (العاهرة الكبرى للشيطان)، وإستخدام "لوثر" هذا التعبير وينتقد فيه انتقادًا شديدًا للعقل، حين يستخدم لتفسير الإيمان أو مقاومة الحق، فيصبح أداة الشيطان، فهو يرى أنّ العقل يبقى غير قادر، وحده على إدراك الحقائق اللاهوتية مثل التجسد والثالوث، بل يمكن أن يضلّل المؤمن عنه، إذا لم يخضعه للوحي الإلهي، كما أنّه رفض تقسيم لاهوت القرون الأولى الذي دمج الفلسفة الأرسطية مع العقيدة، وإعتبره إنحرافًا عن الكتاب المقدس، فيقول:

«But since the devils bride Reason, That pretty whore, comes in and thinks she's wise...then? Not judges, not doctor's no King or emperor- because /reason is the Devils great est whore»⁽³⁾

«ولكن بما أنّ عروس الشيطان العقل، تلك العاهرة الجميلة تأتي وتظن أنّها حكيمة... إذًا؟ لا قضاة ولا أطباء، ولا ملك ولا إمبراطور، لأنّ العقل أعظم عاهرة للشيطان»⁽⁴⁾، فإستخدم هذا التعبير ليؤكد أنّ العقل حين يستخدم لتفسير الإيمان أو مقاومة الحقائق الكتابية يصبح أداة في يد الشيطان،

⁽¹⁾-David law ;the historical-critical Method, A Guide for the perplexed, first edition, tand tclark Interrationl, 2012, p30.

⁽²⁾-القطيعة مع العقل والفلسفة: هي إتجاه فكري ولا هوتي برز في العصور الوسطى المتأخرة ثم مع حركة الإصلاح البروتستانتية، يقوم على رفض أو تقييد إستخدام العقل البشري والفلسفة اليونانية في تفسير الإيمان المسيحي (حمدي سيد محمد محمود: جدلية العقل والإدارة: قراءة في تحولات الفكر الألماني من لوثر إلى نيتشه، 2025/5/19 الحوار المتمدن www.ahewar.org

⁽³⁾-Luther Martin last sermon in wittenberg» Dr Martin luther's werke kritische gesamttausgabe, vol, 51 weimar, hermann bohlan, 1914, p126 (المكتبة العربية الرقمية).

⁽⁴⁾-عبد الحميد حمدي: (مارتن لوثر): رائد الإصلاح الديني، ط2، دار المعرفة، مصر، 2010م، ص: 205.

كما أنه ينتقد إعتقاد الكنيسة الكاثوليكية على فلسفة أرسطو، وأنّ أرسطو هو أكبر عدو للمسيحية، حيث أكد أنّ الفلسفة هي مصدر كل أخطاء الكنيسة، وأرسطو هو أكبر عدو للمسيحية، ويقول أيضا: «There is no greter lie than that which Aristotle made»⁽¹⁾، «لا توجد كذبة أكبر من تلك التي صنعها أرسطو»⁽²⁾.

بهذه العبارات شديدة اللهجة وغيرها عبر " لوثر" عن رفضه استخدام العقل كمصدر مستقل للفهم اللاهوتي، لأنّه فاسد بسبب الخطيئة الأصلية فالإيمان والنعمة هما الجسر الوحيد الذي يعبر به الإنسان نحو الحق الإلهي، وليس العقل وحده»⁽³⁾.

«الكتاب المقدس هو وحده القاعدة الحاكمة للحياة المسيحية، وكل ما لا يوافقها يجب أن يرفض مهما كانت سلطته»⁽⁴⁾.

فالجماعة البروتستانتية تركز وبشكل نهائي على أنّ الكتاب المقدس يجب أن يكون المرجع النهائي لجميع المعتقدات والممارسات المسيحية، وأي شيء لا يتماشى معه يجب رفضه بغض النظر عن السلطة التي تدعّمه.

ومن الذين نقدوا نظرة زعماء الإصلاح للكتاب المقدس اللاهوتي بابا الفاتيكان السابق "جوزيف راتزنغر"⁽⁵⁾، الذي أكد أنّ الكتاب المقدس ولد من قلب الكنيسة، وأنّه لا يفسر بمعزل عنها فالكتاب المقدس يحتاج إلى تفسير كنسي وتاريخي وروحي، وبدون الكنيسة يفهم الكتاب فهما فرديا ومجزأ⁽⁶⁾،

⁽¹⁾—Martin Luther: table talk translated by Henry Bell Cassell's national library, London; 1886, p382.

⁽²⁾—عبد الحميد حمدي: المرجع السابق، ص: 208.

⁽³⁾—المرجع نفسه، ص: 209.

⁽⁴⁾—محمد عمارة: (مارتن لوثر): حياته وفكره، ط1، دار الشروق، مصر، 2005م، ص: 145.

⁽⁵⁾—جوزيف راتزنغر: بندكت السادس عشر (1927-2022) هو البابا 265 في الكنيسة الكاثوليكية من أصل الماني، ولد بمبارك بولاية بافاريا في ألمانيا، درس الفلسفة والآهوت في جامعة ميونيخ، عام 1953م حصل على إجازة في الآهوت من الجامعة نفسها.

استرجع يوم: 2024/9/12. (<https://www.aljazeera.net>)

⁽⁶⁾—Joseph Ratzinger: Jesus of Nazareth from the Baptism in the Jordan to the transfiguration, BY John Gueguen Doubleday, New York, 2007, p337.

وأيضاً "ألفونسو ماري دي ليغوري"⁽¹⁾، هو الآخر الذي دافع عن أهمية التقليد المقدّس في تفسير الكتاب المقدّس، وأنّ التقليد الكنسي ليس ضدّ الكتاب بل هو إمتداد لروحه، ولا يمكن فصل العهد الجديد عن الكنيسة التي كتبه وجمّعه⁽²⁾، و"جون هنري نيومان"⁽³⁾ أكّد أنّ العقيدة تنمو عبر الخبرة الروحية والتاريخ الكنسي، ويقول في هذا الصدد:

«Moral theology.../is/ the science of the Divine will as revealed to man,as that..the catholic church has authority to apply that law, and to add positive laws,under the guidance of the holy Ghost, which bind the conscience of every christion...».⁽⁴⁾

«اللاهوت الأخلاقي هو علم مشيئة الله كما أعلنت للإنسان، كما وردت في الكتاب المقدّس... وأنّ الكنيسة الكاثوليكية لها السلطان لتطبيق هذا القانون، ولإضافة قوانين إيجابية تحت إرشاد الروح القدس، وهي تلزم ضمير كل مسيحي».

كما كتب القمص "متى المسكين"⁽⁵⁾ عن العلاقة بين الكتاب والروح القدس والكنيسة، وإعتبر أنّ الكتاب بدون الروح والكنيسة يصبح جافاً، يقول في هذا الصدد «الضرورة تختم علينا أن لا نقول أو نشهد للروح القدس في حياتنا أو تعليمنا إلّا في ضوء التقليد الأبائي، الذي بدوره ملتزم في الأساس بكلمة الإنجيل، فتقليد الكنيسة هو الذي يحدد صحة المعنى أو الشرح أو التطبيق، سواء في اللاهوت العقائدي أو اللاهوت الروحي النسكي العملي، وكل خروج عن خط الآباء العام تخرجنا عن مفهوم

⁽¹⁾—ألفونسو ماريادي ليغوري: (1787-1696) ولد في مدينة نابولي من عائلة نبيلة وغنية، نال شهادة بروفور في القانون المدني والكنسي وهو مازال في السادسة عشرة من عمّرة، كان اسقفا كاثوليكيا إيطاليا، كاتباً، روحياً، مؤلفاً، موسيقياً، فناناً، أسس رهبنة الفادي لإفدس عام 1732م. (<https://catholic-eg.com/1/8/2022>)

⁽²⁾—John-j-Elmendorf: Elements of moral theology, James pott, New york, 1892, p29.

⁽³⁾—جون هنري نيومان: (1890-1801): شاعر لاهوتي وفيلسوف وكاهن أنجليكاني تحول فيما بعد ليصبح كاردينال كاثوليكياً، ولد في تيومان، وكان شخصية مهمة ومثيرة للجدل في تاريخ إنجلترا الديني في القرن التاسع عشر.

استرجع يوم:2022/12/12. (<https://ar..Zenit.org> 18 oct 2019).

⁽⁴⁾—John Henry Newnan: An Essay on the development of christion doctrine, university of Notre Dame press 1878, p337.

⁽⁵⁾—متى المسكين: (2006-1919) راهب مصري قبطي اسمه الحقيقي يوسف القبطي، ولد بمصر، تخرج من كآية الصيدلة عام 1943م من وعمل في الصيدلة حتّى عام 1948م ووبعدها باع كلّ ما يملك واتّجه إلى الرّهينة، أسس تياراً إصلاحياً داخل الكنيسة القبطية وإشتهر بلقب متى المسكين. (<https://tabcm.net.zheosis> 10/6/2025 Across Borders)

الأرثوذكسية، وعن حياة الكنيسة التي انصبغت بها ألفا سنة»⁽¹⁾.

وفي ختام ما قدّم نستخلص أنّ زعماء الإصلاح الديني وفقوا إلى حد ما عندما أقرّوا أنّ الكتاب المقدّس هو الأساس لبناء الإيمان والتعاليم المسيحية بغض النظر عن عدم مراعاتهم لما ذكر آنفاً.

المطلب الثاني: الرهبنة الديرية وزواج رجال الإكليروس:

تعد الرهبنة أحد أبرز المظاهر التعبدية في التاريخ المسيحي، وقد نشأت كحركة روحية تهدف إلى تكريس الحياة بالكامل لعبادة الله من خلال الزهد والإنعزال عن العالم، وقطع الروابط الدنيوية وعلى رأسها الزواج، وقد أصبح الإمتناع عن الزواج (التبتل) سمة جوهرية في حياة الرهبان والراهبات، ينظر إليه على أنّه تعبير عن الطهارة والقداسة، وتقليد لحياة المسيح نفسه الذي عاش بتولا بحسب الروايات الإنجيلية.

ومع مرور الزمن تطورت هذه الفكرة من مجرد خيار روحي فردي إلى قاعدة ملزمة في بعض الطوائف المسيحية، لا سيما في الكنيسة الكاثوليكية التي تحرّم زواج الرهبان والكهنة، وتعدّه شرطا أساسا لحياة التكريس الكنسي، وقد أثار هذا التحريم جدلا لاهوتيا واجتماعيا واسعاً، خاصة مع ظهور حركة الإصلاح الديني التي رأت في هذا التحريم إنحرافاً عن بساطة الإنجيل وتعاليم المسيحية الأولى.

الفرع الأول: تعريف الرهبانية ونشأتها

1- لغة:

جاء في لسان العرب، أنّ الرهبنة من فعل رَهَبَ بالكسر يَرْهَبُ رهبةً ورُهْبًا، بالضمّ، ورَهَبًا، بالتحريك، أي خاف، ورَهَبَ الشيء رهبًا ورُهْبًا ورهبةً أي خافه⁽²⁾.

وقال ابن الأثير: الرهبانية منسوبة إلى الرهبنة، بزيادة الألف، وأصلها من الرهبنة، ثمّ صارت إسما لما فضل عن المقدار وأفرط فيه⁽³⁾، وهي من رهبنة النصارى، قال: وأصلها من الرهبة: الخوف، كانوا يترهّبون بالتخلي عن أشغال الدنيا وترك ملاذها، والزهد فيها، والعزلة عن أهلها وتعمد مشاقها، حتّى إنّ منهم

⁽¹⁾—متى المسكين: الروح القدس الرب المحيي، ط1، دير القديس أنبا مقار—وادي النطرون، القاهرة، 1981م، الكتاب الثاني، ص: 517.

⁽²⁾—أبو جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 1989م، ج1، ص: 1748.

⁽³⁾—المصدر نفسه، ص: 1748.

من كان يخصي نفسه، ويضع السلسلة في عنقه وغير ذلك من أنواع التعذيب⁽¹⁾ الذي يقوم به الرأهب بقصد العبادة والطاعة⁽²⁾.

لذا جاءت في القرآن الكريم بصيغة النهي في قوله تعالى: "ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ"⁽³⁾.

أما التعبير القبطي الذي يستخدم للدلالة على كلمة (رأهب) فهو (موناخوس) (Monaxos) وأصلها باليونانية (Monos)، وتنقسم إلى قسمين (Monos) وتعني الوحيد أو المتوحد أو العازب، وهي إحدى صفات الرأهب الذي يعتزل الناس ليحيا بمفرده من غير زوجة، ولا أولاد بعيداً عن المجتمع، فيتوفر له الوقت لينمو روحياً ونفسياً، و(Isme)، وتعني المنهج وتطلق أيضاً على النظام أو الفكر⁽⁴⁾.

وتجدر بنا الإشارة إلى أنّ لفظة رهبنة لم يرد لها ذكر في الكتاب المقدس، ولا يتضمن تعليمًا أو تلميحًا إلى هذا المنحى من الحياة، حتى أنّ المسيح عليه السلام لم يدع ولا مرة إلى حياة الرهبانية بإستثناء ذلك النداء الموجه لذلك الشاب الذي سأله عن الكمال، فأجابه المسيح قائلاً: «إن أردت أن تكون كاملاً فإذهب وبع أملاك وأعط الفقراء، فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني»⁽⁵⁾، وهذا طبعاً لا يوحى من قريب ولا من بعيد، ولوهلة واحدة إلى دعوته إلى الترهين بل قال له اتبعني ولم يقل له كن رأهباً، فإتباع يسوع يعني الإقتداء به والسير على خطاه، إنّه الطريق الموصل إلى الحياة الأبدية، هذا ويسوع نفسه اختار من بين تلاميذه رسلاً ليحملوا رسالته لا ليكونوا رهباناً⁽⁶⁾.

(1) - ابن منظور: المصدر السابق، ص: 1749.

(2) - الأنبا يو أنس: مذكرات في الرهبنة المسيحية، باقات عطر من سير الأبرار، المكتبة القبطية، ص: 01.

(3) - سورة الحديد: 27.

(4) - Nouveau Petit Larousse, Librarie Larousse, paris, p665.

(5) - متى 19: 21.

(6) - إدموند خشان: الحياة الرهبانية في الكنيسة. استرجع يوم: 2024/12/12 (<https://www.ayletmarcharbel.org>)

(17/10/2016).

2/- اصطلاحا:

جاء تعريفها في الموسوعة القبطية the coptic Encyclopedia هي نمط من الحياة الروحية المتخصصة في السك والعزلة والصلاة والتكريس الكامل لله⁽¹⁾.

-يقول حكيم أمين: «المقصود بالرهبانية طريقة المعيشة المنعزلة عن الناس في خلوة فردية تامة بقصد العبادة»⁽²⁾.

ويضيف رؤوف حبيب: «الرهبنة معناها الزهد والتنسك والإنعزال والإنفراد بقصد التبتل والعبادة مع إختيار الفقر طوعا»⁽³⁾.

وجاء في كتاب "تاريخ الأمة القبطية" أنّ «الرهبنة هي نذر التبتل إلى الله مع إختيار الفقر طوعا واعتزال العالم للتعبد»⁽⁴⁾.

ومن العلماء من يعرفها بأنها حياة جماعية أساسها النذور الثلاثة-نذر الطاعة لرئيس الدّير، نذر الفقر، ونذر التبوية-تبدأ بإعتزال الدنيا، والتفرغ للعبادة⁽⁵⁾.

-ويرتبط بالرهبنة ما يسمى "بالديرية" نسبة إلى الدّير: «وهو البيت أو الموضوع الذي يخصص لسكنى الرهبان أو الرأهبان والإلتجاء إليه للتعبد»⁽⁶⁾.

والديرية: هي إلتقاء جماعات من الرهبان وإجتماعهم في مكان بعيد عن العمران والإنقطاع فيه للعبادة مع تنظيم شؤونهم من حيث العبادة وتحقيق مطالبهم الضرورية في الحياة⁽⁷⁾.

-وأیضا من المصطلحات التي إرتبطت بالرهبنة مصطلح النسك، حيث وظف في النصوص

⁽¹⁾ -الموسوعة القبطية (11/2/2025-1991-research.cgu.edu)

⁽²⁾ -حكيم أمين: دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، القاهرة، 1963م، ص: 01.

⁽³⁾ -رؤوف حبيب: تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارها الإنسانية على العالم، مكتبة المخبة، ص: 11.

⁽⁴⁾ -أحمد علي عجيبة: الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ط1، دار آفاق العربية، القاهرة، 2004م، ص: 13.

⁽⁵⁾ -مجموعة من المؤلفين: الموسوعة الغربية الميسرة، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، الجزء الثاني، ص: 882.

⁽⁶⁾ -رؤوف حبيب: المرجع نفسه، ص: 23.

⁽⁷⁾ -إبراهيم العدوي: المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، مطبعة جامعة القاهرة، مصر، 1980م، ص: 71.

الآبائية⁽¹⁾، للدلالة على الحياة وممارستها⁽²⁾.

والشك معناه العبادة والطاعة وكل ما يتقرب به المتعبد إلى ربه، وقيل للمتعبد ناسك لأنه خلص نفسه، وصفها الله تعالى من دنس الآثام كالسييكة الخالصة من الخبث⁽³⁾.

- جاء في قاموس محيط المحيط: «إن كلمة نسك تعني: تزهّد، تعبد تقشف، والنّاسك هو العابد المتزهّد، والرّاهب المنفرد عن النّاس الذي يصرف أوقاته في القنوت (الطاعة) والعبادة وجمع الكلمة نسّاك، والناسكة هو مؤنثها، والمنسك هو المكان الذي يقيم فيه الناسك»⁽⁴⁾.

- أمّا في اللغة القبطية فكلمة نسك (CWK) فتعني مسح، وهو قميص من الصوف الخشن كان يلبس كعلامة على التوبة أو الحزن⁽⁵⁾، والجمع (Niewk)، أي مسوح وهي الثياب الخشنة بشعر⁽⁶⁾.

أمّا النسك في الإصطلاح الكنسي فهو: «كل ألوان إماتة الجسد والزهد في العالم، وتطلق على وجه الخصوص على عبادات الآباء الرهبان الذين هجروا العالم وتركوه، وعاشوا في بتولية وتجرّد ومارسوا أصوامًا مستطيلة بقصد حياة التأمل والصلاة»⁽⁷⁾.

وتعتبر الحياة النسكية منهج يسير عليه الرّاهب طول حياته الرهبانية، من ضبط النفس في المأكل والمشرب، السهر، الصمت، والتعب في العمل، لذا يعتقد المسيحيون أنه بممارسة الرّاهب للنسك بطريقة سليمة يخلق الله فيه طبيعة روحانية جديدة ويمدّه بنعمه، كي يتأهل بها للدخول إلى شركة الحياة الأبدية والإتحاد مع الله⁽⁸⁾.

(1) - النصوص الآبائية: هي مجموعة من الكتابات المسيحية التي كتبها آباء الكنيسة الأوائل وهم قادة دينيون مؤثرون في القرون المسيحية الأولى، وهذه النصوص تتناول مجموعة مواضيع لاهوتية وأخلاقية وروحية، وتعتبر مصادر هامة لفهم تطور العقيدة المسيحية وتاريخ الكنيسة أمثال أثناسيوس الإسكندري، القديس أوغسطين..... الخ (<https://st-takle.org>) استرجع يوم: 2024/12/12

(2) - القمص أثناسيوس فهمي جورج: النسكية كوسيلة للتربية الرهبانية، (موقع الأنبا تكلاهيمانوت، <https://st-takla.org>)

(3) - ابن منظور: المصدر السابق، ج 10، ص: 497.

(4) - بطرس البستاني: محيط المحيط، ط 1، مكتبة لبنان، بيروت، 1987م، الجزء الثامن، ص: 354.

(5) - ليندا بوعافية: نشأة الرهينة المسيحية، مجلة الأحياء، العدد 28، المجلد 21، جانفي 2021م، ص: 513.

(6) - تادرس يعقوب: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والروحانية، المكتبة القبطية، مصر، ص: 35.

(7) - الأنبا يو أنس: المصدر السابق، ص: 158.

(8) - المصدر نفسه، ص: 163.

3/- نشأتها:

يذكر المؤرخون المسيحيون أنّ حياة الرهبنة ظهرت لأول مرة في تاريخ المسيحية في مصر، وأنّ أنطونيوس⁽¹⁾، هو مبتدع الرهبانية⁽²⁾، والمنشئ الحقيقي للنظام الرهباني⁽³⁾، وبالتالي الباعث على هذا اللون من الحياة الدينية في سائر البلاد المسيحية⁽⁴⁾.

وبذلك يمكن القول أنّ مصر هي التي قدمت إلى المسيحية هذا الأسلوب في الزهد والنسكية⁽⁵⁾.

يقول د/عبد القادر أحمد اليوسف: «ظهرت الرهبنة كمؤسسة واضحة المعالم لأول مرة في البلاد المصرية في الجهات الصحراوية في القرن الرابع الميلادي، ومنها إنتشرت بسرعة مذهلة إلى أرجاء العالم المسيحي»⁽⁶⁾.

-يقول زكي شنودة: «النظام بدأ يستهوى نفوس المسيحين في مصر منذ الجيل الثالث للمسيح، وقد توطدت نظمه وتقاليده وطقوسه على أيدي الرهبان الأوائل أنطونيوس وباخوميوس ومكاريوس وغيرهم ممن آثروا حياة العزل والتبل»⁽⁷⁾.

-يذكر يوسابيوس القيصري⁽⁸⁾: «حياة الزهد والتقشف بدأت بمصر حال دخول الديانة المسيحية فيها، وأنّ الذين استجابوا لمقرس عاشوا حياة الزهد الفلسفية المتطرفة»⁽⁹⁾.

يقول الآب متى المسكين: «ومع بداية تأسيس الكنيسة القبطية في الإسكندرية ومصر قام بين

(1)- أنطونيوس: (251-356م) رآه مسيحي من مصر، يعرف بأبو جميع الرهبان يحتفل بعيدة في 17 جانفي في الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية، مؤسس الحركة الرهبانية في العالم، (logosof.com.https://logosofgalille.com) استرجع يوم: 2020/12/12

(2)- حكيم أمين: المرجع السابق، ص: 13.

(3)- حبيب سعيد: تاريخ المسيحية (فجر المسيحية)، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، 1978م، الجزء الأول، ص: 175.

(4)- إبراهيم أحمد العدوي: المرجع السابق، ص: 72.

(5)- يوسف فزي وإميل عقيقي: الحياة الرهبانية (تاريخها، طرقها، قيمها)، منشورات اليوبيل المئوي الثالث للرهبانية اللبنانية المارونية، 1995م، ص: 19.

(6)- أحمد علي عجيبة: المرجع السابق، ص: 63.

(7)- زكي شنودة: تاريخ الأقباط، ط1، جمعية التوفيق القبطي، لجنة التاريخ والنشر، 1962م، ص: 181.

(8)- يوسابيوس القيصري (260-340م): أول مؤرخ للكنيسة المسيحية، صديق الإمبراطور قسطنطين، ولد بفلسطين، أسقف مدينة قيسارية عام 314م له عدة مؤلفات في التاريخ واللاهوت والعقيدة أهمها كتاب (تاريخ الكنيسة) وكتاب (حياة قسطنطين) (بيريل سماری: المؤرخون في العصور الوسطى، ت: قاسم عبده قاسم، ط2، دار المعارف، 1984م، ص: 44).

(9)- يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة، ت: مرقص داود، ط2، مكتبة المحيية، القاهرة، 1979م، ص: 89.

اليهود المنتصرين ثم الأقباط نظام التبطل، والعبادة المنفردة في خارج المدن، وبالأخص في ضواحي الإسكندرية حول بحيرة مربوط»⁽¹⁾.

كما ظهرت بعض الممارسات الزهدية في أماكن أخرى كما يذكر المسيحيون، وقد لعبت دوراً مهماً في حياتهم يقول : د/جوزيف نسيم يوسف: «إنّ الرهبنة بأشكالها المتعددة لعبت دوراً قيادياً في تاريخ الكنيسة المسيحية اعتباراً من القرن الثالث فاصعداً، فكانت الصوامع والقلاوي هي مراكز الثقافة في العصور المظلمة، فمنها خرجت بعثات التبشير بالمسيحية، وعلى يد نزلائها تطورت الحياة الروحية الصوفية التي تركت أعمق الأثر على العقيدة»⁽²⁾.

ومع مرور الوقت فرضت الكنيسة الكاثوليكية قانون البتولية الكاملة على الرهبان والكهنة، خاصة القرون الوسطى معتبرة أنّ الإمتناع عن الزواج يمنح الإنسان صفاء روحياً وحرية كاملة لخدمة الرب، بعيداً عن مشاغل الأسرة، وجاء مجمع اللاتران الأول (1123م)، ومجمع اللاتران الثاني (1139م) ليؤكد تحريم زواج الإكليروس، معتبرين أنّ كل زواج يعقده كاهن باطل، ومع ذلك لم يكن هذا التحريم مقبولاً عند الجميع، بل ظهرت إنتقادات داخلية في الكنيسة نفسها، خاصة مع تفشي مظاهر الفساد الجنسي والإزدواجية الأخلاقية بين بعض الرهبان الذين خالفوا نذور العفة سرّاً⁽³⁾.

4/-أسبابها نشأتها:

أجمل الباحثون أسباب نشأة الرهبنة في ثلاثة أسباب رئيسة:

1/-السبب السياسي: يعدّ من أهم الأسباب التي أدت إلى نشأة المسيحية، فقد عانت المسيحية الأولى من الإضطهاد، خاصّة ما قام به دقلديانوس⁽⁴⁾ عام 303م بإصدار منشور يقضي

(1) متى المسكين: لحة سريعة عن رهبنة مصر، ط1، مطبعة دير القديس أنبا مقار، 1981م، ص: 12.

(2) جوزيف نسيم يوسف: دراسات في تاريخ العصور الوسطى، مؤسسة شباب الإسكندرية، القاهرة، 1983م، ص: 94.

(3) أحمد عجيبية: المرجع السابق، ص: 64.

(4) دقلديانوس: (284-305م) إمبراطور روماني، ولد عائلة متواضعة في دالماتيا غرب كوراثيا، ترقى في مناصب الجيش إلى أنّ أصبح قائداً للخيالة في الجيش اروماني، والتي توج بعدا إمبراطورا لها اضطهد المسيحية في عصره.

(https://kingdomoftheearth.blogspot.com/2021/24/7/2023)

بإبادة الكنائس، وحرق الكتب المسيحية، وحرمان المسيحيين من حقوقهم المدنية، مما أدى بالمسيحيين إلى الهروب إلى الصحاري فترهبوا، ومع تولي قسطنطين الكبير الحكم، وإصداره مرسوم التسامح الديني 313م، وأصبحت المسيحية دينا معترفا به إلا أنّ بعض المسيحيين بقوا في عزلتهم⁽¹⁾.

2/- السبب الإقتصادي: بسبب سوء الأحوال الإقتصادية في مصر منذ القرن الرابع ساعد على إنتشار الرهبنة، وأشدّها الضرائب التي فرضتها الدولة الرومانية عليهم، فأرهقت كاهلهم، فلأذوا بالفرار إلى الصحاري تاركين بيوتهم وممتلكاتهم مخيّر بين حياة اللصوص، أو حياة الرهبانية التي توفر لهم الأمن⁽²⁾، يقول: حكيم أمين: «سببا آخر دفعه الطمع.... أوّل باعث على هذه الرهبنة هو القانون الذي وضعه قسطنطين عام 320م، وفيه يعفى العزاب ومن لا نسل له من دفع الضرائب المفروضة على غيرهم، وهذا القانون حدا بالكثيرين من محبي النفس والمال إلى الإمتناع عن الزواج، والذهاب إلى الأديرة»⁽³⁾.

3/- السبب الديني: جاءت الرهبنة كرد فعل عما عرف عنها من إنحراف، وتُعد رجالها عن تعاليم المسيحية خاصة بعد تقرير ألوهية المسيح، ووضع قانون الإيمان المسيحي في الجمع المسكوني بنقية (325م)، لذا اعتزل بعض المسيحيين العالم والكنيسة احتجاجًا على هذا الإنحراف العقدي من جهة، والإنحراف والفساد الأخلاقي لكثير من رجال الدين، وانغماسهم في ملذات الحياة، الأمر الذي دفعهم للعزلة والإنقطاع للعبادة بعيدًا عن الكنيسة ورجالها، في الصحاري وقمم الجبال⁽⁴⁾.

5/- أهم أعلامها:

من أهم أعلام الرهبنة المسيحية، نذكر منهم:

-أوريجانوس (185-254م): أحبّ العزلة، والعيشة الصارمة، كانت تعاليمه النسكية تدعو إلى حياة التأمل والعزلة، من اقطاب مدرسة الإسكندرية اللاهوتية⁽⁵⁾.

(1) -بنشر آل: تاريخ الأمة القبطية، ت: اسكندر تاضروس، مكتبة المحبة، القاهرة، الجزء الأول، ص: 170.

(2) -حكيم أمين: المرجع السابق، ص: 6.

(3) -أحمد علي عجيبة: المرجع السابق، ص: 68.

(4) -حبيب سعيد: المرجع السابق، ص: 173.

(5) -حكيم أمين: المرجع نفسه، ص: 12.

-بولس الطيبي (228-343م): عاش في قير مهجور أكثر من 80 سنة وحيّدًا، والذي حوّل فيما بعد إلى دير بعد موته، من أعلام الرّهبة القبطية، مؤسس رهبنة البواح⁽¹⁾.

-القديس أوغستان (354-430م): أوّل من دعا إلى الجمع بين الرّاهب ورتبة الكاهن، وكان ميالًا إلى إختيار الكهنة من بين الرّهبان، وجاءت قوانينه بمثابة نصائح عامة للحياة الرّهبانية.

-القديس كياس (360-440م): يعد همزة وصل بين رهبان الشرق والغرب من خلال مؤلفيه (المؤسسات الرهبانية) و(المحاضرات)⁽²⁾.

-القديس بندكت (480-543م): وهو من أدخل الحياة الرهبانية إلى بلاده⁽³⁾، وغيرهم من الشخصيات التي سلكت طريق الرهبنة، وكانت في نظر المسيحيين رمزا للطهر، ونموذجًا يحتذى به.

الفرع الثاني: رأي "مارتن لوثر":

من المسائل التي وقف عليها زعماء الإصلاح آنذاك، وانتقدوا الكنيسة الكاثوليكية فيها هي مسألة زواج رجال الدّين المسيحي، فقد امتنع رجال الدين الأوائل والقديسين في المسيحية عن الزّواج، وظلت الكنيسة تلزم رجال الإكليروس بالعزوبية أسوة بالرّهبان والسابقين.

يقول يوحنا ذهبي الفم: «أنّ بتولية رجال الدين ليست امتناعا سلبيا عن الزّواج، وطلب للراحة من مسؤوليات الأسرة، بل هي إلتصاق بالرّب من كلّ القلب، وتسليم الإنسان كل نفسه لخدمته، كما هي تفرغ لله وإقبال على حبّه في فرح وبذل كاملين»⁽⁴⁾.

يوضح "يوحنا ذهبي الفم" أن بتولية رجال الدين ليست إختيار سلبي، بل هي قرار إيجابي يسمح لهم بالتركيز على خدمة الله والإلتزام بها، فهو يقرّ أنّها دعوة للبدل والعطاء على حبّ الله في فرح وانسراح.

(1)-المرجع السابق، ص 15.

(2)-أحمد حسن القواسمة، زيد موسى أبو زيد: موسوعة الفرق في الأديان السّماوية الثلاثة، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، دار الراية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009م، ص: 149.

(3)-ليندة بوعافية: المرجع السابق، ص: 519.

(4)-القديس يوحنا ذهبي الفم: البتولية، ت: الرّاهب القمص مرقوريوس الآنيا بيشوي، ط1، مكتبة النشر للطباعة، سوريا، دمشق، 2008م، ص: 7.

فالكنييسة الكاثوليكيّة نادت بمبدأ التبتل⁽¹⁾، وألزمت الكهنة والأساقفة بهذا المبدأ، وفي نفس الوقت أعطت الزّواج قداسيته وأتته سر من أسرار الكنيسة، لكن يبقى مبدأ التبتل هو الأساس من أجل تكريس أشمل وكلي للمسيح، فهو الكاهن الأوحّد وقد عاش بتولا، فقد دعا الرسل عن التخلي عن الجميع ليّتبّعوه، فأجاب بطرس حينئذ، وقال: (ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا؟ فقال يسوع: الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضا على اثني عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الإثني عشر، وكلّ من ترك بيتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجراء يأخذ منه ضعف ويرث الحياة الأبدية)⁽²⁾.

وجاء في موضع آخر على لسان بولس: «فأريد أن تكونوا بلا همّ غير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرّب، وأما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضي إمراته»⁽³⁾.

علق "دوبنياه" على ما آلت إليه كنيسة روما طوال قرون ما قبل الإصلاح من خروق أخلاقية ومفاسد داخل أسرار جراء منع الإكليروس من الزواج، ساهم في تصدير شرور كثيرة، فأضحت الحاجة ملحة لتخليص رعاة كثيرين لا نجد فيهم عيبا سوى سكناهم مع امرأة يرغبون بكلّ قلوبهم أن يتزوجوا بها زواجا شرعيا، وكل مناهم أن يسكّنوا قلق ضمائرهم ويتخذوا تلك المرأة زوجة شرعية لهم ويساكنوها بالتقوى ولا يعيروا لإرضاء البابا إهتماما، فإنّ خلاص نفوسهم هو أهمّ لهم من الشرائع الظالمة المطلقة التي لا تصدر من قبل الرّب.

وهذا ما أكّده زعماء الإصلاح عند مناهضتهم للكنيسة الكاثوليكية فنجد (مارتن لوثر) يؤكّد على أنّ (الإكليروس سقطوا في حالة مخزية، فكّم من وسطاء صاروا مثقلين بالنساء والأولاد وتويخ الضمير ومع ذلك لا يأتي أحد لمساعدتهم، كما أنّ البابا والأساقفة استحسّنوا ترك الأشياء على حالها

(1) -البتيولية المسيحية: هي حالة عزوية يختارها المؤمن المسيحي ليكرس حياته بالكامل لله والخدمة، وهي عدم الإرتباط بزواج أو زوجة، فهي الإتحاد مع الله لا مع الإنسان (بنيامين محرقى: البتيولية في فكر القديس أثناء سيوس الرسولي، كتاب التراث الرهباني في الشرق الأوسط، 2018م، ص: 4).

(2) -متى 19: 28-29.

(3) -1كو 7: 32-33.

فما هلك يبقى هالكاً⁽¹⁾؛ ينتقد "لوثر" وبشدة رجال الدين الذين انخرفوا عن مبادئهم، فكانوا يعيشون مع نساء وأولاد دون زواج شرعي مما يؤدي إلى توبيخ الضمير والشعور بالذنب، لأنهم لم يقوموا بواجباتهم إتجاه النساء والأولاد، ولا يقدمون لهم المساعدة، فلام البابا والأساقفة لأنهم يسمحون لهذه الحالات بالإستمرار دون إتخاذ أي قرار ضدهم.

وهذا ما يعكس لنا أنّ "لوثر" طالب بإصلاحات جذرية لتصحيح هذه الحالات، فأعلن بذلك أنّه يجب أن يكون لكل مدينة راع وأسقف، وأن يكون لذلك الراعي زوجة، فجاء في رسالة بولس إلى تلميذه تيموثاوس: (يجب أن يكون الأسقف بلا لوم، بعل امرأة واحدة، صاحباً، عاقلاً، محتشماً، مضيئاً للغرباء، صالحاً للتعليم)⁽²⁾، وهو إشارة إلى الشروط التي يجب أن تتوفر في الراعي أو الأسقف في الكنيسة المسيحية.

أكد "لوثر" إلتزامه بشعار الزواج كونه راحة لرجال الدين، على الرغم من ردود الفعل الأولى التي أثارها هذا الموقف، ويرى "لوثر" أنّه على المؤمن التسليم بقدسية الزواج كونها هبة إلهية، وليس من الحكمة حرمان رجال الدين من هذا الحق، كما يشدّد على أهمية الزواج كنظام إلهي يهدف إلى بناء أسرة مسيحية قوية تقوم على الاحترام المتبادل وتحمل مسؤوليات ومسرات إنجاب الأطفال وتربيتهم، فإعتنق المفهوم الأوغسطيني في الزواج، بإعتبار أنّ الزواج مؤسسة من صنع الله⁽³⁾.

فمفهوم زواج الإكليروس في الفكر اللوثيري يتجاوز كونه عقد شرعي بين شخصين إلى كونه نظام مؤسس لنواة أسرية هي أساس المجتمع المسيحي، بل جعل من الزواج يسمو إلى مركبة العبادة لمساهمته بشكل كبير في تجنب الفواحش خاصة في خضم ما عرف في تلك الأزمنة من مفاسد مثيرة لغضب الرّب. وقد لاقت آراء "لوثر" ردود فعل متباينة، وساهم في نشر هذه الآراء في أوساط المجتمع الديني أصحاب المصلح الألماني، والذين كانوا يحرصون الرهبان على الزواج وبادروا هم بذلك.

ومن خلال ردود الفعل المناصرة لـ "لوثر" نستنتج أنّ فكرة زواج رجال الدين، كانت تراود رجال الدين أنفسهم، لكن القوة التي بلغها الكرسي البابوي آنذاك، جعلت الفكرة دفينّة في قلوب أصحابها

⁽¹⁾ -ميرل دونيهيه: المصدر السابق، م2، ص: 400-401.

⁽²⁾ -تيموثاوس 3/2.

⁽³⁾ -سكوت إتش هندريكس: المصدر السابق، ص: 91.

لتحول إلى كبت منتج للرديلة ومساوئ الأخلاق، وما إن رفع "لوثر" هذا الشعار حتى تعالت الأصوات من الكاثوليك أنفسهم»⁽¹⁾.

«I loved my wife and confessed that this love had surpassed my love for myself, and how I wished that my death Would precede hers and the death of our children»⁽²⁾.

(أحببت زوجتي وأقرت أن هذا الحب قد فاق حبي لنفسي، ولكم تمنيت أن يكون موتي سابقاً لموتها وموت أبنائها)، وفي ذات السياق يقول: (يا إلهي ليس الزواج لمطلب جسدي طبيعي فحسب، إنه هبة من الرب، تحوطه حياة العفة التي تفوق حياة الرهبنة، وأن أعظم نعمة للإنسان زوجة تقية رقيقة تحشى الله وتحب البيت) ، فعارض بتولية الرهبان والقساوسة، ووصف الزواج بأنها أحد المنظومات الصادقة التي أوجدها الله للبشر إلى جانب الحكومات والكنائس⁽³⁾.

الفرع الثالث: رأي " أولريخ زوينجلي "

كان لـ " زوينجلي " موقف ثابت من قسوة الكرسي البابوي في تعامله مع مسألة الرهبنة وزواج الرهبان.

فرأى أن الرهبنة، كما مورست في عصره، هي إنحراف عن بساطة الإنجيل، وقد وصفها بأنها نظام بشري، وليس دعوة إلهية، وعبر عن ذلك في خطباته وأعماله التفسيرية قائلا: (الرهبان يعدون أنفسهم أقدس من سواهم، لا لشيء إلا لأهم لا يتزوجون ولا يلمسون العالم، وهذا كبرياء يرفضه المسيح)، وقال: (ليس من التقوى أن تعيش معزولا في صومعة، بل أن تعيش في العالم خادماً لإخوتك).

بمعنى أن الرهبنة تؤدي إلى العزلة والانفصال عن العالم، وأنها مظهر خارجي للتقوى والقداسة، وتهمل الجانب الداخلي من الإيمان والروحانية، لأن الخلاص لا يكون بالأعمال الصالحة والتقشف الجسدي، بل بالإيمان وحده بيسوع المسيح⁽⁴⁾.

⁽¹⁾—جوناثان هيل: المصدر السابق، ص: 198.

⁽²⁾—the table talk of martin luther, translated Hozliti, p297.

⁽³⁾—محمد خالد أبو خطب: المرجع السابق، ص62/63.

⁽⁴⁾—<https://study.com>2022/7/22: استرجع يوم: .

وكان أيضا من المستحدثات الكثيرة في زمنه، ما فضح الحزب البابوي كفضيحة زواج الإكليروس التي نهضت تتحدى كل تأديب أو ترتيب كنسي، فالسلطات الكنيسة كان تغض النظر، وفي أكثر الحالات تستر على أن يعيش رجل الكنيسة خفية كما لو كان متزوجًا، أمّا أن يتزوج رسميا فهذا أمر لا يطاق وخطيئة مميتة⁽¹⁾.

وهنا يتضح التناقض الذي وقع فيه رجال الدين الكاثوليك، فالسلطات الكنسية هي التي من واجبها الحفاظ على سمعة الكنيسة والدين، لكنّها سوقت فكرا دينيا من خلال التستر على أعمال رجال الدين، بل وتشجيعهم على الإنغماس في الشهوات وإرتكاب الخطايا ودعوتهم للتكتم عن ذلك مقابل تجريمها لكل من سؤلت له نفسه ترك تلك المستنقعات من الخطايا والتفكير في الزواج.

فيؤكد "زوينجلي" على أنّ الله لم يجرّم هذا الحق الشرعي على أي طبقة من المسيحيين، ومن الخطأ تجريمه على القساوسة، الذين أصبحت عزوبيتهم سببا للإستباحة والأخلاق المنحطة، وعليه فإنّ الزواج مباح لكل الناس، لأنّه من مباحات الله ونعمه المخلصة للإنسان من الرذيلة، فيقول في هذا الصدد:

«All which god has allowed, or not forbidden, is righteous Hence marriage is permitted for all men and women... those who pledge and promise chastity, refusing matrimony foolishly and childlessly take too much upon themselves those who make such vows do wrong».⁽²⁾

-الزواج مباح لجميع البشر لا يجوز تجريمه على أحد، والكهنة الذين يقسمون بالعفة ويتخلون عن الزواج يرتكبون خطأ إلهيا وغير ضروري.

وإستند "زوينجلي" في هذا إلى نصوص العهد الجديد خاصة ماجاء في (ولكنّ الروح يقول صريحاّ أنّه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان، تابعين أرواحًا مضلّة وتعاليم شاطين في رياء أقوال كاذبة، موسومة ضمائرهم، ما نعين عن الزواج، وأميرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر

⁽¹⁾—أندروملر: المصدر السابق، ص: 533.

⁽²⁾—Reformation SA.org: What Would Reformer ulrich zwingli Say to us today 27/11/2020.

من المؤمنين وعارفي الحق⁽¹⁾، فهذا النص يشير إلى أنّ هناك أناسا سيعملون بتعاليم غير صحيحة، وقد يكون لديهم مظهر خارجي جيد لكن باطنهم فاسد.

وأيضاً أكد "زوينجلي" على أنّ الزواج سنة إلهية منذ الخليقة ولا يمكن أن تلغى بشريعة بشرية، وإستند في ذلك إلى: «لذلك يترك الرجل أباه وأمه، ويلتصق بإمرأته ويكونان جسداً واحداً⁽²⁾»، ويدعو أيضاً السلطات إلى حماية الكهنة من طغيان البابا بفرضه عليهم هذا القرار فيقول:

«...but . we beg of you to protect married priests against they tyranny of the Roman pope» .⁽³⁾

(لكننرجوكم أن تحموا الكهنة المتزوجين من طغيان البابا الروماني).

وكانت دعوة "زوينجلي" إلى إلغاء نظام الرهبة، وتشجيع الرهبان والراهبات على الاندماج في المجتمع، وإعفاءهم من نذور العفة، وفي أبريل عام 1524م تزوج "زوينجلي" الأرملة "أنا راينهارت"، عملاً بالمبدأ القويم الذي طالما نادى به كحق كتابي تجيزه كلمة الله، وأعلن زواجه متحدياً بذلك الكنيسة الكاثوليكية غير أنّ زواج "زوينجلي" لم يحدث ردّة فعل بابوية، بإعتبار أنّ الكنيسة الكاثوليكية لم يكن في نظرها رآها ولا زوجته رآهبة، وبالتالي فلا يعتبر زواجهما إجراماً⁽⁴⁾.

فـ"زوينجلي" دعم الزواج للكهنة إنطلاقاً من الكتاب المقدّس، ومبادئ الخلق الأولى، على عكس النظام الكاثوليكي القائم.

الفرع الرابع: رأي "جون كالفن"

إرتأى "كالفن" هو الآخر إلى أنّ الرهبة في صورتها التي تطورت في الكنيسة الكاثوليكية هي سوى إنحراف عن البساطة الرسولية التي عرفتها الكنيسة الأولى، وقد إعتبر أنّ الرهبة أدخلت إلى المسيحية بعد

(1)–1تيمو 4: 1-3.

(2)–تك 2: 24.

(3)–J.G.Hess: ulrich Zoringli (1484–1531) the Swiss Reformer, Cristoraul.org

24/9/2020.

(4)–أندروملر: المصدر السابق، ص: 533.

العصر الرسولي كنتاج لروح بشرية مفرطة في التصوف والإنفصال عن الحياة فالنسبة له (الرهبة ليست دعوة إنجيلية، بل نظام بشري مشبع بالخرافات والرياء)⁽¹⁾، فـ"كالفن" لم ينكر أن يختار بعض الأفراد حياة الزهد والإنعزال بدافع روحي صادق، لكنّه رفض تماما تحويل هذا الخيار الفردي إلى نظام كنسي إلزامي أو إعتبره أكثر قداسة من الزواج، ويقول أيضا في هذا الصدد: «أسلوب حياة إختاره البشر، خال من أي تأييد كتابي يزعمون فيه أنّهم ينقطعون عن العالم لله، لكنّهم في الواقع يعيشون في كسل وخذاع»⁽²⁾.

كما أنّه ينتقد الرهبان في إدعائهم أنّهم أكثر قداسة من سواهم «ما من شيء أكثر بعداً عن الإنجيل من أن يعتبر الناس البتولية أعلى درجات الكمال ويحتقرون الزواج كأنّه نجاسته»⁽³⁾.

ويصنف في موضع آخر: «إنّ أولئك الذين يدعون أنّهم يخدمون الله من خلال الرهبة غالبا ما يخدمون الناس بمظاهر خارجية، بينما يغوصون في الرياء أو الفجور»⁽⁴⁾.

ويرى أنّ نذر الرهبانية مخالف للطبيعة البشرية ويؤدي إلى نتائج أخلاقية سلبية ويقول في هذا الأمر:

«The monastic Vow of celibacy is a snare to the soul, not a path to holiness» .⁽⁵⁾

(نذر الرهبة للعزوية هو فخ للروح، وليس طريقا إلى القداسة).

– كما أشار إلى إعتقاد الأديرة على التبرعات والعشور، وبالتالي أصبحت عبئا على المجتمع.

«Monasteries devour the Wealth of the poor while producing nothing in return» .⁽⁶⁾

(1) –جون كالفن: المصدر السابق، ص: 99.

(2) –المصدر نفسه، ص: 72.

(3) –المصدر نفسه، ص: 243.

(4) –المصدر نفسه، ص: 273.

(5) –John calvin: Institutes of christian Religion, Translated by Henry beveridge, Hendrickson Publishers, 2008, TV, 13, p10.

(6) –William J: bouvsma: Jhon calvin A scixteenth-century Portait, oxford university press, 1988, p82.

(الأديرة تلتهم ثروة الفقراء دون أن تنتج شيئاً في المقابل).

بالإضافة إلى ذلك فقد أكد أنّ الزواج بمثابة حبل نجاة للكثير من الإكليروس الذين لوثنهم الخطايا، فنأدى بعدم إلزامية زواج رجال الدين مؤكداً على حق كل فرد في تكوين أسرة وعيش حياة عادية ويقول في هذا الصدد:

«Marriage is a gift from god, and there is no nobler gift than for a gospel servant to be surrounded by a righteous family that helps him devote himself to ministry».⁽¹⁾

(الزواج عطية من الله، وليس هناك موهبة أكثر نبلاً من أن يكون خادم الإنجيل محاطاً بعائلة صالحة، تساعد على التفرغ للخدمة).

وعلق على نص رسالة بولس الأولى إلى يسوتائوس: «فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم، بعل إمراة واحدة»⁽²⁾ فيقول:

«Paul didn't prohibit bishops from marrying on the contrary, he made it clear that marriage is possible and desirable, saying a husband of one wife it's clear that he was rejecting polygamy and fornication, not marriage itself».⁽³⁾

(إن بولس لم يمنع الأساقفة من الزواج بل على العكس، بيّن أنّ الزواج ممكن ومرغوب فيه، إذ قال: يجب أن يكون بعل إمراة واحدة"، فإنّ من الواضح أنه كان يرفض التعدد والزنا، لا الزواج ذاته).

وفي أوت عام 1540م، تزوج جون كالفن من "أدليت دي بور"، وهي أرملة لأحد رجال الكنيسة، حازت على كلّ المواصفات المطلوبة، وأنجبت له طفلاً واحداً عام 1542م وماتت في مقتبل عمرة، وماتت هي الأخرى عام 1549م، وتركته وحيداً، فكتب من أجلها «لقد فقدت أعز رفيق

⁽¹⁾—John T. Mc Neill: the History and character of calrnism oxford université press, 1954, p222.

⁽²⁾—1-تيمو 3: 2

⁽³⁾—John Calvin: Commentaries on the Epistles to timothy, titus and philemon translated by William Pringle, edinburgh calvin translation Society, 1856, p66.

لحياتي»⁽¹⁾، وقال فيه: «لقد إخترت امرأة تعينني في خدمتي، لا تعيقني عنها، وقد وجدت فيها نعم العون والسكينة»⁽²⁾.

وفي خلاصة القول قام زعماء الإصلاح البروتستانتى برفض حظر الزواج على رجال الدين مؤكدين على أنّ الزواج حق طبيعي وشرعي وفقا لما جاء في الكتاب المقدس وتعاليم المسيح.

المطلب الثالث: الطقوس والتقاليد الكنيسة

من بين المبادئ والإصلاحات التي نادى بها زعماء الإصلاح الديني في القرن السادس عشر، والتي أحدثت تحولا جذريا في الكنيسة الكاثوليكية، كرد فعل على الفساد العقائدي والمؤسسي فيها مبدأ الطقوس والتقاليد الكنيسة التي كانت تمارسها الكنيسة آنذاك، إذا اتفق مصلحو الإصلاح الديني على ضرورة التخلص من هذه الممارسات والرموز التي إعتبرت غير مؤسسة على الكتاب المقدس، فكانت طقوس معقدة تقام بلغة لا يفهمها الشعب، مثل: القداسات اللاتينية⁽³⁾، الطقوس الطولية⁽⁴⁾، استخدام البخور، التماثيل والرسومات، تمجيد القديسين، والموسيقى الدينية وغيرها، مما جعل العبادة في الكنيسة عبادة طقسية أكثر منها روحية.

الفرع الأول: تعريف الطقس

1/- لغة: الطقس ج طقوس: الطريقة، وغلب على الطريقة الدينية فهو بمعنى النظام والترتيب وإقامة الشواعر⁽⁵⁾.

(1) -جون لوريمر: المصدر السابق، ص: 223/4.

(2) -يوسف تادرس: جون كالفن: حياته وتعاليمه، دار الثقافة، القاهرة، 2002م، ص: 112.

(3) -القداسات اللاتينية: هو نوع من القداس أو الذبيحة الالهية في الكنيسة الكاثوليكية، ويعرف أيضا بالقداس التريدينتي أو الشكل الإستهائى للطقس الروماني، يتميز بالإحتفال بلغة لاتينية تقليدية مع استخدام طقوس وممارسات محددة نشأت في العصور الوسطى، (وهو مجموعة من الصلوات والتشكرات التي تقدم لله لتقديس السر المقدس (سر جسد المسيح ودمه) (القمص انطونيوس فكري: الأسرار الكنسية السبعة موقع الأنبا تكلا هيمما <https://st-tokla.org> استرجع يوم: 2024/12/1

(4) -الطقوس الطولية: وهي العبادات التي تعتمد على تسلسل طويل ومعقد من حركات ورموز وتراتيل كإشعال البخور، ليس خاص بالنسبة للكهنة التبرك ببعض القديس، رفع كأس القران بطريقة معينة، إستعمال الأجراس شموع، بمهدف إضفاء رهبة وقدسية على عبادتهم (بتصرف). القمص انطونيوس فكري: الأسرار الكنسية السبعة موقع الأنبا تكلا هيمما <https://st-tokla.org> استرجع يوم: 2024/12/1

(5) -لويس معلوف اليسوعي: المنجد في اللغة والإعلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 2009م، ص: 468.

-طقوس: جمع طقس: النظام والترتيب.

الطقس عند المسيحيين: نظام العبادات الدينية وأشكالها، شعائرها واحتفالاتها⁽¹⁾.

-الطقوس (Rites) جمع طقس ومقابلها في اللغة الفرنسية والإنجليزية "Rite" وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية "Ritus"، وتعني عادات مجتمع محدد وتقاليد، فهو عبارة عن عمل أو أعمال شكلية متعارف عليها ذات طبيعة سحرية أو دينية بنوع خاص، ويقال الطقوس الإجتماعية، وطقوس الميلاد، وطقوس العبور، وطقوس البلوغ، وطقوس التطهير والطقوس الدينية⁽²⁾.

2/- اصطلاحا (إصطلاح كنسي): مجموعة الصلوات والابتهالات التي تتم في الإحتفالات

الكنيسة ويتلوها الكاهن، ومساعدوه في أداء الأسرار المقدسة⁽³⁾.

وهم يجعلون لكل من الأعمال الدينية عندهم طقسا خاصا به، ولا بد أن يمارس على أيدي رجال الدين وبواسطتهم، فجعلوا الأسرار الكنيسة عندهم طقوسا خاصة بكل سر منها، ولا يصح أن يقوم به الشخص العادي بمفرده دون الرجوع إلى رجال الكهنوت والإستعانة بهم، فإنّ لم يرجع إليهم لا يعد آخذا لصفته الدينية في نظرهم، وهذه الطقوس منها ما هو مرتبط بالأسرار، ومنها ما هو مستقل عن الأسرار⁽⁴⁾.

الفرع الثاني: تعريف التقاليد الكنيسة

لغة: كلمة تقليد جمع تقاليد بمعنى التسليم، وهي ترجمة للكلمة اليونانية المستخدمة في الكتاب المقدس وهي (Paradosis)، وتفيد الأمور المسلمة من يد إلى يد⁽⁵⁾.

وقد شرح العالم الألماني بير "Bauer" أنّ أصل الكلمة اليونانية (Paradosis) لا تعني المحاكاة، وإنما مشتقة من الفعل اليوناني في الأصل (Paradidomi) الذي يعني يعهد بشيء إلى آخر، أو يسلم شيئا يدا ليد Feromhand to hand، لذلك أصبحت كلمة (Paradidomi) تعني العطاء أو

(1) -المعاني الجامع، مادة طقوس almany.com/ar/dict استرجع يوم: 2024/12/1

(2) -أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1982م، ص: 360.

(3) -زكي شنودة: المصدر السابق، ص: 264.

(4) -عادل درويش: الكنيسة أسرارها وطقوسها، ط1، دار بلال ابن رباح، دار بان حزم، القاهرة، مصر، 2012م، ص: 33.

(5) -نشأت عطية عبد الله: التقليد الكنسي ودوره في الكنيسة الجامعة، ط1، دار العالم العربي، 1988م، ج1، ص: 19.

التسليم في اليد، واللفظ (Paradosis) يقابل في اللغة العبرية التعبير (Nasar) أي يودع أو يسلم⁽¹⁾. وقد وردت هذه اللفظة في الإنجيل كما في: «وللوقت في الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله، فأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس»⁽²⁾. وأيضاً: «أن يُسَلَّم مثل هذا للشيطان لهلك الجسد...»⁽³⁾.

ومن هنا يتضح أنّ الكلمة اليونانية تعني التسليم من يد إلى يد، ونلاحظ أيضاً أنّ التقليد بمعنى التسليم هو المستخدم أيضاً بالنسبة للوظائف والأعمال المدنية، فيقال (تسلم فلان مقاليد الوظيفة) أو (تقلد فلان عمله) أو قُلِّد فلان وظيفة أي وضع في عنقه قلادة رمز السلطة التي يمنحها الرئيس للمرؤوس.

أمّا في اللغات الأوروبية فالكلمة traditon بمعنى تقليد أو تسليم، مأخوذة من الكلمة اللاتينية trditio فهي تفيد تسليم شيء للشخص من يد إلى يد، وعلى ذلك فإنّ الديانة المسيحية في طبيعتها تقتضي أن تكون لها تعاليم وعقائد ونظم وترتيبات معينة مسلّمة من السيد المسيح إلى الرسل ومنهم إلى الآباء الرسولين ومنهم إلى خلفاءهم، وهكذا يسير التسليم مرتبط الحلقات في سلسلة الخلافة الرسولية⁽⁴⁾.

إصطلاحاً: هي الترتيبات والنظم الدينية والكنيسة المسلمة من جيل إلى جيل⁽⁵⁾.

الفرع الثالث: بعض العبادات والتقاليد الكنيسية

1- الصلاة:

من العبادات التي تهتم بها الكنيسة الكاثوليكية، وترسم لها كيفية وتحدد أوقاتها، كصلاة البكور، وصلاة الساعة الثالثة، صلاة الساعة السادسة، صلاة الساعة التاسعة، صلاة الساعة الحادية عشرة،

(1) -جورج حبيب بباوي: اللبتيورجيا القبطية (مدرسة اللاهوت الأرثوذكسي)، 2017م، ص: 12.

(2) -مرقس 15: 01.

(3) -1 كورنثوس 5: 5.

(4) -نشأت عطية عبد الله: المرجع نفسه، ص: 23/21.

(5) -المرجع نفسه، ص: 19.

صلاة الساعة الثانية عشرة، صلاة منتصف الليل⁽¹⁾، وتكون الصلاة عن طريق الكهنة والأسرار وشفاعة القديس، بلغة خاصة أما الصلاة عند البروتستانت فلا يشترط لها كيفية معينة، ولا وجهة محددة، ولا وقت معلوم، وهذا راجع إلى أنّ الصلاة عندهم أمر إختياري يتقرب به النصراني إلى الله.

فـ"لوثر" لم يلزم المؤمنين بأوقات معينة، ورفض أي وساطة بشرية كالقديس أو مريم العذراء، قال في هذا الصدد: «الصلاة هي أعظم عمل روحي يمكن أن يقوم به الإنسان لا ينجو أحد بدون صلاة»، وأنّ المسيح هو الوسيط الوحيد الذي توجه إليه الصلاة فيقول:

«We should pray in Jesus nome, not in the name of the saints»⁽²⁾.

(ينبغي لنا أن نصلي بإسم يسوع، وليس بإسم القديسين)، كما دعا إلى ترجمة الصلاة والعبادة إلى اللغة المحلية لكي يتمكن الشعب من الفهم والمشاركة، وشجع على الصلاة التي تستند إلى الكتاب المقدس، خاصة المزامير وربطها بالإيمان الحقيقي، إلاّ أنّه حافظ على بعض عناصر الطقس الكاثوليكي مثل (الموسيقى).

-أمّا "زوينجلي" كان أكثر معارضة على الطقوس الكنيسة من "لوثر"، فقد ألغى تماماً الموسيقى من العبادة، وأزال كل التماثيل والرموز من الكنائس، كما اعتمد أسلوباً صارماً ركز فيه فقط على الوعظ والصلاة، وقراءة الكتاب المقدس فقال في هذا الصدد (نعبد الله بالروح والحق، لا بالبخور والأصوات)⁽³⁾.

أمّا "جون كالفن" فقد اعتبر الصلاة هي التنفس الروحي للمؤمن ووسيلة لقبول النعم، كما أنّه لم يحدد أوقاتاً إلزامية للصلاة لكنّه اقترح صيغاً تنظيمية (صباحاً، ظهراً، مساءً، وقبل النوم)، وقد صاغ أربع قواعد رئيسية للصلاة: (خشية الله وتوقيره، إعتراف الإنسان بخطيئته، الرجاء في نعمة المسيح، الثقة في المسيح)، كما شدّد على أنّ الصلاة يجب أن تمارس من القلب، وأن تكون خالية من أي واسطة بشرية، قال: «الصلاة هي الحبل الذي يربطنا بإرادة الله... ومن خلالها تنزل نعمته علينا»⁽⁴⁾.

(1) -جبر محمد حسن جبر: أضواء على النصرانية بين الملة والنحلة، ط1، 1987م، ص: 140.

(2) -<https://catechism.cph.org> 22/10/2022 استرجع يوم:

(3) -عبد الله مطلق الفحطاني: الأيقونات والتماثيل بين البروتستانت والأرثوذكس.

استرجع يوم: <https://www.ahewar.org> 4/6/2015.2022/3/21.

(4) -جون كالفن: المصدر السابق، ص: 73.

2/- الصوم:

لم ينكر "لوثر" الصوم بصفة مطلقة، وإنما قد إلغاه تمامًا من الناحية العملية، وقد اختلف مع الكنيسة الكاثوليكية في كيفية مدى فرضيته، باعتبار أنّ الصوم عند الكاثوليك هو امتناع الإنسان عن الطعام وقتا معينا من النهار وإقتصاره بعد ذلك على المأكولات خالية من الدسم، كما أنّهم يحددون أيامًا ترتبط بمناسبات خاصة عندهم مثل:

-الصوم المقدس: وعدد أيامه خمس وخمسون يوما، وهي عبارة عن الأربعين يوما التي صامها المسيح، مضافا إليها أسبوعي الإستعداد والآلام، ويمتنع في هذا الصوم عن أكل الحيوان أو ما يتولد منه، أو ما يستخرج من أصله، ويقتصر فقط على أكل البقول.

-صوم الميلاد: وعدد أيامه ثلاثة وأربعون يوما تنتهي بعيد الميلاد.

-صوم الرسل: وتتراوح مدته بين خمسة عشر يوما، وتسعة وأربعين يوما بحسب الخلاف في تحديد عيد الفصح، ويبدأ دائما بيوم الإثنين.

-صوم السيدة العذراء مريم ومدته خمسة عشر يوما.

-صوم يومي الأربعاء والجمعة على مدار السنة وغيرها من أيام الصوم عندهم⁽¹⁾.

ويخالف زعماء الإصلاح الكنيسة الكاثوليكية لأنها تعتبره تقليدًا ونظامًا ورثته الكنيسة عن الرسل وآباء الكنيسة الأوائل⁽²⁾، ويتمسكون بما جاء في الكتاب المقدس وحده، ومن ثم رأى "لوثر" الأصوام التقليدية المفروضة بالإضافة إلى أنّها بلا دواع شخصية أو عائلية أو كنسية، فإنّها لم يأمر بها الله ولا تتمتع بمميزات الصوم الكتابي كالسرية أو الإنقطاع التام عن الأكل والشرب أو النوم على حالة معينة⁽³⁾، وإستندوا على ما جاء في الإنجيل: (وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك، لكي لا تظهر للناس صائما، بل لأبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يراك في الخفاء يجازيك علانية)⁽⁴⁾،

⁽¹⁾ -بدر العبري: الصيام في المسيحية البروتستانتية اللوثرية استرجع يوم: 2024/03/23.

استرجع يوم: 2021/4/17 <https://baderalabri.com>

⁽²⁾ -المرجع نفسه baderalabri.com استرجع يوم: 2021/4/17

⁽³⁾ -فايز فارس: حقائق الإيمان المسيحي، ط2، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، 2025م، ص: 2.

⁽⁴⁾ -متى 6: 17-18.

وأكد على أنّ الصوم ليس له مواعيد محددة وفي مناسبات خاصة، وإنما يكون عمل فردي يقوم به الشخص متى أراد ذلك ولا سلطان للكنيسة عليه، ويستدل على ذلك: «فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب، أو من جهة عبد أو هلال أو سبب، التي هي ظلّ الأمور العقيدة، وأمّا الجسد فللمسيح»⁽¹⁾.

بالإضافة إلى أنّه لا يوافق على الإمتناع عن أكل الأطعمة الحيوانية ويقتصر فقط على أكل النباتي، ويستدل في هذا الأمر: «في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان... ما نعين عن الزواج وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق»⁽²⁾.

3/-تقديس الصور والتماثيل:

رفض المصلحون تقديس الصور والتماثيل التي أقرتها الكنيسة الكاثوليكية، وإعتبروها إنحرافاً عن جوهر العقيدة المسيحية، كتقديسهم لمريم العذراء، والقديسين، وإعتبروا هذا التقديس وسيلة للتواصل مع العالم الروحي إلاّ أنّها تطورت إلى درجة قرّنت فيه إشارات إلى الوثنية⁽³⁾.

عارض "لوثر" الصور الدينية في بداياته معارضة جذرية، إلاّ أنّه رفض إستخدامها كوسيلة لعبادة أو تقرب من الله وإعتبرها مصدرًا للانحراف عن النصوص الإنجيلية (Images aren't worshipped,)⁽⁴⁾ (but are used as an educational tool).

- (الصور لا تُعبد، بل تستخدم كوسيلة تعليمية)، غير أنّ أتباعه ذهبوا أبعد منه، وحطّموا العديد من التماثيل، واللوحات في الكنائس خلال موجة تعرف ب: تحطيم الأيقونات⁽⁵⁾.

-أمّا "جون كالفن" فكان هو الآخر أكثر تشدّدًا من "لوثر" حيث إعتبر أنّ الصور والتماثيل تتعارض بشكل مباشر مع الوصايا الإلهية، وأشار إلى الأمر بقوله: (كل تمثيل لله أو للقديسين هو

(1)-كولوسي 2: 16-17.

(2)-1 تيموتاوس 4: 3-1.

(3)-البيرواني: تاريخ الشعوب العربية، ت: ناصر الدين الأسد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997م، ص: 112.

(4)-Martin luther: on the councils and the church, Fortress press, 1966, p85.

(5)-ماثيو ويلز: دليل مختصر لتدمير الأيقونات في التاريخ المبكر استرجع يوم: (https://daily-jstor.org) 2015/1/28

تجديف ويجب منعه⁽¹⁾.

فرفض "كالفن" وجود أيقونات أو زخارف دينية في الكنائس وأمر بإزالتها معتبراً أنّ عبادة الله يجب أن تكون روحاً وحقاً، لا من خلال وسائل مادية⁽²⁾، وفي بازل بسويسرا قام أتباع "زوينجلي" بتحطيم الصّور والتمائيل إذ حدث أن تدافع الجنود السويسريون الذين تأثروا برفض "زوينجلي" للصور والتمائيل إلى كنيسة بطرس في بازل، وراحوا يسحبون التماثيل الموجودة بها، واحداً بعد الآخر ويحطمونها، وسرعات ما امتلأ المكان بأشلاء التماثيل في أيد وأرجل وسيقان ورؤوس محطمة، وانتشر الخبر في جميع أنحاء بازل، وتجمهر الناس وهم يقولون لماذا نترك هذه الأصنام، وهي مصدر كل شقاء وبلاء؟ وهجموا على الكنيسة، وانتزعوا بقية التماثيل والصّور، وكل شيء وكوّموها في الميدان وأضرموا فيها النيران، وصدر بعد هذا قرار من مجلس مدينة بازل يقول: « من اليوم فصاعداً تلغى التماثيل والصّور، ويطل القداس»⁽³⁾، واستدلوا على ذلك: «لا تصنع لك منحوتاً، ولا صورة شيء مما في السماء من فوق ولا ممّا في الأرض من أسفل ولا تسجد لمن، ولا تعبدن»⁽⁴⁾.

ومن أشدّ الخرافات التي أثّرت في "زوينجلي" ما كان يحدث في دير "البندكتيين" بأفسدالن، الذي نسجت حوله أكثر من قصة، وأصبح مزاراً للأكثر من جماعة فهناك تمثال العذراء الذي نسبت إليه المعجزات، وعلى باب الدير كان يوجد تمثال لملاك يحمل لوحة تُقش عليها (هنا تستطيع أن تنال غفرانا كاملاً لخطاياك)، وفي عيد الملائكة كان مألوفاً أن ترى الجموع تصعد الجبل لزيارة الدير، وهم ينشدون مدائحهم وتراتيلهم مائة ألف كل عام، كانت تزور هذه المدينة للتبرك وطلب المعجزات، ونوال الغفرانات بشفاعه سيده الدير العذراء مريم.

وفي عام 1516م دعي "زوينجلي" من قبل رئيس الدير بعد أن إشتهر بالوعظ بالانجيل، فصرح فيهم أنّ الخلاص عطية مجانية بإستحقاق يسوع المسيح ويعطيها الله لمن يطلب يروح الإيمان، كما أنّ الله موجود في الدير بكيفية لا تختلف عن وجوده في أي مكان آخر، فهو حال في كل مكان، يسمع

⁽¹⁾—جون كالفن: المصدر السابق، ص: 113/1.

⁽²⁾—يوسف نعيم سمعان: اللاهوت المسيحي والإصلاح الديني، دار المشرق، بيروت، 2001م، ص 156.

⁽³⁾—عزت زكي: المصدر السابق، ص 101-103.

⁽⁴⁾—التثنية 27: 15.

صلواتكم وأنتم في بيوتكم⁽¹⁾.

ومنذ ذلك الحين تبنى "زوينجلي" الدعوة ضدّ خرافات الكنيسة، والتي إعتبرها خارجة على أصول النصرانية لأنها تناقض ما جاء في الكتاب المقدّس، والذي كانت تقوم عليه أصول حركته في مقاومة الكنيسة، ومن ثمّ لعبت الخرافات دورًا هامًا في قيام حركة "زوينجلي" التي كانت أكثر صراحة في رفض التقاليد الكنيسة والطقوس والأسرار، ذلك لأنّ "زوينجلي" كان قد تخلص من المخلفات التي خلفتها الكنيسة في العقلية الأوروبية في العصور الوسطى.

وقد كان أثر الإسلام آنذاك في رفض البروتستانت لتقدّيس الصّور والتمثيل بارزا، وقد شهد بهذا التأثير النصارى أنفسهم إذ يقول العالم الأمريكي "رولاند بيستون" أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة بيل الأمريكية (بدأ الإسلام ونادى بأنّ الله واحد وقاوم الأصنام، وانتصر الإسلام، وأثر تقدم الإسلام على النصرانية، فقد بدأ البعض من النصارى ينكرون التماثيل والصور الموجودة في الكنائس بعد أن سمعوا بتعاليم الدين الإسلامي)⁽²⁾.

وقد تأثر "زوينجلي" في هذه الفترة بتعاليم الإسلام عن طريق دراسته لفلسفة العصور الوسطى التي كانت متأثرة بالفلسفة الإسلامية (أثناء الفترة التي كان المسلمون يحكمون الأندلس والفتوحات الإسلامية)⁽³⁾.

بالإضافة إلى أنّهم رفضوا الدرجات الكنيسة لرجال الإكليروس، والسلطة البابوية، والوساطة الكنسية بين النّاس وبين الله ورفضوا صكوك الغفران، وغيرها من الطقوس والتقاليد الكنسية.

المطلب الرابع: الخلاص

خلال القرن السادس عشر، ومع انطلاق الإصلاح البروتستانتي أعاد زعماء الإصلاح مراجعة المفاهيم اللاهوتية المتعلقة بالخلاص، خاصة في ضوء ما رآوه من إنحرافات لاهوتية، وممارسات كنيسة في الكنيسة الكاثوليكية مثل: قضية صكوك الغفران وأعمال الكفارة البشرية، وقد تميّزت كتاباتهم

⁽¹⁾—عزت زكي: المصدر السابق، ص: 90.

⁽²⁾—محمد رجب الشتيوي: الجامع المسيحية وأثرها في النصرانية، ص: 305.

⁽³⁾—محمد زكريا عمران: الحركة البروتستانتية وأثرها على النصرانية، ومدى تأثيرها بالإسلام، كلية أصول الدّين، قسم الدعوة، جامعة الأزهر، القاهرة، 1993م، ص: 334.

ومواقفهم بالتشديد على مبدأ الخلاص، وقد عبّر كل من "لوثر" و"كالفن" و"زوينجلي" عن هذا المبدأ إنطلاقاً من منظوره اللاهوتي الخاص، دون أن يخرجوا عن هذا الإطار الجوهري المشترك.

الفرع الأول: تعريف الخلاص ونشأته

1- لغة:

الخلاص في اللغة العربية مشتق من الفعل خَلَصَ ويعني: انفلت نجا، تخلص من شيء غير مرغوب فيه أو خرج من ضيق إلى فرج⁽¹⁾.

وجاء الخلاص هو النجاة، تقول: الخلاص من الأخطاء، يوم الخلاص⁽²⁾، أي الفوز بآخرة صالحة، تقول الخلاص الأبدي، المخلص: لقب السيد المسيح الفادي، وجاء في قاموس الكتاب المقدس:

خلاص: يراد بالخلاص في العهد القديم النجاة من الأشرار أو الخطر (فقال موسى للشعب لا تخافوا، قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم)⁽³⁾، وأيضا جاء: (فخلصهم من أجل اسمه ليُعرف بجزوته... وخلصهم من يد المبغض، وفداهم من يد العدو)⁽⁴⁾.

أمّا في العهد الجديد فقد خلع عليها معنى آخر، هو إنقاذ الخطاة بالإيمان يسوع المسيح، وهذا هو المراد عينه بعبارات (يوم خلاص) (لأنّه يقول في وقت مقبول سمعتك، وفي يوم خلاص أعتك، هو ذا الآن وقت مقبول، هو ذا الآن يوم خلاص)⁽⁵⁾، وأيضا (الذي فيه أيضا أنتم، إذ سمعتم كلمة الحق، إنجيل خلاصكم)⁽⁶⁾.

وينطوي تحت معنى الخلاص في العهد الجديد غفران الخطيئة والخلاص من ربقته ونتاجها، وتطهير النفس، وأفراح العالم الأزلي (فستلد إبناً وتدعوا اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم)⁽⁷⁾،

(1) - ابن منظور، المصدر السابق، ص: 1227.

(2) - يونس معلوف، المرجع السابق، ص: 191.

(3) - الخروج 14: 13.

(4) - مزامير 106: 8-10.

(5) - 2 كو 6: 2.

(6) - أفسس 1: 13.

(7) - متى 1: 21.

والمخلص هو المسيح⁽¹⁾.

يقول القس "ليب ميخائيل": (الواقع أنّ كلمة الخلاص في اللغتين العبرية واليونانية تعني: النجاة، الأمان والحفظ، والشفاء، الصحة، فالإنسان الخاطيء في حاجة إلى النجاة من سلطان الشيطان، والأمان من دينونة الله العادلة، والحفظ في يد المسيح القوية، والشفاء من لعنة الخطيئة، والصحة الروحية التي تكفل لهم القوة والإنقاذ وهو يجد في خلاص الله كل هذه المعاني)⁽²⁾.

ووردت كلمة "الخلاص" في الكتاب المقدس بمشتقاتها زهاء خمس وأربعين وأربعمئة⁽³⁾.

-يقول "بنيامين بنكرتن" في تفسير (إنجيل متى): (قد تعودنا أن نجعل معنى كلمة خلاص قاصراً، على خلاص النفس من الدينونة الأبدية، ولكنّها وردت في مواضع كثيرة بمعنى الشفاء لكونه خلاصاً من الأمراض وبمعنى الإنقاذ من الأخطار والإضطهاد وما شكل ذلك)⁽⁴⁾.

تقريباً هذه معاني كلمة الخلاص التي وضعها المسيحيون لتوسيع دائرة الخلاص.

2- اصطلاحاً:

أما المعنى الدقيق الإصطلاحي لكلمة الخلاص فهو ينصب على الخلاص من الخطيئة⁽⁵⁾، حتى أصبح هذا المعنى ملازماً للخلاص.

يقول القس "إلياس مقار": «إنّ الخلاص كما هو واضح من رسالة المسيح والمسيحية هو خلاص الإنسان من الخطيئة»⁽⁶⁾، فالخلاص هو التحرر من الخطيئة والتحرر بالتالي من آثارها⁽⁷⁾، أي أنّ الخلاص من قصاص الخطيئة لا يترتب عليه النجاة من دينونتها إلى الأبد فقط، بل يترتب عليه أيضاً

(1) - قاموس الكتاب المقدس: المصدر السابق، ص: 238.

(2) - القس ليب ميخائيل: يقين الخلاص، ط2، مطبوعات الكنيسة المعمدانية الكتابية الأولى، مصر، 1962م، ص: 8.

(3) - جورج بوست: فهرس الكتاب المقدس، ط2، المطبعة الأميركية، بيروت، 1930م، ص: 179.

(4) - بنيامين بنكرتن: تفسير إنجيل متى، كنيسة الإخوة، 1998م، مصر، ص: 168.

(5) - القس عزيز فهمي: المدخل إلى العهد الجديد، ط1، مطبعة دار الجيل للطباعة، القاهرة، 1980م، ص: 183.

(6) - القس إلياس مقار: قضايا المسيحية الكبرى (إيماني)، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 2016م، ص: 386.

(7) - جون ستوت: المسيحية في جوهرها، ت: نجيب غالي، دار يوسف كمال للطباعة، ص: 131.

تبرير الخطاة وتطهيرهم وتقديسهم ومصالحتهم مع الله وتمتعهم معه بالحياة الأبدية⁽¹⁾.

والخلاص من الخطيئة عند المسيحيين يشمل ثلاثة أزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، الخلاص من الماضي: يقصد به غفران الخطيئة التي ورثها الإنسان، والخلاص في الحاضر: هو التقديس، أما الخلاص في المستقبل هو ما يعبر به عن التمجيد⁽²⁾.

- الخلاص هو تحرير الإنسان الكامل من دين الخطيئة ومرضاها وسلطانها واستعبادها نفسا وروحًا وجسدًا، والأخذ بيده حتى يقف أمام الله في كمال البر والقداسة والمجد والعزة والبهاء إلى أبد الأبد⁽³⁾.

يقول أحد الباحثين: «خلاص الإنسان معناه ليس فقط غفران الخطيئة، ولكن أيضا حلقة الإنسان حلقة جديدة، ولا يستطيع المخلوق أن يخلق بل لا بد أن يخلقه كلمة الله الذي خلقه في الأصل، وهذا الخلق الجديد لا بد أن يتم في داخل طبيعة الإنسان التي فسدت، بل لا بد من إبطال الخطيئة وإلغاء الفساد والموت داخل الإنسان نفسه، لذلك كان لا بد للخالق أن يأخذ طبيعة الإنسان ويوحدها بنفسه أي يصير إنسانا لكي يمكنه من أن يموت بهذا الجسد الذي اتخذته»⁽⁴⁾.

- وجاء في "شرح أصول الإيمان": هو نجاة كلية من كلّ خطية وقوتها ونتائجها ونوال كمال العادة والراحة الأبدية⁽⁵⁾.

إذن فالخلاص عند المسيحيين يتعلق في الخلاص من الخطيئة جميع أدوارها وأزمانها ونتيجة لهذا الخلاص ينال الإنسان الحياة الأبدية⁽⁶⁾.

- إلا أنّ نظرة الإسلام لفكرة الخلاص المسيحي، تتسم بالرفض الجذري لهذه الفكرة فالإسلام ينكر ثورات الخطيئة الأصلية، ويؤكد على أنّ كلّ إنسان يولد على الفطرة بريئا من هذه الخطيئة التي لا

(1) -عوض سمعان: الخلاص بين الوحي، المفاهيم البشرية، ط1، كنيسة الإخوة، مصر، 2009م، ص: 15.

(2) -أحمد علي عجيبة: الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2005م، ص: 50-51.

(3) -عوض سمعان، المرجع السابق، ص: 387.

(4) -المطران باسيلوس: سر الفداء، ت: نصحي عبد الشهيد، ط2، دار يوسف كمال للطباعة، القاهرة، 2012م، ص: 18.

(5) -أندرو وطسون إبراهيم سعيدة: شرح اصول الإيمان، ط4، دار الجيل للطباعة، القاهرة، الجزء الأول، ص: 451.

(6) -أحمد علي عجيبة: المرجع السابق، ص: 56.

ذنب له فيها لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُزِرُّ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾⁽¹⁾، فلا خطيئة ولا ذنب يُورث⁽²⁾، إضافة إلى ذلك أنّ الله تعالى يغفر الذنوب بالتوبة والرحمة، ولا يحتاج أن يقدم ابنه لفداء البشرية وتخليصها من خطيئة آدم كما يدعون⁽³⁾، لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾⁽⁴⁾.

والإسلام ينتقد عقيدة التثليث لأنها تعارض التوحيد الخالص، ويرى أنّ ربط الخلاص بالإيمان بالمسيح ك(ابن الله)، هو خروج عن مفهوم العبادة الخالصة لله وحده⁽⁵⁾، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ تَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾⁽⁶⁾.

ويؤكد الإسلام على أنّ عدل الله المطلق يتنافى مع فكرة تحميل الإنسان أوزار وأخطاء غيره (كالمسيح عليه السلام)، ويرى أنّ محاسبة كل فرد على أفعاله الشخصية مبدأ أساسي في العقيدة، كما أنّ رحمة الله الواسعة تتيح للإنسان التوبة الصادقة والعودة إليه دون وساطة أو فداء⁽⁷⁾.

وهكذا يُنظر إلى الخلاص في الإسلام على أنه ثمرة التوبة والعمل الصالح والتوحيد وليس نتيجة تضحية نيابية عن البشرية قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِن وَّلَدٍ سُبْحٰنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁽⁸⁾، وقال أيضا: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾⁽⁹⁾.

3/- نشأة فكرة الخلاص:

يقول عباس محمود العقاد: «يدل علم مقارنة الأديان على شيوع الإيمان بالخلاص، وظهر

(1) - الأنعام: 164.

(2) - محمد عبد الله دراز: بحوث مهددة لدراسة تاريخ الأديان، ط2، دار القلم، بيروت، 1981م، ص: 278.

(3) - متقذ السقار: هل اقتدانا المسيح على الصليب، ط1، دار الندى، الرياض، 2002م، ص: 45.

(4) - الزمر: 53.

(5) - سعيد حوى: الأساس في التفسير، ط1، دار السلام، القاهرة، 1991م، الجزء الخامس، ص: 2247.

(6) - سورة المائدة: 73.

(7) - يوسف القرضاوي: الإسلام والعقلانية: موقف الإسلام من العقل والعلم، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1994م، ص: 192.

(8) - مريم: 35.

(9) - الإسراء: 15.

الرسول المخلص في زمن مقبل، وظهر من عقائد القبائل الحمر في القارة الأمريكية أنّ القبائل التي تؤمن بهذه العقيدة غير قليلة من الأمريكيتين وليس هذا عجب... لأنّ الرجاء في الخير أصل من أصول الديانة والأمل في الصلاح مادة من مواد الحياة الإنسانية في طلب الكمال والخلاص من العيوب، وقد يشتدّ هذا الأمل حين تشتدّ الحاجة إليه، فكان المصريون الأوائل يترقبون "المخلص" المنقذ بعد زوال الدولة القديمة، وكان البابليون يؤمنون بعودة "مريخ" إلى الأرض فترة لقمع الفتن، وتطهيرها من الفساد، وكان المجوس يؤمنون بظهور رسول من إله النور كلّ ألف سنة ينبعث في جسد إنسان وقيل إنّه زرادشت⁽¹⁾.

فلا يخلو دين من الأديان السماوية كانت أو وضعية، إلّا وله معتقد للخلاص، والذي ينصبّ في المعنى اللغوي النجاة من الخطر، والسلامة من الأخطاء، خاصة الديانات الوثنية التي وجدت أنّ الخلاص مرتعا خصبا للأمامي الدينية والدينيوية في المستقبل، وكثيرا تكون هذه الأمامي مرتبطة بالأزمات وأوقات الضيق والشدة فالديانات، وإن اتفقت في الرجاء في الخير كمعنى عام للخلاص إلّا أنّها تختلف في المعاني الإصطلاحية والتفصيلية التي تجعلها معنى خاصا بها⁽²⁾.

-الخلاص عند اليهود:

تعتبر المسيحية حلقة من حلقات ديانة بني إسرائيل، وأنّ المسيح واحد من أنبياء بني إسرائيل «... وقال لم أرسل إلّا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»⁽³⁾، وقال لهم «لا تظنوا أنّي جئت لأنقض الناموس بل لأكمل»⁽⁴⁾، بمعنى أنّه لا يبطل سلطان الناموس أو الأنبياء بل يقيه في وضعه الإلهي.

وعلى ذلك: فأبي فكرة من أفكار العقائد المسيحية أساسها اليهود، فالخلاص اليهودي يقوم على أساس أنّ هناك مخلصًا منتظرًا يأتي ليخلصهم من وضعهم، بالإضافة إلى إعتقادهم أنّهم شعب الله المختار إختارهم وحدهم شعبا خالصا دون سائر البشر، جاء في سفر الخروج: (أنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة)⁽⁵⁾، فاليهود اعتقدوا أنّهم شعب مميز اختاره الرب ليكون شعبة المقدّس لذلك كان

(1) -عباس محمود العقاد، حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث، نخصة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م، ص: 28.

(2) -أحمد علي عجيبة، المرجع السابق، ص: 60/59.

(3) -متى 15: 24.

(4) -متى 5: 18.

(5) -خروج 19: 6.

لا بد أن يرسل الربّ مخلصاً لهم ليحدد العهد وليبرأهم ممّا هم فيه⁽¹⁾.

بالإضافة إلى ما أصاب اليهود من نكسات وهزائم وقتل وتشريد على يد البابليين والرومانيين ممّا جعلهم يفكرون في هذا المخلص المنتظر وجعلوه خاصاً بهم، يقول "حنا جرجس الحضري": «وهناك في السّي بدأ الشعب يحلم بمخلص وبملك يخلصهم من سبيهم، ويحررهم من عبوديتهم وتخرجهم لا من مصر وحدها كما كان يحلم الشعب قديماً بل من بابل والمدن الأخرى التي تشتتوا فيها»⁽²⁾.

يقول العقاد: «ثبتت فكرة المسيح المنتظر في عقائد بني إسرائيل بعد زوال ملكهم وانتقالهم إلى البابلي»⁽³⁾، «كما أنّ الحوادث الجسام التي تعرض لها اليهود أثناء السّي البابلي جعلتهم يتعلقون بهذه الفكرة»⁽⁴⁾.

يقول "ويلز": «حيث كانوا يتقربون مخلصاً معيناً: مسيحاً يخلص البشرية بطريقة محبّة إليهم تنطوي على إسترجاع ما كان لداوود وسليمان من مجد أسطوري ووضع العالم آخر الأمر تحت أقدام اليهودية»⁽⁵⁾، مخلصاً تجمع شتاتهم ويرد عليهم ما سلبت يد الدهر منهم بعد أن وقع بهم ما وقع على أيدي جيرائهم الأقوياء من أسر وتقتيل وتشريد⁽⁶⁾.

والمسيا المنتظر حسب المفهوم اليهودي إنسان مولود بطريقة بشرية من نسل داود، لكي يحرر الشعب من الإستعباد ويجلس على كرسي داوود أبيه⁽⁷⁾، ولما جاء كورش الجوسي مؤسس الإمبراطورية الساسانية في بلاد فارس وحارب البابليين، وهزمهم، وفكّ أسرى اليهود في بابل، وسمح لهم بالعودة إلى أورشليم، وإعادة بناء الهيكل فرح اليهود بذلك فرحاً شديداً، واعتقدوا أنّ كورش الوثني هو المسيح المخلص الذي أرسله يهوه لإنقاذهم من أيدي البابليين فأطلقوا عليه لقب المسيح فهو مسيح الله.

(1) -أحمد علي عجيبة، المرجع نفسه، ص: 62.

(2) -حنا جرجس الحضري: المصدر السابق، ص: 50.

(3) -عباس محمود العقاد: المرجع السابق، ص: 111.

(4) -نورمان فاكانتور: التاريخ الوسيط، (قصة حضارة البداية والنهاية)، ت: قاسم عبده قاسم، ط5، عين للدراسات والبحوث الإجتماعية، مصر، 1997م، ص: 56.

(5) -ه. ج. ويلز: معالم تاريخ الإنسانية، ت: عبد العزيز توفيق جاويد، ط3، 1963م، المجلد الثاني، ص: 686.

(6) -عبد الكريم الخطيب، المسيح في القرآن والثورة والإنجيل، ط1، دار الكتب الحديثة، 1965م، ص: 525.

(7) -حنا جرجس الحضري، المصدر السابق، ص: 32.

وما إن ظهرت الإمبراطورية الرومانية حتى عاد اليهود إلى وضعهم السابق، فأذاقهم الرومان العنف والقهر فقتلوا الرجال، واستحيوا النساء، وحرّموا عليهم السياسة وشؤون الحكم، فعادت باليهود فكرة ظهور المسيح المخلص، فتجددت باليهود الأوهام، وكثرت الأقاويل والتكهنات وتعددت الأساطير في هذا المسيح المخلص⁽¹⁾.

يقول رأفت عبد الحميد: «تشتت اليهود في كل ولايات الإمبراطورية الرومانية، وضربت عليهم الذلة والمسكنة أينما ثقفوا، ونظر اليهود إلى ماضيهم فأنفوا أنفسهم وقد تعرضوا لتاريخ طويل من الإذلال والشتات، بدأ الآشوريين فالبابليين، فالفرس، فالإغريق ثمّ في النهاية الرومان، ومن ثمّ تولد لدى اليهود أمل كبير وتوقع محدد صريح أنّ إلههم لا بد وأن يخلصهم يوماً من التبعية السياسية للسيد الأجنبي، والوسيلة الوحيدة لذلك أن يرسل يهوه مسيحاً مخلصاً لهذا الغرض، يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويعيد لهم الأرض مملكة داوود وسليمان، ويحقق لهم عهداً جديداً من السلام والرخاء، من القوة والعظمة، وينهي بقوته وإلى الأبد حالات الحزن والقنوط والتبعية والإذلال، وأنّ يهوه لا بد وأن يعيد إلى شعبه ميراثه الصحيح ووضعه المرموق»⁽²⁾، لذلك عندما جاء المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ظنّ اليهود أنّه هو مخلصهم، لكنهم أصيبوا بخيبة أمل إذ أنّ المسيح دعاهم إلى عبادة الله والرجوع إليه، هو يعدهم وعداً حسناً في الدار الآخرة، ومن ثمّ كفروا به وراحوا يألّبون عليه، ولم يؤمن اليهود به وتعللوا بأنّ الشروط التي وردت فيه عند الأنبياء السابقين، لاحول المخلص المنتظر⁽³⁾، وبقيت هذه الفكرة شائعة عند اليهود، وتوارثوها جيلاً بعد جيل إلى الآن.

-الخلاص عند المسيحيين:

يختلف الخلاص المسيحي عن الخلاص اليهودي، الذي كان يقوم على أساس التخلص من العنف والقسوة التي كان يعامل بها اليهودي، إضافة إلى أنّه شعب الله الذي فضله واختاره، نجد الخلاص المسيحي يقوم على أسس أخرى إلا وهو توارث الخطيئة الأصلية من آدم وحواء وهما من جنس واحد،

(1) -محمد عزت الطهطاوي: الإسلام والنصرانية، ط2، مكتبة النور، القاهرة، 1986م، ص: 223.

(2) -رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة، دار المعارف، الجزء الثاني، ص: 23.

(3) -نورمان كانتور: المصدر السابق، ص: 56.

وعن طريقهما دخلت الخطيئة إلى العالم وأثرت في كل البشر وكذلك المسيح الذي تجسّد ومات لأجل جنس واحد وهو الإنسان.

والكنيسة المسيحية اعتقدت هذا الأمر منذ القرون الأولى وحسبته من تعاليم الكتاب المقدّس، (إنّ الخطيئة دخلت إلى العالم بإنسان واحد، والذي هو آدم)⁽¹⁾، ويعتقد المسيحيون أنّ من صفات الله العدل والرحمة، وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبتها أبوهم وطرد بها من الجنة، واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها.

وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر، ولم يكن هناك طريق للجمع بينهما إلاّ بتوسط ابن الله وحيد وقبوله أن يظهر في صورة إنسان، وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثمّ يصلب ظلما ليكفّر عن خطيئة البشر.

(إنّ المسيحية تعلم أنّ الله لكي يجمع بين عدله ورحمته في تصرفه مع الإنسان عقب سقوطه، دبر طريقة فدائه بتجسد ابنه الحبيب وموته على الصليب نيابة عنا، وبهذا أخذ العدل حقه، وإكتملت الرحمة، فنال البشر العفو والغفران)⁽²⁾، إلاّ أنّ ما أورده المسيحيون بشأن تحقيق العدل والرحمة لا يتناسب مع صلب المسيح الذي لم يرتكب أي خطأ عوقب عليه، فهل عدلاً ورحمة أن يعاقب بريء لم يخطئ، فالحال أن يتحمل الجاني مسؤولية جنايته فلا ينزل العقاب بغيره، فإذا خرج الأمر عن ذلك كان ظلما وليس عدلاً.

وكذلك لم تتحقق الرحمة، لأنّ الرحمة تقتضي العفو عن الجاني بمعنى أن يكون هناك جانب يستحق العقاب فنعفو عنه تماما أو تخفيفا، لكن المسيح البريء تحمل خطأ الجاني، (فأين الرحمة؟ إنّ تحمل البريء عقاب ذنب لم يرتكبه لا يسمى رحمة)⁽³⁾.

إضافة إلى ذلك يقرر أكثر الباحثين أنّه لا توجد كلمة للمسيح فيها الخلاص، يقول ويلز: «يعسر عليك أن تجد كلمة تنسب فعلا إلى يسوع فسّر فيها مبادئ الكفارة والفداء أو حضّ فيها أتباعه على تقديم القرابين أو تناول سرّ مقدس، كذلك لا يبرز في دعواه أنّه "المسيح" ولا يضيفي

(1) - القس فهيم عزيز: المصدر السابق، ص: 386.

(2) - القس إبراهيم لوقا: المسيحية في الإسلام، ط5، 1995م، ص: 171.

(3) - محمود مزروعة، دراسات في النصرانية، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 2019م، ص: 112.

على إشتراكه مع الله في الربوبية أي ثوب بارز، ربما أحسن أنه لم يكن ليفوته أن يضيفه لو أنه كان يراه أمرا في الدرجة الأولى من الأهمية، ومن أشد ما تحير اللب قوله: (حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد أنه يسوع المسيح)، فمن العسير أن يفهم الإنسان السرّ في هذا المنع إذا فرضنا أنه كان بعد هذه الحقيقة من ضروريات الخلاص⁽¹⁾، فما جاء في إنجيل متى: (حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح)⁽²⁾، فعلا عبارة حيّرت الأفكار وتاهت فيها العقول، فكيف يأمر المسيح بكتمان أمره، وفي الوقت نفسه الخلاص لا ينالوه النَّاس إلاّ إذا آمنوا به واتبَعوا قوله وفعله⁽³⁾، فلو صحّت في عيسى عليه السلام هذه الدعوى الباطلة من كونه إلهًا تجسد في بطن العذراء من أجل خطيئة آدم لكان ذلك أول أوامره ومفتاح تعليمه لأنّها أساس العقيدة الدينية كما يزعمون والأنجيل لم تشر إلى هذه الدعوى الباطلة⁽⁴⁾.

فالمسيح عليه السلام ولا الحواريون بينوا فكرة الخلاص التي تعتبر أساس العقيدة المسيحية يقول "رؤوف شلبي": «وإذا درسنا ما قام به هؤلاء الحواريون من أعمال فإننا لا نجد أنّهم فكروا في إنشاء كنيسة، فقد ظلوا على إخلاصهم للدين اليهودي»⁽⁵⁾، وبالتالي نستخلص أنّ فكرة الخلاص هي فكرة مفتعلة، يقول أحد الباحثين: «لو جاز إنتساب الكنيسة لأحد من الرسل لإنتسبت لبولس لأنّها تأسست على يده بنوع خاص»⁽⁶⁾.

فالمؤسس الحقيقي للكنيسة وأسس الديانة المسيحية هو بولس الرسول⁽⁷⁾، فالمسيح عليه السلام أرسى المبادئ الأخلاقية للمسيحية، وكذلك نظرتها الروحية ولك ما يتعلق بالسلوك الإنساني، أمّا مبادئ اللاهوت فهي من صنع بولس، يقول أحد الباحثين: «المسيحية لم يؤسسها شخص واحد،

(1) - هـ.ج.ولز: المصدر السابق، ص: 692/3.

(2) - متى 16: 20.

(3) - عبد الرحمن جي زادة: الفارق بين الخالق والمخلوق، 1987م، ص: 11.

(4) - أحمد علي عجيبية: المرجع السابق، ص: 77.

(5) - رؤوف شلبي: المسيحية الرابعة، مكتبة الاهر، مصر، 1980م، ص: 116.

(6) - بنيامين بنكرتن: المصدر السابق، ص: 160.

(7) - بولس الرسول: اسمه شاوول لقب "بولس الرسول" أو "الرسول الأمم"، روماني الجنسية ولد في طرطوس، درس في أورشليم، يهودي

الديانة، متعصب، قبل دخوله في المسيحية، يعتبر أعظم رجل في تاريخ المسيحية والمسيحيين، مؤسس الديانة المسيحية وينسب إليه

أسفار العهد الجديد (موسوعة تاريخ العالم 2013/12/11) (<https://www.world.histoy.org>)

وإنما أقامها إثنان المسيح عليه السلام والقديس بولس ولذلك يجب أن يتقاسما شرف إنشائها هذان الرجلان.... فالمسيح هو صاحب الرسالة الروحية، ولكن بولس أضاف عليها عبادة المسيح، كما أنه هو الذي ألّف جانباً كبيراً من العهد الجديد، وكان المبشر الأول للمسيحية في القرن الأول للميلاد، إن عدد من الباحثين يرون أنّ مؤسس هذه الديانة هو بولس وليس السيد المسيح، وليس واضحاً ما كان سيؤول إليه أمر المسيحية لولا بولس»⁽¹⁾.

يقول " أحمد شلبي " : (كان عيسى يهودياً وقد ظل كذلك أبداً لكن بولس كوّن المسيحية على حساب عيسى عليه السلام، فيولس هو في الحقيقة مؤسس المسيحية)⁽²⁾.

يقول "شارل جنير" : (ولكن بدون بولس كان من المحتمل أن لا توجد المسيحية)⁽³⁾، وبناءً على ذلك فهو المؤسس الحقيقي للعقيدة الأساسية للمسيحية وهي عقيدة الخلاص.

يقول أحد الباحثين: (إنّ شخص المسيح يقف في قلب مفهوم بولس للمسيحية كعقيدة خلاص)⁽⁴⁾.

ويقول العالم النمساوي " فرويد " : «ويبدو أنّ جوهر الخلاص هو ما أضافه بولس إلى المسيحية.... وصارت الخطيئة الأصلية والخلاص بالموت الكفاري أساس الديانة الجديدة التي أرسى بولس قواعدها)⁽⁵⁾، وفي السياق نفسه يقول " برتراند راسل " : (تشتمل رسائل بولس على كثير من اللاهوت خصوصاً فيما يتعلق بالخلاص)⁽⁶⁾، ف"بولس" الذي له منزلة كبرى في المسيحية وبين المسيحيين هو من اخترع عقيدة الخلاص (وكانت أفكاره الرئيسية تقوم على خدمة هذه العقيدة من حيث الخطيئة وإرثها،

(1) -مايكل هارت: الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله، ت: أنيس منصور، المكتب المصري الحديث، ص: 23.

(2) -أحمد شلبي: مقارنة الأديان-المسيحية، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988م، ص: 84.

(3) -شارل جنير: المصدر السابق، ص: 111.

(4) -أحمد عبد الوهاب: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1981م، ص: 43.

(5) -سيغ蒙德 فرويد: موسى والتوحيد، ت: جورج طرابيشي، ط4، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص: 179-261.

(6) -برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، (الفلسفة الكاثوليكية)، ت: زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الجزء

الثاني، ص: 39.

ومن حيث تأليه المسيح وصلبه وقيامته فداء للبشر من الخطيئة⁽¹⁾، غير أنه معلوم بين الجميع سواء العلماء أو العوام أنّ بولس لم يرى المسيح ولا مرة واحدة في حياته، ولم يكن تلميذا من تلاميذه. ويقول أيضا: «و أعرفكم أيها إخوة الإنجيل الذي بشرت به إنه ليس بحسب إنسان لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح»⁽²⁾.

فـ"بولس" يصرح بأنّ الإنجيل الجديد الذي بشر به ليس هو الإنجيل الذي تركه المسيح بل هو إنجيل تلقاه بإلهام من المسيح أي أنه لا يبشر بما ترك المسيح بل يدعي أنه يبشر بإلهام المسيح له بتعاليم الجديدة⁽³⁾.

وبذلك كان لعقيدة الخلاص التي قال بها "بولس" كان لها نصيب من الإنتشار الواسع حتى أصبحت أساس المسيحية.

الفرع الثاني: الخلاص عند "مارتن لوثر"

يرى "لوثر" أنّ الخلاص هو هبة مجانية للأفراد المؤمنين، والحكم على قوة الخلاص بأنّها على الشيطان، فالخلاص أقوى من الشيطان، لأنّ السياج القوي الذي يحرس الإنسان من اقتحام الشرور إليه، وذلك لأنّ الخلاص مصدره الله، فطالما توجه العباد بطلب الرجاء ليخلصوا قبل ظهور المسيح، الذي أصبح مخولا من الله الآب لكي يمنح الخلاص للإنسان المؤمن.

والطريق المؤدية إلى ذلك هي الإيمان بالله وكلمته، وبالحضور السري للسيد المسيح في القربان المقدّس، وتلقي العماد، والطاعة المطلقة لأوامره، ونفي القول بأنّ الأعمال الطيبة تحقق الخلاص مع أنّها ضرورية للإنسان، فالإيمان هو الذي يقود إلى الخلاص وليست الأعمال الطيبة، لأنّه لو أمكن للأعمال الطيبة أن تحقق الخلاص للإنسان لأمكن إستبدالها بالمسيح ذاته، ولإنتفت ضرورة إرسال كمخلص للإنسان.

(1) -أحمد عبد الوهاب: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ط2، مكتبة وهبة، مصر، 1988م، ص: 275.

(2) -غلاطية 1: 11-12.

(3) -عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوني: شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، تحقيق: أحمد بن محمد بن غانم آل ثاني، ط1، دار ابن حزم، للطباعة والنشر، 2015م، ص: 68-69.

ومن العناصر التي تنطوي عليها نظرية الخلاص عند "لوثر" هي إمكانية نيل الخلاص في أي وقت يقرّره الإنسان بشرط أن يؤمن أولاً، بمعنى أنّ النعمة الإلهية للخلاص مستمرة لا تتوقف.

فالكنيسة الكاثوليكية تمنح الخلاص للإنسان الخاطيء وغفران خطاياها بواسطة صكوك الغفران⁽¹⁾، وهذا ما إستنكره "لوثر"، ذلك أنّ الإيمان بالله وبالمخلص يسوع المسيح هو السبيل الوحيد لنيل الخلاص، وليس أي شيء آخر مع التسليم بحقيقة أنّ المسيح أرسل إلى العصاة الخطاة والآثمين، وليس إلى الأبرار، أرسل إلى المرضى وليس إلى الأصحاء.

والخلاص المسيحي في جوهره خلاص روحي وليس جسدي، كما فعل المسيح وضحي بجسده ودمه، فهو في نظر "لوثر" الحرية من الشر والموت الذي يسعى إليه الإنسان والغاية النهائية للخلاص هي إعادة الإنسان إلى الحال التي كان عليها قبل وقوع الخطيئة فلم يتمكن الشر والموت منه إلا عندما سقط في الخطيئة، يقول "لوثر" في هذا السياق: (الخلاص يعني الحرية من الموت وجميع الشرور)، وهنا يظهر أنّ الخلاص ليس انتقال الإنسان من حياته الرأهنة إلى حياة جديدة، بل الرجوع إلى الحياة الأصلية التي نشأ فيها⁽²⁾، ولا يتم الرجوع من غير مشقة وألم، من هنا يتعين على كل من ينشد الخلاص أن يعاني ويتألم وإستدل على كلامه بما جاء (وابتداء يعلمهم أنّ ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً)⁽³⁾.

وعلى هذا الأساس لكي يظفر الإنسان المسيحي بالخلاص عليه أن يؤمن بالمخلص المسيح بأنّه ابن الله الوحيد الذي بذل جسده ودمه وتألم ومات على خشبة الصليب، فالإيمان به يعفي الإنسان من تجربة الصلب والفداء، التي خاضها المسيح بدلا عنه، فيتعيّن على من يتناول القربان المقدّس أن يؤمن بالحضور السري للمسيح فيه، لكي يحدث اتصال ومشاركة وإتحاد بينهما، فيتذكر الجسد المبذول والدم المسفوك والآلام الناجمة عن الصلب، وبهذا يتحقق الخلاص بواسطة نعمة الإنجيل: (الخلاص يحررنا من جميع النواميس فقد تلقيناه من خلال الإنجيل، فنصّبنا أحراراً إلى الأبد، واتخذنا مكانا في المملكة السماوية)⁽⁴⁾.

(1) -البابا شنودة الثالث: بدعة الخلاص في لحظة، ط2، الأنبارونيس، القاهرة، 1988م، ص: 7.

(2) -سامي الشيخ، المرجع السابق، ص: 426/427.

(3) -مرقس 8: 31.

(4) - حنا جرجس الخضري: المصدر السابق، ص: 74.

والكتاب المقدس هو المرجع الوحيد لتحديد كيفية نوال الخلاص، فالإنجيل كما يعتقد المسيحيون في تناول القربان المقدس هي كلمات خلاصية، وبها تُغفر الخطايا والذنوب، وعليه يجب عدم التقليل من أهميتها لأنها كلمات المسيح نفسه، يقول: (الشيء الرئيس والأكثر أهمية في القربان المقدس هو كلمات السيد المسيح عندما يقول: خذ وأكل هذا هو جسدي الذي أعطي من أجلك، والشيء نفسه عندما تناول الكأس، فقال: تناولوها وأشربوها... إنها كأس العهد الجديد، بدمي الذي يسفك من أجلكم، من أجل غفران الخطايا، وكلما فعلتم هذا فعلوه في إحياء ذكرى)⁽¹⁾، وعليه (فكل شيء يتوقف على هذه الكلمات عن الحياة وعن الخلاص، وإن كل من يؤمن بها تُغفر جميع خطاياها من خلال ذلك الإيمان، فيكون ابن الحياة وقد قهر الموت وجهنم)⁽²⁾، وبالتالي فالإيمان بكلمات المسيح يفضي إلى الخلاص الذي هو عطية مجانية، وتلك العطية كان ثمنها المسيح الذي قُدم على خشبة الصليب نيابة عن كل البشر، والذي أطلق عليه إسم المخلص يقول "لوثر": «مع أنني إنسان تافه ومدان، فألهي قد أعطاني في السيد المسيح جميع ثروات الصلاح والخلاص بدون أي استحقاق من جانبي بعيداً عن نعمته الحرة الخالصة، فلما لا أكون حرّاً مبتهجاً بجميع أنحاء قلبي، وبإرادة توافقة متلهفة لفعل جميع الأشياء التي أعرف أنّها مفرحة ومقبولة لمثل هذا الآب)⁽³⁾، فالإيمان وحده كاف لنيال الإنسان الخلاص، ثمّ تلقي العماد والقربان المقدس اللذان يعتبران مجرد وسيلتان تعبيريتان للنعمة.

وأيضاً يشير إلى أنّ المسيح هو مصدر الخلاص، يقول "لوثر": «المسيح هو نعمة الله، الرحمة، البر، الحقيقة، الحكمة، القوة، الراحة، الخلاص، أعطي لنا بواسطة الله، وبدون أي جدارة أو استحقاق منا)⁽⁴⁾، وبالتالي من الممكن تحقيق الخلاص عن طريق المسيح دون غيره، فيقول: «أمكن تحقيق الخلاص الأبدي فقط بواسطة المسيح»، ويتّضح من قوله أنّ المسيح هو أبرز عنصر في النعمة الإلهية حسب مفهوم "لوثر".

(1) —مارتن لوثر: المصدر السابق، ص: 67.

(2) —Martin luther: Word and Sacrament, by Helmut.t lehmann Augsburg fortress publishers, U.S.A.Augsburg foryress publishers, 1959 Vol 36 ; p277.

(3) —George yule: luther, theologion for catholics and protestants, t.t clark, 59 george street, Edinburg, 1986, p17.

(4) —مارتن لوثر: المصدر نفسه، ص: 77.

وعلى هذا الأساس فلا يتحقق الخلاص إلا من خلال التسليم بالله الآب والمسيح الابن هما مصدر الخلاص عن طريق الإيمان بهما، والعماد والطاعة والقربان المقدس شروط ضرورية لتحقيق خلاص الإنسان.

ورفض "لوثر" (الخلاص بالأعمال) لأنه لو كانت أعمال الإنسان قادرة على تحصيل الخلاص، فهذا يعني إمكان الإستغناء عن المسيح المخلص، وبالتالي إنتفاء ضرورة إرساله كمخلص للبشرية، ويصبح فداء المسيح على خشبة الصليب مهزلة وسخرية، إذ لا داع لحديث ذلك الإفتداء والتضحية وعلى هذا فإنّ التسليم بإمكانية تحقيق الخلاص للإنسان بالأعمال هو نقض لحقيقة المسيح وللدين المسيحي، يقول "لوثر": (إذا ما تمكنا من الخلاص بواسطة أعمالنا فبعد ذلك لا يكون المسيح شيئاً على الإطلاق، هكذا نرى أنّ الأعمال لا تسهم بشيء بالنسبة للخلاص أو في تأسيس إسم مسيحي فلا الفرنسيسكاني ولا وعظ الرآهب الدومينكاني يعطيني الخلاص مثلما أردناه أن يكون، إذ ليس بمقدورهما أن يحققا ذلك وعليه) "لوثر" يحذر أولئك الذين يزعمون أنه بمقدورهم شراء الخلاص والمغفرة⁽¹⁾.

ويرى أيضاً أنّ حرية الإنسان غير قادرة على تحقيق الخلاص، وهي حرية قاصرة وعاجزة، وهذه نقطة اختلاف جوهرية مع (أراموزس) الذي يعوّل كثيراً على حرية إرادة الإنسان، والأعمال الطيبة التي يقوم بها.

إنّ عجز إرادة الإنسان عن تحقيق الخلاص، هو أحد أهم البراهين على قصورها وفسادها من وجهة نظر "لوثر"⁽²⁾.

وبناءً على ما سبق نجد أنّ الفكر اللوثيري يرى أنّ للخلاص المسيحي قد أهمل جانب مهم في تاريخ المسيحية، ويعد مصدر من مصادرها إلا وهو رفض التقليد الأبائي الذين أكدوا على ضرورة الأعمال والأسرار في الحياة المسيحية كالقديس أوغسطين الذي يرى أنّ الإيمان وحده لا يغني عن الأعمال الصالحة⁽³⁾، بالإضافة إلى أنّ مجمع ترنت رفض قول "لوثر"، وإصدر حكم الحرمان فيه (من يقول إنّ الإنسان يتبرر بالإيمان وحده بمعنى أن لا شيء آخر مطلوب للتعاون للحصول على نعمة

(1) -البابا شنودة الثالث: المصدر السابق، ص: 08.

(2) -حسن حنفي: تطور الفكر الديني الغربي (الأسس والتطبيقات)، ط1، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2004م، ص: 71.

(3) -القدس أوغسطين: النعمة والإرادة الحرة، ص: 37.

التبرير فهو محروماً⁽¹⁾، إضافة إلى أنه اختزل أسرار الكنيسة واحتفظ فقط بالمعمودية والتناول كشرط للخلاص.

كما أنّ الفصل بين الإيمان والعمل قد يؤدي إلى نوع من التسيب الأخلاقي، وأيضاً عدم تحقق العدالة الإلهية في منحة الخلاص بين إنسان يؤمن فقط، وآخر يدان رغم أعماله الصالحة⁽²⁾.

وكخلاصة لفكرة "لوثر" حول موضوع الخلاص، فنستنتج أنه قد فصل تماماً بين الإيمان والأعمال الصالحة للإنسان على اختلاف معتقد الإنسان والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁽³⁾.

الفرع الثالث: رأي "جون كالفن" للخلاص

يتفق "كالفن" مع "لوثر" بأنّ الخلاص هبة مجانية من الله للإنسان، فلا يحتاج الإنسان إلى القيام بأعمال البر والخير لتحصيله، ولا يحصل عليه إلاّ بالإيمان وحده، فمفهوم مجانية الخلاص عند "كالفن" هو استقلاليته عن الأعمال وعدم اشتراط حصوله بها، في حين لا يمكن حصوله إلا بواسطة الإيمان.

فالخلاص بالمجان يكون للمؤمنين فقط، أمّا غير المؤمنين فلا يمكنهم تحقيقه مهما بذلوا من جهد بالأعمال الطيبة والخيرة، ويقول في هذا السياق: «الحصول على الخلاص ليس بواسطة أعمالنا، إنّما بنعمة الله ورحمته ولا شيء آخر، وفي ذلك تأكيد على المجانية التامة للخلاص بدون مقابل، فهو يتم بالعمو أولاً، ثم بالحياة المسيحية والأعمال، وهو دليل عمل الله وحضوره فينا، أمّا المقدر فيضع بالكامل الخلاص، أي العفو والمصالحة والتبرير لكي تستعمل العبارات اللاهوتية ضمن قرار الله المتخذ منذ الأزل الكلي، ولا دخل لأي عنصر بشري في التأثير بهذا القرار، وهو يظهر في الوقت المعين والإنسان الذي يكون هدفاً لنعمة الله، يتلقى في نفسه دلائل الإصطفاء المتمثلة بالإيمان بيسوع المسيح والثوق بعفوه، وإمكانية القيام بالعمل الصالح والغبطة بحبّ الله وبأنّه محبوب منه»⁽⁴⁾، وبهذا يمكن للفرد بنفسه أن

⁽¹⁾—Justification by faith Alone in the early church faithalonesaves.com

⁽²⁾—عبد الرحمن بدوي: الوجودية في ميزان الفكر، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1998م، ص: 129-131.

⁽³⁾—سورة البقرة: الآية 82.

⁽⁴⁾—جان كادييه: كالفن، ت: حسيب نمر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981م، ص: 82/81.

يكون على ثقة من خلاصه أو هلاكه، بفعل الدلائل التي تتمثل في إيمانه الحقيقي يسوع المسيح وبمحبته الله له، في حين يتعذر على كل مخلوق آخر أن يجزم بخلاص أي إنسان آخر، وبهذا المعنى تنحصر معرفة خلاص الإنسان بين إثنين هما الله والفرد نفسه، وعليه فإن البابا نفسه لا يستطيع أن يقرر من هم الأفراد المخلصون ومن هم المهلكون بمعرفة شخصية منه⁽¹⁾.

ويضيف أنه للخلاص علاقة وطيدة بالنعمة والمسيح رمز النعمة الإلهية المرسله للإنسان، فلا خلاص للمسيحي من دون تلك النعمة، والخلاص عطية مجانية للمؤمنين فقط، يقول: «النعمة مصدر كل خير في الإنسان»⁽²⁾.

ف"كالفن" يتناول علاقة الخلاص بالمسيح على اعتبار المسيح مصدر الخلاص وموجده لبني الإنسان، إنطلاقاً مما يعلمه الإنجيل، فسفك دم السيد المسيح على الصليب كان أعظم كفارة عن خطايا الإنسان⁽³⁾، يقول "كالفن": (ثبت بالدليل أنّ الخلاص لم يعطي لنا بواسطة المسيح فحسب، ولكن على حسابه أيضاً فقد صفح عنا الآب ودعا السيد المسيح بالمخلص)⁽⁴⁾.

والخلاص عند "كالفن" يتعلق جوهرياً بالإيمان الفعلي بموت المسيح وقيامته ثانية يقول "كالفن" في هذا السياق: «يتوزع خلاصنا بين موت وقيامه المسيح»⁽⁵⁾.

واللافت أنّ "كالفن" يركز على انبعاث السيد المسيح من بين الأموات أكثر من تركيزه على تضحيته وموته على الصليب، إعتقاداً منه أنّ انبعاث السيد المسيح من بين الأموات هو الضمانة الأساسية لإستمرار الخلاص في حياة البشر من خلال الحضور الدائم للسيد المسيح في حياة المؤمنين به. بمعنى آخر لا قيمة للخلاص بموت المسيح وحده، لأنّ موت الجسد وسفك الدم لا يقويان على تحقيق الخلاص والحياة للإنسان، لأنّهما عنصران ميطان لا قوة ولا فعل لهما منذ أن دخلا مملكة

(1) -سامي الشيخ: المرجع السابق، ص: 452.

(2) -Jhon calvin: Institues of christian Religion.trans: Henry Beverdige, WMB Eerdmans publishing company, grand Rapids Michigan, U.S.A. 1995. Book2 . p256.

(3) -جان كادييه: المصدر السابق، ص 85.

(4) -Jhon calvin: Ibid, p446.

(5) -Jhon calvin: Ibid, p447.

الموت، ولأنّ الموت بجد ذاته لعنة (ملعون كلّ من علق على خشبة)⁽¹⁾، ولكنّ الإنبعاث من بين الأموات هو الدليل الأقوى على الخلاص، لأنّ الموت هو العنصر الأقوى من بين العناصر التي تتعلق بمصير الإنسان، من هنا فالخلاص الحقيقي هو التفوق على الموت والإنبعاث عليه بالإنبعاث والتجدد الروحي والجسدي، ودخول الحياة الأبدية التي لا وجود للموت فيها ولا قوة له عليها، بهذا المعنى يرمز الخلاص إلى الحياة الأبدية التي تعدّ الموت وتبطل وجوده، فـ"كالفن" يرى الإنبعاث هو قهر للموت والتفوق عليه، مما يضيف على الخلاص صفات القوة والأبدية والفاعلية المستمرة في حياة الفرد دون إنقطاع.

ولعل الوسيلة الوحيدة لنيل الخلاص هي الإيمان الذي يتكون من عدة عناصر أبرزها الإصطفاء الأزلي للأفراد المؤمنين من قبل الله، ومجانبة الخلاص للمؤمنين كافة، والتضحية والإنبعاث للمسيح، والفاعلية المستمرة للمسيح في حياة البشر بأشكال مختلفة أبرزها: الحضور السري في القربان المقدّس، وتلقي العماد، وقبول التوبة، ومنح الغفران أثناء الصلوة، الأمر الذي من شأنه أن ينتقل بالمؤمنين من حالتهم الرأهنة ليصبحوا أبناء الله (فأما كل الذين قبلوه فأعطى لهم سلطاناً أن يكونوا أبناء الله للذين يؤمنون باسمه الذين لا من دم، ولا من مشيئة لحم، لا من مشيئة رجل ولكن من الله ولدوا)⁽²⁾، ويسلم "كالفن" بأنّ الإيمان هو السبيل الوحيد للخلاص يقابله تسليمه بإستحالة أن تكون الأعمال سبيلاً لبلوغه (ليس في إستطاعة واحد منا أن يحصل على النعيم الأبدى في الفردوس مهما قدم من أعمال صالحات)⁽³⁾.

ويؤكد "كالفن" على شمولية مبدأ الخلاص، مع تحديده بحيث يشمل جميع الأفراد المؤمنين الطامعين بالتوبة والخلاص، حتّى الأفراد الغارقين في خطاياهم والراغبين في التوبة والإيمان، أما أولئك الذين لا يرجون الخلاص سواء المعتقدين بأنّ الأعمال الصالحة هي التي تخلصهم، أو الخاطئين الذين ينكرون الله والخلاص معاً، فلا يشملهم الخلاص نهائياً، يقول "كالفن": «باب الخلاص مفتوح أمام كل الخاطئين الراغبين في التطهر والتحرر من الإثم والخطيئة»، والكنيسة هي المؤسسة الوحيدة القادرة على تأمين الخلاص للمؤمنين⁽⁴⁾.

(1) -2 كورنتوس 5: 21.

(2) -يوحنا 1: 12-13.

(3) -ويل ديوارنت، المصدر السابق، ج 24، ص: 212.

(4) -سامي الشيخ: المرجع السابق، ص 456.

وإذ تتضح معالم التصور الكالفيني للخلاص من خلاله عرض رأيه، يبرز مجال واسع للنقد والمسألة الفكرية من عدة زوايا لاهوتية وفلسفة وفكرية، فيرى أتباع "جاكوب أرمينوس"⁽¹⁾، أنّ فكرة الإختيار المسبق تجعل الله غير عادل، إذ يختار البعض للخلاص والبعض للهلاك دون النظر إلى أعمالهم الصالحة، وهذا المفهوم يتناقض مع المحبة الإلهية⁽²⁾، كما وردت في النصوص الإنجيلية «لأنّه هكذا أحبّ الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد...»⁽³⁾.

ويضيف أيضا "جون ستيوارت ميل"⁽⁴⁾، أنّ عقيدة "كالفن" اختزلت حرية الإرادة الإنسانية وتحوّل الإنسان إلى آلة مما يقلل من قيمة المسؤولية الأخلاقية، ويشير أحمد شلي إلى أنّ «التعيين المسبق في الفكر الكالفيني يمثل صورة الله في الحاكم المتسلط لا الإله المحبّ، وهذا يتناقض مع نصوص العهد الجديد»⁽⁵⁾.

ويرى القس "يوسف حبيب" أنّ تصور "كالفن" للبشرية في حالة موت روحي كامل قد يفهم على أنّه ينفي أي دور للمسؤولية الفردية في طلب الخلاص، وأيضا يؤدي إلى التراخي الأخلاقي إذا فهم بشكل خاطئ على أنّ الأعمال لا قيمة لها إطلاقا⁽⁶⁾.

أمّا "زوينجلي" فقد ركز هو الآخر على الكتاب المقدّس معتبرا أنّ أساس الخلاص هو الحق الكتاب وهو المعيار الفوقي على التقليد أو آباء الكنيسة أو المجامع الكنيسة مع احتمال خلاص الأطفال الذين لم يعمدوا يقول في هذا السياق: (يتحقق الخلاص لكلّ روح صالحة قبل المسيح) أمثال

⁽¹⁾—جاكوب أرمينوس: (1560-1609م) عالم لاهوت هولندي اسمه الحقيقي يعقوب هارمنزون في عصر الإصلاح البروتستانتي، عمل كمعلم في جامعة لأيدن، وكتب الكثير من الكتب والأطروحات عن اللاهوت اعترض على آراء كالفن في ثلاث نقاط: الإختيار

غير المشروط-التكفير المحدد- النعمة (marefa.org-https://marefa.org) استرجع يوم: 2024/1/10

⁽²⁾—موقع المفاهيم والإصطلاحات اللاهوتية التعيين وسبق المعرفة استرجع يوم: 4/ نوفمبر/ 2013 -clahoteyat-

blogspot.com

⁽³⁾—يوحنا 3: 16.

⁽⁴⁾—جون ستيوارت ميل Jhon stuart mill: فيلسوف والإقتصادي بريطاني (1806-1773م) له العديد من المؤلفات مثل

كتاب الحرّية، محمد كزو استرجع يوم: (2021/12/22 https://sapy.com/saqa-com)

⁽⁵⁾—أحمد شلي، المرجع السابق، ص: 241.

⁽⁶⁾—مكتبة الكتب المسيحية/كتب قبطية/ المكتبة القبطية الأرثوذكسية موقع الأنيا تكلا هيمانوت St-takal.org

"سقراط" و"أفلاطون"، ورأى أنّ الله قادر على أن يختار المؤمنين متى يشاء دون التقييد بالمؤسسات أو الطقوس المرئية كما شدّد على أنّ المسيح هو الحكمة والبر والتكفير الوحيد لخلاص الخليفة، وأنّ أي أساس آخر يعدّ إنكار للمسيح⁽¹⁾.

ففكرة الخلاص عند زعماء الإصلاح البروتستانتية مثلت حجر الأساس في التحول اللاهوتي والفكري الذي شهدته أوروبا في القرن السادس عشر، ظلّ أثره ممتدّاً حتى الفكر المسيحي المعاصر.

⁽¹⁾—britannica.com History of the christian church, vorlume // the history of the Reformation.
استرجع يوم:2023/11/6

الفصل الثاني:

بعض المسائل المختلفة فيها بين زعماء

البروتستانت وآثارها على الحركات

البروتستانتية

أفرزت حركة الإصلاح الديني البروتستانتي نخبة من الزعماء الذين إتفقوا في هدفهم المتمثل في إعادة المسيحية إلى صفائها الأول، غير أنهم تباينوا في العديد من التفاصيل العقائدية والتنظيمية، فقد إتخذ كل واحد منهم مسارًا فكريًا ولاهوتيًا يعكس خصوصية رؤيته في قضايا جوهرية مثل: سر العشاء الرباني، سلطة الكنيسة وعلاقتها بالدولة، والحرية الفردية، إضافة إلى مكانة العقل، وغيرها من المبادئ، وقد أسهم الاختلاف في بلورة تيارات متعددة داخل البروتستانتية عكست في مجموعها ثراء التجربة الإصلاحية، بالرغم من تباين المواقف بين زعمائها.

المبحث الأول: الليتورجية الأفخارستيا

المطلب الأول: تعريف الأفخارستيا Eucharist

الفرع الأول: لغة:

الأفخارستيا أو الأوخارستيا بفتح الهمزة، وكسر الراء والتاء هو عند النصارى سر القربان، يوناني الأصل، معناه الشكر⁽¹⁾.

وتعني أيضا عرفان الجميل والإمتنان، وبالتالي إبداء الشكر، وإذا رفع هذا الشكر إلى الله اتّخذ شكل صلاة ولاسيما شكل بركة لعجائب الله أو شكل تسبيح أو حمد لإحساناته، ويكون هذا الشكر مصحوبا بتذكار تستحضر به ذاكرة الماضي⁽²⁾.

وأیضا هو بركة وشكر خاص رفعه يسوع في عشائه الأخير⁽³⁾، وهو أحد أسرار الكنيسة السبعة المقدّس في الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسي وأحد السرّين في الكنيسة البروتستانتية⁽⁴⁾، ويطلق بعدة معاني Eucharist القربان المقدّس⁽⁵⁾، أو سر التناول، سر الشكر، سر الشركة، كسر الخبز، العشاء

(1) - ف. عبد الرحيم: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهاجتها، ط1، دار القلم، دمشق، 2011م، ص: 31.

(2) - بن الموفق شهناز سمية: الليتورجية الأفخارستية ومكانتها في الديانة المسيحية، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم مقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2007م، ص: 16.

(3) - صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، ط2، دار المشرق، بيروت، 1998م، ص: 50/49.

(4) - Steven Prunciman: The church in captivity, cambridge university press, 1968, p90.

(5) - منير البعلبكي: المورد، قاموس إنجليزي عربي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 2008م، ص: 322.

الرباني، العشاء السري⁽¹⁾.

الفرع الثاني: اصطلاحاً:

السر المقدس الذي أسسه المسيح في العشاء الأخير، وهي أقدم الأسرار المسيحية، فيها يقدم ويُقدّس ويمنح المسيح نفسه ذبيحة غير دموية، ويُعطي للمؤمنين جسده ودمه غداً روحياً⁽²⁾.

أما معناها في الكنيسة هو تعبير عن سر الجسد والدم كتقدمة عمومًا أو للتعبير عن مواد السر، أي سر الخبز والخمر⁽³⁾.

ويعرف علم اللاهوت الأفخارستيا أنّها الشكر الذي قدّمه المسيح على الخبز والخمر، والذي كان يمارسه التلاميذ، وأصبح كعمل مقدّس، ويوضح القديس "بوستين"، أنّ الشكر الذي يتلى على الخبز والخمر هو: الله على بركات الخليقة والفداء وهو مضمون صلاة الشكر التي كانت تقال على كل من الخبز والخمر⁽⁴⁾.

فالأفخارستيا بوجه عام هي الطعام الذي قدّمه المسيح في العشاء الأخير، هو جسده المصلوب، وبهذا عندما يتناول المسيحي يعلن موت المسيح مع فعاليته الخلاصية هو جسد ودم من اعتلى صليبه، وكل من يقبلونه يتحدون معه ليؤلفوا جماعة جسد المسيح السري.

فديمومة هذا الطعام في الكنيسة حسب المعتقد المسيحي، هو الأمر الذي أعطاه المسيح (اصنعوا هذا للذكرى)⁽⁵⁾، ويكتمل هذا التقديس في المناولة التي يقبل فيها المؤمنون القربان، فيتغذون من جسد المسيح ودمه، ويقدمون فعل عرفان وشكر الله، حيث تتحقق نعمة الإرادة الإلهية وتجعل من جماعة المؤمنين علاقة شركة ومحبة⁽⁶⁾.

وعليه فالأفخارستيا حسب المعتقد المسيحي من الأسس التي تقوم عليها الكنيسة، ولها من

(1) - قاموس المصطلحات الكنيسة، معنى كلمة الأفخارستيا، موقع الأنبا تكلاهيمانوت. استرجع يوم: 2022/8/8

(2) - سعيد حبيب: قاموس المصطلحات الكنيسة، دار الثقافة، القاهرة، 1961م، ص: 34.

(3) - فاضل سيدرواس اليسوعي: سر الأفخارستيا، مطبوعات الآباء اليسوعيين، مصر، 1989م، ص: 28.

(4) - متى المسكين: المصدر السابق، ص: 42.

(5) - لو 22: 19.

(6) - عدد من المؤلفين: موسوعة الأديان الميسرة، ط2، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2005م، ص: 97.

الأهمية الكبيرة كباقي العقائد التي بنت عليها الكنيسة أفكارها وأسست طريقها لكن في الحقيقة الأفخارستيا ماهي إلا خبز ونبيد لا علاقة لهما بجسد ولا بدم المسيح.

وبذلك تكون إدعاءات وخرافات وتثنية استمدت الكنيسة منها أفخارستياها.

الفرع الثالث: الأصل التاريخي للعشاء الرباني

يعتبر العشاء الرباني ما هو إلا إمتداد لما كان عند اليهود، فكانت كل أسرة يهودية تحتفل بذبح خروف الفصح وأكله من أيام موسى إحتفالاً بأهم حدث في حياتهم، الخروج من أرض العبودية، وبقيت كل الأسر اليهودية تمارس هذا الإحتفال لما يقرب من خمسة عشر قرن، ولم يكن ما يقوم به اليهود مجرد تذكّر عقلي للفصح، والخروج كحدث تاريخي، بل كان ممارسة معاشة لأن الخروج من عبودية فرعون وبطشه كانوا يعيشون تأثيره في حياتهم كل لحظة.

فالعشاء الرباني كما فهمه المسيح وتلاميذ ما هو إلا تحقيق للناموس اليهودي وهو نفسه الفصح، ليخرج العالم كله من عبودية الخطيئة والشر والشيطان كما خرج اليهود من بطش فرعون لهذا قال الرب للتلاميذ (خذوا كلوا، هذا هو جسدي المكسور لأجلكم)⁽¹⁾، (هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم)⁽²⁾، فالمسيح حسب المعتقد المسيحي لم يتكلم بصيغة قدمه من أجل الكنيسة، فالعشاء مرتبط ارتباطاً بالصلب إذن⁽³⁾.

وقد جاء في أغلب العهد الجديد ذكر للعشاء الأخير الذي كان المسيح مع تلاميذه في الليلة التي سبقت موته، فكل إنجيل وسفر يصنف أنّ المسيح قدم الشكر وبارك الخبز والكأس، وأعطى لتلاميذه قائلاً إن الخبز هو جسده، والكأس هو دم العهد، جاء في إنجيل متى (وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز، وبارك وكسّر وأعطى التلاميذ، وقال: خذوا كلوا، هذا هو جسدي، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم لأنّ هذا هو هود من الذي للعهد الجديد)⁽⁴⁾.

وفي مرقس (وفيما هم يأكلون، اخذ يسوع خبزا وبارك وكسّر، وأعطاهم وقال خذوا كلوا هذا هو

(1) -1 كو 11: 24.

(2) - لو 22: 20.

(3) - ابراهيم قبلي: العشاء الرباني، 2013م، ص: 5/4.

(4) - متى 26: 26.

جسدي، ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم، فشربوا منها كلهم وقال لهم: هذا دمي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين⁽¹⁾.

فالكنيسة صنعت ما قاله المسيح، وأعدت صنع هذا العشاء لذكرى المسيح وموته، فجاء في أحد رسائل بولس: (فحين يجتمعون معا ليس هو لأكل عشاء الرب)⁽²⁾، وهنا إشارة إلى حدث مهم في حياة الكنيسة يسمى العشاء الرباني.

وجاء في موضع آخر من نفس الرسالة: (ولأنني تسلمت من الرب ما سلمتك أيضا، إنَّ الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها، أخذ خبزا وشكر فكسر وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم، اصنعوا هذا لذكرى)⁽³⁾.

وبالتالي فإنَّ الأصل التاريخي للعشاء الرباني، هو ذلك العشاء الأخير الذي أكله المسيح مع تلاميذه في الليلة السابقة لصلبه، وتمتد جذوره لما قاله المسيح، وما فعله تلك الليلة الأخيرة، فأمر أن يستمر ذلك، وهو محوره ومضمونه⁽⁴⁾.

الفرع الرابع: أسماؤها وخصائصها

للأفخارستيا هذا السر الذي يعد من أهم أسرار الكنيسة السبعة العديد من المعاني والتسميات، فيأتي بمعنى:

-مائدة الرب: فالأفخارستيا تذكر بالعشاء الذي تناوله الرب بصحبة تلاميذه عشية آلامه، وهي أيضا استباق لمائدة عرس الحمل في اورشليم السماوية⁽⁵⁾.

(1) -مرقس 14: 22-24.

(2) -1 كورنتوس 11: 20.

(3) -1 كو 11: 23-24.

(4) -الكاردينال بول بوبار: معجم الأديان، تعريب: مركز الدراسات والأبحاث الشرقية، ط1، المطبعة البوليسية، جونية، لبنان، 2016م، مج 01، ص: 2055/254.

(5) -التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، عربة: المتروبوليت جيب باشا، المطران كيراس سليم بسترس، المطران يوحنا منصور، الأب يوحنا الفاخوري، المكتبة البوليسية، جونية، لبنان، 1999م، ص: 403.

(وقال لي، أكتب طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس الخروف، وقال: هذه هي أقوال الله الصادقة)⁽¹⁾.

- كسر الخبز: هذه العادة كانت في الموائد اليهودية، كان يسوع يعمد إليها عند بركة الخبز وتوزيعه، بصفته المتقدم في المائدة، وقد عمد غليها خصوصا في العشاء الأخير، ويكسر الخبز عرفه التلاميذ بعد القيامة.

وهي العبارة التي استعملها المسيحيون الأولون للدلالة على إجتماعهم الأفخارستية⁽²⁾، (وكانوا كل يوم يواظبون على تعليم الرسل، والشركة، وكسر الخبز/ والصلوات)⁽³⁾، (وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة، وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت، كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة القلب)⁽⁴⁾.

- المحفل الأفخارستي: وذلك بأن الأفخارستيا تحتفل بها في جماعة المؤمنين، وهي التعبير المرئي للكنيسة⁽⁵⁾، (ولكّتي إذا أوصى بهذا، لست أمدح، كونكم تجتمعون ليس للأفضل بل للأردأ)⁽⁶⁾.

- تذكّار الأم الرب وقيامه:

- الذبيحة المقدسة: لأنّ الأفخارستيا تجسد في الحاضر الذبيحة الوحيدة، ذبيحة المسيح المخلص، وتسمى ذبيحة القديس المقدّس⁽⁷⁾.

- ذبيحة التسبيح: (كأس الخلاص أتناول، وبإسم الرّب أدعوا... فلك أذبح ذبيحة حمد، وبإسم الرّب ادعوا)⁽⁸⁾.

(1) - رؤيا يوحنا 19: 9.

(2) - التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، المصدر السابق، ص: 403.

(3) - أعمال الرسل 2: 42.

(4) - أ ع 2: 46.

(5) - التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، المصدر نفسه، ص: 404.

(6) - 1 كو 11: 17.

(7) - التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: المصدر نفسه، ص: 404.

(8) - مزامير 116: 13-17.

-الذبيحة الروحية: (كونوا أنتم مبنيين كحجارة حيّة بيتا روحيا، كهنوتا مقدّسا لتقدّيس ذبائح روحية مقبولة عند الله يسوع المسيح)⁽¹⁾.

-الذبيحة الطاهرة: (لأنّه من مشرق الشمس إلى مغربها إسمي عظيم بين الأمم، وفي كلّ مكان لإسمي بخور وتقدمه طاهرة، لأن إسمي عظيم بين الأمم، قال ربُّ الجنود)⁽²⁾.

-الليتورجيا الإلهية المقدسة: لأنّ ليتورجيا⁽³⁾ الكنيسة كلّها تجد محورها وعباراتها الأبلغ في الإحتفال بهذا السر، وبهذا المعنى أيضا نسميه الإحتفال بالأسرار المقدّسة، وثمة أيضا عبارة السرّ الأقدس، لأنّ الأفخارستيا هي سر من الأسرار، وتسمى بهذا الإسم للأعراض الأفخارستية المحفوظة في بيت القريان⁽⁴⁾.

-الشركة: للإتحاد بالمسيح الذي يصير المسيحيين شركاء في جسده، وفي دمه ليكونوا جسداً واحدا (كأس البركة التي نباركها، أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح)⁽⁵⁾.

وتسمى أيضا الأقداس، وهذا ما تشير إليه عبارة شركة القديسين الواردة في قانون الرسل (خبز الملائكة، خبز السماء، دواء الخلود، الزاد الأخير)⁽⁶⁾.

-القداس (Missa): لأنّ الليتورجيا التي يتم فيها سر الخلاص تنتهي بإرسال المؤمنين (Mission) ليحققوا إرادته تعالى في حياتهم اليومية.

(1) - 1 بطرس 2: 5.

(2) - ملاحي 1: 11.

(3) - الليتورجيا: كلمة يونانية تعني خدمة، ويقصد بها العبادات والصلوات الإجتماعية (القس تادرس يعقوب ملطي: قاموس مصطلحات الكنيسة، ص: 11).

(4) - التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، المصدر السابق، ص: 404.

(5) - 1 كو 10: 36.

(6) - التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: المصدر السابق، ص: 404.

خصائصها:

يتكون العشاء الرباني المقدس عند المسيحيين من مادتين أساسيتين هما: الخبز والخمر، وبشروط معينة مثلاً: - أن يكون الخبز نقياً في جوهره وصنعه لأنّ عظمة السرّ وقداسته تقتضي ذلك كما يجب أن يكون الخبز من أول رتبة من دقيق القمح، بعد أن يختمر، لأنّه خبز اليهود آنذاك كان من القمح المختمر لا الفطير (حسب إعتقاد الأرثوذكس⁽¹⁾، فجاء (وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزاً وبارك وكسر)⁽²⁾.

- أن يكون الخمر من عصير الكرم، وأن تكون هذه الكرمة سليمة جيدة غير مصابة بأي مرض من الأمراض، ولا ضعيفة هزيلة كما تقتضي عظمة السرّ وقداسته وأن تكون ممزوجة بما كما كان يفعل الربّ عندما سلم سر الشكر استعمل خمراً ممزوجة بماء كما كان يشربها وقتئذ جميع سكان اليهود، وهكذا الكنيسة تستعمله على مثال الربّ تذكّاراً للدم والماء⁽³⁾ (حسب المعتقد الأرثوذكسي)، كما جاء في الكتاب المقدس: (لكن واحداً من العسكر طعن جنسه بحربة، وللوقت خرج دم وماء)⁽⁴⁾.

المطلب الثاني: العشاء الرباني في فكر "مارتن لوثر"

يعد العشاء الرباني أو ما يعرف بسر الأفخارستيا من أهم القضايا اللاهوتية التي شكّلت محوراً أساسياً في فكر "مارتن لوثر"، فقد كان الخلاف حول طبيعة حضور المسيح في العشاء الرباني من أبرز المسائل التي فحرت الصراع بين "لوثر" والكنيسة الكاثوليكية من جهة، وبين "لوثر" وبقية الإصلاحيين من جهة أخرى.

فقبل الإصلاح كان اللاهوت الكاثوليكي يفسر سرّ الأفخارستيا من خلال عقيدة التحول الجوهرى Transubstantiation، أي تحول جوهر الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح الفعليين مع بقاء الشكل الخارجي دون تغيير.

(1) - الأرشيد باكون نقولا بشارة، سر العشاء الرباني، مطبعة التوفيق، مصر، ص: 10.

(2) - مر 14: 22.

(3) - الأرشيد باكون نقولا بشارة: المصدر نفسه، ص: 13.

(4) - يوحنا 19: 34.

إلا أنّ "لوثر" رفض هذا التصور معتبراً أنّه يقوم على فلسفة أرسطية لا سند كتابي لها⁽¹⁾.

فيعرف "لوثر" العشاء الرباني بأنّه دم وجسد يسوع المسيح، الحقيقيان يقدمان للمسيحيين عن طريق الخبز والخمر ليأكلوا ويشربوا، وقد ربّب ذلك المسيح نفسه كما دوّن ذلك القديسيون (إنّ الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزا وشكر فكسّر وأعطى تلاميذه، وقال خذوا كلوا، هذا هو جسدي المكسور لأجلكم، اصنعوا هذا لذكري)⁽²⁾، فهو يؤمن بالحضور الفعلي الثنائية الدّم والجسد في العشاء الرباني، وإستند في ذلك إلى: (هذا هو جسدي المكسور لأجلكم).

فكان متمسكا تمسكا شديداً بنظرية الحضور المزدوج، وأراد أن يتخلص من عقيدة التحول أو التغيير معتبراً أنّ النصوص الدالة على ذلك سهلة وبسيطة ولا تقبل أي تأويلات⁽³⁾، يقول "لوثر": «بما أنّه لا توجد نصوص كتابية تقول بأنّ الخبز ليس جسد المسيح، يجب علينا إذن قبول كلام السيّد بطريقة بسيطة كما نطق به، فلا يجب تغيير هذا الكلام بل قبول حقيقة أنّ الخبز هو جسد المسيح.... إنني واثق تماما بأنّ الله لا يكذب وبما أنّ كلمته تعرفنا بأنّ جسد ودم يسوع موجودان في هذا السر، فيجب تصديقها»⁽⁴⁾.

وفي معاهدة سنة 1527م يقول " لوثر": «إنّ كلمات السيّد "هذا هو جسدي" كلمات صحيحة لأنّها تبرهن على أنّ يسوع يريد أن يثبت بطريقة واضحة وصريحة عندما قدم الخبز، أنّه أعطى جسده للأكل، وعلى هذا الأساس فنحن نؤمن ونعترف بأننا نأكل ونشرب بطريقة حقيقة وحرفية جسد المسيح في أثناء تناول العشاء الرباني».

فمن هذه الإقتباسات لأقوال "لوثر" نرى بطريقة لا تدع مجالاً للشك بأنّ المصلح الألماني كان يؤمن بإيمانا ثابتا بحضور جسد المسيح الحقيقي في الخبز والخمر.

⁽¹⁾—Martin luther, the Babylonian captivity of the church, in luther's works (lw) vol, 36, philadelphia: Mhlenberg.press.1959,P 29-36

⁽²⁾— 1 كو 11: 24.

⁽³⁾— فان هام اليسوعي: الكوكب الواضح في تاريخ الإصلاح (ردّاً على ما اخترعه خدمة البروتستانت)، مطبعة المرسلين اليسوعيين، بيروت، 1876، الجزء الأول، ص: 279.

⁽⁴⁾— حناجر جسس الحضري، المصدر السابق، ص: 327.

وحاول أن يعرف من خلال تعليمه بحضور الله، فهو يؤمن بأنّ الله حاضر في كلّ مكان، إلاّ أنّه حضور سطحي دون فاعلية لأنّ الذين لا يعرفون الله لا يدركون حضوره، كما أنّ الله حاضر في المسيح وفي الكنيسة، وفي الخدمة، وعند إعلان الإنجيل يكون المسيح حاضرا لأنّه يوجد حيث الله الآب، أو أنّه يشترك معه في كل الصفات الإلهية، ولكنّه حاضر بصفة خاصة في الخبز وفي الخمر، وبالتالي فمن العيب القبول بأي تفسير لهذا الحضور بطريقة رمزية أو مجازية أو استعارية، ويجب أن تُقبل هذه الحقيقة بالإيمان وأن تقبل حرفيا، كما نطق بها يسوع المسيح⁽¹⁾، الذي قال: «خذوا كلوا هذا هو جسدي، هذا هو دمي».

ولكي يشرح عقيدة الحضور المزدوج، عاد "لوثر" إلى مشكلة التجسد لكي يتخذ منها مثلا، فعندما تجسد ابن الله في يسوع، وعندما حل اللاهوت في الناسوت، فإنّ ابن الله لم يتجرد من ألوهيته لكي يصير إنسانا، وهذا لا يعني بأنّ الناسوت تغير إلى لاهوت، فلقد احتفظت كل طبيعة من الطبيعتين بخواصها دون أدنى تغيير أو تبديل، لدرجة أنّه كان من الممكن القول بأنّ هذا هو الله أو هذا الإله هو إنسان.

ف"لوثر" قد أعلن سابقا موقفه المنتصر لحضور المسيح (في، تحت، مع) (in, with, and) under) عنصري الخبز والخمر، وبذلك يكون الحضور حقيقيا، لكنّه ليس تحولا في الجوهر، بل إتّحادا سرائريا بين الكلمة الإلهية والعناصر المادية، وهذا ما يقودنا إلى نقطة إختلاف أخرى بين مفهوم "لوثر" والكنيسة الكاثوليكية حول هذا السرّ، فلئن أعطت كنيسة روما أهمية عظيمة للعناصر، لأنّها تعتقد بأنّها تتحول إلى جسد ودم المسيح، فإنّ "لوثر" يعتقد بأنّ أهمية الفريضة قائمة ساعة ممارستها لإعلان الكلمة، لأنّ المسيح حاضر في كلمته التي نطق بها⁽²⁾، مصدقا لما جاء في إنجيل متى: (إذا اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمي فهناك أكون في وسطهم)⁽³⁾.

فلاحظ أنّ هناك تباينا بين مفهوم الكنيسة الكاثوليكية والمصلح الألماني للعشاء الرباني، فالكنيسة اعتقدت بأنّ مائدة الرب هي سرّ من الأسرار التي تمكّن الإنسان من الخلاص عن طريق

(1) - حنا جرجس الحضري: المصلح (مارتن لوثر) حياته وتعاليمه، ص: 169.

(2) - المصدر نفسه، ص: 170.

(3) - متى 18: 20.

ممارستها، أمّا " لوثر " فاعتقد بأنّ ممارسة هذه الفريضة دون إيمان لن تؤدي إلى الخلاص بأي حال من الأحوال.

هنا يحاول "لوثر" أن يجرد هذه الفريضة من الهالة العظيمة التي كلّت بها في العصور الوسطى، والتي مازالت بقاياها حتى الآن، معتبرا فاعليتها لا تكمن في ممارستها بل تتوقف على إيمان الشخص نفسه الذي يشترك في هذا العشاء الرباني.

ف"لوثر" يرفض قول الكنيسة السائد حول مسألة الإستحالة، عبر اعتبار أنّ الخبز والخمر بعد التقديس يتغيران إلى جسداً للمسيح ودمه، وكانوا في نفس الوقت يقولون بأنّ كلّ من يتقدم إلى العشاء المقدّس يشترك حقيقة في جسد المسيح ودمه كما يشترك في الخبز والخمر.

وهذا التعقيد في الفكر اللوثيري حول مسألة مائدة الرّب يتنافى في الحقيقة مع غيره من البروتستانت⁽¹⁾، فعقيدة "لوثر" في العشاء الرباني تتخلص فيما يلي:

-إنّ عقيدة الوجود المزدوج اللوثرية هي تخفيف لعقيدة الإستحالة الكاثوليكية.

-وجود العناصر المادية بدون تغيير.

-حلول المسيح فعليا في مادة الخبز والخمر.

وكخلاصة لما سبق يمكن القول إنّ موقف "لوثر" من العشاء الرباني يعكس جوهر لاهوته الإصلاحية الذي يربط بين النعمة والإيمان، والكملة الإلهية فهو رفض التفسير الفلسفي الكاثوليكي للتحوّل الجوهرية، كما رفض تفسير باقي الإصلاحيين ليؤسس لعقيدة "الحضور الحقيقي" القائمة على الإتحاد القرباني، وهكذا ظل العشاء الرباني عنده ليس ذبيحة يقدمها الإنسان لله، بل عطية يمنحها المسيح للإنسان لتثبيت إيمانه، ومن هنا تتجلى أهميته كسرّ خلاصي في فكر " لوثر " وكأحد الأعمدة التي قامت عليها الكنيسة اللوثرية فيما بعد.

إلاّ أنّ اللاهوت الكاثوليكي ينظر إلى الأفخارستيا تجديداً سرّائيا (غير دموي) لذبيحة المسيح على الصليب، فالقدّاس ليس مجرد ذكرى، بل مشاركة فعلية في ذبيحة المسيح الواحد التي تقدم في كل

(1) - ذياب عيسى: مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ط1، دار منهل الحياة، لبنان، 2009م، ص: 64

زمان ومكان من خلال الكاهن، وقد نص مجمع ترانت 1545م و1563م الذي عقد: «القداس هو ذبيحة حقيقة يقدم فيها المسيح ذاته بشكل غير دموي، كإمتداد لذبيحته على الصليب) غير أنّ "لوثر" رفض هذه الفكرة وشدّد على أنّ العشاء الرباني هو هدية للإيمان (الأخطر هو تحويل السر إلى ذبيحة وعمل صالح يجب التمسك بكلمات "خذوا وكلوا هذا هو جسدي التي تحوي الإنجيل بأمره» ويقول أيضا: «العشاء الرباني هو عطية من الله للإنسان، لا عمل من الإنسان لله»⁽¹⁾.

فمن المنظور اللوثيري لو إعتبرت الأفخارستيا ذبيحة، فإنّها تتحول إلى عمل بشري يضاف إلى عمل المسيح على الصليب، وهذا يعني في نظره تقليل من كفاية ذبيحة المسيح الواحدة الكاملة، لذلك رفض ما كان سائداً في القرون الوسطى من تقديم القداس بنية الأحياء أو الأموات باعتباره ذبيحة تكفر الخطايا. ويرى بعض الفلاسفة واللاهوتيين المعاصرين أنّ إستعمال "لوثر" لصيغة (في، مع، تحت) ماهي إلا صيغة لغوية أكثر من كونها تفسيراً لاهوتياً دقيقاً، ممّا يجعلها تتعارض مع مبدأ العقل والمنطق، إضافة إلى تمسك "لوثر" بفكرة الحضور الحقيقي وتشدّده فيها أدى إلى إنقسام حركة الإصلاح إلى تيارات متباينة (لوثرية وكالفنية وزوينجالية) نتج عنها تمزيق وحدة الكنيسة البروتستانتية، بدلا من توحيدها حول رؤية مشتركة للأفخارستيا⁽²⁾.

وكخلاصة يظل الفكر اللوثيري مجرد تعديل داخلي في بنية الإعتقاد المسيحي، فهو صحح بعض الإنحرافات الكاثوليكية كالطابع الذبائحي، وفكرة الحلول إلاّ أنّه بقي أسيرا لفكرة أنّ الخلاص يتحقق عبر المسيح المصلوب وسر العشاء الرباني، غير أنّ القرآن الكريم يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾⁽³⁾، وقوله تعالى أيضا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ – القس نصر الله زكريا: العشاء الرباني في المفهوم الإنجيلي، دار الفكر الإنجيلي، ص: 33.

⁽²⁾ – Heiko oberman: luther: Man between god and the Devil yal univessty Press, 1989, p240.

⁽³⁾ – الشورى: 25.

⁽⁴⁾ – النحل: 97.

المطلب الثالث: العشاء الرباني في فكر " أولريخ زوينجلي "

يُعدّ " أولريخ زوينجلي " رائدا لفرع الإصلاح في زيوخ، وصاحب صياغة مبكرة للرؤية التذكارية للعشاء الرباني، حيث رأى أنّ الخبز والخمر علامتان تذكran بجسد المسيح ودمه، لا أنّ جوهرهما يتحول أو أنّ المسيح حاضر فيهما حضوراً ماديا، ورغم إشتراكه مع "مارتن لوثر" في مناهضة الإستحالة الجوهرية الكاثوليكية، فإنّ "زوينجلي" ذهب أبعد في نفي الحضور المادي، مؤكداً وظيفة العشاء بوصفه إعلان شكر وتذكر لغذاء المسيح⁽¹⁾.

ويعتبر "زوينجلي" أنّ " لوثر" أوقع نفسه في إشكال خطير عندما علّم أتباعه بأنّ طبيعة السيد المسيح الإلهية تمتزج مع الطبيعة البشرية عند ممارسة السر ذلك أنّ اختلاط دم المسيح وجسده بدم الإنسان وجسده قد يستتبعه إمكان تأثير الطبيعية البشرية على الطبيعة الإلهية.

ففي عام 1529م تقابل "زوينجلي" و"لوثر" في "ماربورغ" ليناقشا إختلافهما الفكري حول تفسير وجود المسيح في العشاء الرباني، وقد عدّ "لوثر" هذا القربان المقدّس وسيلة يظهر من خلاله كرم الرب على الناس⁽²⁾، وهو يعتقد حضور المسيح حقيقة في الخبز والخمر، بينما "زوينجلي" يعدّ أنّ هذا القربان صلاة لله على نعم سبقت لاسيما من خلال الإنجيل، ويعدّ الخبز والخمر مجرد رمز لجسد المسيح ودمه، وقد قاد هذا الخلاف بينهما إلى أول انشقاق كبير في صفوف البروتستانت ، وفي العامين التاليين ألغى القضاة النصب الدينية مثل التماثيل وتبنوا الطقوس الدينية البروتستانتية، وأغلقوا الأديرة واستبدلوا العشاء الرباني بآخر⁽³⁾.

ويرى "رولان موسيني" أنّ "زوينجلي" عرف كيف يتفادى تلك المشكلة بنكرانه الحضور الحقيقي في القربان المقدّس معتبرا أنّ هذا السر هو عبارة عن رمز لا غير أو إحياء ذكرى، وأما عبارة (هذا جسدي) إنّما هي صورة مجازية، لكن مجرد تناول خبز التقديم وشرب خمر الكأس، فيه تعبير عن إيمان المرأ وعن عقيدته، لكن دون أن يتمّ بينه وبين الله أي إتصال، والله يبقى فوقيا دون أن تقدر أي قوة

(1) - نعم محمد علي جواد: تأثيرات الديانة الكاثوليكية و البروتستانتية خلال القرن السادس عشر والسابع عشر في العالم الغربي،

جامعة سانت كليمنتس العالمية الدراسات العليا، بغداد، 2013م، ص: 117.

(2) - جيمس وستفال وآخرون: حضارة عصر النهضة، ت: عبد الرحمن ركي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1961م، ص: 54.

(3) - شارل أدري جوليان: تاريخ افريقيا، ت: طلعت عوض اباطة، دار النهضة، مصر، 1968م، ص: 87.

بشرية على إدراك علاه⁽¹⁾.

فمائدة الربّ عند "زوينجلي" هي مجرد ذكرى لموت المسيح، ويجب على المتقدم على المائدة أن يكون ناضجًا روحياً حتى يستطيع أن يشارك في نشر الأخبار السارة بموت المسيح، وقيامته ومجيئه الثاني، ويؤكد " تشارلز رايري" في كتابه (علم اللاهوت الأساسي) : (أنّ زوينجلي يُعلّم عشاء الربّ مجرد تذكّار، لكنّه أيضاً خدمة يؤدي فيها حضور المسيح في وسط شعبه إلى أحداث شركة حقيقية)، ونرى هنا كيف إستخدام المسيح أبسط الأشياء للتعبير عن جسده ودمه، وجعلها تذكّاراً لموته، فلم يستخدم نصبا حجريا أو نحاسيا، ولكن تذكّاراً من الخبز والخمر، وأعلن أنّ الخبز يمثل جسده المكسور، فلم يكسر عظم من عظامه، ولكن جسده سحق حتى صار من الصعب تمييزه (لكن أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحملها، ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا، وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه، وبخبره شفينا، كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه، والربّ وضع عليه إثم جميعنا، ظلم أمّا هو فتذلل ولم يفتح فاه، كشاه تساق إلى الذبح، وكنعجة صامته أمام جازيها فلم يفتح فاه)⁽²⁾، وكان الخمر رمزا لدمه، مشيراً إلى الميتة الفضيعة التي سيلقاها، وعندما قال: «اصنعوا هذا لذكري» أعلن أنّ هذه فريضة يجب الإستمرار في القيام بها مستقبلاً⁽³⁾.

ويرى "زوينجلي" أيضاً أنّ ما كان يسمى في الكنيسة الكاثوليكية المذبح لم يعد مكان ذبيحة متكررة، بل تحوّل إلى مائدة شكر، يجتمع حولها المؤمنون لتذكر عمل المسيح الخلاصي، وهو محور هذا السرّ لا افتراض انتقال جوهر أو حلول مادي⁽⁴⁾.

لكن إنتقل مفهوم العشاء المقدّس من الحقيقة والوجود الفعلي في فكر "لوثر" إلى مجرد ذكرى وعادة في تحليل "زوينجلي"، فإنّ مصطلح "زيورخ" ناول القربان بالخبز والخمر معا، وحدد ذلك بأربع مرات في كل سنة، وفي جعله لهذا السرّ مناسبة محددة زمنياً أضفى عليها طابعا احتفالياً أبقى من خلاله على جانب

(1) - رولان موسينييه: المصدر السابق، ص: 95/4.

(2) - أشعيا 53: 4-7.

(3) - د.ق ممدوح لوندي: العشاء الرباني بين المفهوم والممارسة، لإثني 11/09/2023 pcegypt.net

(4) - آر.سي. سيرول: ماهو لاهوت الإصلاح؟ فهم الأساسيات، ت: ماهر ناتان معروف، ط1، الرابطة الإنجيلية في الشرق الأوسط

(ميرف)، 2021م، ص: 124.

كبير من القداسة⁽¹⁾.

وتجدر الإشارة إلى أنّ محاولات رأب الصدع بين "لوثر" و"زوينجلي" حول هذه المسألة كانت فاشلة، حيث أبقى كل منهما إلا أن يتمسك برأيه.

ولئن تواصل احترام "زوينجلي" وحبّه لـ"مارتن لوثر" فإنّ المصلح الألماني كان يشيط غيضا كلما تمّ طرح المفهوم الزوينجلي لسرّ الأفخارستيا، بل وصل في بعض الأحيان إلى درجة اعتبار أنّ رؤية "زوينجلي" تلك مارقة عن الشريعة المسيحية، ولا تمتّ بصلة إلى روحانية الديانة كما أسّس لها الكتاب المقدّس في حين أنّ "أولريخ زوينجلي" رفض تمام الرفض الحضور الفعلي للمسيح في العشاء المقدّس، فإنّه لم يقلل من شأن هذا السر، حيث اعتبر أنّ المائدة المقدّس تقوي الإيمان وتوطّد علاقة المؤمنين بالمسيح، وتزيد من إنتماءهم إليه⁽²⁾.

وكخلاصة لما سبق فموقف "زوينجلي" من العشاء الرباني يقوم على ثلاثة جوانب رئيسية:

1/- الكتاب المقدس أساس التفسير: فحين قال "هذا هو جسدي"، لم يفسرها "زوينجلي"

حرفيا كما فعل "لوثر"، بل فسرها على أنّها يعني هذا يرمز إلى جسدي، أي أنّ الخبز والخمر مجرد رمز وتذكّار لذبيحة المسيح⁽³⁾.

2/- طبيعة جسد المسيح: فقد شدّد "زوينجلي" على أنّ جسد المسيح صعد إلى السماء،

والجسد البشري لا يمكن أن يكون حاضرا في أكثر من مكان في الوقت نفسه، لذلك رفض فكرة الحضور المادي للمسيح في الخبز والخمر⁽⁴⁾.

3/- جماعية العشاء المقدس ووظيفته التربوية

بالنسبة له العشاء ليس سرّاً يتحول فيه الخبز والخمر بل هو مائدة شكر وتعليم، يُذكر الجماعة بعشاء المسيح وتقوي إيمانها، ولهذا ركّز على دور الكلمة المعلنة وإيمان الكنيسة⁽⁵⁾.

(1) - ويل ديورانت: المصدر السابق، مج 6، 120/3.

(2) - وجيه يوسف: العشاء المقدس في فكر يوحنا كالفن، إصدارات الرابطة الإنجيلية في الشرق الأوسط، مصر، ص: 16.

(3) - نعم محمد على جواد: المرجع السابق، ص 118.

(4) - د.ق. ممدوح لوندي: المرجع السابق، ص 128.

(5) - جونانان غريفيت: الأفخارستيا، عشاء الرب، إئتلاف الإنجيل، ar.thegospelcoalition.org

وعلى الرغم من إشتراكه مع "لوثر" في نقد الإستحالة، فإنّ خلافهما حول طبيعة الحضور في العشاء الرباني كان من أبرز أسباب عجز الإصلاح عن الإلتحام في جبهة ليتورجية موحدة. فكان "لوثر" أبرز ناقد "زوينجلي" وأهمه بعقلنة النص والخضوع إلى المنطق بدل الإيمان، إضافة إلى أنّ اللاهوتيين الكاثوليك خاصّة، يرون أنّ موقف "زوينجلي" تبسيطي، ينفي أي سرية أو عمق روحي ويحصر العشاء المقدّس في وظيفة تعليمية ممّا يقلل من قدسيته ويجوله إلى مجرد ذكرى بشرية.

وبالرغم من أنّ "زوينجلي" قد حرّر الطقس من الخرافات الكاثوليكية إلّا أنّ النقاد رأوا أنّ "زوينجلي" اقتصر في رأيه للعشاء المتدس على الجانب التذكاري الأخلاقي، وأنّ رأيه كان محدودًا بالمقارنة مع رؤية "كالفن" الأكثر توازنًا⁽¹⁾.

المطلب الرابع: فكر "جون كالفن" في العشاء الرباني

وقد أشار "كالفن" في كتابه الأسس إلى مسألة الخلاف بين الفكر اللوثيري والفكر الزوينجلي حول هذه المسألة معتبرا أنّ معرفة هذا السرّ السامي ضرورية جدا، وهي في ضوء تلك العظمة تتطلب شرحًا دقيقًا، خاصة وأنّ الشيطان الذي يتغني سلب الكنيسة هذا الكنز النفيس الذي لا يقدر بثمن، تمادى منذ زمن بعيد في نشر الضبابية، ثم في حجب هذا النور، بإثارة النزاع والمشاحنة حتى يبعد أذهان البسطاء عن تذوق هذا الطعام المقدّس، كما حاول أن يتناول بمكر احتياله على الكنيسة المصلحة بين أنصار كلمة الله أنفسهم محاولا أن يوقع العالم في شركه⁽²⁾.

فقد حاول "كالفن" أن يقوم بدور الموفق العقائدي بين "لوثر" و"زوينجليط، فهو يعتقد بأنّ المسيح يحضر فعلا في العشاء الرباني، ولكن حضوره حضور روحي، ولقد شدّد كثيرا على حضور المسيح الروحي في العشاء الرباني، ثمّ شدّد أيضا على عملية الروح القدس، فالروح القدس هو الذي يعمل في الإنسان المشترك لكي يقنعه بأنّ المسيح موجود فعلا، ولكن بطريقة روحية غير ملموسة أو محسوسة، في العشاء الرباني، فوجود السيد في هذا العشاء حقيقة روحية لا يمكن إنكارها، فالخبز الذي نكسر والخمر الذي نشربه عند الإشتراك في المائدة، هما علامة ملموسة محسوسة يشيران إلى وجود يسوع

(1) - جوناثان غريفيت: المصدر السابق (مقال).

(2) - جون كالفن: أسس الدين المسيحي، ت: عوض اديب، ط1، دار منهل الحياة، 2017م، مج2، ص: 1271.

بالروح، وهما يمثلان أيضا جسد المسيح المكسور ودمه الذي سال، كالطعام الحقيقي الحي الذي يجب أن نأكله بطريقة روحية، فالأكل من جسد المسيح والشرب من دمه لا يعينان الأكل والشرب بطريقة ملموسة ومادية وجسدية، بل المسيح يصبح الطعام الروحي، وهذا ما يعنيه بقوله: «لأن جسدي مأكّل حق ودمي مشرب حق...»⁽¹⁾، وهنا ينتهي "كالفن" ناحية التفسير المجازي، وليس التفسير الحرفي لكلمة الله، وفي حقيقة الأمر لا توجد أية علاقة بين جسده الحقيقي وبين العشاء الرباني، ففي العشاء الرباني يجب أن نتذكر موت وقيامه السيد، ولكن لا نأكل في أثناء العشاء الرباني جسد السيد إلاّ بطريقة روحية رمزية.

ولقد شدّد "كالفن" كثيرا على حقيقة وجود المسيح بطريقة روحية في العشاء الرباني، وبهذا أراد أن يتجنب الخطأ الذي وقع فيه "لوثر" الذي يعتقد بأنّ المسيح يحضر فعلا بطريقة حقيقة في الخبز والخمر، ثمّ أراد أيضا أن يتجنب مسلك "زوينجلي" الذي بدا له خطيرا⁽²⁾، فنفى أن يكون سرّ العشاء الرباني مجرد ذكرى أو إحياء لموت المسيح، بل إعتبره وسيط نعمة حقيقية، وأنّ ممارسته تجب تكراراً بسبب فائدته الكبيرة⁽³⁾.

فـ"كالفن" يعتبر أنّ المؤمن المسيحي يحيا روحيا بثنائية الخبز والخمر، العلامتان اللتان تمثلان للمؤمن القوت غير المنظور أو الروحي المستمد من جسد المسيح ودمه.

ويعتبر "جون كالفن" أنّه في خضم استحالة فهم إتحاد المؤمن بالمسيح الذي هو بطبيعته صعب الإدراك، فإنّه يعكس صورته وهيئته بعلامات تتناسب والقدرة البشرية البسيطة، وبتلك الرموز والضمانات المؤيدة لها في الكتاب المقدّس تؤكد للمؤمن حقيقة وحدته مع المسيح كما لو أنّه كان يراه بعينه.

- قراءة "جون كالفن" لنصوص الكتاب المقدس:

1- جاء في الإنجيل (هذا هو جسدي): متى 26: 26-29، مرقس 14: 22-25، لوقا

(1) - يو 6: 55-59.

(2) - حنا جرجس الحضري: المصدر السابق، ص: 230/229.

(3) - جون كالفن: مقالة قصيرة في العشاء المقدس، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 2004م، ص: 17.

22: 17-20 هي مجاز أسراري مغطى بالإيمان أي أنّ المسيح يسمى الخبز جسده تسمية أسرارية لا يمكن سبيل تحول الجوهر، بل لأنّ العلامة مقرونة بما تعد به فعلا، ومع أنّ العبارة مجازية، فالسرّ ليس إشارة فارغة، إذ يجعل الروح القدس المؤمنين شركاء جسد المسيح ودمه حقا⁽¹⁾، ويضيف أيضا: «أشربوا منها كلّكم» هنا يصرح "كالفن" أنّ أمر المسيح (جميعكم) هي إلزام مشاركة الكأس للجميع.

كما يلاحظ "كالفن" في قول المسيح (هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي) فهو بذلك يقصد العهد الموهوب بموته، فينفى القراءة الحرفية القائلة بالتحول الجوهري⁽²⁾.

وفي هذا يؤكّد "كالفن" أنّ من يقبل الوعد بالإيمان يصير حقا شريكا في جسده ودمه، وأنّ هذا الأكل روحي.

2 / 1 كورنتوس: 10، 16، 17. (كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي بكسره أليس هو شركة جسد المسيح، فإنّنا نحن الكثيرين خبز واحد، جسد واحد، لأنّنا جميعنا نشترك في الخبز الواحد)، فيقرأ "كالفن" لفظة (شركة) بأنّ المؤمنين ينالون في العشاء مشاركة حقيقة في جسد المسيح ودمه بعمل الروح، وأنّ الرغيف الواحد يكفي يرمز إلى وحدة الجسد، فيحثّ المؤمنون على حفظ وحدة الشركة التي يعبر عنها العشاء ذاته⁽³⁾.

3 / 1 كورنتوس: 11، 23، 29

(اصنعوا هذا لذكرى... من أكل وشرب بدون استحقاق.... مميّزا جسد الرّب)

بشرح "كالفن" لفظة (الذكرى)، فهي تتضمن التذكر والإعلان العملي لموت المسيح ونعمه، والسرّ الوعد الذي يقدم للمؤمنين مع كلمة الرّب، فمن يحتقر هذا العطاء يكون مجرّما في جسد الرّب ودمه.

(1)–John calvin: commentary on Matthew, Mark, luke-vrolume 3, christian classics Ethereal library, p171.

(2)–Ibid, p176-178.

(3)–Ibid, p281-283.

-أمّا المقصود بـ (مميزا جسد الرّب) هو أن يفرق المتناول بين العلامة والمعنى، فيتناول بإيمان يليق بما يمنح فيه المسيح نفسه روحيا أمّا تناول بلا تمييز كمن يجعل السرّ عادة فارغة ويكون تناول للدينونة⁽¹⁾.

4/ يوحنا 6: 53

(فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم: إن لم تأكلوا جسداً ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم).

فيؤكّد "كالفن" على أنّ هذا المقطع يتكلم عن الإستفادة من المسيح بالإيمان لا عن طقس العشاء بحد ذاته، ومع ذلك يجوز تطبيقه على العشاء من حيث إنّ العشاء يقدم لنا المسيح نفسه بالروح على نحو يوافق هذا التعليم ويرفض أن يكون الفهم مادي للأكل، مبيناً أنّ الحياة تمنح بالزواج الذي يوحدنا بالمسيح لا عبر المضغ لجسد المسيح⁽²⁾.

فـ"كالفن" يميز بين الخبز والكأس، وبين المسيح الموهوب في السرّ، لكن بما أنّ الروح القدس يتمم ما يعدّ به المسيح، فالعشاء ليس مجرد تذكّار رمزي بل شركة حقيقية في جسده ودمه تنال بالإيمان⁽³⁾.

غير أنّ بعض الباحثين رفضوا أفكار "كالفن" حول موضوع العشاء المقدّس، فتعبير المسيح (هذا هو جسدي) يجب أن يفهم حرفياً، كما فسره "كالفن" تفسيراً مجازياً وهذا ما يضعف يقينية الحضور الجسدي، فلا يترك مكاناً لعبادة المسيح في سرّ الأفخارستيا كما أقرّه التقليد الكنيسي الكاثوليكي.

ويقترّ بعض اللاهوتيين اللوثريين قالوا أنّ "كالفن" اقترب من تفكير "زوينجلي" أكثر مما اقترب من "لوثر" أمّا بعض اللاهوتيين الزوينجلين رأوا أنّ إدخال فكرة (تغذية روحية بجسد المسيح) يجعل من العشاء أقرب إلى التصورات الكاثوليكية، ويحمل السرّ أكثر مما يقصده الإنجيل.

كما يؤكّد أحد الباحثين أنّ مفهوم الحلول الروحي للمسيح في الفريضة كما قال به "كالفن"،

(1)-Jhon calvin: commentary on corithians-voume 1, christian classics Ethereal library, p315-329.

(2)-Ibid, p206

(3)-Ibid, p175.

ليس له نص كتابي واضح في الكتاب المقدس⁽¹⁾، بالإضافة إلى أن "كالفن" قد حوّل سرية العشاء الرباني إلى مفاهيم غامضة ومبهمه للمتناول (كرفع القلوب إلى المسيح)، أو (إستقال بالعطية عبر الروح القدس) مما يؤدي إلى البعد وضعف في وصف حضور المسيح في العشاء الرباني⁽²⁾.

بالرغم من أن الكثير من الباحثين أشادوا بفكر "كالفن" والمتزن والقريب من منظور الكتاب المقدس، إلا أن نظرية تبقى لاهوتية لا تستند إلى نص كتابي مباشر ودليل واضح⁽³⁾.

جدول توضيحي للفروقات بين زعماء الإصلاح في موضع العشاء الرباني:

المصلح	المرجعية الكتابية	طريقة تناول	المصطلحات اللاهوتية المستعملة	تفسير الخبز والخمر	موقفه من حضور المسيح
(مارتن لوثر) (1483-) (1546)	متى 26: 26-28 1 كو 11: 23-29	المؤمن يتناول الخبز والخمر وفيهما جسد ودم المسيح معاً	الإتحاد السري (sacramental union) رفض مصطلح التحول الجوهري الكاثوليكي	الخبز والخمر يبقيان كما هما، لكن المسيح يعطي حقاً فيهما	حضور حقيقي (جسدي وسري معاً) المسيح حاضر (في .مع تحت) الخبز والخمر.
أولريخ زوينجلي) (1483-) (1531)	لوقا 19: 22 (اصنعوا هذا الذكري)	التناول عمل تذكاري وإعلان الإيمان	الذكري (Memorialism)	الخبز والخمر رموز وعلامات لتذكار موت المسيح	حضور رمزي المسيح حاضر بالروح فقط وليس بالجسد.

(1) -جيمس أنسس: علم اللاهوت النظامي، ت: منيس عبد النور، الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، القاهرة، 1999م، ص: 620.

(2) -سعيد مرقص إبراهيم: بحث في جسد الرب ودمه استرجع يوم: 2024/2/17 نشر: 2012/12/26.

<https://hanyabdelmalek.wordpress.com>

(3) -ر.ت. كندل: كيف نفهم علم اللاهوت، ت: منسي عبد النور، القاهرة، 2006م، الجزء الثاني، ص: 295.

جون كالفن (1509- 1564)	يوحنا 16 كو 10-17	المؤمن يتغذى روحيا بجسد المسيح من خلال عمل الروح القدس	مجاز أسراري (Metaphosacramental) مع واقع معطي حقا بالإيمان	الخبز والخمر لا يتحولان، لكن الله يعمل عبرهما لتوصيل نعمة روحية	حضور روحي حقيقي: المسيح حاضر بالروح ويمنح ذاته للمؤمن بالإيمان
---------------------------------	-------------------------	--	--	---	--

المبحث الثاني: الحرية الفردية:

تعد مسألة الحرّية الفردية من أبرز القضايا الفكرية التي أثارت جدلا واسعا في سياق الإصلاح البروتستانتي في القرن السادس عشر، إذ إرتبطت إرتباطا وثيقا بالتحوّلات الدينية واللاهوتية التي أحدثت قطيعة مع المؤسسة الكاثوليكية التقليدية فقد أعاد المصلحون البروتستانت صياغة مفهوم الحرية في ضوء علاقتها بالإيمان والخلاص، والسلطة الزمنية والروحية، مما أفضى إلى رؤى متعددة ومتميزة، فبينما أكد "مارتن لوثر" على الحرية الروحية المستمدة من تبرير الإنسان بالإيمان وحده، شدّد "كالفن" على أنّ الحرية الحقيقية لا تتحقق إلاّ بالخضوع لمشيئة الله وسيادته المطلقة، في حين انصرف "أولريخ زوينجلي" إلى ربط الحرية بالعودة إلى النص الكتابي وتحرير الكنيسة من الطقوس والسلطات البابوية، ومن ثمّ فإنّ دراسة الحرية الفردية عند زعماء الإصلاح تكشف عن تنوع دلالتها بين الروحي واللاهوتي بما يعكس تعقيد المرحلة وتحوّلاتها التاريخية والفكرية.

المطلب الأول: تعريف الحرية.

الفرع الأول: لغة

الحرية مصدر مأخوذ من الفعل حرّز، قال ابن فارس: الحاء والراء في المضاعف له أصلان:

الأول: ما خالف العبودية وبريء من العيب والنقص، والثاني خلاف البرد⁽¹⁾.

والحرّ نقيض العبد والجمع احرار وحرار والحرّة: نقيض الأمّة، والجمع حرائر⁽²⁾، ويقال حرّ الرجل

تحرّ حرّية، أي: صار حرّاً، وهو حرٌّ بيّن الحرّية، والحرّورية والحرّورية والحرّارة والحرّار⁽³⁾.

وتحرير الرقبة: عتقها، والعبد المحرّر: المعتق.

(1) — أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979م، الجزء الثاني، ص: 6.

(2) — محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، الجزء الرابع، ص: 117.

(3) — أبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط2، دار العلم للملأين، بيروت، 1987م، الجزء الثاني، ص: 628.

أمّا الولد المحرّر: فهو الذي أفرد لطاعة الله تعالى وخدمة المسجد⁽¹⁾، ومنه قوله تعالى على لسان امرأة عمران: (ربّ إنّني نذرت لك بطني محرّرا فتقبل مني)⁽²⁾.

وفي اللغة الإنجليزية الحرة: هي العتق من العبودية والأسر والسجن، وغياب القهر والقسر والإجبار والإرغام في الفعل أو الإختيار أو القرار وأيضا هي: الإستقلال والإكتفاء الذاتي.

«Freedom is liberation from slavery captivrtv, and imprisonment, and the absence of coercion, compul-sion, and constraint in action, choice , or dexision ».⁽³⁾

«Fereedom is also independence and self sufficiency » .⁽⁴⁾

بيد أنّ لفظ "الحرية" بمعناها الشائع بين الناس اليوم هو معنى حادث استعمله المعاصرون على وجه المجاز، فانتشر وشاع، ولا يراد به المعنى المستعمل عند العرب، وهو الخلوص من الرق⁽⁵⁾، وإمّا يراد به كما أشار العلامة الطاهر بن عاشور: (عمل الإنسان ما يقدر على عمله حسب مشيئته لا يصرفه عن عمله أمر غيره)⁽⁶⁾.

الفرع الثاني: اصطلاحا

يعرفها الجرجاني: (الحرية في اصطلاح أهل الحقيقة: هي الخروج عن رق الكائنات وقطع جميع العلائق والأغيار، وهي أعلى مراتب: حرية العامة عن رق الشّهوات، وحرية الخاصة، عن رق الرسوم والآثار لأنه حاقهم في تجلي نور الأنوار)⁽⁷⁾.

⁽¹⁾—الصاحب اسماعيل بن عبّاد: المحيط في اللغة، ت: محمد حسن آل ياسين، ط1، عالم الكتب، 1994م، الجزء الثاني، ص: 313.

⁽²⁾—آل عمران:35.

⁽³⁾—The oxford English Dictionary, the oxford university press, london, 1933, Vol 2, p524.

⁽⁴⁾—Carter V.good, Dictionary of Eduction, Mcgrao hill Books company, New York, 1973, p251.

⁽⁵⁾—علي حسن الروبي: مفهوم الحرّية في الإسلام ومفهومها في الفكر الغربي، شبكة الألوكة، قسم الكتاب، 2022م، ص: 07.

⁽⁶⁾—محمد الطاهر بن عاشور: أصول النظام الإجتماعي في الإسلام، ط2، الشركة، التونسية للتوزيع، تونس، ص: 161.

⁽⁷⁾—علي بن محمد على الجرجاني: كتاب التعريفات، ت: ابراهيم الآبياري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ، الجزء الأول، ص: 166.

ومن تعريفاتها أيضا: قدرة الإنسان على الإختيار بإخلاص، بحيث لا ضرر ولا ضرار تحقيقا لمقاصد الشارع⁽¹⁾.

أو هي المكنة العامة التي يقرها الشارع للأفراد بحيث تجعلهم قادرين على أداء واجباتهم وإستيفاء حقوقهم، ويدراً المفسدة دون إلحاق الضرر بالآخرين⁽²⁾.

وورد في إعلان حقوق الإنسان الصادر عام 1789م، تعريف الحرية على أنّها: حق الشخص في فعل ما لا يضر بالأشخاص الآخرين⁽³⁾.

الفرع الثالث: مفهوم الحرية في الفكر الفلسفي

إكتسبت الحرية من وجهة نظر فلسفية كثيراً من المعاني والدلالات لكونها في الأساس مشكلة فلسفية تتعلق بحياة الإنسان ومصيره منذ بداية التاريخ الإنساني، وستبقى مشكلة المشاكل الإنسانية، وأكثرها أهمية حتى آخر الأزمنة.

ومن أبرز المفاهيم الفلسفية للحرية، نظرة السفسطائيين وتأكيدهم على النزعة الفردية والقول بالحرية الإنسانية والشعور بها والإعتزاز بالنفس لتحقيق الوجود الإنساني الفردي، فالحرية لا تتحقق إلا بإرادة النفس، فتتبع الأفعال بحرية وفقاً للإرادة، ومن هنا فالحرية لا تعني الخضوع للقانون بل القانون يقيد الإنسان⁽⁴⁾، وبهذا المعنى يكون الإنسان حراً متى كان في وفاق وإنسجام مع الطبيعة ولا يخضع للقانون.

ومن تعاليم السفسطائية (أكد نفسك، إفرض نفسك)⁽⁵⁾، ومعنى هذا أنّه كلما كان الإنسان أكثر حرية كان أكثر إبداع من خلال إسهاماته ومشاركته في عموم الحياة الإجتماعية⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ - علي بن حسن بن أحمد فقيهي: مفهوم الحرية (دراسة تأصيلية)، قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1431-1432هـ، ص: 15.

⁽²⁾ - رحيل محمد غرايبة: الحقوق والحريات السياسية في الشريعة الإسلامية، ط1، دار المنار للنشر والتوزيع، 2000م، ص: 41.

⁽³⁾ - الموسوعة السياسية (إعلان حقوق الإنسان والمواطن)، استرجع يوم: 2020/12/20 للسنة 1789م.

<https://political-encyclopedia-org>.

⁽⁴⁾ - مراد محمود: الحرية في الفلسفة اليونانية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1999م، ص: 271.

⁽⁵⁾ - عفاف مصباح بلق: مفهوم الحرية في الفكر الإسلامي، مجلة كلية التربية، العدد16، جامعة الأزهر، القاهرة، 2019م، ص: 335.

⁽⁶⁾ - W.Kawfman philosophic classic perenticholl.U.S.A vol 1961, p283.

أما الفلسفة الأفلاطونية فتعتبر أنّ وجود الحرّية من أسس قيام المدينة الفاضلة، وأكثر ما يميز الحرّية من وجهة نظر أفلاطون أنّها لا تتخذ شكلاً واحداً، فكل طبقة مختلفة من طبقات المجتمع، لها شكلها الخاص من الحرّية، الذي لا يشبه الحرية التي تتمتع بها الطبقات الأخرى، ووفقاً لـ "أفلاطون" فإنّ مجتمع المدينة الفاضلة يضم طبقة الحكام الفلاسفة، تليها طبقة المحاربين، وأخيراً طبقة العمال المنتجين، وتتمتع طبقة الفلاسفة بحرية السياسة التي تسمح لها بتسيير شؤون المجتمع، بينما تتمتع طبقة الجنود بحرية الدفاع عن الدولة في حين تتمتع طبقة العمال المنتجين للحرية في الكدح والإنتاج، ولا يجوز بناء على رأي أفلاطون أن تتمتع طبقة العمال مثلاً بالحرية السياسية أو حرية الدفاع، بسبب افتقارها للحكمة والشجاعة⁽¹⁾.

وقد وصف "أرسطو" الحرية بأنّها ما يختار الإنسان القيام به بناءً على توجيه العقل والإرادة في آن واحد، وإعتبر أنّ الحرية شرط أساسي لتحمل الإنسان المسؤولية في أفعاله وأخلاقه، كما آمن بأهمية الحرّية في بناء شخصية الإنسان، وفي حديثه عن الإنسان الحرّ، يرى "أرسطو" أن وصف الإنسان بالحرّ يعتمد على إمكانيته في إختيار أفعاله، دون أي تأثير خارجي يُفرض عليه من أي طرف آخر، أمّا عن أشكال الحرية فيعتبر "أرسطو" أنّ للحرية شكلان: الأوّل حرية الأفراد والتي يختارون فيها أسلوب حياتهم من تلقاء أنفسهم بعيداً عن تأثير الدولة، وثانياً الحرّية السياسية والتي يسمح للمواطنين بناءً عليها أن يتولوا المناصب العامة، ويؤدّون المهام التي تخدم مصلحة الدولة والمجتمع من خلال تنفيذ القوانين⁽²⁾.

ويربط "سقراط" بين الحرية والفضيلة، وإعتبر أنّ ممارسة الإنسان للفضائل دليل على حرّيته، في حين أنّ إتهامه للذائل دليل على فقدانه الحرية، وأنّه بات عبداً لهذه الأفعال المشينة، كما آمن "سقراط" بحق الإنسان المكتسب بالحرّية، وإعتبر أنّه ما من شخص في هذا العالم يملك الحق في حرمان الآخر من حرّيته، مهما اختلفت أشكالها⁽³⁾.

(1) — عمران سمية: مفهوم الحرّية في الفكر الفلسفي: طرح كرونولوجي، مجلة المعيار، العدد 12، جامعة تيسمسيلت، الجزائر، 2021م، ص: 1058.

(2) — عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984م، الجزء الأول، ص: 459.

(3) — ضحى طلافح: تعريف الحرّية في الفلسفة، استرجع يوم: 17 أوت 2022م.

ويعتبر الفيلسوف الفرنسي "رينيه ديكارت" René descartes أنّ امتلاك البشر للإرادة الحرّة والقدرة على التصرف بحرية هو هبة إلهية، والطريقة التي يوظف فيها الإنسان حريته سواءً للقيام بأمر جيد أم سيء، هو ما يحدد ما إذا كان يستحق اللوم أم المديح، ويرى أيضا أنّ الأشخاص الخيرون هم فقط من يتصرفون بحرية لتحقيق مصلحة تخص الآخرين، وإعتبر أنّ التصرف بهذا الشكل من الحرّية هو الفضائل ومن مراتب الكرم⁽¹⁾.

ويؤكد "جون لوك"⁽²⁾، أنّ الحرّية سمة فطرية بمعنى أنّ جميع البشر ولدوا أحرار بشكل طبيعي وكامل، ويرى "لوك" أنّ البشر يملكون الحرّية المطلقة في فعل ما يشاؤون في الوقت الذي يريدونه، بالطريقة التي تناسبهم ويختارونها.

ويعرف الفيلسوف "إيمانويل كانط"⁽³⁾، الحرية على أنّها القدرة الحرّة على أنّ الإختيار والتي لا تحكمها أو تؤثر عليها أي مؤثرات خارجية، كما يعتبر أنّ الحرّية التي يتمتع بها الفرد لها دور في تحديد طبيعة الغايات التي يسعى لتحقيقها في حياته، ويؤكد أيضا على أنّ التوجهات الأخلاقية للفرد منوطة بإستقلال إرادته التي ترتبط بجرحيّة وتحدد أفعاله⁽⁴⁾.

⁽¹⁾—ضحى طلافح: المرجع السابق.

⁽²⁾—جون لوك: فيلسوف وطبيب ومفكر سياسي انجليزي (1632-1704) ولد في ريجتون في إقليم سومرست، درس في كنيسة المسيح في أكسفورد تولى العديد من المناصب الحكومية، فيلسوف تجريبي من أهم مؤلفاته (الحكومة المدنية، رسالتان في الحكم، مقالتان عن الحكومة) (ضحى الطلافح: الفيلسوف جون لوك 20 فيفري 2023) (<https://alfalsafah.com>) استرجع يوم: 2024/6/22

⁽³⁾— إيمانويل كانط: فيلسوف ألماني من مواليد مدينة كونسبورغ في بروسيا، (1724-1804م) من أسرة فقيرة، كانت أمه عضوا في جماعة دينية مذهبية متشددة، مما أثر عليه مستقبلا فاعتزل الدّين وهجر الكنيسة، التحق بجامعة كونسبرغ عام 1740م، درس الفلسفة والرياضيات والآهوت، وفي عام 1755م عين محاضرا في الجامعة نفسها، وفي عام 1770م عين أستاذ للمنطق والميتافيزيقيا (عبد الرحمن بدوي: إيمانويل كانط، وكالة المطبوعات، الكويت، ص: 07).

⁽⁴⁾— علاء شنون مطر: مفهوم الحرّية والحتمية في الفكر الفلسفي اليوناني مجلة كآية الفقه 2021م.

الفرع الرابع: مفهوم الحرية في اللاهوت المسيحي

تكمن أهمية النظرة اللاهوتية للحرية في كونها تعتبر المرجعية النظرية لفلسفة الحرية عند (لوثر)، (وكالفن)، فقد استقيا معظم أفكارهما من الكتاب المقدس وآباء الكنيسة.

1- الكتاب المقدس:

جاء في سفر التكوين: (وقال الله لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا، فيتسلطون على سمك البحر، وعلى طير السماء وعلى البهائم، وعلى كل الأرض، وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض، فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكرا وأنثى خلقهم)⁽¹⁾، بمعنى أن الله خلق الإنسان على صورته، ومنحه إرادة حرة يمكنه من خلالها القيام بأي من أعمال الخير والشر على السواء، ثم حذر آدم من الاقتراب من الشجرة المحرمة شجرة معرفة الخير والشر (وأما شجرة معرفة الخير والشر، فلا تأكل منها فإنك يوم تأكل منها فإنك يوم تأكل منها تموت موتاً)⁽²⁾، غير أن الإنسان ممثلاً بشخص (آدم وحواء)، خالف أوامر الله واتبع الشيطان فأكل من الثمرة فوقع في الخطيئة المميتة⁽³⁾.
مما نجم عنها سلب خاصية الخلود وإستبدالها بخاصية الموت وانتزاع (حرية الإرادة) وإستبدالها بالعبودية المؤسسة على فساد هذه الإرادة مع إبقاء عناصر الشر والإثم، وبذلك لم يعد أي أحد من الناس بار بالله (أنه ليس بار ولا واحد)⁽⁴⁾، ومن هنا دخلت الخطيئة إلى العالم والخطيئة في المسيحية عد والإرادة الحرة.

إلا أنّها يمكن للإنسان نيل الحرية من خلال يسوع المسيح (إن حرركم الإبن صرتم أحراراً حقاً)⁽⁵⁾، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا عن طريق النعمة الإلهية، النعمة التي جسدها فداء المسيح على خشبة الصليب، وعليه يتوجب على المؤمن التسليم بحقيقة أنّه محاط بعناية الله، وأنّه لا يمتلك من أمره شيئاً.

(1) - تكوين 1: 26-27.

(2) - تك 2: 17.

(3) - التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: المصدر السابق، ص: 9-11.

(4) - رومية 3: 10.

(5) - يوحنا 8: 36.

-القديس أوغسطين:

يرى أنّ حرية إرادة الإنسان مردها إلى ملازمة النعمة الإلهية لها، وإذا ما افتقدت النعمة الإلهية فإنّها تفقد قدرتها على الإختيار، فتصبح عرضة للوقوع في الإثم والخطيئة، وبمعنى أدق أنّ حرية الإرادة بقوتها الخاصة لا قدرة لها سوى السقوط، ولا منافع منها سوى الخطيئة وهو ما جعل (أوغسطين) يطلق عليها (إرادة عبده) وهو ما أخذ به (كالفن) و(لوثر) لاحقاً⁽¹⁾.

-القديس برنار: ⁽²⁾.

يعد مصدرًا خصبا من مصادر اللاهوت المسيحي عند (لوثر) و(كالفن)، فكثير من العناصر المكونة لفلسفة (كالفن) عن عبودية الإرادة مستمدة من أقوال القديس (برنارد) الذي يعتقد أنّ الإنسان خاضع لعبودية الإرادة، فالإنسان في نظر العبودية بئس، وفي نظر الإرادة غير معذورين لأنّها عرضة لعبودية الخطيئة، ولكونها مقيدة بالنزوع إليها⁽³⁾.

غير أنّ القديس (برنارد) يميز بين نوعين من الإرادة هما الإرادة الطيبة، والإرادة المريضة (ليس من المناسب القول بأن جميعنا لديه إرادة، ذلك أنّ الإرادة قد تكون طيبة وقد تكون مريضة، فالإرادة الطيبة تكون حاذقة أما المريضة فتكون عيبا، والإرادة المريضة جزء من الطبيعة الفاسدة للإنسان، وأما الإرادة الطيبة فهي جزء من النعمة)⁽⁴⁾.

فقد تأثر (كالفن) في صياغة آرائه اللاهوتية عن الإرادة المستعبدة بالقديس (برنارد)، كما تأثر (لوثر) من قبله بالقديس (أوغسطين) آخذين بعين الإعتبار أنّ الآراء اللاهوتية للقدس (برنارد) تُعد

(1) - سامي الشيخ: المرجع السابق، ص: 207.

(2) - القديس برنار: (1091-1153م) عالم لاهوتي كاثوليكي مسيحي، زعيم الحركة البندكتية، رئيس الدير الفرنسي، إشتهر ببراعته في القاء المواعظ الدّينية للمسيحيين، مما ساعده في التأثير على الباباوات والملوك. وفي عام 1097م دخل برنار الدير البندكتي بمدينة سيتو، وفي عام أسس دير سيسترسي بمدينة كليرفو، وهو آخر آباء الكنيسة، وبعد فشل الحملة الصليبية الثانية تلاشى نفوذه في الشؤون الأوروبية، وفي عام 1174م منح برنار لقب القديس بعد وفاته، ويعتبر أوّل من يتخذ قرار معتمد لكتابة ونشر كتاباته، وغير ملزم باللوائح المؤسسية الداخليّة للنظام (كرمة سعيد حسين محمد: بواكير الحركة الصوفية في العصر المدرسي (القديس برنارد دي كليرفو نموذجاً)، مجلة كلية التربية، جامعة الإسكندرية، العدد الأول، المجلد 33، ص: 83).

(3) -Jhon Calvin Institutes of the religion, book, p 254.

(4) -Ibid, p253.

إمتدادا حقيقيا لآراء القديس أوغسطين نفسها.

-بطرس لومبارد⁽¹⁾. (اللومبارديون)

يعرفون الحرّية بأنها قدرة على الأبصار، وبعدئذ على الإختيار الخير، إذا ما وجدت النعمة معها، ولكن الشر فقط إذا ما فارقتها النعمة، فاللومبارديون يربطون بين الإرادة الحرّة والنعمة الإلهية، ربطاً جوهرياً ويتفقون مع أوغسطين بأنّ حرية الإرادة بقوتها الخاصة لا قدرة لها سوى السقوط، ولا منافع منها سوى الخطيئة، وأنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً بذاتها بدون نعمة⁽²⁾.

المطلب الثاني: نظرية الحرية عند "مارتن لوثر"

رفض "لوثر" نظرية "حرية الإرادة" لأرازموس"، حيث قال في مؤلفه حول "حرية الإرادة" الذي صدر عام 1524م، من أنّ النفس البشرية لها القدرة على أن تحكم وتقضي وتقرر، كما أنّها تتمتع بالقدرة على الإختيار، صحيح أن الخطيئة الأصلية ألحقت بعض الغموض وسببت بعض الضعف فيها، ولم تقضي عليها.

فقد رفعت الخطيئة عن الإنسان بنعمة الله، فعادت إلى هذه القوى حريتها، بموازاة النعمة الإلهية ومساعدتها، حتّى بدون النعمة، بقيت حرية الإرادة في الإنسان قائمة، ولو أنّ الخطيئة أضعفتها بدون نعمة إلهية، كان بإستطاعة الإنسان أن يتجه نحو الخير والصلاح، وأن يقوم بأعمال بارّة يستحق بها نعمة الله المبررة، فإذا لم يكن للإنسان حريته، لانتفت عنه، بالتالي كلّ مسؤولية⁽³⁾.

فقد شكّلت آراء "أرازموس" صدمة قوية لفكر زعماء الإصلاح الديني في مقدمتهم (لوثر) ممّا دفعه إلى توجيه إنتقادات لنظرية (أرازموس) في حرية الإرادة، فألف كتابا بعنوان "عبودية الإرادة" للرد عليه. والذي يرى أنّه بوسع الإنسان أن يحقق ذاته ويعيش طريق الخلاص بواسطة (حرية الإرادة الذاتية) الموجودة فيه حسب رأي (لوثر)⁽⁴⁾.

(1) - بطرس لومبار "Peter lombard": توفي عام 1164م الملقب بأستاذ لإحكام اللاهوتية، وصار أساس لكلّ التعاليم

اللاهوتية (الموسوعة الرقمية العربية <https://tagedpedia.org>) استرجع يوم: 2019/4/16

(2) - سامي الشيخ: المرجع السابق، ص: 208-209.

(3) - رولان موسنييه: المصدر السابق، ص: 82.

(4) - المصدر نفسه، ص 83.

والإختيار الحرّ عند (أرازموس) هو (قوة الإرادة) القادرة على إختيار ما يريد أو ما لا يريد وهو ما رفضه (لوثر).

وجوهر الإختلاف بين "لوثر" و"أرازموس" ينصب على مقدرة حرية الإرادة، فبينما يعتقد (أرازموس) أنّ بوسعها أن تحرز للإنسان كسبا كبيراً فيما يتعلق بالمسائل الصلاحيّة والتقوية والخلص، فحرية الإرادة عنده هي ملكة من ملكات الحرّية البشرية، وصفة من صفاتها الملازمة بها يستطيع الإنسان أن يأتي كلّ ما يفضي به إلى الخلاص أو الهلاك الأبدي وهذا ما رفضه (لوثر) وبشدة⁽¹⁾.

أمّا مفهوم "لوثر" عن الحرية فهو يميز بين نوعين من الحرية، الحرية المسيحية أو الروحية، والحرية الحسية أو حرية الإرادة الذاتية، والحرية المسيحية هي الحرية الحقيقية، وهي في جوهرها حرية روحية تعني بمسائل الإستقامة والصالح والبر والخلص، وهي مسائل جوهرية في حياة الفرد المسيحي ولا يمكن التقليل من أهميتها⁽²⁾.

ألف "لوثر" كتاب من ثلاثة بحوث بعنوان "حرية المسيحي"، يتحدث فيه عن الحرية المسيحية، تلك الحرية المرتبطة جوهرياً بعبودية الروح، مستندلاً بأقوال بولس: (لأنيّ إذا كنت حراً من الجميع عبّدت نفسي للجميع لأريح الأكثرين)⁽³⁾، وفي رسالته إلى أهل رومية يقول: (لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلّا بأن يجبّ بعضكم بعضاً، لأنّ من أحبّ غيره فقد أكمل الناموس)⁽⁴⁾.

وعليه فإنّ الحبّ بطبيعته الحقيقية يكون جاهزاً للخدمة ويصبح تابعاً للمحبّوب⁽⁵⁾، حسب تعبير لوثر.

ويجب على الإنسان محبة الله، فبالحبة يصبح الإنسان عبداً للمحبّوب فيستحوذ على قلبه وعقله في آن واحد، فيسلبه حرّيته وإرادته، فيدخل في عبودية من يجب، ولأنّ المحبّوب هو الله، فيمكن للإنسان أن يحظى بمكافأة كبرى بخضوعه لله المحبّوب، أمّا محبة الإنسان للأشياء، فتجعل الإنسان عبداً

(1) -سامي الشيخ: المرجع السابق، ص: 203.

(2) -تيو بالدوسوس: المصدر السابق، ص: 65.

(3) -1 كو 9: 19.

(4) -رو 13: 8.

(5) -Martin luther: three treatises: the Freedom of (trans) christian, W, A lambert, foryress press, philade lphia, U.S.A ?P278.

لها، ولا تكافئه إلا بما هو زائل، وعليه فحرية الإنسان المسيحي لا تتحقق إلا بعبوديته الروحية لله، فالإنسان في تعقله بعالم المادة والأشياء وعبدًا لله وأوامره، وفور دخوله في عبودية الله والتحرر من الأشياء، فإنه يصبح حرًا سيدًا على الأشياء التي دونه، فيستخرها لخدمته⁽¹⁾.

وهكذا فمفهوم الحرية المسيحية لدى (لوثر) اتخذ صورة جدلية، تكون فيها الحرية مرتبطة بالعبودية الروحية، بل أنّ العبودية تصبح الشرط الضروري لنيل الحرية، وعليه فالإنسان المسيحي هو سيد حرّ في علاقته بالأشياء وهو عبد مطيع وخادم أمين (ولمن جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة، مولودًا تحت الناموس)⁽²⁾، ولذلك كان في نفس الوقت إنسانًا حرًا وخادمًا في صورة الله.

فالإنسان طبيعة ثنائية مزدوجة مادية وروحية، وفقا لطبيعة الروحية فيدعى بالإنسان الجديد، ووفقا للمادية يدعى شهواني (فإن كان إنساننا الظاهر ينهدم فإنساننا الباطن يتجدد يومًا فيومًا)⁽³⁾، كما أنّ الحرية الإنسانية نقيض للعبودية، فإنّ الجسد نقيض للروح في المسعى.

والحرية عند (لوثر) هي عماد الحياة المسيحية للإنسان ومرتبطة بالصلاح والإستقامة، ولا يمكنه أن يحصلها إلا بواسطة تمكّنه من الإتصال بالله، وتلك الوساطة هي الإيمان الذي بواسطته يتبرر الإنسان من الإثم ويتحرر من الخطيئة، وتحقق الصلاح وينال الخلاص، فلوثر خرج عن التقاليد الكنيسة الكاثوليكية، التي تنطلق في نظرتها للحرية والتبرير والإيمان، من خلال إقامتها وسطاء بين الإنسان المسيحي ويسوع المسيح وإبتكارها طقوسا دينية يحصل بموجبها الفرد على التحرر من الخطيئة وغفران الذنوب بعد الإعتراف للكاهن بالخطايا والذنوب، وإعلان التوبة أمامه، دون حاجة إلى اعتراف شخصي يقوم به الفرد الخاطيء أمام السيد المسيح، بمعنى آخر، الإيمان والحرية أمران فرديان يجسدهما الفرد في علاقة مباشرة بسيوخ الآب، دون مرور بالكاهن والكنيسة وعليه فلا شفاعة القديسين والباباوات والكنيسة، ولا طقوس الإعتراف ونيل الغفران هي وسائط لنيل الحرية المسيحية الحقيقية، والتبرير والخلاص، وإنما الإيمان الشخصي يسوع المسيح وبرسالته (الإنجيل) مما يُعدُّ انتصارا باهرًا للفردية والإنعقاد من سلطة التقاليد الكاثوليكية فلوثر يؤمن بأنّ المسيح هو مصدر من مصادر الحرية المعطاة للإنسان المسيحي، فينطلق من

⁽¹⁾ -سامي الشيخ: المرجع السابق، ص: 211.

⁽²⁾ - غلاطية 4: 4.

⁽³⁾ - 2 كو 4: 16

فهمه لطبيعة السيد المسيح يقول لوثر في هذا السياق: «أنَّ السَّيدَ المسيحَ هو اللهُ، وهو إنسانٌ في تمجيدِهِ وشكرِهِ اللهُ، وإلهٌ في أنَّ جميعَ الأشياءِ قد أحضرتْ إليه عن طريقِ الآبِ فلا يعرفُ أحدُ الآبِنِ عدا الآبِ، ولا أحدٌ يعرفُ الآبَ عدا الآبِنِ، ومن يريدُ الآبِنَ أن يكشفَ له»⁽¹⁾.

فعلاقة الإنسان بالله (الآب) هي علاقة مبينة على جهل الإنسان وعدم معرفته به، أمَّا علاقته المباشرة فهي علاقة تربط بينه وبين الله (الآبِن) ومن خلال الله (الآبِن) وهو المسيح يمكن للإنسان معرفة الآب إذا شاء الآبِن ذلك، وهذا يعني أنَّ (لوثر) قد تجاوز علاقة الإنسان بالبابا والكاهن والكنيسة، بوصفهم وسطاء بين الإنسان والله (الآبِن)، وبوصفهم قادرين على غفران الذنوب والخطايا وتحرير الإنسان منهما بواسطة الإعتراف وشراء الصكوك، الأمر الذي أثار حفيظة البابا وكرادته والكنهنة جميعا ضدَّ لوثر، لأنه ألغى تلك الوساطة التي تجعل الإنسان المسيحي يتصل بالمسيح اتصالا غير مباشر ليصبح الطريق مفتوحًا بين الإنسان وربِّه دون الحاجة إلى وسيط آدمي بين الإنسان والمسيح لينال الغفران والخلاص، وبهذا يكون قد أزال وسيط من الوسطاء الذين من خلالهم يتصل الإنسان بالله (الآبِن) وهم الكهنة المقدسين.

غير أنَّ "لوثر" ألغى سلطة الوساطة بين الإنسان والله (الآبِن)، لكن أبقى على سلطة الوسيط الآخر الذي يصل بين الإنسان والله (الآب) إلّا وهو واسطة الله (الآبِن)، إذا أنه بالتوجه إلى المسيح ينال الغفران والخلاص والحرية الحقيقية، وبموجب ذلك أصبح كلُّ إنسان كاهنا لنفسه عند (لوثر) وإتباعه، وبات من المستحيل على الإنسان الاتصال المباشر والمعرفة المباشرة بالله (الآب) دون الرجوع إلى الله (الآبِن)، الذي يشكل المرجع المباشر والوحيد للإنسان المسيحي، والذي يمكن من خلال الإيمان به أن تنال الحرية الحقيقية وممارسة الصلاح والاستقامة وفعل الخير، والحرية التي يعترف (لوثر) بوجودها لدى الإنسان المسيحي هي (الحرية الروحية) التي لا تتعارض مع العبودية، بل والرق⁽²⁾.

إنَّ التفاوت بين النَّاسِ له ما يبرره من وجهة نظر (لوثر) لأنَّ منح جميع النَّاسِ درجة واحدة من التعامل أمر مستحيل (إنَّ مملكة دنيوية لا تستطيع أن تقف على قدميها ما لم تكن هناك درجات

⁽¹⁾—Martin luther: luther »s Works, (trans)Jhon.w. doberstien, Vol 51, Mubleberg press, philadelphia, U.S.A , 1959, p128.

⁽²⁾— سامي الشيخ: المرجع السابق، ص: 214.

متفاوتة بين الأشخاص بحيث يكون البعض منهم أحرارًا، والبعض مسجونين، والبعض سادة والآخرين رعايا⁽¹⁾.

غير أنّ عبودية الإنسان للإنسان هي عبودية الجسد للجسد، مما يعني أنّ الحرّية الروحية لا تطاها سيطرة السادة على الأرقاء، وأنّ هذا النوع من الحرّية لا يتأتى للإنسان بلا ألم ومعاناة، وعليه فإنّ المسيحي الحرّ هو من وضع نفسه وروحه في عبودية خالصة مع الله، وما يترتب على ذلك من مشقة محاربة الهوى والغرائز والشّهوات وإحتمال أنواع الظلم الدنيوي الذي يلحق به من جراء سيطرة الإنسان على الإنسان وظلم السادة للعبيد.

وعلى هذا الأساس فإن رسالة الإصلاح الدّيني عند (لوثر) انصبت على تحرير الإنسان المسيحي روحيا من سلطة التعاليم الروحية للكنيسة الكاثوليكية، فعبودية الروح يجب أن تكون للسيد المسيح وتعاليمه، وليس لأي سلطة أخرى، ومن هنا جاءت ثورته على التعاليم الكاثوليكية، لا أنّها تستعبد الأفراد جسديا بل أنّها تستعبدهم روحيا⁽²⁾.

إلا أنّ الإيمان المنقذ المنجي للإنسان من الخطيئة والهلاك، وبه وحده يتمكّن من خلالها أن يصبح حرًا يقول (لوثر): «إنّ التبرير بالإيمان وحرية الإنسان المسيحي يعتبران أساسين لحياة الإنسان المسيحي»، وعليه فالحرّية الحقيقية للإنسان المسيحي هي الحرّية الروحية، حرية الروح لا جسد لأنّها تنهي عبوديته من الخطيئة والنواميس والإحتياجات، يقول لوثر: «الحرّية هي حرية روحية وحقيقية، وتجعل قلوبنا حرة من كلّ الخطايا والنواميس والإحتياجات، كما يقول القديس بولس في رسالته الأولى إلى "تيموتاوس (الناموس لم يشرع للبار)⁽³⁾، أنّها أكثر جودة من كلّ الحرّيات الأخرى، التي تكون خارجية مثلما أنّ السماء أكثر جودة من الأرض، وما أنّ السيد المسيح أعطانا هذه الحرّية لأمرين، كي نفهمها، وكي يصونها»⁽⁴⁾.

⁽¹⁾—ويل ديوارنت: المصدر السابق، ص: 82/24-83.

⁽²⁾—سامي الشيخ: المرجع السابق، ص: 214-215.

⁽³⁾—1تيموتاوس 1: 9.

⁽⁴⁾—Ibid, p29.

وعليه يمكن للإنسان عبر إمتلاكه للحرية المسيحية الحقيقية، أن يتحرر من جميع الأعباء والأشياء التي تضغط عليه، فيقول في هذا الصدد: «هكذا عمل السيد المسيح... حيث جعلنا متحررين من الكل، بالحرية الحقيقية، فجميع التعاليم الأخرى تجعل كل واحد يحمل جملة الخاص به، فقط تعليم المسيح هذا يحررنا من حملنا... فواحد أخطأ وواحد يحمل العقاب».

فلوثر تأثر في صياغة عقيدته بالقدّيس (بولس) والقدّيس (أوغسطين) بالإضافة إلى الإنجيل فاستقى معظم آراءه منهم، غير أنّ موقفه من (حرية الإرادة) لا يعني عدم إقراره بامتلاك الإنسان لها، فهو يقر بامتلاكها، لكنّه يحدد دورها، ومدى قدرتها على النشاط والفعل وحدود عملها ليخلص بالنتيجة على أنّ حرية الإرادة موجودة بالإسم فقط في سعيها لنيل الخلاص للإنسان، وأنه بإنتمائها للطبيعة البشرية، فأنها لا تستطيع تحقيق الصلاح والإستقامة للإنسان، كما لا يمكنها الثبات وفعل الخير إلاّ إذا تعمدتها نعمة الله، أما من تُسول له نفسه فعل الشر والإثم، فإنه لن يظفر بتلك النعمة أبداً حتّى يعزم السير تحت أنظار الله، وهكذا فإنّ حرية الإرادة، ستكون فارغة المحتوى وقاصرة عن بلوغ الأهداف حال قربها من الخطيئة والشر بينما تتعافى وتعمل بإلتزامها (إرادة الله) ونعمته المرسله عليها.

ويؤكد "لوثر" أيضاً على أنّ الحرية الممنوحة من الله للإنسان، له ما يبرره، فالحرية إما أن تكون عطية من عند الله أو أن تكون كسباً يحرزه الإنسان وهي في الحالة الأولى تكون فطرية لا علاقة للإنسان بها، مما يعني أننا أحرار منذ أن خلقنا بعطاء مجاني من الله، الأمر الذي يستدعي ممارسة تلك الحرية وحمايتها من أي فساد يهدد وجودها، وهذا ينسجم مع فهم (لوثر) لها، وهي في الحالة تكون مكتسبة، الأمر الذي يعني النظر إلى الإنسان على أنه حر يمكنه ممارسة أي من أعمال الخير والشر دون أن يقضي ذلك على وجود الحرية لديه وهو ما يرفضه (لوثر) رفضاً باتاً⁽¹⁾.

وكخلاصة لما سبق عرضه فإنّ الحرية الفردية عند (لوثر) هي حرية روحية تقوم على التبرير بالإيمان وحده، حيث يتحرر المؤمن من سلطة الكنيسة والناموس ليقف مباشرة أمام الله، ويعيش مسؤوليته بجرية في خدمة الآخرين بمحبة.

(1) - سامي الشيخ: المرجع السابق، ص 222-224.

لكن ما عابه النقاد والباحثين على لوثر أنه لم يقدم تصورًا واضحًا للحرية الفردية، وحصرتها فقط في البعد الروحي دون السياسي أو الاجتماعي، وأيضا رفض ثورة الفلاحين ووقف مع الأمراء مما أدى إلى إخياره سياسيا رغم حديثه عن حرية الفرد أمام الله، ويكون بذلك قد ساهم في ترسيخ الطاعة للسلطة الزمنية أكثر من إطلاق الحرية الاجتماعية⁽¹⁾.

وأيضا "لوثر" ركز على التحرر من الكنيسة والناموس، لكنه لم يقدم رؤية أخلاقية متكاملة.

المطلب الثالث: نظرية الحرية عند "أولريخ زوينجلي":

إذا كان "لوثر" قد ركز على "حرية المسيحي" المرتبطة بتبرير الإيمان، فإن المصلح السويسري، قدم تصورًا متوازنًا يجمع بين حرية الضمير الفردي وبين المسؤولية الاجتماعية والسياسية.

ف"زوينجلي" يرى أن الحرية الحقيقية هي حرية الضمير أمام الله، إذ لا سلطان للكنيسة أو لأي سلطة بشرية على الإيمان الداخلي، فالإنسان يتبرر بنعمة الله، وإيمانه الحقيقي، لا بالطاعة للطقوس أو التقاليد، وعليه فإن الفرد يتمتع بحرية مباشرة في قراءة الكتاب المقدس وفهمه، بعيدًا عن احتكار رجال الدين للتفسير، وهذا التصور أسس لما يعرف لاحقًا بحرية الضمير، حيث يصبح الإنسان وحده مسؤولًا أمام الله عن إيمانه ويقول في هذا السياق: «الإنجيل هو وحده القاعدة والميزان لكل عقيدة»⁽²⁾.

بمعنى أن الضمير المسيحي يجب أن يُربط بكلمة فقط، وليس بسلطة رجال الدين أو القوانين

الكنسية، وبذلك حرر الضمير من الخضوع لتقاليد بشرية، وفي خضم حادثة السجق

1522م⁽³⁾، ألقى زوينجلي خطبته الشهيرة بعنوان (الإختيار وحرية الطعام)، وقال فيها أن

(1) - شريف مراد: يحي الفرد ويسقط المجتمع (المسيرة المظلمة للفردانية في الغرب) استرجع يوم: 2021/8/27 <https://aljazeera.net>

//aljazeera.net

(2) - حلمي القمص يعقوب: المصدر السابق، ص: 5.

(3) - حادثة السجق: (النفاق) حدثت في مدينة زيوخ عام 1522م خلال فترة الصوم الكبير الذي كانت الكنيسة الكاثوليكية تلزم الناس بالصوم عن أطعمة معينة خصوصا اللحم، وأي مخالفة لهذا التقليد، كانت تعد خطيئة جسيمة وفرضت عليهم عقوبة قانونية وخلال أحد أيام الصوم الكبير (9 مارس 1522م) اجتمع مجموعة من الحرفيين والطابعين أصدقاء زوينجلي في بيت كريستوف فروسشاور (christophe frosvhauer) وهو طابع كان قد أنهى للتو طباعة كتاب كبير، وكانوا يحتفلون بذلك، وأثناء هذا الإحتفال قدم فروسشاور وروجيه النفاق بدلا من السمك للزوار، وكان مبررهما أنّ صيام الصوم الكبير لم ينص عليه الكتاب المقدس، وهو ليس إلزاميا على المسيحيين.

الصّوم أو الإمتناع عن أطعمة معينة ليس له أي قيمة روحية، إذ لم ينبع من قلب المؤمن، ورفض زوينجلي إلزام الناس بالصّوم كقانون كنسي، وإعتبر أنّ هذه الممارسات يجب أن تكون مسألة حرية شخصية لا فرضاً من سلطة الكنيسة وقال في هذا الصّدد: «المسيحي حر في كلّ شيء لكنّه عبد المحبّة»، بمعنى أن الضّمير المسيحي لا يستعبد بطقوس مفروضة، بل هو حر، مع الإلتزام بأن تمارس الحرّية في محبّة لا في فوضى، تمارس هذه الحرّية بمحبّة الله والآخرين وأكّد أنّ الإيمان لا يفرض من الخارج بل هو حرية داخلية نابعة من الذات الإنسانية ولا يتم ذلك إلاّ بنعمة الله، وإعتبر أي شكل من التديس القسري يفقد قيمته أمام الله، لأن الطاعة الخارجية لا تُخلّص، ولا تمكّن الإنسان من الحرّية الحقيقية.

وإعتبرت هذه الحادثة الإعلان العملي الأوّل للإصلاح في زيوخ قبل أن يبدأ زوينجلي إصلاحاته الرسمية، وأظهر من خلالها فكرته الجوهرية وهي أنّ الكتاب المقدّس هو المرجع في الإيمان والسلوك، وكانت أيضاً هذه الحادثة إعلان عن حرية الضّمير ضدّ سلطة الكنيسة التقليدية.

من جهة أخرى كان " زوينجلي " واقعياً حين أكّد على أنّ الحرّية لا تعني الفوضى، لذلك نجده قد شدد على أن الحرّية يجب أن تُمارس ضمن حدود المسؤولية تجاه المجتمع، فمثلاً الحادثة السابقة (حادثة السجق ((الطعام)) لم تكن مجرد خلاف حول الطعام، بل إعلان بأنّ الطاعة العمياء للتقاليد الكنيسة ليست ملزمة، بل للفرد حرية تقريرها، ومع ذلك دعا زوينجلي إلى عدم استخدام الحرّية كذريعة للانغماس في الملذات، بل كوسيلة لنيل محبّة الله، فهو أراد أن يوازن بين الحرّية الشخصية والمسؤولية الأخلاقية⁽¹⁾.

إضافة إلى ذلك فإنّ " زوينجلي " عاش في زيوخ حيث كان التداخل بين الكنيسة والمجلس المدني

وكان زوينجلي كاهن زيوخ في ذلك الوقت حاضراً، ولم يشاركهم في الأكل، إلاّ أنه وقف فيما بعد مدافعاً عنهم (ذكر بعض الباحثين أن زوينجلي قد ساعد فروسشاور في هذا الحدث يقصد الطعن في الإلتزام القانوني بالصيام).
أثارت هذه الحادثة ضجة كبيرة في المدينة، وتم استدعاء من شاركوا فيها بتهمة خرق قوانين الصّوم الكنسي، عندها دافع زوينجلي عنهم وألقى عظته التي طبعها فروسشاور لاحقاً بعد إطلاق سراحه، فيها يفسر مقاطع العهد الجديد المتعلقة بالصيام، والتي كان الغرض منها تأديب رغبات الأشخاص العاطلين عن العمل، لكن لا يوجد أساساً كتابي لجعل الصيام أو الإمتناع عن اللحوم الزامية قانونياً لجميع المسيحيين، فكتب قائلاً: إمتناع عن الطعام والشراب عادة قديمة، إلاّ أنه أصبح ينظر إليه لاحقاً، بسبب شروخ بعض رجال الدّين على أنه أمر.... إن كنت ستصوم فافعل وغن كنه لا ترغب في أكل اللحم فلا تأكله، ولكن دع للمسيحيين حرية الإختيار في هذا الأمر). (نقلا عن:

Russell P.Johnson: the affair of the sausages and religious Freedom 8/March/2022).

⁽¹⁾–Russell, P, Johnson: the affair of the sausages and religions freedom 8/March/2022.

قويا جداً، هذا الوضع جعل زوينجلي يعطي مفهوماً خاصاً حول العلاقة بين الدين والسياسية يقوم على تكامل السلطتين معاً لا الفصل بينهما.

وإعتبر أنّ الحكومة المدنية هي أداة إلهية لضبط النظام العام الخارجي والسلوك الظاهر، وهي التي تمنع الفوضى والانحرافات الاجتماعية، وتحمي التعليم الصحيح المستند على الكتاب المقدس.

بينما الكنيسة معينة بتشكيل الضمير والإيمان الداخلي للأفراد لذلك دعا إلى طاعة السلطات المدنية بوصفها منصبا إلهياً، شرط أن لا تتعارض أوامره مع الكتاب المقدس⁽¹⁾.

فـ " زوينجلي " أسس لفكرة أنّ الدولة لا تملك أن تُكره أحداً على الإيمان، لكن لها الحق في منع الفوضى أو الانحرافات التي تضر بالمجتمع وهنا يظهر تأثيره بفكر بولس في رسالته إلى أهل رومية حول الخضوع للسلطات (لتخضع كلّ نفس للسلطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلاّ من الله، والسلطين الكائنة هي مرتبة من الله، حتّى إنّ من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دنيوية، فإنّ الحكم ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل للشريرة، أفتريد أن لا تخاف السلطان؟ إفعال الصلاح فيكون لظ مدحاً منه، لأنه خادم الله للصلاح، ولكن إن فعلت الشر فحرف، لأنه لا يحمل السيف عبثاً، إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذي يفعل الشر، لذلك يلزم أن يخضع له، ليس بسبب الغضب فقط، بل أيضاً بسبب الضمير)⁽²⁾.

فالفرد حر حرية ليست مطلقة في المجال السياسي والاجتماعي وعليه أن يلتزم بالنظام المدني، بالرغم من تمتعه بحرية الضمير والإيمان، إلاّ أنّه لا يتمتع بحرية سياسية ليتمرد على النظام متى شاء، لأنّ الفوضى تهدد الصالح العام.

وفي تعليقاته على أنظمة الحكم، فإنّ زوينجلي يرى أنّ الطبقة الأرستقراطية هي الأنسب للحكم لأنّها توفر قيادة رشيدة ومستقرة، تحمي حرية الفرد الروحية (الضمير)، وفي الوقت نفسه تحفظ النظام الاجتماعي والسياسي.

(1)–Monalisa, M political Ideas of ulrich zOUNGLI (1484/131).https://politicalsiencenotes.com (political science Notes).

(2)–رومية 13: 1-5.

فهي بالنسبة له طبقة تمثل الحكم الجماعي للنخبة بدلا من الملكيات أو الديمقراطيات الشعبية. وبذلك فإن تفضيل زوينجلي للأرستقراطية كان تعبيراً عن رغبته في تحقيق إستقرار سياسي يحمي الإصلاح الديني مع الإبقاء على حرية الضمير للفرد في حدود الكتاب المقدس⁽¹⁾، وهذا ما ساعد على نجاح الإصلاح في زيورخ دون فوضى دينية أو سياسية إلا أنّ بعض النقاد قد عاب زوينجلي عندما منح الدولة نفوذا واسعا على الدين، بحيث أصبحت سلطة المجلس المدني قادرة على التحكم في تفاصيل العبادة والإصلاح.

كما إعتبروا أن زوينجلي لم يمنح الفرد حرية كاملة في الإختيار الديني، بل حصرها في الإطار الذي تقبله الدولة والكنسية الرسمية.

وأدت آراء "زوينجلي" إلى صدام مع الحركات الراديكالية، مثل الآناباتست الذين رأوا أنّ الدولة لا يجب أن تتدخل إطلاقا في الدين، وطالبوا بحرية أكبر في الانفصال عن الكنيسة الرسمية، كما رأوا أنّ حديثه عن حرية الضمير مجرد خطابات ناقصة لأنه رفض حرية إعادة التعميد (المعمودية) أو حرية رفض سلطة الدولة، بالنسبة لهم الحرية الحقيقية كانت فصل كامل بين الدولة والكنيسة عكس زوينجلي الذي أكد على إدماجهما.

ففكر "زوينجلي" حول الحرية لم يكن فلسفيا عميقا، بل كان عمليا مرتبطا بسياق زيورخ السياسي حيث أنه صاغ مفهوماً وظيفيا للحرية يخدم الإصلاح ويضمن الإستقرار، وبذلك يكون قد قيد الحرية الفردية لصالح النظام الإجتماعي.

المطلب الرابع: نظرية الحرية عند "جون كالفن"

تتكون حرية الإنسان المسيحي عند "كالفن" من ثلاثة عناصر هي: الإنعقاد من سيطرة ناموس، والإذعان الذاتي لسلطة الله، والسيادة على الأشياء.

-الإنعقاد من سيطرة ناموس:

يقول "كالفن" أنّ ضمائر المؤمنين يجب أن ترقى فوق ناموس، وهي أحد أهم الشروط لنيل الحرية

(1)-Bruce gordon: the surss Reformation, Manchester univesity press, 2002, p115.

المسيحية، وأحد مكوناتها، ذلك أنّ الإنسان بموجب الناموس يظل مقيداً، ويفقد كلّ إمكانية للسمو الرّوحي في علاقته بعالم المادة، والتعالّي عن التعاليم الناموسية التي تمثل سلطة قاهرة على الأفراد، والتي بمقتضاها لا يتحقق للإنسان المسيحي الظفر بالتبرير أو الخلاص.

فالكلّ خاطئ من وجهة النظر الناموسية، مما يستوجب تجاوز الناموس ولن يتأتى ذلك إلاّ بالإيمان المسيحي، الذي يكون الفرد بمقتضاه كائناً حرّاً، فيه تحيا الحرّية، وبه تحصل التبرير، وبه يتحقق الخلاص.

- فالإنسان لا يفعل الشر لأنّ سلطة الناموس تمنعه من القيام بذلك، بل لأنه بقرار إيماني باطني حر يمتنع عن القيام به، وهو لا يفعل الخير إرضاء لسلطة الناموس والتزاماً به، بل يفعله إيماناً منه بضرورة فعله، ولا يشعر بأنه حر إلاّ إذا مارس فناعته الداخليّة دون أدنى اعتبار لسلطة الناموس، كأن يكون شعاره أفعل الخير من أجل الخير، وليس لأنّ الناموس يأمرنا بذلك، واستمد كالفرن أفكاره من الكتاب المقدّس الذي يقرر بأنّ "الناموس لم يُشرع للبار بل للآثمين والعاصين، للمنافقين والخاطئة، للفجّار، والدنسين، لقاتلي الآباء وقاتلي الأمهات، لسافكي الدّم"⁽¹⁾.

- الإذعان الذاتي لسلطة الله:

يرى كالفرن بضرورة عبودية الإنسان لله، أي إدخال الإرادة الذاتية للإنسان في عبودية تامة لله، لأنّ كهذه من شأنها منح الإرادة حرية حقيقية ترقى بها النفس والروح والوجدان فوق عالم الموجودات الحسية والإرتقاء فوق سلطة الناموس⁽²⁾.

يقول كالفرن: «إنّ الضمائر تصبح محررة من نير الناموس طواعية بذاتها لتذعن لناموس الله... إذا أنه عندما يتم التحرر من القسرية الصارمة للناموس يمكننا بفرح وبهجة عارمة تلبية نداء الله»⁽³⁾.

فقراءة كالفرن تكشف لنا أنه يضع الحرّية بين ضدّين، هما الإنعتاق والتقيّد أو الإنفلات والإنجاس، أما الإنعتاق أو الإنفلات فتحسده الدعوة إلى تجاوز سلطة الناموس والتسامي عليها.

(1) 1- تيموتاوس 1: 9.

(2) - سامي الشيخ: المرجع السابق، ص: 256-257.

(3) -Jhon calirn: Institutes of the christian Religion, Book 3, p p 130/132.

أما التقيد والانحباس فتجسده الدعوة إلى الخضوع الذاتي طواعية إلى سلطة الله، بمعنى آخر يدعو كالفن إلى إنعتاق الفرد من سلطة الناموس الديني ليدخله في عبودية تامة مع الله.

وعليه لا يمكن للحرية أن تتحقق إلاّ بالإمتثال التام الحقيقي لأوامر الله وشرائعه، فبمقدار ما تتحرر الذات من سلطة الناموس، فأثما تحظى بنصيب أوفر من الحرّية بدخولها مملكة الله، كذلك فالتقيد إلهي على الحرّية هو الضامن الوحيد والأكيد لنيل الحرّية⁽¹⁾.

-السيادة على الأشياء:

لم ينكر كالفن أنّ الإنسان يتمتع بحرية إرادة ذاتية محدودة في تعامل الإنسان الحيّاتي مع الأشياء المحيطة به يقول: (لسنا مكبلين... بالنسبة إلى نظام الأشياء الخارجية المختلفة عن بعضها البعض، وأنّ معرفة هذا الجزء ضرورية لإزالة الخرافة ومصدر التأس)⁽²⁾، واستمد دليله من رسالة بولس: «فإنّ الخطيئة لا تسود عليكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة»⁽³⁾، وأيضاً: (إنيّ عالم ومتيقن في الرب يسوع أنه به لم يبق شيء نجسًا إلاّ من يحسب شيئًا فجسًا فله يكون نجسًا)⁽⁴⁾.

أيّأنه بالإيمان بالمسيح فإن جميع الأشياء تصبح ذات قداسة ومنزهة عن الفساد الذي يكبل إرادة الإنسان، فيسلبه حرّيته.

وعليه فالإنسان حرّ في حياته الدنيوية في تعامله مع الأشياء المادية المحيطة به، فله حرية القبول أو الرفض، أي حرية الإختيار، فهو حرّ في مملكة الأشياء الحسية، الأمر الذي يدل على أن بوسعه فعل الكثير، وضع الخطط والبرامج، وتحديد الأهداف والسعي غلى تحقيقها، ما يكسب الحرّية الإنسانية بعداً إيجابياً في الفعل والتأثير.

وفي هذه المملكة فإنّ سيادة الإنسان على الأشياء وتحكّمه بها أمر مسلم به لدى "كالفن"، فليس هناك ما يمنع من سيطرة الإنسان على الأشياء والتأثير فيها، وهذا النوع من الحرّية معطى لجميع أفراد النوع الإنساني سواء كانوا مؤمنين أم غير مؤمنين.

⁽¹⁾ -سامي الشيخ: المرجع السابق، ص: 257.

⁽²⁾ -Ibid , p130.

⁽³⁾ - رومية 6: 14.

⁽⁴⁾ - رومية 14: 149.

كما أشار كالفن إلى أنّ الحرّية لا تنتمي إلى العقل، وإنّما إلى قوة الإختيار التي تجسدها الإرادة، ولكن استقامة إرادة الإنسان ينقصها الدليل، وأي تدخل للعقل في إرادة الإنسان، ومحاكمته للأشياء ينطوي بداخله على إمكان فساد الإرادة والمغامرة بحريتها الطبيعية، وإمكان الرغبة في الشر.

ويظهر تأثر كالفن بالفكر اللاهوتي المستمد من الكتاب المقدّس باعتباره المرجع اللاهوتي الأعلى لآباء الكنيسة والكتاب المسيحيين، ونظرية "عبودية الإرادة" التي أقرها (لوثر) من قبل فقد إعتبر أنّ كلّ إنسان يحد ذاته شيطان، وكلّ الخير الذي عنده من الله، وبأنه لا يمتلك شيئا سوى الخطيئة، فالإرادة التي بداخلها هي (إرادة خاطئة) ليس بوسعها تحقيق الصّلاح أو الخلاص: (إذا ما عندك من نفسك عدا الخطيئة، أنّها تثير إلامّ، أنّها مسحوقة، أنّها مبددة، مدمّرة، بحاجة إلى إعتراف صحيح وليس إلى دفاع مزيف)⁽¹⁾.

وهنا يعبر "كالفن" عن تشاؤمه العميق من خلال إظهار عزمه على نفي حرية الإرادة لدى الإنسان، فهي لا تستطيع كإرادة مقيدة ومستعبدة بفعل الخطيئة، أن تتحرك نحو الخير المفرط ماهي مضطرة إلى أنّ تلتزم به، ولأنّ مثل هذا التحرك يشكّل بدء توبتنا إلى الله المرتبطة تمامًا برحمة الروح القدس عن طريق الكتاب المقدّس (سمعا سمعت أفرام ينتحب، أدبني، فتأدبت كعجل غير مروض، توبني فأتوب، لأنّك أنت الرّب إلهي)⁽²⁾.

فقد ذهب " كالفن" إلى أنّ لكلّ منا إرادة، إنّما إرادة الخير هي الإستثناء، الإرادة هي من الإنسان، أما إرادة الشر فهي الطبيعة الفاسدة، وإرادة الخير من نعمة الله، فالإرادة مجرد من الحرّية، وهي منجذبة بالضرورة إلى الشر⁽³⁾.

وعليه فإنّ مفهوم كالفن عن الحرّية ترتبط بمفهومه عن الإنسان والخطيئة، والقضاء والقدر، والله، والشيطان وغيرها من مفاهيم مشابهة يقول كالفن في هذا السياق: «نحن نسمي المقدر، الرأيا لأزلي لله، الذي به قد حدد ما يريد أن يصنع بكلّ إنسان إذا أنه لا يخلق البشر جميعهم في ظروف متشابهة، بل يعد البعض الحياة الأبدية، والآخرين للجنة أبدية، وهكذا حسب النهاية التي خلق من أجلها الإنسان،

⁽¹⁾– Jhon Calvin: Institutes of the christian Religion, Book 3, p232.

⁽²⁾– إرميا 31: 18.

⁽³⁾– سامي الشيخ: المرجع السابق، ص: 259-261.

تقول أنه مقدر له الموت أو الحياة»⁽¹⁾، وعليه فالمقدر يقف حاجزا أمام حرية الإنسان، نقيا تماما لإرادته. أما الخطيئة فجاءت لتسلب الإرادة وتفقد حريتها يقول كالفن في هذا السياق: «نقول إذن، الخطيئة الأصلية هي فساد، ضلال وراثي لطبيعتها، وهي بإنتشارها على جميع أجزاء النفس تجعلنا مذنبين، أولا بسبب غضب الله، ثم بسبب الأعمال التي يسميها الكتاب المقدس أعمال الجسد في نفوسنا... إنّ أجزاء الإنسان جميعها من الإدراك إلى الإرادة، ومن النفس حتى الجسد قد تلطخت بها جميعا وكليا، أو قالوا حتى يختصروا بأنّ الإنسان ليس شيئا آخر في نفسه سوى شهوة»⁽²⁾.

وبما أنّ الإنسان فقد إرادته بسبب من الخطيئة الأصلية، فإنّ الله هو الذي يتصرف في الإنسان، وهو الذي يفكر في الإنسان، وهو الذي يتكلّم بلسان الإنسان، هذا الإنسان الذي لا يفعل شيئا بحصر المعنى من نفسه، ففي قضائه الحرّ الذي اتّخذته إرادة حرة موجودة منذ الأزل، يتصرف الله في مختاره، كيفما يشاء ليؤمن لهم الخلاص الأبدي، فبقضاء حر أصدره منذ الأزل⁽³⁾.

أعد الله مصير كلّ إنسان، وهكذا فسلطانه كامل، مطلق هو وهذا يستدعي من الإنسان إعلان خضوعه المطلق لله والعمل وفقا لمشيئته.

فنفي (كالفن) للإرادة الحرّة في الإنسان بمعزل عن الله، يستند إلى آدم الذي يمثل البشرية جمعاء في شخصية، قد لطح بخطيئته كلّ البشر، فالخطيئة الأصلية عطّلت إلى الأبد، كلّ ما في الإنسان من مواهب فائقة الطبيعة، كالإيمان، ومحبة الله، والتوق إلى القداسة، حتى المواهب الطبيعية نفسها أصيبت هي الأخرى في الصميم، بحيث لا يستطيع الإنسان إلا أن يريد الشر، فإذا ما أراد الشر ورغب فيه فهو يتحمل كلّ مسؤولية إرادته، ولذا استوجب القصاص المترتب على أفعاله.

وبمحبة الله على الإنسان أعطاه ناموس، مربي ومرشد يقود الإنسان إلى الله⁽⁴⁾.

(1) -جان كادييه: المصدر السابق، ص: 172.

(2) -Ibid, p218.

(3) - سامي الشيخ: المرجع السابق، ص: 261.

(4) -Ibid, p233.

فكالفن أنّ الإنسان بطبيعته آثم بسبب قوع الخطيئة الأصلية، فمنذ أن سقط آدم بالخطيئة وقع الفساد على الجنس البشري ممثلاً بآدم والبشرية جمعاء، مما يعني أنّ حرية الإرادة، قد تعطلت في أحدهم أجزاءها وهو الجزء المتعلق بالقدرة على فعل الخير.

فبقيت تنزع إلى الإثم وفعل الشر بطبيعتها، وإنّ ما يصدر عن الإنسان من أفعال الخير إنّما هو من عمل النعمة الإلهية، بمعنى أنّ فعل الشر ينتسب إلى الإنسان، أما فعل الخير فيإلى النعمة الإلهية.

فالإرادة في مذهب كالفن تبقى في الإنسان، وهي بعاطفتها الخاصة ميالة إلى الخطيئة، حتّى أنّها مستعجلة للوقوع فيها إذ أنّ الإنسان عندما سقط في تلك الحتمية، لم يجرد من إرادته كلّها، بل من إرادته السليمة، بمعنى آخر لم يبقى فيه إلا الإرادة المستعبدة، يقول كالفن في هذا الصدد: «عندما أقول أنّ الإرادة مجرد من الحرّية، وهي منجذبة بالضرورة إلى الشر، يكون من العجيب أن يرى أحد النّاس هذا القول غريباً، إذ لا حماقة فيه، وقد أیده قدماء أعلام الدّين»⁽¹⁾.

وعليه فإن كالفن يُعدم روح الإرادة إلاّ وهي الحرّية، إعتقاداً منه بأنّ حتمية الخطيئة تشمل جميع البشر، ويستدل بقول القديس أوغسطين للرد على من يقول إنّ الخطيئة ليست إرادية عند الإنسان لأنّه عرضة لحتمية الخطيئة (أنه تأتي بإرادة الإنسان أن يسقط في الخطيئة، أمّا الآن فإنّ الفساد الذي تلاها قد أبدل الحرّية إلى حتمية، وفي كلّ مرّة يتناول هذا الموضوع، أعلن بلا صعوبة، أنه لا يوجد فينا عبودية محتمة لارتكاب الخطيئة)⁽²⁾.

وإستدل (كالفن) بوجود عبودية محتمة لارتكاب الخطيئة، وذلك عندما يقرر أنّ الإرادة ليس بوسعها أن تفعل غير الشر وهي ملزمة بفعله، وهذا ما يرى ساحة الله من مسؤولية الخطيئة.

إذا فلا وجود في الإنسان إلاّ للإرادة المستعبدة للخطيئة، وبالتالي فلا وجود للحرية التي تفتح السبل أمام إرادة الإنسان للاختيار بين فعل الشر أو الكف عن القيام به، أو فعل الخير أو عدم القيام به، فالإنسان بعدما اصابه الفساد أصبح يرتكب الخطيئة بإرادته، لا رغماً عن قلبه، ولا بالإجبار أنه يرتكب الخطيئة بناءً على ميل شديد إليها، لا بناء على إكراه بالعنف.

⁽¹⁾—Ibid, p253.

⁽²⁾—Ibid, p254.

فالإرادة من وجهة نظر كالفن مدفوعة لإختيار الشر تبعا لطبيعتها الذاتية فهي تحتم فعل الشر، فالنفس في ظل تلك الحتمية تبقى حرة بطريقة غريبة وسيئة جدا، حرة في قيد العبودية وليس خارجا عنه ومستعدة للحتمية، ومما هو أكثر روعة وبؤسا أنها مدنية لأنها حرة، وهي مستعدة نتيجة لذنبها، وبالتالي فهي إرادة مستعدة بقدر ماهي حرة لأنها خاطئة، وهي حرة لانعدام وجود قيد يمنعها من الوقوع في الخطأ وفعل الشر، وهذا النوع من الحرّية هو تدمير وتخريب ومجازفة في بحر من الشرور لا نهاية له، أنها عبودية مطلقة لا مجال للفكاك الذاتي منها، وبالتالي لا مجال لغفران الخطيئة الأصلية والتخلص من العبودية إلاّ بنعمة الله⁽¹⁾.

فحرية الإرادة وحدها عاجزة عن بلوغ الخير أو المساعدة فيه من غير عمل النعمة الإلهية في ذلك يقول كالفن: «كلّ هذا يؤدي إلىالإعتراف، بأنّ حرية الإرادة ليس بمقدورها مساعدة أي شخص لإتمام أعمال الخير ما لم يتلقى العون من النعمة، وبالفعل فالنعمة الخاصة يتلقاها المختارون وحدهم عبر التجدد الروحي»، ففعل النعمة ضروري للإرادة لإتمام فعل الخير ومردّه أنّ الإرادة تفتقد للحرية إلى الحدّ الذي يجعل منها سيّدة على نفسها ويجررها من استعباد الخطيئة لها، وعليه فهي إرادة قاصرة عاجزة.

ومما تقدم يمكن استخلاص أنّ نظرية الحرّية وارتباطها بالعبودية ارتكزت في جانب كبير منها على فكرة الخطيئة، ونظرة الكتاب المقدّس وكبار اللاهوتيين المسيحيين لها، فكان للنظرة اللاهوتية أثر بارز في تكوين نظرة كالفن، وأنها لم تقتصر الحرّية على علاقة الإنسان بعالمه المادي المحسوس فحسب، بل تعدت إلى عالمه الروحي وعلاقته بالله وللحرية صلة وثيقة بفكرة الإيمان والمحبة، فالإيمان يحقق للإنسان حرّيته الكاملة الحقيقية من خلال خضوع إرادته خضوعا مطلقا لله أي الدخول في عبودية روحية مع الله.

أما المحبة فتتنطوي على ضدّين عبودية، وحرية، العبودية تتمثل في علاقة الإنسان بالعالم المحسوس، ويتحول الإنسان إلى عبد فاقد للإرادة والقدرة.

أما الحرّية فثمرّة لمحبة الإنسان ربّه، وهذه المحبة تفضي إلى حرية حقيقية، أما محبته لعالمه المحسوس تفضي إلى عبودية حقيقية⁽²⁾.

(1) - سامي الشيخ: المرجع السابق، ص: 264.

(2) - المرجع نفسه، ص: 266-270.

وقد لاقى " كالفن " معارضة وانتقادًا شديدًا، وعلى رأسهم جون استيوارت ميل⁽¹⁾، فقد هاجم "جون استيوارت ميل" مذهب "كالفن" الذي نظر إلى حرية الإرادة على أنها أكبر خطايا البشر، وطلب من الإنسان أن يدّعن لأوامر الله، وسيتسلم بنواحيه، فرفض (ميل) ما يقتضيه هذا الاتجاه من إنكار للذات، وجمع رغباتها وميولها وإستئصال نزعاتها الطبيعية، وآثر على هذا الرأي ما ذهب إليه القائلون من أنّ الله لم يخلق في الطبيعة البشرية ميولها ونزعاتها عبثًا، بل لكي "تعمل على تنميتها بالإرادة البشرية، والله يسرُّ ويتهجج، بالإضافة إلى أنّ الدعوة إلى الإصلاح تقتضي الاعتقاد منذ البداية في قدرة الإنسان على التغيير، ويتضمن هذا التسليم حرية الإرادة بمعنى من معانيها وعليه كما يرى "جون استيوارت ميل" لا يصلح أن يقول مصلح ديني بالجر المطلق، ولا أن يدين بمذهب القضاء والقدر بمعناه المتزمت⁽²⁾.

بالإضافة إلى أنّ تاريخ كالفن أثبت تقييده للحرية في جميع مجالاتها ففي جنيف أنشأ نظامًا كنسيا صارمًا يراقب السلوك الشّخصي والعام وهو يعتبر تقييدًا للحريات الفردية مثل: الملابس، اللّهُو، الفنون وغيرها، كما قيّد حرية التعبير الدّيني والفكري، وأي معارضة للتفسير الكالفيني للكتاب المقدّس يُعد هرقطة، فكان يرى أنّ حرية التّفكير لا تعني نشر الأخطاء العقائدية، بل كان يعتقد أنّ الدفاع عن العقيدة الصحيحة يتطلب قمع (البدع)، كما فعل في قضية ميخائيل سرفيتوس، وفي هذا السياق قال أحد النقاد «قتل إنسان ليس دفاعًا عن عقيدة، بل قتل إنسان فقط» وهذه الحادثة أصبحت لاحقًا نقطة سوداء في تاريخ الإصلاح الدّيني في أوروبا، لأنّها أظهرت التناقض المزدوج للإصلاحيين الدّين نادوا بحرية الضّمير أمام البابوية، وفي نفس الوقت لم يمنحوها حقها.

(1) - جون استيوارت ميل: (1806-1873م) فيلسوف انجليزي، ولد في لندن ليبرالي، يعتبر مؤسس علم الإلقتصاد السياسي، وواضع مبادئه الأولى في كتابه المشهور (ثروة الأمم) الذي نشر عام 1776م، آمن بالحرية الفردية وحرية التعبير دافع عن حقوق المرأة والمساواة بين الجنسين (أسامة بوخالد: جون استيوارت ميل، روح عصره وسيرة حياته، 2023م) (<https://altaniveeri.net>)

(2) - توفيق الطويل: جون استيوارت ميل، دار المعارف، القاهرة، ص: 119.

جدول مقارنة حول الحرّية الفردية عند زعماء الإصلاح البروتستانتي:

الإسم	مفهوم الحرّية الفردية	حدودها وضوابطها
(مارتن لوثر)	الحرّية هي حرية المسيحي القائمة على التّبرير والإيمان وحده، والمؤمن حر داخليا أمام الله لكنّه عبد في خدمة الآخرين.	الحرّية مرتبطة بالإيمان الشّخصي لا بحرية سياسية، لا تسمح بالفوضى أو العصيان المدني.
أولريخ زوينجلي	حرية الضّمير أساسا لإيمان، لكن الحرّية يجب أن تخضع للنظام الإجماعي.	الحرّية محدودة بما يتوافق مع الكتاب المقدّس وقرارات المجلس.
جون كالفن	الحرّية الحقيقية هي تحرر من عبودية الخطيّة والخضوع الكامل لإرادة الله.	الحرّية مقيدة بالناموس الإلهي، والفرد لا يملك حرية مطلقة بل يعيش ضمن نظام إلهي.

المبحث الثالث: الكنيسة والدولة:

شكّلت مسألة العلاقة بين الكنيسة والدولة إحدى القضايا المحورية في تاريخ الفكر الغربي، لا سيما في زمن الإصلاح البروتستانتي في القرن السادس عشر، فقد كان الإصلاح الديني في جوهره ليس مجرد حركة لاهوتية ضدّ تعاليم الكنيسة الكاثوليكية، بل أيضا ثورة إجتماعية وسياسية تركت آثارها على البنية الأوروبية.

ولأن الكنيسة الكاثوليكية كانت آنذاك مؤسسة روحية وسياسية في آن وأحد، فإن تحدى سلطتها قاد بالضرورة إلى إعادة التفكير في حدود صلاحياتها ودورها أمام الدولة.

لذا نجدوا زعماء الإصلاح الديني البروتستانتي قد اهتموا بهذا الموضوع، وحاولوا تقديم رؤى متباينة حول هذه الإشكالية، تعكس إختلافاتهم في الفهم اللاهوتي من جهة، وفي قراءة واقعهم السياسي والإجتماعي من جهة أخرى، فدراسة هذه التصورات تكشف لنا كيف أسهم الإصلاح البروتستانتي في بلورة أنماط مختلفة من العلاقة بين الدين والسياسة، وأن هذه التصورات لم تكن مجرد قضايا تاريخية، بل شكّلت مفاهيم حديثة كفصل الدين عن الدولة، وضمان الحريات الدينية، وتحديد المجالين الزمني والروحي في حياة الفرد والمجتمع.

المطلب الأول: الكنيسة والدولة في فكر "مارتن لوثر"

يرى "لوثر" أنه من الضروري إتباع الدولة وعدم الإنفصال عنها، فالأمير أو الملك بإستثناء أن له سلطة مدنية مطلقة، له حق إلاّ هي معطى يتمثل في إدارة الكنيسة، كما يؤكد المصلح الألماني على وجوب خضوع الأملاك الكنسية التي جاءت هبات من جماعة المسيحيين للأمرء والحكام، وأعطى الحق لصاحب السلطة في أن يختار الوعاظ ورجال الدين، وتعيين المراقبين الماليين الذين يتولون مراقبة الكنائس، ويحرصون على بقاء نقاء مراسم العبادة والطقوس⁽¹⁾.

وأكد على وجوب طاعة السّلطة الزّمنية ليس لأنّها وسيلة جديدة لطاعة الله، بل كذلك لأنّها تتيح حياة منظمة يسودها الحبّ والسّلام، لذا يجب أن تطاع في كلّ شيء، إلاّ إذا أمرت بما يخالف ناموس

(1) - رولان موسينييه: المصدر السابق، ص: 84/4.

الله، كأن على سبيل المثال بإهمال الكتاب المقدس أو أجزاء منه⁽¹⁾.

إنّ هذا التبرير في نصرته للسلطة الزمنية شبيه بالتبرير لثورة الفلاحين في مراحل معينة عندما يُعتبر أنّ الحكام ينفذون مشيئة الله في قمعهم لتكّل الفئة الثائرة.

والسلطة خيرة أو سيئة هي بالنسبة إلى لوثر من إقامة الله وطاعتها واجبة حتّى في حالة الشك بأنّها ليست على صواب، ولا يوجد أي تبرير للمقاومة أو التمرد ضدها، بل على المؤمن أن يتحمل الظلم بكلّ أشكاله المرتكب من قبل الأمير.

يقول (مارتن لوثر) في مقدمة كتابه "إلى الأمة المسيحية الألمانية النبيلة" مخاطباً الحكام مضى وقت الصمت، وجاء وقت الكلام"، وكان المعنى من كلامه هذا، لفت انتباه الحكام إلى أنّ وقت الصمت والطاعة العمياء والخضوع الذي لا فائدة منه قد مضى وجاء الوقت الذي يجب أن يكونوا فيه فاعلين، ودعاهم إلى القيام بواجباتهم الروحية بما أنهم ممثلو السلطة التي أقامها الله من أجل أن تحكم المجتمع المسيحي، معتبراً أنّ كنيسة روما قد وضعت حاجزاً بغية الاحتفاظ بالسلطان في ألمانيا ذاك أنّ السلطان الروحي فوق السلطان الزمني، فلقد طالب الكاثوليك بخضوع الأباطرة والملوك والأمراء للسلطة الروحية العليا إلّا وهي سلطة البابا، ومنه فإنّ لوثر اقترح إصلاحات كنسية مثقلة بالإنعكاسات السياسية، إذ أنّ إلغاء الدولة الكهنوتية يقود إلى توسيع اختصاصات السلطة الزمنية، بحيث يجب أن ندع السلطة تمارس عملها بحرية ودونما عراقيل داخل العالم المسيحي برمته، وأنه ليعود للسلطة الزمنية أن تحدد الإصلاحات الضرورية في الكنيسة⁽²⁾.

وفي الحقيقة نجد علاقة وثيقة بين ما ذهب إليه "لوثر" في تفسيره لثنائية الروحي والزمني وسعيه لسحب أي سلطة يمارسها البابا على الأباطرة، وبين مبدأه القائل بـ "كهنوت جميع المؤمنين" فهو يعتبر أنّ عبارة "كاهن" تساوي تماماً في المفهوم الكتابي مؤمن أو معمد أو مجدد، ومنه فلا فرق بين أكليريكي

(1) - سكوت إتش هندريكس: (مارتن لوثر) (مقدمة قصيرة جدا)، ت: كوثر محمود محمد، ط1، مؤسسة هنداي، مصر، 2014م، ص: 76.

(2) - جان توشار: تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الأنوار، ت: ناحي الدراوشة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2010، الجزء الثاني، ص: 377.

أو مؤمن من عامة الشعب، وبالتالي فلا توجد طبقة دينية حاكمة مسيطرة، وسلطة علمانية تحت السيطرة، وبناءً عليه فلا تبرير لأي سلطة علوية تمارسها السلطة الروحية على السلطة الزمنية.

ولئن كان لوثر ثوريا على الصعيد الديني، فقد كان محافظا في المجال السياسي، فالبرغم من قناعته بأنّ الأمراء والملوك هم في المعتاد أشدّ الناس سطوة وأكثرهم شرًا، إلاّ أنّه لا يرى امكانية أخرى فير الخضوع لهم، وعدم مقاومتهم، أو الخروج عن سلطانهم، مبررًا ذلك بما يضيفه عليهم من مهمة روحية متمثلة في الدفاع عن الإيمان الحق ونشر الدين.

لكن يبدو أنّ (مارتن لوثر) من خلال إضفاءه شيء من القداسة على السلطة الزمنية، وإعلاء مكانتها على حساب سلطة الكنيسة، أسهم بغير قصد في تفجير حركات اجتماعية عميقة وعنيفة، وقد ترجمت بوضوح مطامح الجماهير العريضة التي ما كانت تستطيع أن تعبر عن تطلعاتها في فكر سياسي مدروس⁽¹⁾.

إضافة على ذلك أنّها أكد في كتابه الحرية المسيحية (1520م) أنّ المؤمن مسيحي حرّ لا يخضع إلاّ لله، لكنّه من جهة أخرى ألزم المسيحيين بالخضوع للسلطة الزمنية، وإعتبر أنّ الطاعة للأمرء واجبة حتّى لو كانوا ظالمين، ما بدأ تناقضا بين مبدأ الحرية الروحية ومبدأ الطاعة السياسية⁽²⁾.

كما أنّ موقفه من ثورة الفلاحين تعرض لنقد شديد بسبب موقفه ضدّ ثورة الفلاحين الألمان، حيث دعا الأمرء إلى قمعها بغرامة، مما يعني إنجيازه للسلطة على حساب العدالة الاجتماعية، تخليا عن المبادئ الإنجيلية التي كان ينادي بها.

ويؤكد أحد الباحثين أنّ إصلاحات " لوثر " رغم طابعها اللاهوتي، إلاّ أنّها جاءت نتيجة صراعات سياسية في حقيقتها، ولم تكن لتنتشر ولم تؤسس دون دعم سياسي قوي من الأمرء⁽³⁾، كما أنّها أسست فيما بعد لفصل الدين عن الدولة مما فتح الفضاء أمام العلمانية وفصل البشري عن الإلهي

(1) - حسين عبد العزيز: (مارتن لوثر)، مرجعية دينية تمهد لحدأة سياسية، موقع عربي استرجع يوم: 2020/21 (: <https://arabi21.com>).

(2) - Paul Althaus: The Theology of martinlauther, For tress press, 1996, p51.

(3) - قاسم جمعة راشد: الإصلاح الديني عند (مارتن لوثر) (جدل اللاهوت والسياسية)، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 33، جامعة واسط، 2018م.

والمقدّس عن الدهري⁽¹⁾.

فالبرغم من أنّ الحركة اللوثرية نشأت من منطلق ديني، إلا أنّها توافقت زمنياً مع الحركات السياسية في ظل الوعي القومي المشرّب لتأسيس كيانات ذات طابع قومي في بدايات عصر النهضة، فجاءت موالاة الحركات السياسية القومية لحركة الإصلاح الديني، فاستّغلت ضدّ سلطة الكنيسة الكاثوليكية⁽²⁾.
فإصلاح لوثر لم يكن مجرد حركة دينية عقائدية، بل شكّل أيضاً نقطة تحول سياسية كبرى في التاريخ الأوروبي.

المطلب الثاني: الكنيسة والدولة في فكر أولريخ زوينجلي

ليس ببعيد عن (مارتن لوثر) نجد مصلح زيورخ، الذي كان رافضاً في بادئ الأمر إخضاع السلطة الروحية للسلطة الزمنية، معتبراً أنّ الكنيسة مؤسسة ديمقراطية تتألف من جميع المسيحيين الذين يشتركون بواسطة هيئة منهم في الفصل في كلّ المسائل المتعلقة بشؤون الكنيسة والتعيين في الوظائف الكنسية⁽³⁾، لكنّه غير رأيه فيما بعد فعندما قامت الإضطرابات والتجاذبات السياسية وأحدت الأخطاء بالحركة الإصلاحية في سويسرا بسبب تمرد وخيانة بعض الأطراف الكاثوليكية للاتفاقيات المبرمة، فالتمس المعونة من السلطة الزمنية من أجل توظيف سيفها في معركة ضدّ الجماعات الكاثوليكية⁽⁴⁾.

فقد كان ينظر إلى الدولة بوصفها صاحبة ولأية إلهية، إذ يمارس الحاكم سلطته بتفويض من الله، وعلى المسيحيين الطاعة والالتزام بقراراته، ما لم تتعارض مع مشيئة الله، وفي حال التعارض ينبغي تغليب طاعة الله، لذلك وضع زوينجلي تصوراً يقوم على أنّ المجلس المدني في زيورخ هو المرجعية العليا، ليس فقط في القضايا السياسية، وإنما أيضاً في الشؤون الكنيسة، بما يشمل الوعظ، وتعيين القساوسة، وتنظيم الطقوس، هذه النظرة جعلت الإصلاح عنده مشروعاً مزدوجاً، يقوده الإنجيل من جهة وتنفذه الدولة من جهة أخرى، في شراكة بين اللاهوت والسياسة.

(1) - محمد راهد غول: (مارتن لوثر) (سردية الإصلاح الكبير)، صحيفة القدس العربي، 2017م

(2) - دهام حسن: حركة الإصلاح الديني في أوروبا، موقع منير الحرية، 2022/7/23 (https://www-alquds.co.uk) استرجع يوم

(3) - دهام حسن: حركة الإصلاح الديني في أوروبا، موقع منير الحرية، 2010م (https://mimbaralhuriya.org) استرجع يوم

2018/3/12

(3) - عبد الفتاح أبو عليّة: المرجع السابق، ص: 101.

(4) - أندروملر: المصدر السابق، ص: 553.

أمّا الكنسية، فقد رفض "زوينجلي" أن تكون كيانا مستقلا أو سلطة موازية للدولة، بل اعتبرها جزءًا من المجتمع المدني الذي يجب أن يخضع لقرارات السلطات السياسية، لم يعترف بالبابوية أو بالمجامع الكنسية كمرجعية عليا، بل أكد أنّ الكتاب المقدّس وحده هو المرجع، لكن تطبيقه لا يتم في فراغ، بل عبر مؤسسات الدولة التي تترجم تعاليمه إلى واقع عملي، بهذا فقد أرسى مبدأ أنّ الإنجيل هو القانون الأعلى، ولكن الدولة هي الأداة التنفيذية له⁽¹⁾.

أدّى التصور الزوينجلي إلى وحدة سياسية ودينية في زيورخ، حيث أصبحت المدينة نموذجا لحكم الإنجيل في المجالين معا، غير أنّ ذلك كلّف الكنيسة استقلاليتها، إذ تحولت إلى مؤسسة خاضعة للسلطة المدنية، كما أثار هذا النموذج معارضة من قبل التيارات الراديكالية، خاصة المعمدانيين الذين رفضوا أي وصاية للدولة على الدين، وطالبوا بحرية المعتقد الفردي، هذه الخلافات كشفت عن هشاشة العلاقة بين الديني والسياسي في تجربة زوينجلي، لا سيما حين أدت مواقفه السياسية إلى الدخول في مواجهات عسكرية مع الكانتونات الكاثوليكية، وانتهت حياته مقتولا في معركة كايبيل سنة 1531م، ليؤكد بذلك أنّ إصلاحه لم دينيا محضًا، بل كان مشروعًا سياسيا ولاهوتيا في آن وأحد⁽²⁾.

يتضح مما سبق أنّ زوينجلي يؤكد على وحدة الكنيسة والدولة تحت سيادة الإنجيل، لكنّه منح الدولة الصلاحية على كلّ شيء، مما جعل الكنيسة أداة للسياسية أكثر من كونها سلطة روحية مستقلة، وهذا ما أدى إلى تعطيل سلطة الكنيسة، وبرزت الدولة كسلطة مهيمنة، ومن هنا جاء تطور مفهوم فصل الكنيسة عن الدولة عبر العقد الاجتماعي.

(1) - محمد عبد الستار البدري: إستمرار حركة الإصلاح الديني في أوروبا، صحيفة الأوساط، 14 افريل 2015م

استرجع يوم: <https://www.aawset.com.2022/12/12>

(2) - القس يوسف سمير: ليس بكالفن وحده (نظرة لمساهمة أولريخ زوينجلي، في مسيرة حركة الإصلاح، 3 ماي، 2021م ep-

church.org). استرجع يوم: 2023/9/9

المطلب الثالث: الكنيسة والدولة في فكر جون كالفن:

كلّ كنيسة في النظام الكالفيني تشكّل وحدة مستقلة بذاتها، خالية من أي ارتباطات بالدولة أو الشعب أو أي سلطة مركزية، وليس فيها تسلسل مراتب أو طبقة ممتازة، فالقساوسة سواسية فيها، وكذلك الأساقفة والشماسون، ويشترك الجميع في أعمال الكنيسة، وإدارة مصالحها.

وفي كلّ منطقة تجتمع القسوس ويعقدون مجالس إقليمية، وهنا يلاحظ الاختلاف بين نظام الكنائس الرومانية والكنيسة الكالفينية، فنظام الكنيسة الرومانية قائم على بسط النفوذ وتسلسل الطبقات بالنسبة للقساوسة، أمّا نظام الكنيسة المصلحة فهو نظام إتحاد كنائس، رئيسها وأحد هو السيد المسيح، وقاعدتها واحدة هي الكتاب المقدّس.

ولاجتناب الفوضى في الكنيسة سحبت من الطائفة حرية إختيار القس، وعهد بالانتخاب في ذلك إلى الشيوخ في المجالس لانتقاء الأكفاء.

الكنيسة والدولة في نظر (كالفن) مقدستان، لأنّ الله خلقهما لكي يعملان في إنسجام كالروح والجسد لمجتمع مسيحي واحد، ووظيفة الكنيسة وضع القواعد التي تنظم كلّ التفاصيل الخاصة بالعقيدة والعبادة والأخلاق، وعلى الدولة أن تدعم هذه القواعد باعتبارها ذراع الكنيسة الطبيعي⁽¹⁾.

أما الحكومة فهي حكومة رجال الدّين، وينبغي على هذه الحكومة أن تعترف بالكنيسة التي تؤمن بالإصلاح الدّيني باعتبارها صوت الله.

إنّ مهمة الكنيسة يجب أن تنحصر برأي (كالفن) في تدريب المؤمنين على القداسة والصالح لئلاّ أرستقراطية تتمتع بالحكمة لتفهم إرادة الله المسيطرة، أما الأساقفة فليسوا إلاّ رهبان حكموا بقوة سحرية يمتلكونها بأيديهم وبتفوقهم بالقداسة والمعرفة كطبقة مثقفة⁽²⁾.

ويؤكد (كالفن) أنّ الدولة يجب أن تخضع لسيادة الكنيسة؛ لذا يجب أن تشكّل كنائس وطنية مستقلة، والكنيسة هبة من الله، فيرى أنّ الله قد أعطى رحمة منه للبشر هذه الكنيسة، والكنيسة الحقيقية لا تقع تحت البصر، والشركة فيها هي شركة كلّ الدّين يعمل المسيح في وسطهم، والدّين يجري فيهم روح

(1) -نور الدين حاطوم: المرجع السابق، ص: 187.

(2) -المرجع نفسه، ص: 187.

القدس نعمته⁽¹⁾.

أما الحكومة المدنية لها من الأهمية ما لا يقل عن أهمية الخبز والماء والشمس، الهواء، بل إنّ لها مكانة أسمى من ذلك، لأنها تمنع العبادة الوثنية، وسائر الأخطاء العامة ضدّ الدين.

وهي تتيح لكلّ إنسان أن يحتفظ بممتلكاته، وتتيح للناس أن يتعاملوا مع بعضهم البعض، وتحقيق القيم الإنسانية بين الناس.

ويربط كالفن بين مفهوم الشركة في الكنيسة وبين فكرة الإختيار السابق، فيرى أنّ هذا النوع من الشركة في الكنيسة هو شركة كلّ الذين اختارهم الله تعالى، أي هي شركة المعنيين منذ الأزل، والمختارين للخلاص حسب الإختيار والتقدير السابق بغض النظر عن أعمالهم، أما الكنيسة المنظورة فهي تتمثل في اجتماع المسيحيين في مكان معين الذين يؤلفون رغبة واحدة تحت إدارة القس أو الواعظ⁽²⁾.

ومن أهم مهام الكنيسة الحيلولة دون عمل الهرطقة والخارجين عليها قبل أن يصل تأثيرهم إلى المؤمنين، وتمنع إنتشار الأخلاق الرديئة، أما الوظائف الموجودة فيها تقسم كما يلي: أعمال المحبّة، الوعظ وخدمة الأسرار، التعليم، المحافظة على النظام.

لذلك سعى "جون" إلى ضم الدولة إلى الكنيسة، ويرر هذا الضم أنّ المهام الملقاة على عاتق السلّطة الدّينية أكبر من مهام السلّطة الزّمانية، لذا فإنّ السلّطة الزّمانية ماهي إلاّ إحدى مهام السلّطة الدّينية.

يقول: (William stevenson):

The jurisdiction of the «Civril order is for caloin dramatically distinct from that of the church it has «a completely different nature» ciril goverment' s responsilrlity is to see first »that men breathe, eat, drink and are Kept Warm, It is to see second »that a public manifestation of religion may exist among christians », In short, its purpose is to protect the physical integrtly of its subjects and are Kept Warm, It is to see second « that christians, In short, its

⁽¹⁾— رولان موسينسية: المصدر السابق، ص: 28.

⁽²⁾— سامي الشيخ: المرجع السابق، ص: 188.

pupose is to protect the physical intergrity of its subjects and to ensure the legitimacy of the church-It should by no means try to be the church, for the savation in christ pronised to believers (belongs to the Kinagdom of chrest)no to (some earthty Kingdom).⁽¹⁾

(سلطة "الحكومة المدنية" عند كالفن متميزة بشكل كبير عن السلطة، أنما ذات طبيعة مختلفة تماما"، فمسؤولية الحكومة المدنية هي أن تشرف على أن المرء يتنفس، يتناول الطعام، والشراب، وتحتفظ بالديء" هذا أولاً، وأن تشرف ثانية على "وجود المظهر العام للدين بين المسيحيين"، وباختصار الغرض منها هو حماية السلامة الجسدية لرعاياها، وضمان شرعية الكنيسة، تجب على الحكومة المدنية أن لا تسعى على الإطلاق إلى أن تكون الكنسية، لأنّ الخلاص بالمسيح الذي وُعد به المؤمنون ينتمي إلى مملكة المسيح"، وليس إلى مملكة دنيوية ما".

ويركز كالفن في تأسيس الدولة تحت رعاية الدولة الدينية على ثلاثة جوانب:

-الجانب الأول: فيما يتعلق بوظيفة القضاة الذين هم حماة القانون، فقد آمن (كالفن) أنّ هذه الوظيفة هي من تعيين الله، وهو يرى أنّ هذه الوظيفة هي من أشرف الوظائف على الأرض، ويرى أنّ الحاكم هو نائب عن إله تعالى على الأرض بصورة ينبغي أن تحقق العدالة في كلّ المعاملات بين الناس.

-الجانب الثاني: أما فيما يتعلق الدستور الذي يجب أن يحكم الدولة المدنية، فإنه يعلن أنّ المسيحية يمكنها أن تمشي جميع أشكال الحكومات، وهو يفضل أن يعيش في ظل الحكم الملكي أو الاستبدادي، خاصة وأنه يدعم الطبقة الأرستقراطية وتأسيس الرأسمالية في الغرب.

كما يعتقد أنّ للحكومة بإمكانها إصدار قوانين تتعلق بعلاقة الإنسان مع الله، وعلاقات الناس فيما بينهم، إلا أنّ هذا القانون يجب أن يصون ويدافع عن الأبرياء، ويزجر الأشرار ويقمع جورهم ويتعاقب ذنوبهم.

-الجانب الثالث: ويتعلق بواجبات وحقوق الشعب المحكوم: فنأدى بأن للحكومة الحق في أن تعلن الحرب، وعلى الشعب أن يتجاوب معها، وهذه الحرب يجب أن تكون مقيدة بأساليب إنسانية،

⁽¹⁾-Donald K.M ckin ; the cambridge companion to jhon calirn, p175.

وعلى الشعب دفع الضرائب المناسبة، وعلى الدولة التكفل بالموظفين وعائلاتهم حياة تليق بمراكزهم، وعلى الشعب طاعة القوانين والقضاة حتى الظالمين منهم، وإلا يقضوا في الأمور من أنفسهم، بل يجب أن يتركوا للقضاة الحرّية في تصويب الأخطاء، وإذا فشل القضاة في عمل ذلك، فإنّ الله بنفسه سيقومهم عن طريق أناس قد لا يدرون لحقيقة عملهم⁽¹⁾.

كان هذا نظام (كالفن) الذي وضعه للكنيسة والدولة، ويهدف غلى توظيف كلّ من الدولة المدنية والدولة الرّوحيّة في خدمة المؤمنين، وإضفاء السّلطة الحقيقية سلطة القرار إلى الحكومة الدّينية مع أهمية الفصل بينهما، إلاّ أنّ هذا الفصل لا يعني خروج الحكومة المدنية عن التبعية المطلقة للحكومة الدّينية.

كما اشترط على أنّ قانون الدولة، يجب أن يحترم الحرّيات ويصون المواطنين، ويقبل أيضا التعددية في الآراء.

إلاّ أنّ تعاليم (كالفن) كانت تعليم نظرية لا أكثر، حتى أنّ مدينة (جنيف) التي إستطاع أن يجعلها كما يريد لم تستطع أن تثبت أمام القانون الكالفيني كثيرا، وحتىّ أثناء حياته واجه الكثير من المتاعب في سبيل تطبيق قانونه، ومع أنّ هذا القانون يؤكّد على فكرة حرية الفرد المسيحي (المفروض على الكنيسة أن تترك للمواطن المسيحي الحرّية الكاملة في قيامة بأعبائه... حتى لا تكون الكنيسة مسؤولة أمام الدولة عن تقصير إبنائها)⁽²⁾، إلاّ أنّ هذا لم يحظى بالتطبيق الفعلي على يدي كالفن نفسه، فقد عرف بالتشدد في مسألة تطبيق الإسمان كما يراه هو، وكان الفرد المسيحي يعاقب بأقصى العقوبات عند أي مخالفة تصدر منه.

(1) - محمود عبد الرحمن دادو: المرجع السابق، ص: 374-375.

(2) - متى المسكين: الكنيسة والدولة (الطائفية والتعصب)، ط6، مطبعة دير القديس أنبارمقار، وادي النظرون، 2006م، ص: 40.

المبحث الرابع: الحركة الكاثوليكية المضادة للإصلاح:

شهدت أوروبا خلال القرن السادس عشر تحولات دينية كبرى مع ظهور حركة الإصلاح البروتستانتي، التي هزت أركان الكنيسة الكاثوليكية وأضعفت هيمنتها الروحية والسياسية في أوروبا. فمع إنطلاق دعوة (مارتن لوثر) بمراجعة تعاليم الكنيسة الكاثوليكية وإصلاح ممارساتها، الأمر الذي أسفر عن انقسام ديني في القارة الأوروبية، أمام هذا التحدي الجسيم الذي هدد وحدة الكنيسة وسلطتها الروحية والسياسة، بادرت الكنيسة إلى إطلاق ما عُرف "بالإصلاح المضاد" أو "الإصلاح الكاثوليكي".

المطلب الأول: نكسة الكنيسة الكاثوليكية

حققت البروتستانتية مكاسب كبرى واكتسحت أمامها الكاثوليكية، فإن ثلاثة أرباع ألمانيا قد نبذت ولاءها لكنيسة روما، وقطعت انجلترا علاقاتها التي كانت تربطها بروما، وإعتنقت الدنمارك والسويد والنرويج الحركة اللوثرية.

وإنتقلت حركة الإصلاح الديني إلى فرنسا وهولندا، وبولندا وبوهيميا إلى غاية شبة الجزيرة الإيطالية، فكان خلال عشرين سنة كان نصف العالم المسيحي في أوروبا الغربية قد خرج على الكنيسة الكاثوليكية ونبذ ولاءه للبابا⁽¹⁾.

هال الكاثوليك هذا الانتشار السريع الذي حققه البروتستانت، بعد أن كانت البابوية هي صرح المسيحية الشامخ في أوروبا، فهي القوة الوحيدة في غربي أوروبا بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية في أواخر القرن الخامس ميلادي، وهي القوة التي أثارت الحروب الصليبية وجعلت أوروبا تتدافع نحو الشرق منذ القرن الحادي عشر وعلى مدى قرون متعاقبة.

لكن لم تلبث أن بدأت تنهوى مكانتها من عليائها لعدة أسباب داخلية كانت أو خارجية مثل تسلط البابوية ورجالها المتزايدة عبر القرون الوسطى على الملوك والشعوب مما سبب حالات من الهيجان والثورة على البابوية، كتسلط البابوية على الشعب الألماني حتى قامت فيما بينهم حرب أهلية،

(1) - عبد العزيز محمد الشناوي: المرجع السابق، ص: 401.

ولم يلبث الشعب أن اتهموه أنه سبب هذه الحرب وحملوه مسؤولية الدماء الكثيرة التي سفكت⁽¹⁾، خاصة وأنّ عندهم البابا رجل الدين الأول، والآب الروحي الذي يجب أن يتحلّى بروح التسامح والعفو عند المقدرة.

كما أصدرت البابوية قرار الحرمان على الشعوب الفرنسية والإنجليزية وغيرها لذلك فإنّ النفسية في العالم الغربي النصراني ظلت تعاني من قهر وإستبداد البابوية.

إضافة إلى إنتقال مركز البابوية من روما في إيطاليا إلى مدينة أفيون في فرنسا، وهي الفترة التي سماها المؤرخون فترة "الأسر البابلي للبابوية" والتي إستمرت من سنة 1305 إلى غاية 1377م، أي اثنتين وسبعين سنة⁽²⁾.

كما أنّ الإنشقاق الديني العظيم داخل البابوية، والذي هزّ عرشها ومكانتها في قلوب النصارى في العالم الغربي، والذي ابتداء عام 1378م إلى غاية 1417م، حيث أصبح على عرش البابوية ثلاثة باباوات، بابا روما بإيطاليا 1378م، وبابا أفيون بفرنسا 1378م، وبابا مدينة نيرة بإيطاليا 1409م، من بين أكبر أسباب سقوط البابوية.

وأيضاً عدم إهتمام بعض الباباوات والقسس ومسؤولي الكهنوت الأمور الكنيسة الروحية، وانصرافهم عنها بأمور الدنيا من جميع الأموال وامتلاك الأراضي والبحث عن الجاه والمنصب، مع فساد بعضهم الأخلاقي.

فالجشع والظلم وحبّ الترف سيطرت على رجال الكنيسة، فكان همهم في الدرجة الأولى السهر على مصالحهم الدنيوية، واشفاء الرسوم العائدة لهم، وتحصيل النذور، يتنافسون في الوجاهة والعظمة مع الملوك وأعرق الأمراء وأكبر الإقطاعيين، أمّا الفتور الديني فكان الطابع الأعم لأغلبهم، وبرز الإنحطاط الخلقى والروحي أكثر ما برز في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، والنصف الأول من القرن السادس عشر.

⁽¹⁾ - جون.ا.هامرتن: تاريخ العالم، ت: إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم، مكتبة النهضة المصرية، مصر، المجلد الرابع، ص: 554.

⁽²⁾ - سعيد عبد الفتاح عاشور: أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2009م، الجزء الأول، ص: 475.

فأصبحت حياة رجال الكنيسة فاسدة، فأصبحت أديرتهم وأماكن عبادتهم عشا للخرافة والجهل، وأوكارًا للفجور والفسق والإباحية، فزرعوا الشك في نفوس إبتاعهم من النصارى الغربيين⁽¹⁾.

وفي الوقت الذي كان فيه الكثير من الباباوات يدفعون مبالغ طائلة لإزدهار النهضة الفنية وتشجيع كبار الفنانين على إتحاد روما محرابا لفتنهم، فإن الجماهير ضجرت من الأعباء المالية المفروضة من طرف الكنيسة، وكان الملوك والأباطرة يتيحون الفرصة لإعلان احتجاجهم مثل الملك لويس التاسع ملك فرنسا، الذي كتب رسالة احتجاجية خطيرة في وقتها قال فيها «أنّ الذي يشتد في إدرار الإرضاع لا بد أن يصيب الدّم حلماها»⁽²⁾.

ولعل أسوأ مظهر من مظاهر ابتزاز الأموال هو التوسع في بيع صكوك الغفران مما أثار المعارضة والجدل، وهي أهم أسباب ظهور حركة الإصلاح الديني البروتستانتية المعادية للبابوية ومراتبها الكنسية، والتي كان لها الدور الواضح في اضعاف سلطة البابوية الروحية.

ووصف البابا أديان الخامس، الكنسية قبل الإصلاح البروتستانتية بقوله: «نحن نعترف بصراحة أنّ الله سمع بإضطهاد الكنيسة بسبب آثام الناس، خاصة الأساقفة ورجال الدين، ونحن نعترف جيدا أنه لسنوات طويلة كانت هناك أشياء تستدعي الإشمئزاز قد تجمعت حول الكرسي الأسقفية المقدس، وأنّ أشياء مقدمة قد أسيء إستعمالها، وأنّ الأوامر الإلهية قد انتهكت وكلّ شيء قد تغير نحو الأسوأ»⁽³⁾.

عندها استفاق الكاثوليك على الحقيقة التي كانت مروعة بالنسبة لهم، وهي إنتشار البروتستانتية في أوروبا طولا وعرضا، وأدركوا أنه لم يعد في الإمكان تأجيل إصلاح الكنيسة الكاثوليكية الذي طالما تنادي إليه المصلحون من قبل ظهور لوثر ومن بعده، فاتخذت البابوية منذ حوالي منتصف القرن السادس عشر إجراءات عملية لإصلاح الكنيسة، وكان هذا الإصلاح هو رد فعل لحركة الإصلاح الديني التي قام بها (مارتن لوثر) وغيره من المصلحين ولذلك يطلق على حركة الإصلاح الكاثوليكي عبارة "Lacontre Réforme" أيالإصلاح الديني المضاد، كما يطلق عليها في بعض المصادر (la contre Révolution Religieuse XVI me Siecle)

(1) - جون لوريمر: المصدر السابق، ص: 35/4.

(2) - سفر بن عبد الرحمن الحوالي: العلمانية، ط2، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ص: 143.

(3) - أشرف صالح محمد سيد: أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ط1، دار واتا للنشر الرقمي، قطر، 2009م، ص: 120-121.

أي الثورة الدينية المضادة في القرن السادس عشر، ويطلق عليها في المراجع الإنجليزية (Roman catholic Reaction) بمعنى الإنتعاش الروماني الكاثوليكي أو "رد الفعل الروماني الكاثوليكي"⁽¹⁾، أو "التجديد الكاثوليكي" فهي كلمات أكثر دقة، لأن رؤيتها كمجرد رد فعل للبروتستانتية هو تقديمها بصورة ناقصة⁽²⁾، كما يوضحها أحد المؤرخين: «الإصلاح في جانبه الديني، والإصلاح المضاد له في نفس المجال، يمكن إعتبارهما بإنصاف حصيلتين مختلفتين لنفس التلهف العام إلى التجديد الديني الذي شمل أوروبا أواخر القرن الخامس عشر، وأوائل السادس عشر...بينما يمكن القول عن الإصلاح البروتستانتية، بأنه كان يحتوي على عامل ساعد على سرعة وقوع الإصلاح الكاثوليكي وجدتيه، الأمير الذي لم يكن لتحقق لو حدث العكس، فقد كان الإصلاح المضاد أكثر تعقيداً من مجرد رد فعل للتحدي البروتستانتية»⁽³⁾.

هذا الإنتعاش دبّ إلى أوصال الكنيسة الكاثوليكية، في محاولة إخراج الكنيسة من التردّي الذي انحدرت إليه، يتأثر رهبان دير كلوني، الذي إرتبطت به هذه المحاولات، يقول صاحب كتاب الخلاصة الحلية: «الحركة الإصلاحية، التي نهض بها لوثر كانت لطمة شديدة لكنسية رومية، لأنّها لم تكن تهددها بالإنقسام فقط، بل ينقضها من الأسس، ولم يقف الحد عند احتجاج المصلحين، بل ثار المحافظون على الكتلة أنفسهم طالبين الإصلاح بواسطة مجمع»⁽⁴⁾.

(1) -عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق، ص: 402.

(2) -جون لوريمر: المصدر السابق، ص: 320/4.

(3) -H.O.E.vennet: the spirit of the counter Reformation, the Birk beck lectures in Ecclesiastical History, University of combridge, 1951, p9.

(4) -الخوري عيسى أسعد: الخلاصة الحلية من تاريخ الكنيسة المسيحية، مطبعة حمص، 1938م، ص: 88.

- مفهوم الإصلاح المضاد:

إسم كان يطلق في الغالب على الحركة التّجديدية في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر⁽¹⁾.

أو هو حركة الإصلاح الدّيني داخل الكنيسة الكاثوليكية في الفترة ما بين 1545م-1563م، والتي أدت إلى استقرار وتدعيم الكنيسة الكاثوليكية بعد خسائرها الكبيرة أمام الحركة البروتستانتية⁽²⁾.

وقد اتخذ الإصلاح المضاد طريقتين، إعادة الإيمان بين النصارى، وإعادة تقييم المبادئ ويقوم بهذا قادة الكنيسة، وقد أثّر الحماس الدّيني عن طريق إقامة أنظمة دينية جديدة في أوائل القرن السادس عشر، ومع تأسيس جمعية المسيح (الجزويت) أصبح الإصلاح المضاد حقيقة واقعية⁽³⁾.

المطلب الثاني: خصائص الإصلاح الديني المضاد وأهدافه.

إذا كان الإصلاح الدّيني الذي بدأ في ألمانيا مع لوثر حركة ثورية ضدّ نظم وتعاليم الكنيسة وطقوسها، مما أدى إلى ظهور عدد من الكنائس في ألمانيا وفرنسا وسويسرا وغيرها، قامت هذه الثورة على أسس ومبادئ نادى بها زعماء الإصلاح الدّيني، فكانت هذه الكنائس مستقلة تماما عن كنيسة روما لها نظمها وطقوسها تختلف عن نظم وطقوس الكنيسة الكاثوليكية، كما كانت هذه الكنائس الجديدة لا تجمع بينها رابطة الوحدة، فتميزت بطابعها الثوري وطابعها الانفصالي معا.

أما الإصلاح المضاد فكان يهدف إلى تطهير الكنيسة الكاثوليكية مما لحق بها من ضروب الفساد في أنظمتها وسلوك رجالها على أن يمتد الإصلاح فيشمل البابا وجميع رجال الدّين، ومعلوم أنّ كرسي البابوية قد اعتلاه عدد من البابوات ممن عاشوا حياة الترف والمجون، وتحقيق المغامم مما أدى إلى عدم مواجهة الحركة اللوثرية وهي لا تزال في مهدها.

ومل يكن الأساقفة أيضا أرقى وأفضل حالا من الباباوات، فعاشوا حياة بعيدة عن روح الدّين، وبالرغم من هذا فلم يكن هدف حركة الإصلاح المضاد هدفا ثوريا، وهو الإطاحة بالكنيسة والبابوية،

(1) - نغم محمد علي جواد: المرجع السابق، ص: 128.

(2) - إيرل كيرنز: المصدر السابق، ص: 219.

(3) - نغم محمد علي جواد: المرجع نفسه، ص: 128.

إذ كانت حركة اتسمت بالطابع المحافظ الذي يحرص على إبقاء القديم على قدمه مع الإهتمام بإصلاح النظم الكنسية، وتجنب إدخال تغيرات أساسية في العقيدة، هكذا كانت نظرة الكاثوليك على إصلاح كنيستهم، العمل على إيجاد إدارة أمنية مخصصة على درجة عالية من الكفاية والنزاهة والالتصاق بالدين ومن القادة البارزين الذين حاولوا إصلاح البابوية أمثال جيان بيتروكارافا. الذي امتدح نوع الإصلاح الجاري تنفيذه في اسبانيا، وحث على تطبيقه في إيطاليا، وكان "كارفا" عضوا في الفريق المسمى "رابطة المحبة الإلهية"، كذلك كان "جاكوياسادوليتو" Jacola Sadoletto"، وأيضا "جاسبارو كونتاريني" Gasparo contavibi"، الذي قاد الفريق الكاثوليكي في المحاولة الفاشلة للوصول إلتفاهممع اللوثريين في ريجنسبرغ، وإنضم إليهم الأسقف رينولدبول "Reginald Pole" من إنجلترا حث هذا الفريق البابا بولس الثالث أن يسمح لهم بكتابة بعض التوصيات للإصلاح، إلا أن توصياتهم المقدمة عام 1538م قد أهملت، وعلى الأخص لأنهم طالبوا بتغيرات إدارية كان البابا رافضا لها⁽¹⁾.

أما الذي اختارته البابوية ولجأت إليه في سبيل أنهاض الكنيسة وسائل مشروعة وأخرى غير مشروعة، فمن الوسائل المشروعة عقد الجمع المسكوني لتحديد وتعريف العقيدة الكاثوليكية، وتطوير نظم الكنيسة للقضاء على المساوىء والمفاسد التي لوثت سمعتها، وإصلاح المنظمات الدينية بعد أن لحقها التدهور، وإنشاء هيئات دينية جديدة لدعم نفوذ البابوية والتمكين للمذهب الكاثوليكي بالوعظ والإرشاد والتعليم، وعلى رأسها جماعة اليسوعيين (الجزويت).

أما الوسائل الغير المشروعة فكان من بينها "الفهرس" الذي يعتبر إجراء حجراً على حرية الرأي والكلمة والنشر والنقد، كما لجأت البابوية أيضا إلى محاكم التفتيش تتخذ منها أداة تقتيل وسوط وتنكيل بالخارجين على كنيسة روما⁽²⁾.

(1) - جون لوريمر: المصدر السابق، ص: 321.

(2) - عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق، ص: 402.

المطلب الثالث: الوسائل المشروعة للإصلاح المضاد:

الفرع الأول: موقف السلطة الكنسية من الحركة اللوثرية

هاجم لوثر الكنيسة الكاثوليكية في صحيح سلطتها وعقيدتها ولم يلبث أن كتب رسالة إلى البابا بعنوان (فيما يمس الحرية المسيحية) قال فيها: (إنك لا تستطيع أن تنكر أن ما يسمى بهيئة الكهنوت الرومانية هي أفسد من بابل وسدوم، ولقد أظهرت احتقارًا حقًا، وإنتابني الغضب لأن الشعب المسيحي يُجذع تحت ستار إسمك وإسم الكنيسة المسيحية، لهذا قاومت وسأظل أقاوم ما وُجد في عرقٍ ينبض بروح الإيمان)⁽¹⁾

وأمام هذه المواقف المتزايدة التشدد التي تبناها لوثر، والتي تمس الكنيسة الكاثوليكية في وحدتها ومعتقداتها ومؤسستها، بادر البابا ليو العاشر إلى إصدار منشورٍ يندد فيه بأفكار لوثر ويهدده بالحرمان، غير أن لوثر رد على ذلك بحرق المنشور البابوي علنًا يوم عيد الميلاد من سنة 1520م، مما أدى إلى صدور قرار بابوي، إلا وهو قرار الحرمان (Excommunication) ضدّ لوثر في ديسمبر 1520م⁽²⁾.

وفي هذه الظروف العصيبة من حياة لوثر أصبح له أمراء وإتباع أقوياء وأغنياء، وهو الأمر الذي أوجد له الحماية السياسية والعسكرية اللازمة، وكان في مقدمة هؤلاء فريدريك حاكم سكسونيا الذي تبنى حركة لوثر ورفض هو الآخر القرارات البابوية⁽³⁾، واتسعت بذلك حركة " لوثر " مما أدى إلى عقد مجمع ديني⁽⁴⁾ في جانفي 1521م بمثابة ورمز (Warms) يُحضره " لوثر " ليبرر تصرفاته⁽⁵⁾.

وحضر " لوثر " هذا المجمع الديني بعد أن منحه الإمبراطور أمانًا شخصيًا يتيح له السفر من مدينة وتبرغ إلى مدينة وورمز، والإقامة في وورمز طيلة فترة انعقاد المجمع الديني، ثم العودة إلى بلده دون أن

(1) - عبد العظيم رمضان: تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث (من ظهور البرجوازية إلى الحزب الباردة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م، الجزء الأول، ص: 121.

(2) - أشرف صالح محمد السيد: أصول التاريخ الأوروبي، ط1، دار واتا للنشر الرقمي، قطر، 2009م، ص: 101.

(3) - عبد المجيد النعني: أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة (1453-1848م)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1983م، ص: 60.

(4) - مجمع فورمس: (ورمز): مجمع إمبراطوري عقد في مدينة فورمس الألمانية، ترأسه الإمبراطور كارلوس الخامس عام 1521م.

(5) - عبد الفتاح أبو عليّة: إسماعيل أحمد باقي: المرجع السابق، ص: 101.

يُلقى القبض عليه أو يتعرض له أحد بسوء⁽¹⁾.

وقد طلب المجمع من لوثر العدول عن مواقفه، فكان جوابه: (لا يمكنني العدول أو التراجع عن كلِّ ما كتبتُه أو قلتُه إلا بشرط واحد، وهو أن يبيّن لي أحدكم أن أقوالي وكتاباتي تناقض الكتاب المقدّس أو تناقض مبادئ العقل والضمير، أو تبين لي بأنها غير سليمة أو غير مستقيمة... ما عدا ذلك لا يمكنني التراجع عن آرائي أو العمل بخلافها، على هذا عاهدت نفسي وسأكون على العهد مقيماً، أعاني الله، آمين)⁽²⁾. وظل لوثر متمسكاً بمواقفه باعتبارها مطابقة للكتاب المقدّس والمنطق السليم. عندئذ أصدر المجمع قراراً إعتبر فيه لوثر خارجاً على السُلطة القائمة، وطرده خارج القانون، وأهدر دمه، وحرّم على جميع الألمان أيّواه أو تزويده بالطعام أو الشراب، كما حرّم عليهم قراءة كلمة واحدة مما كتبه⁽³⁾.

ولقد نجح لوثر من الموت، وذلك بمساعدة صديقه فريدريك حاكم سكسونيا، الذي أعطاه الحماية سرّاً في قلعة وارنبورغ، حيث ظل محتبئاً فيها لمدة سنة كاملة، تفرغ خلالها لترجمة الكتاب المقدّس إلى اللّغة الألمانية، فإعتبر ذلك العمل الضخم بمثابة حجر الأساس في تاريخ الأدب الألماني⁽⁴⁾. وبينما لوثر محتبئ في قلعة وارنبورغ، أخذت حركة الإصلاح الدّيني في الانتشار في ألمانيا، وحدث في هذه الفترة أن التحمت أفكار لوثر الإصلاحية الدّينية وتفاعلت مع دعوات إصلاحية أخرى ذات طابع سياسي واجتماعي والإقتصادي، فأدّت إلى أحداث تجاوزت الأبعاد العقائدية، وهذا ما لم يكن يريدُه أو يسعى إليه لوثر⁽⁵⁾، إذ فهم بعض الفرسان من صغار النبلاء أفكار لوثر على أنها دعوة للثورة العامة، فهاجموا بعض الدويلات التابعة للكنيسة عام 1523م، واستولوا على أراضيها وقسموها فيما بينهم.

وفي سنة 1524م قامت حركة دورية في ألمانيا تزعمها الفلاحون الدّين فهموا أفكار لوثر على أنها دعوة للحرية والمساواة، وأن هذه الأفكار هي الطريق الوحيد لإصلاح الأوضاع الإقتصادية والاجتماعية السيئة، فسعوا للتخلص من سلطة كبار مالكي الأرض⁽⁶⁾.

(1)- عمر عبد العزيز عمر: دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992م، ص: 158.

(2)- أشرف صالح محمد السيد: المرجع السابق، ص: 102.

(3)- عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص: 122.

(4)- محمد كمال الدسوقي: تاريخ ألمانيا، دار المعارف للنشر والتوزيع، مصر، 1962م، ص: 57.

(5)- عبد المجيد ننعني: المرجع السابق، ص: 59.

(6)- عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص: 128.

ولم يوافق لوثر على هذه الحركات، بل ذهب إلى حد مقاومة ثورة الفلاحين بشدة حين تصلّبوا في مطالبهم الإجتماعية والإقتصادية، وعمل على قمع حركاتهم بأقصى شدة وعنّف، فقد كان لوثر واضحًا في أن تكون دعوته دينية إصلاحية فقط، ووقف بشكل حازم إلى جانب السلطة والنظام والأمراء وكبار ملاك الأرض، وهو ما أدّى إلى فقدان الحركة اللوثرية تأييد فئة الفلاحين والطبقة الوسطى، والواقع أن هذه الأحداث كان لها أثر بارز في توجيه اللوثرية نحو ارتباط أوثق بالحكومات⁽¹⁾.

الفرع الثاني: مجمع ترنت المنعقد "La Concile de trent"

1/ محاولة لجمع الشمل:

حاول البابا بولس الثالث⁽²⁾ وبجلوسه على كرسي الباباوية محاولة الإصلاح لتحقيق عهد أقل عنفًا وأكثر تسامحًا، وعلى الأخص حينما رفع اثنان من أصدقائه أيرازموس إلى رتبة الكرادلة، ومعلوم أن أيرازموس كان موالياً للإصلاح الديني، وقد أشيع في ذلك الوقت أن البابا يعترم رفع مقام أيرازموس إلى رتبة كاردينال. هذه الأنباء وغيرها بعثت الأمل بأن أيامًا سعيدة سوف تأتي على الكنيسة، وأن شيئًا من الوفاق بين الكاثوليك والبروتستانت سوف يتم، وأن الصدعة التي حدثت في جسم الكنيسة سوف تزول. وقد كتب البابا بولس الثالث إلى أيرازموس يخبره بأنه قد عزم على عقد مجمع للمصالحة بين الأطراف المتنازعة، غير أن ظروفًا خاصة أخرجت تنفيذ هذه الفكرة⁽³⁾.

2/ مجمع راتسبون:

وفي عام 1541م بعد موت " ايرازموس " أرسل البابا مندوبًا عنه إلى مجمع راتسبون ليرى إن كان ممكنًا لقاء الأضداد على أرض مشتركة، وإن كان ممكنًا الصلح مع البروتستانت، أما " لوثر " فقد كان منذ البداية يرفض مثل هذه اللقاءات⁽⁴⁾ وقال: (إنّي أتوقع وجود الشيطان بصورة أو بأخرى في هذه

(1) - عبد المجيد النعني: المرجع السابق، ص: 60.

(2) - بولس الثالث: (1468-1549م) هو أليساندور فارنيزي الذي تولى عرش البابوية عام 1534م، كان منصبه سببًا في إصلاح مضاد مع مجمع ترنت فضلًا عن الحروب الدينية مع الحملات العسكرية التي شنّها الإمبراطور شارل الخامس ضدّ البروتستانت في ألمانيا. (لارسون يوجين: بولس الثالث، 2022م، نقلا عن صفحة مبتدئوا أبحاث EBSCO، <https://www.ebsco.com>). استرجع

يوم: 2023/10/6

(3) - الخوري عيسى أسعد: المرجع السابق، ص: 88.

(4) - عزت زكي: المصدر السابق، ص: 158.

المهمة⁽¹⁾.

إلا أن هذه الفكرة لم يُكتب لها النجاح، إذ قام ملك فرنسا بإقناع البابا بأن وحدة مثل هذه مع البروتستانت المنشقين سوف يكون من شأنها تقوية مركز شارل الخامس ملك ألمانيا وعدو البابا، وعندها تراجع البابا بولس عن عرضه.

وعلى ذلك أُرجئت كل هذه الأمور لتناقش في مجمع ترنت.

3/ مجمع⁽²⁾ ترنت: "Trent" (1545-1563م)

وهو تجمّع يُعرف أيضا بإسم (المجمع التريندي)، عُقد في مدينة ترنتو في إيطاليا، وتعدّه الكنيسة الكاثوليكية المجمع المسكوني التاسع عشر، عُقد بين 13 ديسمبر 1545م إلى 4 ديسمبر 1563م على ثلاث دورات، دعا إلى إنعقاده البابا بولس الثالث، وانعقد لمدة تفوق العقدين على ثلاث دورات منفصلة⁽³⁾.

وقد واجه عقد المجمع عدة صعاب من بينها إختيار المدينة التي يعقد فيها المجمع المسكوني جلساته، لأن البابا اختار مدينة في إسبانيا أو ألمانيا أو فرنسا، ومعنى هذا أن هذه المناطق خاضعة لنفوذ شارل الخامس أو الملك فرانس الأول، وكان البابا حريصًا على أن يباعد بين المجمع وبين أي نفوذ أجنبي، واتجه تفكيره إلى إختيار مدينة في شبه الجزيرة الإيطالية حتى يسهل على مندوبيه الوصول إلى المجمع من ناحية، ولكي تتاح له عديد الفرص للاتصال السريع السهل بمندوبيه في المجمع من ناحية أخرى، وحتى تكون هناك حرية للمندوبين في المناقشة والتصويت على القرارات دون أن يخضعوا لمؤثرات خارجية من ناحية أخرى.

⁽¹⁾ عزت زكي: المصدر السابق، ص: 159.

⁽²⁾ -مجمع: م. ج. مجامع: وهي هيئات شورية في الكنيسة ويعتبر أول من سنّ عقد المجمع (في نظر الكنيسة النصرانية) هم تلاميذ المسيح عليه السلام في مجمع أورشليم 52م، وتنقسم المجمع إلى قسمين: مجامع مكانية ومجامع مسكونية (المجمع المسكوني الأول) مجمع نيقية 325م)، المجمع المسكوني الثاني (مجمع القسطنطينية الأول 381م)، المجمع المسكوني الثالث (أفس الأول عام 431م)، المجمع المسكوني الرابع (خلقدونية عام 451م). (سلطان عبد الحميد سلطان: المجمع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، ط1، مطبعة الأمانة، القاهرة، 1990م، ص: 80).

⁽³⁾ -عامر عبد زيد كاظم الوائلي: الإصلاح الديني قراءة المفهوم في التجربة المسيحية الغربية، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية العتية العباسية المقدسة، 2018م، 2018م، ص: 127).

وقد اختيرت مدينة مانتوا Montoue لتكون مقر اجتماعات المجمع، لكن ملك فرنسا اعترض على هذه المدينة، كما أن حاكم هذه المدينة وضع شروطاً نارية لاجتماع المجمع في مدينته كان على البابا صعب قبولها، فاختار مدينة فيساس Vicence، وهي مدينة إيطالية أخرى، حتى وقع إختياره أخيراً على مدينة ترانت Trente عام 1542م.

بالإضافة إلى أنّ الإيذاء الشديد بين الإمبراطور شارل الخامس والملك فرانسوا الأوّل قد أحرّ اجتماع المجمع، فلم يعقد جلسته الإفتتاحية إلاّ في 13 ديسمبر 1545م.

وانعقد المجمع تحت رعاية البابا والإمبراطور، ولم يحضر البابا جلسات المؤتمر على الرغم من تصريحاته المتكررة بعزمه على الإشتراك فيه شخصياً، وقد حضره نيابة عنه ثلاثة كرادلة رأسوا جلساته وكان يُطلق عليهم مندوبي البابا⁽¹⁾.

وكانت أغلبية الأعضاء من رجال الدّين الإيطاليين، اعتمد عليهم البابا في تأييد وجهات نظره، وحضره عدد من رجال الدّين الإسبان والفرنسيين، ولم يحضر في المجمع إلاّ أقلية من البروتستانت، ولم يشهد جميع الجلسات، ولم يقدم لهم المجمع أدنى اعتبار⁽²⁾. وقد حدثت عدة أزمات توقفت بسببها أعمال المجمع عدة مرات، مما جعل هذا المجمع من الجوامع الفريدة في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، فقد إستمر 18 عامًا، وعاصر خمسة باباوات تعاقبوا على كرسي الباباوية في هذه الفترة.

وكان المجمع يتكون من كتلتين، وهما الكتلة البابوية وقوامها مندوبي البابا ورجال الدّين الإيطاليين، والكتلة الإمبراطورية وتتكون من رجال الدّين الإسبان، وكانوا يمثلون إتجاهها سياسياً معيّناً أقرب إلى تأييد الإمبراطور شارل الخامس منهم إلى مناصرة البابا بولس الثالث، وكانوا متعصبين للمذهب الكاثوليكي، إلاّ أنهم كانوا ينظرون شذراً إلى البابوية خشية تدخلها في الشؤون الدّينية في إسبانيا.

وأيضاً كان من الأزمات التي واجهها المجمع حول جدول أعمال المجمع وترتيب المسائل التي يتضمنها هذا الجدول، وأيهما أحق بالأولوية في العرض والمناقشة والتصويت، وكانت هناك مسألة

(1) - عبد العزيز محمد الشناوي: المرجع السابق، ص: 407.

(2) - المرجع نفسه، ص: 408.

رئيسية تفرض نفسها فرضاً على المجمع، المسألة الخاصة بتحديد العقيدة الدينية، والمسألة الخاصة بإصلاح نظم الكنيسة، وكان مندوبي البابا يرون البدء بالمسألة الأولى، واعترض رجال الإمبراطور خشية أن يؤدي تحديد العقيدة إلى سد الطريق أمام أي صلح أو تقارب بين الكاثوليك والبروتستانت، وخضع المجمع لشتى أنواع التيارات المتضاربة.

وشعر البابا أنّ مناقشة المجمع لم تحقق مبتغاهما، فطلب من أعضاء الكتلة التي تناصره أن ينقل المجمع إلى مدينة أخرى، واتخذ هؤلاء من إنتشار وباء الحمى في مدينة ترانت في ربيع سنة 1547م ذريعة لنقل المجمع إلى مدينة بولونا Bolonge في إيطاليا، وهي أقرب إلى روما من المدينة السابقة، وانتقل إلى بولونيا أعضاء الكتلة البابوية، بينما ظل في مدينة ترانت أعضاء الكتلة الإمبراطورية.

وعقد المجمع جلساته في المدينة الجديدة، ولكنه لم يستطع أن ينجز عملاً ذا قيمة كبيرة، مما زاد من حدة الخلاف بين البابا والإمبراطور، وأراد البابا أن يخفف من غضب الإمبراطور فعرض عليه مدينة أخرى ليعقد فيها المجمع، وهي مدينة فرار Férare، لأنّ حاكمها يعتبر تابعاً للإمبراطور، لكنه رفض هذا العرض، وقدم الإمبراطور احتجاجاً شديداً على نقل المجمع من ترانت عام 1548م.

وفي عام 1549م أصدر البابا مرسوماً بإيقاف جلسات المجمع، وهذا بسبب أنّ الإمبراطور عرض على مجلس الداييت جسم الخلاف بين الكاثوليك والبروتستانت، وكان ينطوي هذا العرض على بعض التسهيلات إرضاءً للبروتستانت، إعتبرها الكاثوليك عملاً غير ودي نحوهم، وإعتبروا ذلك تعدياً على سلطة البابوية وتدخلاً من الإمبراطور في مسائل العقيدة الدينية. وحاول البابا نقل المجمع إلى روما، ولكنه لم ينجح في ذلك، وفي هذه الأزمة طلب أعضاء الكتلة البابوية أن يعفيهم من عضويتهم أو يسمح لهم بالمضي دون تدخل الأمور السياسية في المسائل الدينية.⁽¹⁾

ولم يمر شهر على صدور هذا المرسوم حتى توفي البابا بولس الثالث عام 1549م، واجتمع الكرادلة لانتخاب بابا جديد، وعلق شارل الخامس وهنري الثاني ملك فرنسا الجديد آمالهما على شخصية البابا الجديد.

(1) -عبد العزيز محمد الشناوي: المرجع السابق، ص: 408-410.

وفي 8 فيفري 1550م عُيّن الكاردينال الإيطالي " دي مونت Del Monte " ، واتّخذ لنفسه لقب "الجيل الثالث Jules 3"، وكان مسرفاً في ملذاته، متراخياً، مولعاً بالفنون الجميلة، وقد ارتدت في عهده البابوية إلى أرذل الصّور. وفي 1 ماي 1551م أصدر البابا مرسوماً بدعوة المجمع المسكوني إلى استئناف جلساته في ترانت، إلا أن ملك فرنسا احتج على إختيار مدينة ترانت بحجة أنها مدينة داخلية في نطاق الإمبراطورية الرومانية⁽¹⁾.

فهي لا تمثل الحياد، واقترح أمام المجلس الملكي في باريس تأسيس كنيسة مستقلة تماماً عن كنيسة روما، على غرار ما فعلته إنجلترا، وعلى الرغم من هذه العقبات فقد واصل المجمع المسكوني عقد جلساته بعض الوقت وبمحت موضوعات شتى، وفي أثناء المناقشات طلب المجمع استدعاء فقهاء البروتستانت لسماع آرائهم في بعض النقاط، إلا أنهم لم يلبوا دعوتهم، فأجّل الإجتماع لجلسة أخرى يوم 19 مارس 1552م.

وفي عام 1552م إلى غاية 1562م، مدة 10 سنوات، تعطل فيها بسبب الحرب التي اشتعلت بين شارل الخامس وهنري الثاني، وفي هذه الأثناء إرتد أمير سكسونيا حليف شارل الخامس عن هذا الأخير وانضم إلى صفوف البروتستانت، وتحالف مع هنري الثاني ملك فرنسا، وزحفوا نحو مدينة ترانت، فلما علم الإمبراطور هرب إلى شمال إيطاليا، وبسبب هذه الأوضاع السياسية توقف المجمع هذه المدة الطويلة.

وفي هذه الفترة حدثت تغييرات جديدة، فقد توفي البابا جيل الثالث عام 1555م، وعُيّن مكانه الكاردينال "سيرفيني" واتّخذ لنفسه إسم البابا مارسيل الثاني، إلا أن مدة إقامته على الكرسي لم تتجاوز 22 يوماً ثم توفي، وانتُخب مكانه الكاردينال "جان بيير كاران" الذي اتّخذ لنفسه إسم البابا بول الرابع، وكان من أنصار قضية الإصلاح الكاثوليكي، وظل على كرسي البابوية أربع سنوات، لم تُسجّل في عهده حركة الإصلاح الكاثوليكي أي تقدم، بل أصيبت بنكسة نتيجة تصرفاته وعقم سياسته، وتوفي عام 1559م، وخلفه البابا بأيس الرابع 4 Puis، وكان من أسرة ميديشي، وقد صادف هذا البابا نفس الصعوبات التي واجهها الباباوات السابقون في إختيار المدينة، وتم إختيار ترانت بالرغم من احتجاج فرنسا.

(1) -عبد العزيز محمد الشناوي: المرجع السابق، ص: 411-412.

ثم عاود المجمع المسكوني عقد جلساته عام 1562م، وحضره 112 من آباء الكنيسة، وأثيرت فيه مسائل كان بعضها ذا طابع تنظيمي يتناول طريقة عرض الاقتراحات، وأخرى ذات طابع فقهي⁽¹⁾.

وفي نوفمبر 1562م أثيرت مسألة كان لها أصداء بعيدة، المسألة الأولى خاصة بتعيين الأساقفة والنص على المصدر الذي يستمدون منه سلطاتهم. وقد إنقسمت الآراء، فبعضهم كان يرى أنهم يستمدون سلطاتهم من المسيح عليه السلام، والبعض الآخر كان يرى أن البابا هو مصدر سلطاتهم باعتباره نائب المسيح عليه السلام.

أما المسألة الأخرى فكانت العلاقة بين البابوية والمجامع المسكونية، ورأى فريق من الأعضاء أن سلطة البابا تعلو على سلطة المجمع المسكونية، وفريق آخر عارض هذا الرأي، ثم تأجل المجمع مرة أخرى، واستأنف الأعضاء اجتماعاتهم في 15 جويلية 1563م، ونشط نشاطاً ملحوظاً في دراسة المسائل الباقية، وأصدر فيها قرارات، وفي الجلسة الخامسة والعشرين أعلن الكاردينال مورون Morone، رئيس المجمع، وفي حضور 255 من الآباء، انتهاء أعمال المجمع وفض جلساته، وكانت آخر الكلمات الرسمية التي نُليت في الجلسة قبل إعلان فض جلسات المجمع قول رئيس المجمع:

(أيها الآباء المكرمون، أيها السادة ذوو السناء والبهاء، هل هي رغبتكم في أن تأكيداً يصدر من صاحب القداصة البابا المبارك لكلّ ما قرره هو المندوبون والرؤساء وصدر من أفواههم ونطقت به ألسنتهم)

وكان غرض رئيس المجمع أن يستصدر من الأعضاء قراراً بضرورة تصديق البابا على قرارات المجمع، ومؤدى هذا التصديق أن سلطة البابا تعلو على سلطة المجمع المسكونية⁽²⁾.

قرارات المجمع:

جمعت قرارات المجمع وصُنفت في مجموعة أُطلق عليها المصطلح اللاتيني *Derect tridentins* أي "مراسيم ترانت"⁽³⁾، وتنقسم قرارات المجمع إلى مجموعتين:

⁽¹⁾- عبد العزيز محمد الشناوي: المرجع السابق، ص: 416-418.

⁽²⁾- المرجع نفسه، ص: 418-419.

⁽³⁾- كريستوفر. ج.ر. هوفيتز: إتجاهات الفكر البروتستانت: الإنجيليات والكالفينية واللوثرية، محلية المحور، ص: 156.

مجموعة تتعلق بإصلاح نظام الكنيسة وقد أُطلق عليها "مراسيم الإصلاح"، ومجموعة تختص بتحديد العقيدة الكاثوليكية وأطلق عليها "القوانين الكنسية".

وتتعلق قرارات المجموعة الأولى بالبابا والكرادلة والأساقفة والقسيسين والرهبان وتنظيم حياتهم وتزويدهم بثقافات متخصصة، وأن سلطة البابا مستمدة من المسيح عليه السلام، والبابا هو السلطة العليا في الكنيسة الكاثوليكية. وقرر أيضا المجمع أن الحد الأدنى لسن الأسقف 30 عامًا، والقسيس 25 عامًا، وحرم زواج القسيسين، وأوجب على القسيسين والرهبان أن يتحللوا بالصلاح والتقوى، كما جعل للأساقفة الحق في مراقبة سلوك القسيسين وتوقيع العقوبات عليهم إذا ارتكبوا ما يخل بقوانين الكنيسة أو يتنافى مع الأدب العامة. وعلى الأساقفة أن يقيم كل منهم في مقر أسقفيته، وطبق هذا المبدأ على كافة رجال الدين على اختلاف درجاتهم، كما حُرِّم الجمع بين الأبرشيات في يد شخص واحد، وقرر استخدام اللغة اللاتينية في الصلاة، وإنشاء مدارس كانت بمثابة معاهد تدريب ديني يتلقى فيها رجال الدين ثقافة دينية واسعة ليكونوا على علم عميق بواجباتهم، رفعا لمستواهم العلمي والخلقي⁽¹⁾.

أما قرارات المجموعة الثانية فنصت على تحديد المذهب الكاثوليكي وتمييزه عن المذهب البروتستانتى تمييزًا تامًا، كما رفض المجمع عقيدة التبرير بالإيمان التي نادى بها لوثر، ومذهب القدرية الذي أخذ به كالفن، ورفض أيضا ما كان يدعو إليه إتباع لوثر وكالفن من حيث الإعتماد على الكتاب المقدس وحده في تفسير العقيدة وغيرها من مسائل الفقه الديني، وقرر أيضا أن العقائد تستند إلى الكتاب المقدس ثم إلى التقاليد الكنسية القديمة، وأن النسخة اللاتينية من الكتاب المقدس، والتي تعرف بإسم La vrilgate هي النسخة الوحيدة المعتمدة. كما ناقش المجمع مجموعة من المسائل العقدية الكاثوليكية⁽²⁾.

تقييم أعمال المجمع وقراراته:

خرجت البابوية منتصرة من مجمع ترانت المسكوني، فقد حدد هذا المجمع تعاليمها ووطد نظامها، وقضى على عدد من المساوى التي استشرت في مجمع الكنيسة الكاثوليكية، وأنهى المناقشات الفقهية

(1) - عبد العزيز محمد الشناوي: المرجع السابق، ص: 420.

(2) - أندرو ملر: المصدر السابق، ص580.

الدينية التي كانت تُثار، واستعداد الكاثوليك ثقتهم بأنفسهم، ودبت منذ ذلك الوقت روح من الحماس في أوساط الكاثوليك سواء رجال الدين أو العلمانيين، وأصرروا على كفاح البروتستانت بأي شكل من الأشكال⁽¹⁾.

وحرص المجمع على عدم الانتقاص من سلطات البابا واختصاصاته، فجاءت قرارات المجمع مؤكدة هذا المبدأ، وقد قضى المجمع على كل محاولة جمع بين الكاثوليك والبروتستانت، وأبدأ فصل فصلاً حاداً بين المذهبين.

واهتم البابا بتنفيذ قرارات مجمع ترانت، وإلا يدخل عليها المعارضون أي تعديل تحت ستار تفسيرها، فأصدر البابا بيوس الرابع مرسوماً هدّد فيه بإصدار قرار الحرمان البابوي ضدّ كل شخص تسوّل له نفسه القيام بأية محاولة، وقرر أن البابا وحده هو صاحب الحق في إصدار تفسيرات لمقررات المجمع.

وفي سنة 1564م أصدر هذا البابا مرسوماً آخر بتشكيل هيئة دينية قصر عضويتها على الكرادلة، وسماها "الجمعية المقدسة للكرادلة المفسرين لمجمع ترانت" **Sacra Congregatio Cardinalium Concilii Tridentini interp retum**

ومع مضي الوقت اكتسبت هذه الهيئة أهمية كبيرة في تاريخ الكنيسة، وأصدر البابا سكستوس الخامس مرسوماً مؤرخاً في 22 جانفي 1588م، تقرر بمقتضاه تحويل السلطة لهذه الهيئة في إصدار تفسيرات لمقررات المجمع، كما حولها الحق أيضاً في الفصل في المسائل التي يمكن أن تُثار، وأن تراقب تنفيذها في جميع أرجاء العالم الكاثوليكي، كما مضى قدماً في سياسة إنشاء جمعيات الكرادلة لدعم قبضة الكنيسة على كافة أرجاء العالم الكاثوليكي، حتى صار عدد الجمعيات خمس عشرة جمعية، وأصبحت جمعيات الكرادلة بمثابة وزارات ووزعت بينها الشؤون العديدة المتخصصة بالديوان البابوي.

وتدين الكنيسة الكاثوليكية بما حقته من انتصارات طوال العصور الوسطى إلى المنظمات الدينية التي كانت تظهر من وقت إلى آخر، وعُرفت بإسم المنظمات الديرية كالبندكتية⁽²⁾ والكلاونية، لذا عملت الكنيسة على تشجيع وتنظيم هذه المنظمات القديمة، كطائفة الفرنسيسكان التي بدأت في دير "مونت

⁽¹⁾ - عبد العزيز محمد الشناوي: المرجع السابق، ص: 420.

⁽²⁾ - البندكتية: نسبة إلى القديس بندكت (480-543م) وإليه ينسب تقدم النظام الديرية في المجتمع الأوروبي، ووضع قواعد والأسس التي تتلائم مع ظروف البيئة في أوروبا الغربية. (عبد العزيز محمد الشناوي: المرجع السابق، ص: 422).

فالكوني "Monte Falconi"، حيث عمل "ماتيو دي باسي" Matteo de Bassi على إحياء بعض التقاليد القديمة الصارمة التي كان قد وضعها القديس فرنسيس مؤسس هذه الطائفة، وعلى إتباعها الفرنسيسكان المصلحين، وتميّزوا بترك الشعر ينمو في ذقونهم ووضع غطاء على الرأس بطرف مدب متجه إلى الخلف، وإسمه "الكابوسان" Le Capuchon. وقد وافق البابا "كلمنت السابع" على التنظيم الجديد الذي أدخله أفراد هذه الطائفة من شأن أنفسهم ومنظمتهم وسماهم الكابوسان Les Capucins وقد نجحوا في مجالات الوعظ والإرشاد والعناية بالمرضى، وظفروا بشهرة واسعة، إلا أن رئيس الكابوشان هام بحب فتاة ثم تحول سنة 1542م إلى البروتستانتية ليتزوجها، وانتشروا في إيطاليا وألمانيا وسويسرا وفرنسا.

أما الكارمليت Les Carmelites، فهي هيئة دينية نسائية دخلها الإصلاح على يد القديسة تيريز دافيللا (1515م - 1582م)، وهي تنحدر من أسرة كبيرة في إسبانيا كانت تميل إلى نزعة دينية قوية مليئة بالزهد والتقشف، وقد وافق البابا بولس الرابع سنة 1562م على حركة الإصلاح التي قادتها هذه المنظمة، واتجه نشاطها إلى التعليم والمرضى⁽¹⁾.

الفرع الثالث: جمعية اليسوعيين (الجزويت)

كانت جمعية اليسوعيين أقوى هذه المنظمات أثرًا وأوسعها إنتشارًا، وهي جمعية دينية أسسها الإسباني إغناس لويولا (1491م - 1556م)، يصغر لوثر بعشر سنوات. كان جنديًا في جيش إسبانيا، وكانت في بداية إنشاء هذه الجمعية تهدف إلى أنتزاع بيت المقدس من أيدي المسلمين⁽²⁾.

واشترك في المعارك بين الإمبراطور وبين فرنسا، والأول ملك فرنسا، فأصيب بجراح خطيرة في ساقه، وخلفت له عاهة دائمة أقعدته عن الإستمرار في السلك العسكري، فرأى أن يتجه إتجاهها دينيًا، فعكف على مطالعة سير القديسين الأوائل، ومارس رياضة روحية، وحج إلى بيت المقدس، ثم عاد إلى إسبانيا، فدخل إحدى مدارس برشلونة لتعلم اللّغة اللاتينية، ثم رحل إلى باريس والتحق بجامعة⁽³⁾.

(1) - طارق عبد الحميد: المرجع السابق، ص: 76.

(2) - محمد فؤاد شكري، محمد أنيس: أوروبا في العصور الحديثة، ط1، مكتبة الأنجلو، 1957م، الجزء الأول، ص: 119.

(3) - عزت زكي: المصدر السابق، ص: 162.

وقضى فيها سبع سنوات، درس خلالها الفلسفة وعلم اللاهوت، وحصل على الدكتوراه عام 1534م. وأثناء إقامته في باريس استطاع أن يجمع حوله عددًا من زملائه الشبان طلاب الجامعة، يشاطرونه المشاعر الدينية الفياضة، واجتمعوا في كنيسة القديسة مريم في مونتمارتر Montmartre بباريس، وكونوا في 15 أوت 1534م شبه رابطة تعاهدوا فيها على خدمة الكنيسة الكاثوليكية وطاعة البابا، والنزوح إلى بيت المقدس، وتكريس حياتهم دينيًا وتنصير المسلمين في فلسطين، وراودتهم آمال في تحويل فلسطين إلى قاعدة مسيحية لنشر المذهب الكاثوليكي في ربوع الشرق الإسلامي.

وكان عددهم جميعًا سبعة أعضاء من جنسيات مختلفة، وفي عام 1537م شدّ رجالهم إلى بيت المقدس، ولكنهم لما بلغوا البندقية تعذر عليهم مواصلة السفر لأن الحرب كانت مشتتة بين الدولة العثمانية وجمهورية البندقية، فإتجهوا إلى روما. ولما بلغوا روما تعاهدوا على أن يلتزموا في حياتهم بثلاثة مبادئ، وهي الفقر والعفة والطاعة المطلقة للبابا، وتطلعوا إلى أنشاء منظمة دينية يكون هدفها الأساسي النضال من أجل المذهب الكاثوليكي بزعامة (إجنات ليولا)، وفي روما رُسموا قساوسة، ومضوا يباشرون الوعظ والإرشاد، وإستطاعوا جذب انتباه الجماهير إليهم⁽¹⁾.

وفي سنة 1529م قدم لويولا طلبًا إلى البابا بول الثالث للترخيص للجماعة التي يرأسها بإنشاء منظمة دينية تحمل إسم جمعية اليسوع، وقد قابل البابا هذا الطلب بشيء من الريبة والتردد، ثم أصدر في 27 ديسمبر 1540م مرسومًا باباويًا بتكوين الفرق العسكرية الكنسية، وعلى أساس هذا المرسوم تكونت جمعية اليسوع. واشترط البابا إلا يزيد عدد أعضائها عن 60 عضوًا، ولكن رُفع هذا القيد العددي بعد ثلاث سنوات، وقد أُطلق عليها منذ ذلك الوقت إسم "اليسوعيون."⁽²⁾

وكان أعضاء الجمعية رهن إشارة البابا، فأعقد عليهم باباوات القرن السادس عشر بالذات الكثير من الإمتيازات، فتم إعفاؤهم من الضرائب ومن الخضوع لولاية السلطات المدنية، والإعفاء من الخضوع للقضاء الديني، وأصبحوا لا يُحاكمون إلا أمام المحاكم الخاصة بطائفتهم، كما تقرر توقيع عقوبة الحرمان الباباوي بنوعيه الفردي والجماعي ضد أي فرد أو هيئة حاكمة تحاول المساس بإمتيازات الجزويت أو

(1) - عزت زكي: المصدر السابق، ص: 163-164.

(2) - بان دوبراتشينسكي: أوروبا و المسيحية، ت: كبرو لحدو، ط1، دار الحصاد للطباعة والنشر، دمشق، 2004م، الجزء الرابع: ص:

التعرض بسوء لأعضاء الجمعية أو ممتلكاتها. وقرر البابا جريجوار الثالث عشر عام 1575م أن تسري على الجمعية جميع الإمتيازات والحقوق المقررة للمنظمات الدينية والمؤسسات الديرية القديمة.⁽¹⁾

وتنوعت طرق الجزويت في محاربة البروتستانت، فكان بعضهم يشتغل بالسياسة لخدمة الباباوية، وكان أكبر ميدان أصابوا فيه نجاحًا هو التربية والتعليم، وهو رأي لويولا، لأن البروتستانت اعتمدوا في مهاجمة كنيسة روما على دعامين هما جهل رجال الدين الكاثوليك وفسادهم، فوضع خطة لمعالجة هذين الداءين بالتعليم السليم بين أعضاء الجزويت، ثم رأى أن يمد جهوده التعليمية خارج هذا النطاق لإعداد أجيال من الشباب الكاثوليك يجمعون بين الثقافة الدينية والدنيوية، بين العقيدة والسلوك، فكان طالب الجزويت يتخرج مزودًا بقدر كبير جدًا من الثقافة، لذلك كانت مدارس الجزويت من أنجح المدارس التي شهدتها أوروبا.

وما إن بدأ القرن الـ17 حتى كانت المعاهد العلمية على اختلاف درجاتها من المدارس إلى الجامعات في أوروبا الكاثوليكية في أيدي الجزويت، يقومون بالتدريس فيها ويوجهون طلابها الوجهة التي يتغونها، فغرسوا حب الكاثوليكية في نفوس طلابهم مع نمو أجسامهم وعقولهم، وسيطروا على عقول الأجيال الصاعدة في أوروبا، وكثر تحول المتعلمين إلى الكاثوليكية. ويرجع السبب أيضا في هذا التحول إلى أن البروتستانتية أصيبت بنكسة في فرنسا وألمانيا وبولندا، واهتز مركز البروتستانت في إنجلترا واسكتلندا، وانتشرت الفتن الداخلية في البلاد البروتستانتية، واستؤصلت البروتستانتية من إيطاليا وإسبانيا كليًا، فكان من أثر جهودهم أن اتسعت الكنيسة الكاثوليكية وتثبتت سيادتها في أوروبا، وانتشر المذهب الكاثوليكي في أنحاء العالم كأمريكا والشرق الأقصى.

فكان الكفاح ضد البروتستانت وصولًا إلى القضاء على حركتهم هو الهدف الأول لجماعة الجزويت، ففي سنة 1540م إتجهوا نحو وادي نهر الراين، وبدأ تغلغلهم السلمي لرد البروتستانت إلى حظيرة كنيسة روما، وشغلوا كراسي الأستاذية في جامعة إنجولا شتاد في إقليم بافاريا سنة 1549م، وكانت جمعية الجزويت تضم نخبة ممتازة من رجال اللاهوت والمؤرخين وكبار العلماء في شتى المعارف الإنسانية.

(1)-عبد العزيز محمد الشناوي: المرجع السابق، ص: 429.

وفي عام 1551م أعادوا تنظيم جامعة تافينا لتكون أقدر على خدمة أغراض الجمعية، كما أسسوا الكلية الجرمانية في مدينة روما لإعداد صفوة ممتازة من الجزويت يُديرون بعناية العمل في ألمانيا ضد البروتستانتية، كما أسسوا الكلية الرومانية، وتتابع نجاح الجزويت خلال 17 عامًا.

أما في فرنسا فلم يكن نجاح الجزويت أمرًا ميسورًا، لأنهم واجهوا فيها مراكز قوى مضادة لهم كالهوجونوت وأنصار الكنيسة الجاليدانية وجامعة السوربون التي طردتهم عام 1554م، ثم عادوا بعد 10 سنوات وأسسوا كلية مشهورة ومعروفة بإسم كلية كليرمونت، ولما اشتعلت في فرنسا الحروب الدينية عام 1562م، وانتهز برلمان باريس تدخل الجزويت في هذه الحروب، أصدر قرارًا سنة 1594م بإخراجهم من فرنسا. وعندما حدث تقارب بين البابوية وبين هنري الرابع ملك فرنسا، سُمح للجزويت بالعودة إلى فرنسا عام 1603م، كما كان نجاح الجزويت في البرتغال، وامتد نشاطهم إلى إنجلترا، وفي بولندا التي أصبحت في أواخر القرن الـ17 من أشد الاقاليم الأوروبية تمسكًا بالكاثوليكية⁽¹⁾.

فحركة الجزويت كانت أقوى ركيزة اعتمدت عليها الكنيسة الكاثوليكية في نضالها ضد البروتستانت، فاستردت الكنيسة شطرًا من رعاياها، كما اكتسبت أعدادًا أخرى من وراء البحار. ويقر بعض المؤرخين أنه إذا كان المجمع الترينيني قد وضع الخطوط الرئيسية لإصلاح كنيسة روما، فإن الجزويت هم الذين قاموا بتنفيذ هذه السياسة التي انبثقت عن مجمع ترنت، ولا يزال الكاثوليك ينظرون إلى البابا بول الثالث نظرة ملؤها التقدير، فهو الذي دعا إلى عقد مجمع ترنت، وهو الذي أصدر المرسوم الباباوي بإنشاء جمعية الجزويت⁽²⁾.

المطلب الرابع: الوسائل غير المشروعة للإصلاح المضاد

الفرع الأول: الفهرس (الكشاف) Catalogue Index

وكان من الأمور التي تركها مجلس ترنت عند انتهائه ليتصرف فيها البابا نفسه هو منع تدوّل الكتب التي تتعارض مع المذهب الكاثوليكي أو التي ترمي إلى تغيير القوانين الكنسية أو التشكيك فيها،

(1) - عبد العزيز محمد الشناوي: المرجع السابق، ص: 431-435.

(2) - جان بيرنجيه وآخرون: أوروبا منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر، ت: وجيه البعيني، ط1، منشورات عويدات، بيروت-باريس، 1995م، ص: 389.

وقد أُطلق عليها إسم الكتب المهترقة Livres Hérétiques، ومعناها الكتب التي تحمل بين طياتها كفرًا وزندقة. ولم يتخذ المجمع المسكوني قرارًا محددًا، إلا أنه أفصح عن رغبته في وضع كتالوج أو فهرس يضم إسماء جميع الكتب التي تحرم قراءتها على جميع الكاثوليك⁽¹⁾

فقد كان الباباوات من أواخر القرن الخامس عشر يفرضون العقوبات على المؤلفين وأصحاب دور الطباعة والنشر والمستثمرين والقراء الذين يتداولون الكتب المهترقة. وفي أثناء الفترة التي توقفت فيها جلسات مجمع ترنت وإمتدت عشر سنوات (1552م-1562م)، وضع البابا بول الرابع في عام 1559م أول الفهارس (الكتالوج)، وكان ضمن الكتب المحرمة في الفهرس كتب المصلحين مثل لوثر وزوينجلي وكالفن وغيرهم.

وقد نقض مجلس ترنت هذا الفهرس لقصوره ونقص محتوياته، وعلى ذلك فقد أعد فهرس جديد عام 1564م، ثم تكررت مراجعة هذا الفهرس عدة مرات حتى عام 1596م، وإستمر معمولًا بهذا الفهرس الأخير مع بعض الإضافات من وقت لآخر إلى نحو القرن الثامن عشر. وقد ظهرت آثار تحريم تداول الكتب على البلاد الكاثوليكية مثل إيطاليا وإسبانيا والبرتغال وبلجيكا، فأضرب على هذه البلاد ستار كثيف حال دون انتقال ثقافة وعلوم الشعوب البروتستانتية في شمال أوروبا إلى البلاد الكاثوليكية، مما أدى إلى وضع حواجز خطيرة أمام إنتشار العلم والمعرفة⁽²⁾.

أما أهمية الفهرس أو الكتالوج فترجع إلى أنّ محاكم التفتيش اعتمدت عليه في الضرب على أيدي البروتستانت سعيًا وراء استئصال شأفتهم⁽³⁾.

الفرع الثاني: محاكم التفتيش "L'inquisition"

كانت من الوسائل غير المشروعة التي لجأت إليها كنيسة روما في حركة الإصلاح الدّيني المضاد هي محاكم التفتيش⁽⁴⁾، كوسيلة فعالة وخولتها سلطات واسعة من أجل تعقب المخالفين للمذهب

(1)-عبد العزيز محمد الشناوي: المرجع السابق، ص: 439.

(2)-أشرف صالح محمد السيد: المرجع السابق، ص: 127.

(3)-عبد العزيز محمد الشناوي: المرجع السابق، ص: 440.

(4)-محاكم التفتيش: هي سلطة قضائية كنسية استثنائية أقامتها الكنيسة الكاثوليكية لقمع الهرطقة والردة والسحر، وتختلف صيغتها بمرور الزمن والمنطقة. أسسها البابا لوسيووس الثالث ثم إنوسنت الثالث، وأنشئت في أوائل القرن الثالث عشر ميلادي، بالتحديد عام

الكاثوليكي.

وقد نشطت محاكم التفتيش في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، واستخدمت بشكل عام لمحاكمة المهترقين بواسطة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وكان ذلك من خلال محاكمات أكليريكية أو المحاكم التي كانت تقيمها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لقمع أو مكافحة الهرطقة، وكانت مهمتها اكتشاف السحرة ومعاقبتهم، حيث قامت محاكم التفتيش بحرق تسع وخمسين امرأة في إسبانيا، وست وثلاثين في إيطاليا، وأربعة أشخاص في البرتغال، بينما قامت محكمة القضاء المدني الأوروبي بمحاكمة مائة ألف امرأة، وخمسين ألفاً منهم تم حرقهم، وخمسين وعشرين في ألمانيا خلال القرن السادس عشر إتباع (مارتن لوثر).

وكانت سلطة محاكم التفتيش على إتباع الكنيسة من المعمدين فقط، والذين كانوا يشكلون الغالبية من السكان، لكن كان ممكناً لغير المسيحيين أيضاً أن يُحاكموا بتهمة سب الدين، كاليهود والمسلمين. وكان استخدام وسائل التعذيب في حق من كان يُظن أنه من الهرطقة أمراً مألوفاً كأسلوبٍ شائع للعقاب، من قطع أوصال وحرق الناس أحياء، ووصلت الأعداد التي تم تعذيبها إلى ثلاثمائة ألف من البروتستانت، ومائة ألف بلغاري وفرنسي وأرثوذكسي⁽¹⁾.

وفي القرن السادس عشر أصبحت إسبانيا أكبر قوة كاثوليكية آنذاك، وكان توماس توركيمادا، وهو رجل دين منتسب للمسيحية، يرأس هيئة التفتيش للبحث عن هؤلاء الهرطقة، فيقوم بالقبض عليهم وتأديبهم وقتلهم إن لم يعودوا إلى كنف الكنيسة الكاثوليكية، وكان يُسمى بـ "المفتش العظيم"، وكان يُعدم واحداً على الأقل من كل عشرة أشخاص يمثلون أمام محكمته. كما كانت محاكم التفتيش وسيلة ملوك إسبانيا الصليبيين لتطهير إسبانيا من الهرطقة وجميع من يعتقد بغير الكاثوليكية.

أما محاكم التفتيش الرومانية فكانت نظاماً من المحاكم أنشأها الحبر الأعظم أثناء النصف الثاني من القرن السادس عشر، وكان مسؤولاً عن ملاحقة الأفراد المتهمين بأي جريمة من قائمة طويلة من الجرائم

1233م. (عائشة مبروك معمر: ممارسة محاكم التفتيش لإسبانية بعد سقوط غرناطة، مجلة أبحاث، العدد الخامس عشر، كلية الآداب، جامعة سرت 2020م).

⁽¹⁾ -جلال يحيى، أوروبا في العصور الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1981م، ص: 463.

المتعلقة بالهرطقة، ومنها السحر والشعوذة وعدم احترام المقدّسات، وللرقابة على المؤلفات المطبوعة. وقد غطت هذه المحاكم القسم الأكبر من شبه الجزيرة الإيطالية ومالطا والمناطق المعزولة من الولايات البابوية في أوروبا بما في ذلك أفينيون في فرنسا.

وقد نجحت محاكم التفتيش الرومانية في القضاء على البروتستانتية في إيطاليا من جهة، كما نجحت في إذكاء روح التعصب في الكنيسة، فكان الإصلاح الكاثوليكي إصلاحًا مستندًا إلى إستخدام وسائل العنف والقوة التعسفية لإرجاع الكنيسة إلى مكانتها، والقضاء على الذين يريدون الإصلاح الكاثوليكي على أساس التسامح والتساهل مع البروتستانتية من جهة، ثم القضاء على إتباع البروتستانتية من جهة أخرى⁽¹⁾.

فمحاكم التفتيش لم تكن بدعة استحدثتها البابوية في القرن السادس عشر في كفاحها ضد البروتستانت وغيرهم، بل هي نظام قديم استعانت به الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى للقضاء على الحركات الدينية التي خرجت عن كنيسة روما. وقد أصدر البابا بولس الثالث عام 1542م مرسومًا لإعادة إنشائها بناءً على أعمال المجمع المسكوني، وإعتبرها البابا بول الرابع أنجح وسيلة لاجتثاث المعارضين للكنيسة الكاثوليكية⁽²⁾.

ونجحت محاكم التفتيش في القضاء على المذاهب البروتستانتية في كلٍّ من إيطاليا وإسبانيا، ولكنها ساعدت على زيادة روح التعصب الديني، واستخدمت العنف والتعسف للمحافظة على المسيحيين داخل نطاق الكنيسة الكاثوليكية. ولم تكن الحركة البروتستانتية قد إنتشرت في إيطاليا ولا في إسبانيا، لذلك فإن نجاح محاكم التفتيش هناك كان نسبيًا.

أما في شمال وغرب أوروبا، فإن عمليات محاكم التفتيش ووسائلها قد دفعت بالبروتستانت إلى زيادة التمسك بموقفهم، ولذلك فإن هذه المحاكم قد فشلت في هذه المناطق، ولم تنجح في المحافظة على الكاثوليكية

هناك سوى بتطبيق قرارات مجمع ترنت وجهود اليسوعيين⁽³⁾.

(1)-أشرف صالح محمد السيد: المرجع السابق، ص: 128-129.

(2)-عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص: 443.

(3)-أشرف صالح محمد السيد: المرجع السابق، ص: 464.

الفرع الثالث: نتائج الإصلاح المضاد

من الملاحظات التي نُسجّلها على حركة الإصلاح المضاد أنّها لم تكن مجرد موقف دفاعي ضدّ البروتستانتية، بل كانت أيضا حركة إصلاح داخلية للكنيسة الكاثوليكية، ويظهر ذلك من خلال الجمعيات الدينية التي أُعيد تنظيمها.

إضافةً إلى أنّ انقسامات البروتستانت نتيجة اختلاف قادتها حول مسائل أساسية كإصلاح، وطبيعة العشاء الرباني، وغيرها من المسائل، قد خلقت حالة من التصدي الديني، مما أدّى إلى إضعاف جبهة الإصلاح في مواجهة الكنيسة الكاثوليكية. فقد فقدت الحركة اللوثرية جزءًا كبيرًا من إتباعها منذ مجمع ترنت، والكالفينية هي الأخرى قد انحصرت موجهتها في سويسرا وفرنسا، ولما توفي كالفن عام 1564م كانت الحدود الجغرافية التي وصل إليها مذهبه هي آخر ما بلغته، وكان على هذا المذهب أن يقف عندها ولا يتجاوزها.

وفي سويسرا كوّنّت المقاطعات الكاثوليكية السبع تحالفًا فيما بينها دفاعًا عن المذهب الكاثوليكي، وأُطلق على هذا التحالف إسم التحالف الذهبي أو التحالف البورومي نسبةً إلى القديس شارل بورمييه. أما في فرنسا فقد أخذت حركة الإصلاح الكاثوليكي شكلًا المخابرات والاجتماعات والمناظرات التي ينظمها الأساقفة لحثّ الكالفينيين على الرجوع إلى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية⁽¹⁾

فالإختلافات الفكرية البروتستانتية لم تكن مجرد سياقٍ محيطٍ بالإصلاح المضاد، بل كانت عنصرًا مؤثرًا في صياغته، إذ وفرت له مبررًا عقائديًا لتعزيز الهوية الكاثوليكية، وفرصةً عملية لاستعادة نفوذه داخل أوروبا وخارجها.

(1) - عبد العزيز محمد الشناوي: المرجع السابق، ص: 453.

الفصل الثالث:

أثر اختلاف الرؤى الفكرية الإصلاحية
على تطور الحركة البروتستانتية.

تمهيد:

شهد في مطلع القرن السادس عشر تحولاً جذرياً في المشهد الديني الأوروبي مع ظهور الحركة البروتستانتية، التي كانت رد فعل على الممارسات والتعاليم التقليدية للكنيسة الكاثوليكية، وتأثرت هذه الحركة بشكل كبير بزعمائها الذين لعبوا دور حاسماً في تشكيل عقائدها وممارساتها وتأثيراتها داخلياً وخارجياً.

لكن ما شهدته حركة الإصلاح الديني البروتستانتية أتمها لم تقف على إنشقاقها وخروجها عن الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية فقط بل تعدى الأمر إلى إنشقاقات وانقسامات وظهور تيارات متعددة في حركة الإصلاح نفسها، ولعله كان أعظم انقسام، وأكبر إنشقاق شهدته الكنيسة المسيحية، فانتشرت طوائف الكنيسة البروتستانتية بمسمياتها المختلفة كلها تدعو إلى تعاليم المسيح، مع وجود تباين في بعض أفكارهم ومعتقداتهم، وأهدافهم، إضافة إلى ما كان لهذه الفرقة من دور تاريخي كبير في التأثير الديني والإجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي. فما هي أبرز الطوائف البروتستانتية؟ ماهي أبرز عقائدها، ما مدى تأثيرها داخل الحركة وخارجها؟

المبحث الأول: من الناحية الدينية:

دعت حركة الإصلاح الديني البروتستانتية إلى حق النصارى في قراءة الكتاب المقدس وفهمه حسب معطيات عقولهم، والاقترار عليه في أخذ العقيدة، ورفض التقيد بالتقليد الكنسي الكاثوليكي، فقد فتحت البروتستانتية الباب أمام الكثيرين ليعيدوا النظر في الفهم الكنسي التقليدي الموروث للكتاب المقدس، ويراجعوا التراث التقليدي بأسره، الأمر الذي أدى إلى نشأة مجموعة من الأفكار والآراء والمذاهب الجديدة، وشكل أتباع هذه الرؤى التي نشأت على تربة بروتستانتية ما سمي بالفرق البروتستانتية ومن أشهرها:

المطلب الأول: الكنيسة التطهيرية أو البيروتانية "Puritanism".

الفرع الأول: معناها نشأتها.

لغة: تعني كلمة البيوريتان "Puritan"، نقي و طاهر أوصاف، من كلمة "بيورتي" "Purity" أو "Puritas" "تيوريتاس" في اللغة اللاتينية المتأخرة من القرون الوسطى⁽¹⁾.

جاءت لفظة "Quriton" باللغة الإنجليزية بعدة مرادفات:

-Puritanic: بمعنى متشدد - متمت.

-Strict: بمعنى صارم، دقيق، انضباط.

-Qroper: بمعنى صحيح، مناسب، مقبول، رسمي⁽²⁾.

اصطلاحا: تعني Puritanism

تطلق بشكل خاص على مجموعة من البروتستانت لهم معتقد كالفني ولهم نظام ديني صارم، ورؤية متممة في الدين والتمسك بالأخلاق، مع تأثر واضح بالأدب والفكر العبري، وقد اطلقت على الطائفة التي نادى بتطهير المذهب البروتستانتية في كنيسة إنجلترا 1564م من الكاثوليكية أو من مخالفة

⁽¹⁾ - قاموس أكسفورد الحديث (الإنجليزي-الإنجليزي-عربي). axfors dictionary, p1009.

استرجع يوم: 2025/6/1 <https://www.axfordictionaries.com>

⁽²⁾ - قاموس إنجليزي عربي word Referenc

استرجع يوم: 2025/6/1 <https://www.WordReference.com>

العهد الجديد، سواء في العبادة، أو العقيدة، أو السياسة⁽¹⁾، ودعت إلى تبسيط الطقوس والشعائر والزهد والتكشف في الحياة⁽²⁾.

وأطلق عليهم المصطلح لدعوتهم بتطهير الكنيسة والمجتمع⁽³⁾، ويقال أطلق عليهم من باب الإحتقار والإزدراء لتشددهم وغلوهم⁽⁴⁾، لأنهم تشددوا في المطالبة بتطهير كنيسة إنجلترا من كل ما لم يرد في الإنجيل، إضافة إلى تطهير أنفسهم وتنقيتها بطريقة مترمته صوفية، فأطلقت عليهم إزدراء الحالم⁽⁵⁾.

— وأطلقت أيضا هذه اللفظة Puritan على ممارسات ومبادئ أعضاء الجماعة الدينية والإنفصالية من البيوريتانية Congregationalist التي هاجرت إلى أمريكا عام 1620م لتأسيس ولاية يكون فيها لرجل الدين السلطة في الحياة الدينية والعامة⁽⁶⁾.

و أصبحت بعد ذلك تطلق بشكل عام على كل شخص يمارس أو يدعو إلى الدين والاخلاق بشكل متطرف وصارم⁽⁷⁾.

أما التعريفات العربية، فقد جاءت بعدة ألفاظ منها: "التطهيرية"، أو "الطهورية" أو "التزمتية" أو "التكشيفية" أو "البيوريتانية" أو "البيوريتانز".

— هي الحركة التي تقوم على القيم والمبادئ التي ظهرت في القرن السابع عشر، والتي كانت تحارب السلوكيات الشاذة وتتمسك بالنظام وحسن الخلق⁽⁸⁾.

⁽¹⁾— القاموس الحر: puritanism <https://www.thefreedictionary.com> استرجع يوم: 2025/6/1

⁽²⁾— قاموس المصادر: Puritanism. <https://dictionary.refernce.com> استرجع يوم: 2025/6/1

⁽³⁾—Doreen Rosman, From catholic to protesant Religion and the people in tudor and stuart england 1st Edition, 2003, London, p60

⁽⁴⁾—مجموعة مؤلفين: موسوعة الأديان المسيرة، ط3، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2005م، ص: 164.

⁽⁵⁾—طارق بن سليمان البهلال: الإتجاهات الدينية المعاصرة وجذورها في المجتمع البريطاني في العصر الحديث، مجلة الشمال للعلوم الإنسانية، المجلد (8)، العدد (2)، ج (4)، جامعة الحدود الشمالية، 2023، ص: 1100.

⁽⁶⁾—أحمد غالب محي: أثر العامل الديني في تشكيل النظام السياسي الأمريكي وتطوره، ص: 2.

⁽⁷⁾—قاموس مريم ويستمر <https://www.meriam-webster.com/dixtionary/Puritan> استرجع

يوم: 2025/6/1

⁽⁸⁾— موقع جامعة بيرزيت، معنى "التطهيرية" <https://ontology.birzeit.edu> استرجع يوم: 2025/6/1

نشأتها:

مع بداية الإصلاح الديني خلال القرن السادس عشر، ظهر في ثلاث مقاطعات من أوروبا (ألمانيا
سويسرا وفرنسا)، وكانت المقاطعة الأضعف في الإصلاح والأقل أمد هي إنجلترا.

يرجع أصول الإصلاح الديني في إنجلترا إلى السياسة، وتعود بصفة خاصة إلى عهد الملك هنري
السابع (1485-1509م)، كان هنري يرتب لكي يزوج ابنه آرثر 1486م من الأميرة الإسبانية
كاثرين من أراغون (1485-1536م) ابنة فريديناند الثاني ملك أراغون (1479-1516م)، تم
الزواج فعلا في 1501م، لكن لسوء الحظ توفي الزوج آرثر في 1502م وعمره لا يتجاوز خمسة عشر
عاما، وفي هذه الأثناء كان هنري السابع حريصا أشد الحرص على إبقاء العلاقات الودية مع إسبانيا،
ومن ثم سعى بعد الحصول على إذن خاص من البابا، لكي يخطب الأرملة الصغيرة كاثرين لابنه الثاني
الأمير هنري (1491م)، ثم توفي الملك هنري السابع، وخلفه ابنه الأمير هنري على العرش، وتزوج هنري
من كاثرين في نفس العام 1509م، وتمّ تتويجه تحت اسم الملك هنري الثامن بكنيسة وستمنستر.

في البداية كان الزواج سعيدا وأثمر عن ستة أطفال، ماتوا كلهم ماعدا واحدة (ماري) التي ولدت
عام 1516م، وبعد أن بلغت كاثرين الأربعين، بدت فرص الإنجاب ضعيفة لكي تنجب للملك الابن
الذكر ليكون وريثا للعرش الملكي، فتحوّلت أنظار هنري للبحث عن زوجة ثانية أكثر شبابا وحيوية،
فاستقرت أنظاره على وصيفة⁽¹⁾، من القصر تدعى "آن بولين" (1501م-1536م) وهكذا أصبحت
مشكلة هنري الثامن لإيجاد طريقة للتخلص من "كاثرين"، وكانت الكنيسة الكاثوليكية لا تجيز الطلاق
وبالتالي على هنري أن يفكر في حجة لإلغاء زواجه من (كاثرين) فكانت حجته بطلان العقد من
أصله، وبناءً على ذلك أرسل خطابا إلى البابا مفاده أنّ عدم إنجاب وريث ذكر كان بمثابة عقاب من
الله لزوج هنري من زوجة أخيه المتوفي، وهي حجة لها ما يؤيدّها في العهد القديم جاء في سفر اللاويين:
«وإذا أخذ رجل امرأة أخيه، فذلك نجاسة قد كشف عورة أخيه، يكونان عقيمين»⁽²⁾، وبناءً على ما
جاء في هذا السفر أراد الملك من البابا أن يلغي زواجه، لكنّ لسوء حظه كان البابا في ذلك الزمان

⁽¹⁾ - وصيفة: خادمة ترافق سيدة وتتقيد برفقتها وتجالسها وتؤانسها (معجم المعاني الجامع <https://www.almaany.com>)

استرجع يوم: 2025/9/11

⁽²⁾ - لاوين 20: 21.

إمبراطور الإمبراطورية الرومانية "تشارلز" الخامس الإسباني (1516-1556م)، الذي كان ابن أخت الملكة كاثرين، وما كان على البابا إلا أن رفض تطبيق هنري من كاثرين، وأنه ثمة فقرة في سفر التثنية متناقضة كما يبدو مع سفر اللاويين: «إذا سكن إخوة معا، ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصر امرأة الميت إلى خارج الرجل أجنبي، أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب أخي الزوج»⁽¹⁾.

وأرسل البابا الكاردينال "لورنيزو كامبيجيو" إلى إنجلترا للتحقيق في الأمر عام 1529م، لكن لم تتم اللجنة التي تشكلت لحلّ المعضلة إلى قرار فإستعان الملك هنري مع وزيره الأول رئيس الأساقفة بورك الكاردينال "توماس وولسي" (1473-1530م) في وضع خطة متطرفة لفصل الكنيستة في إنجلترا عن روما الكاثوليكية، وتنصيب الملك بصفته رأس الكنيستة الإنجليزية، عندئذ يستطيع هنري أن يهب لنفسه إلغاء زواجه الأول، وكان همّ هنري الثامن متمسك بالممارسات الكاثوليكية التقليدية مثل القدّاس، والاعتراف، والعزوبة، وتحوّل الخلاف إلى إنقسام أوسع وأعمق، وتمّ إلغاء زواج هنري الأول (1533م)، وفي عام 1534م تمّ الإقرار بعدم شرعية "ماري" ابنة "كاثرين"، وردّا على ذلك أصدر البابا مرسوماً بطرد هنري من العقيدة المسيحية واعتباره مرتدّا بسبب أفعاله⁽²⁾.

وبعد حكم إدوارد الخامس (1547-1553م)، جاءت فترة حكم الملكة ماري (1533-1558م)، حيث أعادت إنجلترا إلى الكاثوليكية الرومانية. وفي عهد الملكة اليزابيث الأولى 1558م رحبت بالبروتستانتية في كنيستة إنجلترا، إلا أنّها في عام 1564م طلبت من رئيس الأساقفة فرض الوحدة في الطقوس الدينية (طقس القربان المقدّس، لبس الرداء الكهنوتي⁽³⁾)، إلا أنّه كثير من اللاجئيين الذين فروا من إنجلترا في عهد "الملكة ماري" الكاثوليكية إثر اضطهادها لكثير من دعاة الإصلاح الديني العائدين

(1) - التثنية 25: 5.

(2) - عبد المجيد الشهاوي: بداية الإصلاح الديني في إنجلترا، موسوعة تاريخ العالم، بوابة الهدف الاخبارية 12/2021/12/20: 8 (مقال). استرجع يوم: 2024/6/17

(3) - الرداء الكهنوتي: هو زيّ خاص يرتديه رجال الدين المسيحي، وخاصة الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية، أثناء أداء الشعائر الدينية، تختلف هذه الملابس من طائفة إلى أخرى، ولكنها غالبا ما تشمل قميصا طويلا (الرداء)، ووشاحا، وسترة، وربطة عنق، وتاجا أو قلنسوة (نحاة عصام زكي: الوظائف الكهنوتية في إيونو خلال عصر الدولة الحديثة، مجلة بحوث الشرق الأوسط، مركز بحوث الشرق الأوسط، 2016، ص: 292).

إلى إنجلترا من ألمانيا وسويسرا والذين تأثروا بدعاة البروتستانت فرفضوا الملابس التي يلبسها أساقفة روما، ومع أنّ إيزابيث كانت ضدّ الكاثوليكيّة، إلّا أنّها صممت على الاحتفاظ بمظاهر تلك الطقوس، وَاخذت اجراءات صارمة لكل من يخالف ذلك من رتبته الكهنوتية، وعزله من الوعظ، فاشتعلت شرارة الصراع الدّيني، فقد كوّن هؤلاء جماعة مستقلة عن كنيسة إنجلترا التي إعتبروها بحاجة إلى تطهير من كل ما شابه الكاثوليكيّة⁽¹⁾.

وقام "توماس كارتريت" عام 1569م أستاذ اللاهوت في جامعة كامبردج، كان من أنشط الدعاة لهذه الحركة، حيث قام هو وثلاث مائة آخرون بخلع حللهم الكهنوتية في يوم واحد بين جدران الكلية، بعد أن ألقى محاضرة في الجامعة بيّن فيها أوجه التناقض بين الكنيسة القديمة والنظام الأسقفي في الكنيسة الإنجليكانية⁽²⁾، فتمّ فصله من هيئة التدريس بسبب آراءه المتناقضة، فهاجر إلى جنيف ونهل من أصول الكالفنية هناك وعند عودته إلى إنجلترا أسهم مع آخرين صياغة أفكار البيوريتانية، وفي عام 1573م تأسست أول أبرشية⁽³⁾ انجليزية على مبادئ البيوريتانية في "واندزورت" "wandsurirth" (جنوب إنجلترا)، ثمّ انتشرت في مقاطعات أخرى، كما ساعد على ذلك استحسان رجال الأعمال البيوريتانية لتجاوزها عن الربا، حتّى بعض المقربين من الملكة وجدوا فيها ملاذهم، إضافة إلى اعتناق العديد لفكرهم من طبقة النبلاء، ومشاركتهم في البرلمان، وسيطرتهم على الكليات، ومناصب الأستاذية في جامعتي "إكسفور" و"كامبردج".⁽⁴⁾

بدأت الملكة "إزابيث" تحسّ بأنّ الحركة البيوريتانية تهدد كل التسوية التي دبرتها لتهدئة الصراع الدّيني، ورأت أنّها تشكل خطرا على ملكيتها، فأصدرت قانونا ضدّ التطهريين عام 1593م، وأمرت بحبسهم والتنكيل بمثيري الفتنة، بإيقاف مطبوعاتهم، وإخراص ألسنتهم في الكنائس، ومنع اجتماعاتهم، وانتخاباتهم⁽⁵⁾.

(1) - ويل ديوارنت: المصدر السابق، مج7، ج1، ص: 32-33.

(2) - جون لوريمر: المصدر السابق، ص 305/4.

(3) - أبرشية: هي وحدة من مناطق البلاد تخضع لسلطة أسقف: (معجم المعاني الجامع لفظة أبرشية www.walmarny.com) استرجع يوم: 2025/6/1

(4) - إيرل كيرنر: المصدر السابق، ص: 388.

(5) - المصدر نفسه، ص: 389.

وقد أراد البيوريتان في بدء أمرهم القيام بإصلاح الكنيسة من الداخل، إلا أنّ فريقاً منهم رأى أنّ الطريق الوحيد للإصلاح هو الانفصال الرسمي عن الكنيسة، وقد سمّي هذا الفريق الانفصاليين، وقد أثمرت تعاليمهم عن تأسيس الكنيسة المستقلة (المنفصلة)، ومن أشهر زعماء هذا الفريق "روبرت براون 1550-1633م"⁽¹⁾. وهو أول لسان ناطق بإسم المستقلين 1581م، ومنه نتج نظام الكنيسة الإستقلالية أو الجماعية Congregationism⁽²⁾.

وقد تعرض البيوريتان للإضطهاد بكل قسوة من قبل الكنيسة الأنجليكانية مما اضطرّ أعداد كبيرة منهم إلى الهجرة إلى العالم الجديد، ولما تسلموا تصريحاً ملكياً أبحروا عام 1620م عبر المحيط الأطلنطي تحت قيادة وليم بروستر (1560-1644م)، وبعد معاناة شديدة تمركز هؤلاء في بلايموت مستعمرة خليج "ماساتشوسيت"⁽³⁾، وأطلق عليهم الآباء الحجاج، وكانوا ضمن المستعمرين الأوائل، وفي 1640م كان عشرون ألفاً من البيوريتان قد استعمروا المنطقة المعروفة الآن "نيوإنجلاند" وأسسوا الكنيسة الإستقلالية وعقبت الآباء الحجاج قوافل جديدة أنشأت عام 1629م مستعمرة خليج المسيسيبي⁽⁴⁾، وكان هؤلاء البيوريتان يمارسون ديانة متصلبة وصارمة لا تسمح بأي تقصير فردي، وينظرون إلى الهنود الحمر سكان البلاد الأصليين كشعب متوحش، ويمثلون في نظرهم عرقاً أدنى، وأنّ البيوريتان هم الذين اختارهم الله لكي تحميهم من الفساد، أمّا الهنود فهم جنس ملعون قادهم الشيطان لهذه الأرض، وهذا لتبرير السلب والنهب الذي قاموا به⁽⁵⁾.

وكان البيوريتان يعتبرون أنفسهم طبقة مكلفة بإنشاء صهيون⁽⁶⁾ الجديدة وإعطاء انجلترا مثالا لما يجب أن يكون عليه الإصلاح الحقيقي، وفي عام 1648 م وضع "بيان كمبريدج"، وضع أسس

(1) - جون لوريمر: المصدر السابق، ص 306/4.

(2) - المصدر نفسه، ص 306/4.

(3) - ماساتشوسيت: هي دولة في نيوانغلاند منطقة شمال شرق الولايات المتحدة، عاصمتها بوسطن، تقوم بما صناعة الأدوات الكهربائية والمنسوجات والأحذية وغيرها (الموسوعة العربية مج2، ص: 2693).

(4) - المسيسيبي: ولاية بجنوب الولايات المتحدة الامريكية، عاصمتها جاكسون، تقوم فيها زراعة القطن والحبوب (الموسوعة العربية، ص 1871).

(5) - صبحي حموي السيوعي: المصدر السابق، ص: 284.

(6) - صهيون: اسم عبري يشير في الكتاب المقدس إلى تلال القدس، ويعني "الحصن" او "العالمة"، كما يستخدم للإشارة إلى مدينة القدس بأكملها (الموسوعة العربية، مج4، ص: 2113).

الكنيسة الجديدة، وكانت من أكبر اهتماماتهم تكوين القساوسة عن طريق إنشاء كلية مخصصة، عام 1636م وسميت "هارفرد".

وأقام "البيوريتان" في العالم الجديد رقابة مشددة على حياة المستعمرين، محرّمين عليهم كل أنواع النشاط في يوم الأحد، فارضين لباسا أسود، وكانت المحاكم المدنية تعاقب بكل قسوة كل مخالفة، وحرصوا جدًّا على صحّة المعتقد الديني يقول ديوارنت: «كان في البيوريتانيين شيع كثيرة إلى حد يصعب معه جمعهم في تعميم واحد ينطبق عليهم جميعا، وتمسك معظمهم بكالفنية صارمة، وبحريّة سياسية فردية، وبحق جمهور كل كنيسة في إدارة شؤونها دون إشراف الأساقفة، وعبادة غير موسومة بالمراسم والشعائر متسمة بالمساواة وتخلو عن الفن الديني الذي يلهي المصلين ويشتت أفكارهم، واتفقوا مع المشيخيين في اللاهوت، ولكنهم رفضوا مجامعهم الكنسية لأنّها تنزع إلى ممارسة سلطة الأساقفة، وأصروا على تفسير حرفي للكتب المقدّسة، وإستنكروا القول بحكم العقل على الحق الموحى، وكانوا يجلّون العهد الجديد، والعهد القديم بقدر سواء، وطبقوا على أنفسهم الفكرة اليهودية "شعب الله المختار"، وعمّدوا أطفالهم بأسماء بطارقة العهد القديم وأبطاله، وفكّروا في الرب على أساس يهوه الصارم القاسي، وأضافوا إلى ذلك الكالفينية بأنّ معظمهم أبناء العقاب الإلهي قضت عليهم الإرادة المتحكمة من لدن إله لا يرحم بالخلود في الجحيم، وعزّوا خلاص القلة المختارة لا إلى صالح الاعمال بل إلى نعمة إلهية ينعم الله على من يشاء متى يشاء»⁽¹⁾.

الفرع الثاني: معتقداتها

من أبرز معتقدات البيوريتانية كما ذكرها ويل ديوارنت في قوله السابق، نلخصها في النقاط

التالية:

1/- القول بالجبر وعدم اختيار العبد أو مشيئته وهم بذلك يعتقدون فكرة كالفن، إلّا أنّهم لا يقبلون فكرة أنّ الرب يُحبّ المطيع ويكره العاصي وتصفه بخطأ الكالفينية، إلّا أنّ هذا المفهوم يتعارض مع فكرة العدالة الإلهية وحرية الإرادة البشرية.

⁽¹⁾—ويل ديوارنت: المصدر السابق، ص: 286/285.

2/- أتهمّ شعب الله المختار، فالعزلة التي واجهت البيوريتان في العالم الجديد، وقسوة الحياة التي واجهتهم، جعلهم يشعرون بأتهمّ مختارون عن بقية البشر، الذين أمرهم الرب بالبحث عن بيت مقدس جديد، وهي المدينة الربانية الجديدة⁽¹⁾.

3/- يركزون على مبدأ أخلاق العمل البروتستانتية بمعنى أنّ العامل يعطي ولاءه لأداء وظيفته، وتجب أن يكون أميناً وعادلاً محسناً مع من حوله.

4/- قداسة الكتاب المقدّس، والأولوية فيه للعهد القديم.

5/- تأثرهم بالأدب العبري، وقرهم من اليهود لاسترضائهم ولا يزالون ركيزة في قيام الحركة الصهيونية.

6/- ملك المسيح فهو وعد بأنّ هذه المملكة ستستمر حتى يصبح الأعداء كلهم تحت سلطانه⁽²⁾.

وجاء في مقالات الايمان الخاصة بالكنيسة الطهورية السياسية الإنجليزية في أمريكا على موقعهم
أتهمّ:

1/- يؤمنون بأنّ نسخة الملك جيمس من الكتاب المقدّس، المبنية على النص اللاهوتي المضمّن في العهد القديم، والنصوص المستقاة من العهد الجديد هي نسخة موثوقة وكافية لكلمة الرب، وأنها قد أسست على مبادئ أصلية.

2/- يؤمنون بأنّ الناس جميعاً مخطئين وغير قادرين على تخلص أنفسهم من هذه الظروف، لأنّه محكوم عليهم بالموت والخطأ والإثم، وأنّ فهمهم قاصر، وأنّ عواطفهم نحو الرب متحجرة، وأتهمّ في حاجة للخلاص من الذنوب والآثام، وعليه فإنّهم يرفضون فكرة أنّ الله يمكن أن يخلص الجميع، حتى من لا يستحق الخلاص.

3/- يؤمنون بأنّ العقيدة الثالوثية هي التي تساعد على تطبيق فكرة الخلاص، وأنّ الرب هو الذي يتحكم في الحياة الآخرة، وأنّ الرب هو وحدة القادر على التخليص، ومن ناحية أخرى يؤمنون بقدرة الناس على التواصل مع الارتباط بالربّ.

⁽¹⁾-Doreem Rosman: from catholic to Protestant, p61.

⁽²⁾- مجموعة من المؤلفين: موسوعة الأديان، ص: 164.

4/- يؤمنون بأنه عندما تخلص المرء فإنه يضاف إلى سجل الكنيسة، ويجب عليه أن يشارك في الصلوات وفي العبادات الكنسية، ويجب عليه تعلم الإيمان والنصوص والصلوة.

5/- يؤمنون بأنّ إشارات كنيسة المسيح الحقيقية ترد على كل كنيسة يعبد فيها الربّ حقيقة، ويجري فيها التعميد، ويمارس فيها العشاء الربّاني.

6/- يؤمنون بأنّ الخلاص الذي إشتهر المسيح بدمه ينطبق أيضا على الروح القدس، الذي حملها بدوره من الرب، بعد أن أنهى المسيح عمله لأجل خلاص الناس وأنّ الروح القدس تعمل على ترقية شعور الناس بالحياة الروحية الممتعة.

7/- يؤمنون بأنّ الكنيسة يجب أن تبقى مستقلة عن كافة السلوكيات التي تنطوي على التراجع والارتداد عن الإيمان.

8/- التأكيد على دراسة كتابهم المقدّس بشكل خاص، والتأكيد على أهمية الوعظ.

9/ التأكيد على كهنوت جميع المؤمنين والبساطة في العبادة واستبعاد لباس الكهنة، الصور والشموع⁽¹⁾.

10/- عدم الاحتفال بالعطل التقليدية التي كانوا يعتقدون أنّها مخالفة لمبدأ العبادة المنظم، ويعتقدون أنّ يوم السبت هو إلزامي للنصارى بالرغم من أنّهم يعتقدون من تحول السبت إلى الأحد.

11/- بعض الأفراد وافقوا على التنظيم الهرمي لسلطة الكنيسة، أمّا الآخرون حاولوا أن يصلحوا الكنائس الأسقفية، بموجب نظام المشيخية، كما أنّ بعض المتزمّتين الإنفصاليين كانوا مشيخيين، ولكنّ معظمهم كانوا من طائفة الجماعة التي لا يحكمها أحد.

12/- عدم تقبلهم لكثير من الطوائف، ولا يريدون لأولادهم أن يفتحوا على أي عقائد أو طوائف أخرى.

13/- منع النساء من الخطبة في الكنيسة حتى عام 1636م.

14/- تحريم وسائل الترفيه، كالألعاب اليانصيب، الرقص والمسرحيات، آلات الموسيقى والغناء.

15/- اعتقادهم أنّهم مختارين من الرب لتلقين النعمة الإلهية.

(1)- إنعام بنت محمد عقيل: المرجع السابق، ص: 206-208.

16/- معارضة سلطة الدولة على الكنيسة، وفي اعتقادهم أنّ أعضاء الكنيسة الذين حصلوا على العضوية الكاملة هم الذين يقومون بإنتخاب الحكومة وهي تخضع لرقابتهم⁽¹⁾.

17/- ممارسة السحر، وقد ازداد إنتشار في أوروبا⁽²⁾.

ومجملاً من خلال ما تقدم نستنج أنّ البيوريتانيين تميزوا بالتعصّب الديني، والامتثال الشديد لمعتقداتهم إيماناً منهم بأنهم شعب الله المختار، وهم أصحاب رسالة⁽³⁾، لهم سلوكات أخلاقية واجتماعية خاصة بهم، كما أنّهم يرفضون فكرة التسامح الديني، وتنوع الأديان بالرغم من تشجيعهم للعلم والتعلّم.

ولعل سبب هذا التشدد في المعتقد يرجع إلى خلل في مصادرهم التي يتبعونها، ومن ذلك ما جاء عن الكاتب "بيرتون" في مقال بعنوان "البيوريتانية والكالفية" بعض شروط البيوريتانيين، والتي لا يمكن تطبيقها لوجود خلل في المصدر منها:

1/- أن يلتزم على أنّه كلمة الرب، وأنّه المصدر في تفسير الايمان والأخلاق والعبادة فكيف يمكن الإلتزام به، وهو مصدر لا يعطي إجابة واضحة ثابتة في مسائل الدين والأخلاق والعبادة.

2/- الإلتزام بإصلاح العقيدة النصرانية، كيف وهناك تباين واضح في تفسير هذه العقائد (العقيدة النصرانية والعقيدة البيوريتانية بطوائفها فمنها من يميل إلى اللاهوتية، والبعض يميل إلى التقوى، والبعض يميل إلى الإنابة).

3/- أنّ العناصر الشائعة التي يركز عليها تغيير الحياة الكنسية في سلك الكهنوتية وأساليب العبادة، والتباين في وجهات النظر بين الكنائس يعني تبايناً في أساليب العبادة والتنظيم عمومًا، بل حتّى في العقيدة الأساسية كعقيدة التثليث، حيث خرج معارضون لمذهب الثالوث منهم فوج من الإيطاليين

⁽¹⁾ -إنعام بنت محمد عقيل: المرجع السابق، ص: 208-210.

⁽²⁾ -Henry Willian elson: Puritan laus and character, 1904.

⁽³⁾ - مايكل كوريت، جوليا ميتشل كوريت: الدين والسياسة في الولايات المتحدة، ت: عصام فايز وآخرون، ط3، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2006م، ص: 44.

في الحركة نفسها، وكان يطلق عليهم اسم "السوسيانين"⁽¹⁾، نسبة إلى قائدهم "فاوسنس سوسينس"، منادية بإصلاح العقيدة، وتمّ منحهم حقّ اللجوء السياسي من قبل ملكة بولندا الإيطالية "بوناسفورزا"، وعلى الرغم من ازدهار الحركة إلا أنّها تبددت من قبل القوى المعارضة⁽²⁾.
فالبريتانية تميزت بتفرعاتها ومبادئها الخاصة بها.

الفرع الثالث: أهدافها ومخططاتها:

ظهرت الحركة البريتانية كردة فعل على إصلاح الكنيسة في إنجلترا وتطهيرها من كل البدع الكاثوليكية، كلبس الرداء الكهنوتي وطقوس العشاء الرباني وغيرها، فكان لها مجموعة من الأهداف والمخططات أرادت تطبيقها ومنها:

1- /تؤكد حركة البريتانية على ضرورة التركيز على تقوية العلاقة بين الربّ والعبد، فهم يقضون ساعات طويلة في الصلاة وقراءة التوراة⁽³⁾.

2- /التفاني في الأنشطة الدينية كإنشاء الإرساليات النصرانية والتجمعات⁽⁴⁾.

3- /الدعوة إلى الوعد الأكبر وهي عودة المسيح الثانية إلى الأرض وحكمه للعالم الذي سيضعه هو، وتستمر هذه المملكة حتى يصبح كل الأعداء تحت سيطرته فلا بد من تطهير القلوب والبحث عن الإلهام الروحي المفقود⁽⁵⁾.

4- /تنفيذ عهدهم مع الربّ بعد أمنّ لهم الذهاب إلى العالم الجديد، وتأسيس مجتمعاتهم وفق القوانين الإلهية⁽⁶⁾.

(1) - السوسيانين: حركة دينية ظهرت القرن السادس عشر في أوروبا، تتضمن أفكارًا عن التفسير العقلاني للكتاب المقدس وتبتعد عن العقائد التقليدية المتعلقة بالثالوث وعقيدة الغداء (Goong.com-New/Generation Dictionary). استرجع

يوم: 2025/4/11

(2) - إنعام بنت محمد: المرجع السابق، ص: 215/214.

(3) -Doreen Rosman: From catholic to protestant, p60.

(4) -Ibid , p62.

(5) -Erroll hules: the Example of English puritanism, 1996.

(6) - مايكل وجلوليا كوريت: المصدر السابق، ص: 41-42.

ونستنتج مما سبق أنّ الحركة البيوريتانية كانت تسعى إلى إزالة الممارسات الكاثوليكية المتبقية في الكنيسة الإنجليزية وتبني ممارسات دينية أكثر صرامة وتوافقاً مع الكتاب المقدس، مع نشر تعاليم الإنجيل وتعزيز الإيمان البروتستانت في إنجلترا وأمريكا الشمالية مع إقامة مجتمعات صارمة تعيش وفقاً لقيمهم الدينية.

الفرع الرابع: أنشطتها:

تميّز البيوريتانيون سعيهم للتعليم، وتكوين القساوسة حتى يستطيعوا قراءة الإنجيل بلغته الأولى الأصلية الإغريقية أو العبرية أو الآرامية، بالإضافة إلى لغة الكنيسة وتقاليدها التي عادة تكتب باللاتينية، كما أنّ معظم شعائهم خضعت لدراسات صارمة في جامعة إكسفورد أو جامعة كامبردج عام 1570م، وكان تعليم العقائد الطهورية على يد معلمين طهوريين من مؤسسي هذه الحركة مثل: توماس كارترايت، والتر ترانس ووليام بركينس⁽¹⁾.

وفي كامبردج في الولايات المتحدة كانت هناك ثلاث كليات لاهوتية كبرى، هي كلية "سانت جون" وكلية الثالوث وكلية المسيح وفي كل عدد منها عدد من الطهوريين⁽²⁾، وبعد ست سنوات بعد الهجرة الكبيرة قام قادة المستعمرة بتأسيس جامعة هارفرد في الولايات المتحدة وهي موجودة إلى الآن⁽³⁾.

وفي ثمانينات القرن السابع عشر قامت جميع المستعمرات في العالم الجديد، بسنّ قانون تعليم الأطفال القراءة والكتابة، كما نشروا أفكارهم عن طريق توزيع المنشورات، وعن طريق الوعظ، لأنّ الناس وقتها كانوا يحبّون التعلّم عن طريق سماع المواعظ، حتى أصبح الوعظ نوعاً من المحاضرات الشعبية، والتي تحولت فيما بعد إلى مناصب للبيع والمتاجرة⁽⁴⁾.

(1) - إنعام بنت محمد عقيل: المرجع السابق، ص: 218.

(2) - Qeter Toon: Puriton and calinism, Peiner publications, u k, 1973.

(3) - إنعام بنت محمد عقيل: المرجع نفسه، ص: 218.

(4) - سعد رستم: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ط2، الأوائل للنشر، دمشق، سورية، 2005م، ص:

المطلب الثاني: الكنيسة المعمدانية "Baptism".

الفرع الأول: تعريفها، نشأتها.

لغة:

-Since all Christian churches perform the rite of baptisme, baptism plays a significant role in the life of the church, four basic vrieus are maintained by different groups of christians the first group maintains that sabration cones throught baptism, the second group vrieuos Iraptism as a sign of the covenant that god made with Abraham, the third group takes the position that baptism is a token of sabvation, the fourth group asserts that baptism is the point at.⁽¹⁾

بما أنّ جميع الكنائس المسيحية تمارس طقس المعمودية، فإنّ المعمودية تلعب دورًا هامًا في الحياة الكنسية وتؤمن مجموعات مسيحية مختلفة بأربعة آراء أساسية، ترى المجموعة الأولى أنّ الخلاص يأتي بالمعمودية، وترى المجموعة الثانية أنّ المعمودية علامة على العهد الذي قطعه الله مع إبراهيم، وترى المجموعة الثالثة أنّ المعمودية رمزا للخلاص، وتؤكد المجموعة الرابعة أنّ المعمودية هي نقطة الخلاص.

-Baptism Is a basic command of the lord jésus for all his follouvers, hé said to baptize them »in the Name of the father and the son and the Holy spirt (Matt heo 28: 19)believersare to be baptized when they are soved the first christians were taught this and faithfully obeyed (Acts 2M38,41, 8M12, 36-39, 9M18 ; 10M47, 16M15 ,33, 18: 8,22: 16)it was their first step of obedience Neuo believers, then and nouo, often expose themselues to petrsecution by this public declarltion of their loyo lty to christ-they hare become chrisyions end sre wrilling to take this step of public identification in response to the command of the one they confess as lord and sarvior⁽²⁾.

المعمودية أمر أساسي من السيد يسوع لجميع أتباعه، قال لهم "عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (متى 19: 28)، "تعمد المؤمنون عندما تخلصون أولاً للمسيحيين تعلموا هذا وامثلوا له بإخلاص" (اعمال الرّسل 2=38، 41، 8: 12، 9: 18، 10: 47، 16: 15، 8: 18، 22: 16) كانت خطواتهم الأولى من الطاعة، وكثيرا ما يعرض المؤمنون الجدد آنذاك والآن، أنفسهم

⁽¹⁾–Millard.Jrd.J.Ericleson: christian theolog, Baker Academic, 2013, p1180.

⁽²⁾–SA Ignatius of loyola-cincinnati <https://sainti.org>.

للإضطهاد بإعلانهم علنا ولائهم للمسيح، لقد أصبحوا مسيحيين وهم على استعداد لاتخاذ هذه الخطوة المتمثلة في التماهي العلني مع المسيح استجابة لأمر من يعترفون به ربًا ومخلصًا.

-The word baptism comes from the Greek word baptizo which means to immerse or dip to baptize something, then means to completely submerge it in a liquid, in a biblical sense, to baptize a person in water means to put that person completely under the water, then immediately raise him or her up again, According to the Bible, water baptism is a symbolic act whereby a new Christian identifies with Christ's death, burial, and resurrection, water baptism is a public profession of a person's repentance and faith in Jesus Christ and a way of giving outward testimony to an inward work of God.⁽¹⁾

كلمة المعمودية تأتي من الكلمة اليونانية "Baptizo"، والتي تعني الغمر، أو الغطس، وتعني المعمودية شيء ما غمره بالكامل في سائل، أما في الكتاب المقدس، فإن المعمودية شخص ما في الماء تعني وضعه تحت الماء تمامًا، ثم إعادته إلى الحياة على الفوز، ووفقًا للكتاب المقدس، فإن المعمودية الماء هي فعل رمزي يتماهى من خلال المسيحي الجديد مع موت المسيح ودفنه وقيامته وهي إعلان علني عن توبة الشخص وإيمانه بيسوع المسيح، وطريقة لتقديم شهادة خارجية لعمل الله الداخلي.

إصطلاحاً:

أطلق مصطلح "المعمدانية" على إحدى الطوائف البروتستانتية، وهي طائفة تعتبر عماد الأطفال عدم الجدوى وبدون أساسا كتابي⁽²⁾، وأطلق رسميا عليه عام 1569م⁽³⁾.

أو أنه طقس نصراني أو سر مقدس يؤدي بواسطة الماء ويطبق حسب عقيدتهم باسم الأب والإبن والروح القدس، وبه يكون الشخص قد اقترن بالكنيسة النصرانية، واندمج أو إتحد مع حياة وتعاليم المسيح⁽⁴⁾، والتعميد في المسيحية يختلف شكله وصيغته:

(1)–the sacrament of baptism: Aguide for parents, p2.

(2)–John.t christion: Ahistory of the Baptists, 1922, p 205.

(3)–Ibid, 1922, p 205.

(4)–definition/baptism.https://www.websters-online-dictionary-org

1-/- التعميد بالماء:

هو طقس الغسل بالماء رمزا للنقاوة، والانخراط في سلك طائفة ما، وقد عرف اليهود هذه العادة واستعملوها كما جاء في العهد القديم: «وإذا حدث من رجل اضطجاع زرع يرحض كلّ جسده بماء»⁽¹⁾، وأيضا: «والذي أحرقها يغسل ثيابه بماء ويرحض جسده بماء ويكون نجسا إلى السماء»⁽²⁾.

ولما جاء يسوع تبنى هذا الطقس وجعله فريضة في الكنيسة المسيحية فجاءه في العهد الجديد: (فأذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم بإسم الأب والابن والروح القدس)⁽³⁾، وأيضا: (من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدن)⁽⁴⁾، إذ جعل التعميد بالماء باسم الثالوث الأقدس علامة على التطهير من الخطيئة والنجاسة وعلى الانتساب رسميا إلى كنيسة المسيح أي المعمودية في العهد الجديد تشبه الختان في العهد القديم، وعند الكاثوليك يكتفون برشّ الماء على الوجه لأنّ المقصود من وضع الماء هو الإشارة إلى غسل الروح القدس، فكمية الماء غير مهمة عندهم، أما الأرثوذكس فلا يصح التعميد عندهم إلا يتغطس الإنسان كاملا ثلاث مرات⁽⁵⁾.

2-/- التعميد بالروح القدس:

وترجع عبارة المعمودية الروح القدس إلى ما جاء في الأناجيل الأربعة عن قول يوحنا المعمدان: «أنا عمّدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي من بعدي هو أقوى مني، هو سيعمّدكم بالروح القدس ونار»⁽⁶⁾، وجاء أيضا: «أنا عمّدكم بالماء، وأما هو فسيعمّدكم بالروح القدس»⁽⁷⁾، وجاء: «أجاب يوحنا الجميع قائلا: أنا عمّدكم بماء ولكن من هو أقوى مني الذي لست أهلا أن أحلّ سيور حذائه هو سيعمّدكم بالروح القدس ونار»⁽⁸⁾، وأيضا: «وأنا لم أكن اعرفه، لكن الذي أرسلني لأعمّد بالماء ذاك قال لي: الذي

(1) - لاوين 15: 16.

(2) - العدد 19: 8.

(3) - متى 28: 19.

(4) - مر 16: 16.

(5) - قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية استرجع يوم: 5/ 2025/6/ <https://st.takla.org>

(6) - متى 3: 11.

(7) - مر 1: 8.

(8) - لو 3: 16.

ترى الروح نازلاً، ومستقراً عليه، فهذا الذي يعمد بالروح القدس»⁽¹⁾، ومعمودية الروح القدس هي رمز لإنسكاب الروح القدس على الرّسل والمؤمنين.

3/- التعميد بالنار: وهي الدنيوية التي ستقع على غير المؤمنين في الأخير جاء في العهد الجديد: "وظهرت لهم السنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم وامتلاً الجميع من الروح القدس، وابتدأ ويتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا"⁽²⁾.

4/- التعميد بالدم: وهو يكون بالاستشهاد في سبيل المسيح، حتى وإن لم يكن المستشهد معمداً بالماء والدم الذي يسفكه في سبيل المسيح هو كعلامة سرّية لدم المسيح الذي ينال فيه الحياة الإلاهية⁽³⁾.

5/- التعميد بالرغبة أو الإرادة: وهذا تصنيفه الموسوعة الكاثوليكية، ويعني الندم العميق في القلب، ومحبة لقاء الله وعمل الإحسان العظيم⁽⁴⁾.

بعض الكنائس الرسولية تعمد باسم المسيح فقط باعتبار أنّ العديد من المصادر التاريخية تشير إلى أنّ الكنائس الأولى تعمد فقط باسم المسيح ثم تطور الأمر إلى إحداث التعميد الثلاثي (باسم الأب والابن والروح القدس) في القرن الثاني ميلادي⁽⁵⁾.

-التعريف بالطائفة المعمدانية:

طائفة نصرانية بروتستانتية، تعتبر واحدة من الحركات المتطرفة من وجهة نظر الطوائف البروتستانتية، وتتمسك بتعميد المؤمنين فقط بطريقة الغمس الكامل.

وتعتبر المعمدانية فرعاً من مجموعة الكنائس الحرة (الطوائف الكنيستية)، والتي تجمعها، أنّها ضدّ الالتزام بالعقائد، ضدّ السلطة الكنسية وسلطة الدولة، وضدّ الطقوس الرسمية الدينية⁽⁶⁾.

(1) - يوحنا: 1: 33.

(2) - أ ع 1: 3-5.

(3) - صبحي حموي السيوحي: معجم الايمان المسيحي، ط2، دار المشرق، لبنان، بيروت، 1998، ص: 472.

(4) - إنعام بنت محمد عقيل: المرجع السابق، ص: 229.

(5) - Baptism in jeuses, name, Apostolic Neturork 15/2/2009.

(6) - Stephen R.Holmes: Baptist theology, Neuo yorke, 2012, p11.

تعود بداية الكنيسة المعمدانية إلى أيام الرّسل كعقيدة، وبعدها ظهرت كمجموعات مثل: الدوناتيين، الوالدانيين⁽¹⁾، مكرري المعمودية... وغيرها، ولكنها لم تبرز ككنيسة إلا في عام 1609م عندما نظمها جون سميت⁽²⁾ في إنجلترا.

وتعود بدايات الكنيسة المعمدانية إلى القرن السابع عشر في إنجلترا، وقد ظهرت بتأثير حركة الأنابايتست، إضطهدهم السلطات الإنجليزية فهاجروا إلى هولندا، ثم عادوا مرة أخرى لتقربوا أكثر للكنيسة الإنجليزية⁽³⁾.

انتشرت الكنيسة المعمدانية إلى بلاد أخرى خاصة الولايات المتحدة التي تم تأسيس الكنيسة المعمدانية فيها عام 1639م، وفي عام 1932م قامت أول كنيسة معمدانية في إيطاليا، وعام 1834م في ألمانيا، وعام 1888م في إسبانيا، وبدأت نشاطها التنصيري عام 1792م في الهند، إفريقيا والصين⁽⁴⁾.

الفرع الثاني: معتقداتها ومبادئها:

تؤمن الكنيسة المعمدانية بعدة معتقدات ومبادئ أساسية ملخصة من أول الحروف الأبجدية في الكلمة "baptist" وهي كالآتي:

(B) Bible sole authority (سلطة كتابهم المقدس).

(A) Autonomy of the local church (استقلالية الكنيسة المحلية)

(P) Priesthood of the believers (كهنوت جميع المؤمنين)

⁽¹⁾—(jean Roalolphe peyan: historical defence of the waldenses or vaudois, c.j Rivrington st pauls church-yard, london, 1826, p6.

⁽²⁾— جون سميت (1631-1580) جندي انجليزي، مستكشف، حاكم استعماري وأدميرال نيو إنجلاند () <https://www.ergeek.com>

استرجع يوم: 2025/6/1

⁽³⁾— طارق بن سليمان الهلال: المرجع السابق، ص: 1101.

⁽⁴⁾—مقال الكنيسة المعمدانية <https://www.marefa.org> 53: 17/7/2025/1 استرجع يوم: 2025/6/1

Turo ordimance in the church: baptism and the lord »s supper(T)

(فريضان في الكنيسة المعمودية وعشاء الرب).

(I)Indivridual soul liberty(حرية الضمير الفردية)

(S) Separation of church and state(فصل الكنيسة عن الدولة)

(T)Tnoo offices in the church: Pastors end Deacons(منصبان في الكنيسة: القساوسة

والشماسة)⁽¹⁾.

ومن أبرز المبادئ المشتهرة عند المعمدانين على اختلاف طوائفها:

أ/يؤمنون بالكتاب المقدس الموحى به من الله بالروح القدس، هو الوحيد والمعصوم في قوانينه، وكتب الأبوكريفا، ليست من الوحي يحتوي على 66 سفرا يعبر به القلم والجديد، وله السلطة المطلقة في كل أمور الإيمان والحياة⁽²⁾.

ب/-يذكرون أنهم مؤمنون بالله على أنه واحد، خالق الكل، قدوس، أزلي، أبدي ينقسم في ثلاثة أقسام متساوية في القوة: الأب والإبن والروح القدس، في مهام منسجمة ولا يستخدم غير إسم الرب في القسم، ومن حلف بغيره آثم⁽³⁾، لكن يؤمنون بأن الله الأب هو المطلق كامل القدسية والحكمة والقوة والمحبة بلا جسد ولا أعضاء⁽⁴⁾.

ومن تناقضهم العجيب أنهم يؤمنون بالقدرة المطلقة لله، ثم يجعلون وسائط عديدة كالمتسيح، الروح القدس، البابا، وغيرهم.

ج/-يؤمنون بألوهية المسيح الكاملة، بوجوده الأزلي، بولادته العذراوية وحياته بدون خطيئة، ويموته، وقيامه، وقيامته بالجسد اليوم، وبصعوده للسماء بجسده، وبمجيئه الثاني قبل الألفية⁽⁵⁾.

(1) - إنعام بنت محمد عقيل: المرجع السابق، ص: 257/256.

(2) - إرساليات العالمية المعمدانية <https://www.bimi.org/ebout-us> استرجع يوم: 2025/6/11

(3) - كنيسة لبنان المعمدانية الإنجيلية lebanon.baptist.church-org استرجع يوم: 2025/6/11

(4) - أحمد طه: قانون الإيمان المسيحي، دار الصفاة، 2013، ج1، ص: 12/11.

(5) - المرجع نفسه، ص: 16.

د/- يؤمنون بأنّ الروح القدس أنّه المنفذ لخطة الإله في الخلاص والإدانة، وأداة لتحقيق عمل المسيح الفدائي، وشخص يملك الصفات الإلهية⁽¹⁾.

و/- يؤمنون بوجود الشيطان، بشخصيته الشريرة وهو مصدر الخطيئة، وهو عدو الله والإنسان⁽²⁾.

ي/- كما يؤمنون بأنّ الإنسان خلق على صورة الله وشبهه، وأنّه أخطأ، وأصبح مذنباً في نظره، فطرده الله من محضره وحكم عليه بالموت الروحي والجسدي، فالله منح الإرادة الحرة للبشر والقدرة على العمل والاختيار والقرار بين الخير والشر، وسقوطه في حظيرة الخطيئة، فقد كل اختيار روحي للخير، والمصاحب للخلاص، وأصبح لا يملك القوة لهداية نفسه⁽³⁾.

ر/ يؤمنون بأنّ الخلاص هو نتيجة موت المسيح لتخليصنا من الخطايا، وأنّه يأتي من الرب، وعطاؤه هدية لنا علينا قبولها بإمتنان، وأنّ المسيح هو الجسر للحياة الآخرة، وأنّ المخلص الرب.

ز/ إثبات الكهنوت لجميع المؤمنين، حيث أنّ كل مؤمن قادر على إتخاذ القرارات، والأحكام فيما يتعلق بالأمر الروحية، وعدم اختصار الأمر على فئة محدودة تنفرد بذلك الإمتياز.

ن/ يؤمنون بمجيء المسيح الثاني وظهوره بشخصه، وبقيامة الأبرار والأشرار، وبمكافأة الأبرار وبدنيوية الأشرار الأبدية⁽⁴⁾.

ك/- يؤمنون بأنّ اليوم الأوّل من الأسبوع (الأحد) هو يوم الربّ وله معنى خاص، وهو معين من الله للعبادة والنشاطات الروحية، ويؤدي غالبية المعمدان عبادتهم يوم الأحد، خلافا لتقاليد العهد القديم بالعبادة السبتية، التي يوجد عدد قليل من المعمدانية تاريخياً يتمسكون بعبادة يوم السبت بدل الأحد، وتعرف بمعمدانية اليوم السابع the Seventh day Baptists وهي إمّا تكون معمدانية عامة أو خاصة، مع اختلاف في درجات العبادة السبتية من شخص لآخر، ومن جماعة لأخرى.

(1) - أحمد طه: المرجع السابق، ص: 66.

(2) - كنيسة لبنان المعمدانية الإنجيلية lebanon baptist.church-org استرجع يوم: 2025/6/1

(3) - إنعام بنت محمد عقيل: المرجع السابق، ص: 261.

(4) - كنيسة لبنان المعمدانية الإنجيلية lebanon baptist.church-org استرجع يوم: 2025/6/1

ل/- ينكر المعمدانيون إمكانية حدوث المعجزات محتجين بأنّ النبوات ستبطل، والعلم سيبطل، ويدعون بأنّ المعجزات قد انتهت بإنهاء عصر الرّسل وأي معجزات تحدث اليوم فمصدرها هو الشيطان⁽¹⁾.

ف/- يؤمنون بالبعث الجسدي ويؤمنون بالرحمة الأبدية للناجين في الجنة والعقاب الأبدي للتائهيين في الجحيم⁽²⁾.

أما العبادة ترتكز عندهم على شرح الكتب المقدّسة في عظة كنسية أو في مخيمات كرازية، كما يعتبر إنشاء التراتيل واحدا من الصفات المميزة للعبادة عندهم، إلّا أنّ في صلواتهم لا يلتزمون بقول: «أبانا في السموات»⁽³⁾، كما أنّهم لا يرسمون الصليب في بداية ونهاية الصلوة⁽⁴⁾.

ق/ يؤمنون بفريضة المعمودية والعشاء الرباني، التغطيس بالماء للمؤمنين ويكون للبالغين فقط، وتعميد العضو الجديد، والتائب في الكنائس، ويكون غمرًا في الماء بالإسم الثلاثي، ويضع القس يده على رأس المعمد أو كتفه مع الصلوة في بعض المعمدانية ليمدونه بالروح القدس، ويكون جاهزا للعشاء الرباني⁽⁵⁾.

أما بالنسبة للعشاء الرباني فهم لا يؤمنون بإستحالاته وتحوّله إلى جسد ودم المسيح حقيقة، وهو من البدع التي يرونها ظهرت في الكنيسة الكاثوليكية كما أنّهم وقفوا ضدّ مناولة الأطفال في العشاء الرباني عكس الكاثوليك والأرثوذكس التي قبلت بتعميد الأطفال عضويتهم في الكنيسة، لذا صار لهم الحقّ في تناول من عشاء الرب⁽⁶⁾.

وتلخيصا لما سبق عرضه عن معتقدات ومبادئ الكنيسة المعمدانية يتّضح أنّ الاختلاف مع الكنيسة الإنجيلية في بعض المعتقدات والفرائض أدى بها أيضا إلى إنقسام وإنشقاق في الطائفة المعمدانية في ذاتها. وأيضا نلاحظ أنّ هناك اضطراب وتناقض وعدم وضوح في عقائدهم مع جاء في الكتاب المقدّس وباقي الطوائف المسيحية.

(1) - حلمي القمص يعقوب: المصدر السابق، ص: 75.

(2) - إنعام بنت محمد عقيل: المرجع السابق، ص: 264.

(3) - لوقا 11: 2-4.

(4) - حلمي القمص يعقوب: المصدر نفسه، ص: 65.

(5) - إنعام بنت محمد عقيل: المرجع نفسه، ص: 266.

(6) - حلمي القمص يعقوب: المصدر نفسه، ص: 73.

الفرع الثالث: أهدافها وأنشطتها:

تعتبر الكنيسة المعمدانية أكبر هيئة دينية في الولايات المتحدة وأكثرها تنوعًا وتفرعًا وتعددًا، فتشعبت طوائفها وإتجاهاتها ما بين الأصوليين التقليديين، والمنفتحين الأحرار الإرساليين، والمعادين للإرساليات كالبدائية، والمستقلون الذين يميلون إلى الأصولية، والحرفية إتجاه الكتاب المقدس، ولا يسمحون بدور قيادي للمرأة في الكنيسة، ويتمسكون بترجمة الملك جيمس⁽¹⁾، للكتاب المقدس، وعبادة تقليدية.

ويوجد الآن العديد من المؤسسات المعمدانية التي تتبنى التعليم اللاهوتي المجاني عن طريق شبكة الإنترنت، أو تبني بعض المدارس والكليات، أو تتبنى الأعمال الخيرية والإغاثية، وهي كثيرة جدًا يصعب حصرها، ويمكن أن نذكر أبرز تلك المؤسسات التي تجمع كثيرًا من الكنائس المعمدانية:

1-/الاتحاد الأوروبي المعمداني: وهي جمعية وطنية لرابطة معمدانية في أوروبا وآسيا والشرق الأوسط، أنشأت عام 1949م في سويسرا من أهدافها:

-الالتزام بحقوق الإنسان- تعزيز الكرازة المشتركة- تبادل بين البعثات التنصيرية- تنظيم المساعدات المادية المتضررة من الحرب على وجه الخصوص- الاهتمام بشؤون المرأة، ولديهم مكتب خاص⁽²⁾-دعم مشاريع التعليم والتدريب اللاهوتي لقساوسة الكنيسة والموظفين.

2-/التحالف المعمداني: وهو تحالف مع الكنائس المعمدانية في جميع أنحاء العالم، تشكل عام 1905م في لندن من أهدافه: - توحيد المعمدانيين في العالم- التنصير في العالم- الإستجابة للمحتاجين والدفاع عن حقوق الإنسان.

3-/إتحاد الإرساليات المعمدانية الأمريكية: هي إتحاد مستقل من الكنائس المعمدانية من أهدافها: -دعم الإرساليات- تأسيس المنازل- عقد المؤتمرات- بناء الكليات- السيطرة على الإذاعة-

⁽¹⁾- ترجمة الملك جيمس: أو النسخة المفوضة، وسميت بهذا الاسم لأنها جاءت بتفويض من الملك جيمس الأول ملك إنجلترا(1566 - 1625م)، <https://www.gotquestions.org> استرجع يوم: 2022/6/10
استرجع يوم: 2025/6/1-[www. Burogathering 2009.blogspot.com](http://www.Burogathering.com).⁽²⁾

إعداد المخيمات⁽¹⁾.

4/- **إتحاد المعاهد اللاهوتية للإرسالية المعمدانية:** وهذا الإتحاد عبارة عن معهد ترجع ملكيته وإدارته من قبل المؤسسة السابقة (إتحاد الإرساليات المعمدانية الأمريكية) من أهدافه: دعم احتياجات التعليم لدى الكنائس، توفير الخدمة المركزية للمصادر.

5/- **البعثة العالمية لجمعية الإرسالية المعمدانية:** تأسست في إنجلترا عام 1792م عندما قام ويليام كاري (1761-1834م)، وجون سميت (1850-1912م) بالإرساليات إلى الهند وبنغال، وكانت تعرف بجمعية المعمدانية الخاصة حتى عام 2000م، ومن أهدافه: التعريف بالمسيح - تحقيق المعاونة- تدريب العملاء المبتدئين وتعليمهم وإرسالهم⁽²⁾.

6/- **المعمدانية المحافظة الأمريكية:** تأسست عام 1947م، وتقوم بخدمة الجهة العسكرية، ولها مائتا ألف عضو.

7/- **الكنيسة المعمدانية الإنجليزية الأولى:** من أهدافها: عبادة الله، دراسة التوراة، حبّ المسيح، تنشئة الشباب والأطفال في علاقة التزام مع المسيح والكنيسة- التشجيع على أعضاء جدد- دعم الإرساليات المعمدانية بشكل خاص⁽³⁾.

8/- **مجمع الموعدان الجنوبيين:** مقرها في الولايات المتحدة الأمريكية، تعتبر أكبر طائفة بروتستانتية في الولايات المتحدة الأمريكية، وأصبحت هيئة منفصلة عام 1845م في جورجيا بعد وقوفها مع قضية العبيد⁽⁴⁾، ومن المؤسسات التعليمية:

1/- **جامعة ميرسر "mercer":** في جورجينا بتمويل من مركز الأبحاث المعمداني، عام 2009م، كبرنامج دراسي ذاتي وليس كشهادة رسمية⁽⁵⁾.

(1)-إنعام بنت محمد عقيل، المرجع السابق، ص: 305/304.

(2)-استرجع يوم: 2025/8/21

https://Baptist-Missionary-Association-Theological-Seminary

(3)- إنعام بنت محمد عقيل: المرجع السابق، ص: 307/306.

(4)-استرجع يوم: 2025/8/21-https://www.encylopedia.com

(5)-استرجع يوم: 2025/8/21-www.mercer.edu

2- معهد وكلية التوراة المعمدانية: عام 1932م في بنيسلفانيا شمال شرق الولايات المتحدة، ويتم تقديم التعليم التوراتي، وفيها برنامج للدكتوراه والماجستير⁽¹⁾.

3- كلية الإيمان المعمدانية التوراتية في نيويورك: أنشأت عام 1982م⁽²⁾.

4- كلية دنقر المعمدانية التوراتية: في كلورادو (غرب أمريكا)⁽³⁾.

5- كلية الإدارة الحرة المعمدانية التوراتية: بناشفيل Nashville عاصمة تنسي الأمريكية أنشأت عام 1943م، ولها تخصصات بكالوريوس مختلفة كالفن والموسيقى⁽⁴⁾.

6- الجامعة المعمدانية في أمريكا: بدأت ككلية في فلوريدا (شرق جنوب أمريكا) عام 1965م، وبدأت كجامعة عام 1974م⁽⁵⁾.

لكن بالرغم من تعدد الكنائس والمؤسسات التعليمية فإنّ أهدافها وأنشطتها لا تقتصر إلاّ على العمل التنصيري بإعتباره واجبا وامتيازا وإمثالا، كما جاء في العهد الجديد « وقال لهم: هكذا هو مكتوب، وهكذا كان ينبغي أنّ المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث، وأن يكرزّ باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم، مبتدأ من أروشليم، وأنتم شهود لذلك، وها أنا أرسل إليكم موعد أبي فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أنّ تلبسوا قوة من الأعلي»⁽⁶⁾.

فالعلاقات الإرساليات شهدت تطورا سريعا حتّى وصل عددها نحو ثلاثة آلاف إرسالية للتنصر خاصة في العالم الإسلامي، مرسله من الكنيسة المعمدانية الجنوبية (جنوب الولايات المتحدة)⁽⁷⁾، والتي تسترت برداء الدّين من أجل اكتساب النفوذ السّياسي والتجاري وغيرها، كتب الكاتب "باري يومن" في مجلة "ماذر جونز" عام 2020م. بعد أنّ بات أسبوعين مع المنصرّين في مسكن بولاية كارولينا الجنوبية لحضور برنامج تدريبي للمنصرّين في بلاد المسلمين لصالح الكنيسة المعمدانية، في الولايات

(1) استرجع يوم: www.bbc.edu 2025/8/21

(2) استرجع يوم: <https://www.faith.ed/generalinto/hisyory.html>. 2025/8/21

(3) استرجع يوم: <https://www.ccbbc.edu/About/default.asp>. 2025/8/21

(4) استرجع يوم: <https://Fwbbc-edu/About/pres-Welcome-html>. 2025/8/21

(5) استرجع يوم: <https://www.baptists.edu/programs.php>. 2025/8/21

(6) -يوحنا 24: 46-49.

(7) -إنعام بنت محمد عقيل: المرجع السابق، ص: 317.

المتحدة للقس المنصر "ريك لوف"⁽¹⁾. فبين ملاحظاته وطرق للتنصير منها:

-الحديث عن موضع كيف تخفي شخصيتك وأنت تنصر المسلمين.

-الحديث عن موضوع هل النصراني المتدين يكذب؟ قال: لا، أنه لا يكذب، ولكنه يقول بعض

الحقيقة، فهو لم يقسم أن يقول الحقيقة كاملة أمام محكمة (يعني أنه غير ملزم بالصدق)⁽²⁾.

المطلب الثالث: الكنسية المسيحية (Presbyterianism):

الفرع الأول: تعريفها ونشأتها:

-لغة:

معنى كلمة presbytérianisme: يعود إلى الكلمة الإغريقية "بريسبيتيروس" "Presbyteros" وتعني: الشيخ وهو اسم أطلق على الكنسية الاسكوتلندية التي اتخذت المشيخية نظامًا لها بدل الأسقفية عام 1640م، ثم اطلقت على كل كنيسة لها نفس النظام⁽³⁾.

-Prebyterianism does not mean any particular system of doctrine or form of worship: its sole and exclusivemeoning is a partiarlar form of church government⁽⁴⁾.

-المشيخية لا تعني أي نظام عقيدي أو شكل عبادة محدد، ومعناها الوحيد والحصري هو شكل معين من أشكال إدارة الكنيسة.

-The Presbytériens system may be defined, There fore, as being that body of religious truths and lauos of which the soverignty of go dis the germ

⁽¹⁾ - ريك لوف: قس ومنصر أمريكي نشأ في جنوب كاليفورنيا 1952م (https://ar.islam way.net).

⁽²⁾ - إنعام بنت محمد عقيل: المرجع السابق، ص 319.

⁽³⁾ - الموسوعة التراثية والتاريخية: 45: 18/7/2025/23: https://www .etymononline.com

https://www.etymononline.com 18/7/2025/23:45.

⁽⁴⁾-R. C. Reed. D-D: History of the Persby terian churchcs of the world, philaddelphia, the westminster Press 1912, p1.

and nexus, the life and soul⁽¹⁾

«ويمكن تعريف النظام الكنيسي للبرسبيترين إذن بأنه ذلك الجسم من الحقائق الدّينية والقوانين التي تكون سيادة الله نواة لها، والرباط هو الحياة والروح».

- كلمة المشيخية تقارب كلمة كاهن، حيث إنّ منصب الكاهن أو القس في الكنيسة النصرانية الأولى، وهو منصب يتوسط الأسقف والشّمس، أو اسم بديل لشيخ، كما تسميه الكنيسة المشيخية⁽²⁾.

إِصْطِلاحاً:

- معنى كلمة "Presbyteriannism" كانت تطلق على "شيخ" في الكنيسة النصرانية الأولى، على حامل الرسالة، الذي يمارس التعليم، والكهانة، أو أعمال الإدارة، وكان لا يوجد فرق بين الشيخ "elder" والأسقف أو المطران، ثم أصبحت تستخدم كمعيار لإدارة الكنيسة، حيث إنّ أمام تعدد الأحزاب تحت المؤثرات الشريرة، قامت الكنائس بإدارة موحدة بواسطة مجلس الشيوخ، ثم أصبحت تطلق على الكاهن أو القس في تدرج وظيفي متنوع بين الكنائس⁽³⁾، وعرفت أيضاً:

- سلسلة من المجالس قوامها العلمانيون والقساوسة، وأول من وضعه هو "جون كالفن"⁽⁴⁾.

وأيضاً تعرف الكنيسة المشيخية بأنّها:

- واحدة عن عدّة كنائس بروتستانتية يدير شؤونها منتخبون يتمتعون كلهم بمنزلة متساوية، وتتميّز المشيخانية بانقسام إلى جماعات برأس كل مجموعة شيخ منهم، يسمى بشيخ الجماعة "Presbyte"، وتحتدي الجماعة بهدية، وتتلقى عنه، وفلسفتهم في ذلك أنّهم خلقوا أحزاباً، وأنّه لا بد لكل حزب من كبير لهم، فهكذا كانت البشرية منذ الأزل⁽⁵⁾.

(1)-Pev.Iraiman benr Rolerts: Pesbyterian system its characteristics, Authority, and obligation, Presbyterian board of publication and Sabbath- school, philadelphia, 1895, p7.

(2)-إنعام بنت محمد عقيل: المرجع السابق، ص: 343.

(3)-<https://www.answers.com.2025/8/21> استرجع يوم:

(4)-حارث يوسف غنيمه: البروتستانت والانجليون في العراق، مطبعة الناشر المكتبي، بغداد، 1998م، ص 25/24.

(5)- سعدرستم: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتّى اليوم، دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، ط2، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2005، ص: 182.

وسميت الكنيسة المشيخية بهذا الاسم، لأنها تتميز بأن الهيكل الوظيفي للكنيسة، يبدأ من الشيخ الممثل للكنيسة المحلية " Presbyter"، ثم مجلس المجمع الكنسي الذي يسمى السينودس "Synod". وهو عبارة عن مجموعة مشايخ ثم انتخابهم من الكنائس المحلية لمناقشة القضايا، وإصدار القرارات، ثم الجمعية العمومية أو التشريعية العليا " General Assembly" وهم رجال الدين وعامة الناس، وهم المسؤول المباشر عن إدارة الكنيسة، مع عدم اشتراط أن يكون شيخ الكنيسة كبير في السن. وإجمالاً فالكنيسة المشيخية هي نظام لعدد من الكنائس النصرانية المختلفة، والتي إلتزمت بالفكر المشيخي نظاماً والكالفيني عقيدة، ويتمثل النظام المشيخي في:

1/- المجلس المحلي للكنيسة برئاسة القسيس مع بعض الشيوخ، وبعض الشماسة الذين يتم انتخابهم.

2/- المجمع الخاص بكل طائفة ويضم جميع القساوسة التابعين للطائفة في إقليم محدود، بالإضافة إلى شيخ منتخب من كل كنيسة محلية، ويقوم المجمع بالرسامات في حدود دائرية فقط، وكل مجمع رئيس ونائب وأمين سرّ وأمين صندوق.

3/- السنودس: يشمل المجمع المختلفة، ويضم جميع القساوسة المقيدين في سجل عضوية المجمع بالإضافة إلى شيخ مدبر عن كل كنيسة، وينعقد السنودس مرة على الأقل كل سنة.

4/- المحفل العام: يتألف من نواب عن كل مجمع من قساوسة وشيوخ مدبرين متساويين في العدد، وهو الذي يرأس السنودسات المختلفة، وله الحق في إنشاء سنودس جديد بناء على طلب من مجمعين أو أكثر، وينعقد مرة على الأقل كل سنة⁽¹⁾، وتؤكد السلطة المشيخية على سلطة المسيح التي تدار من خلال الجماعة.

نشأتها:

نشأت المشيخية في القرن السادس عشر مع الإصلاح البروتستانتي، وتعاليم "جون كالفن"، الذي عارض سلطة الأساقفة على الكنيسة، وطالب بالعودة إلى تنظيم الكنيسة الأولى.

(1)- حلمي القصص يعقوب: المصدر السابق، ص: 21.

وقد سبقه في هذا الأمر "مارت بوسر" الذي آمن بأنّ هذا النظام هو الأصحّ بالعودة إلى الكنيسة الأولى، وطبّقه في أرض الواقع جون كالفن عام 1540م بجنيف⁽¹⁾، ثمّ امتدّت جذوره بعد ذلك إلى اسكتلندا مع "جون نوكس"⁽²⁾، أحد تلاميذ "جون كالفن" التي أصبحت نظامًا رسميًا للكنائس البروتستانتية عام 1559م.

وأصبحت اسكتلندا هي مركز الإنتشار لهذا النظام في أيرلندا وإنجلترا، حيث استفاد منه التطهيريون في إنجلترا 1558م في عهد الملكة إليزابيث الأولى، عندما قبلت ببعض الطقوس الكاثوليكية، وعلى الرغم من محاولتها تطبيق النظام المشيخي إلاّ في نهاية الأمر اعتمدت النظام الأسقفي، واندجحت الطائفة المشيخية داخل الكنيسة الإصلاحية المتحدة لإنجلترا، ثم انتشرت انتشارًا واسعًا بعد إعلان الحرية المدنية عام 1795م، وانتهاء الحروب الأهلية، وعلى الرغم من انتشارها إلاّ أنّها واجهت اضطرابًا وانقسامًا داخل صفوفها في هولندا عام 1618م، واعتدت عقيدة "كالفن" عقيدة رسمية للكنيسة الهولندية.

ويعتبر "فرانسيس ماكيم"، أبا المشيخيين الأمريكيين، الذي بدأ تنظيمه هناك عام 1683م ومن خلال الإرساليات انتشرت الكنيسة المشيخية إلى شرق آسيا وإفريقيا وأحاء العالم⁽³⁾، والكنيسة المشيخية تشكل مجموعة كبيرة من الطوائف البروتستانتية في البلدان الناطقة بالإنجليزية، وتدعى هذه الكنائس في خارج هذه البلدان بالكنائس الإصلاحية أو الكالفينية مثل: الكنيسة الإصلاحية الهولندية، وتنتمي زهاء مائة طائفة نصرانية إلى الإتحاد العالمي للكنائس الإصلاحية، وترتكز في بعض المناطق اسكتلندا، هولندا، سويسرا، وهناك ممثلون لهذه الكنيسة في عدد من الدول الأوربية الأخرى حيث سادت في الطبقة الوسطى من غرب أوروبا، والولايات المتحدة، وإفريقيا⁽⁴⁾.

⁽¹⁾—Jean yves lacoste: Encyc llopedia of christian theology, routle-dge, New York, London, 2005, p235.

⁽²⁾—جون نوكس (1514-1572م) مصلح ديني اسكتلندي، قائد حركة الإصلاح البروتستاني <https://shamela.WS> استرجع يوم: 2025/8/21

⁽³⁾— موسوعة تاريخ كليفلاند استرجع يوم: 2025/8/25 <https://case.edr>

⁽⁴⁾—إنعام بنت محمد عقيل: المرجع السابق، ص: 350.

الفرع الثاني: معتقداتها ومبادئها:

يعتمد المشيخيون على مصادر أخرى بعد الإنجيل وهي الآتي:

1/ كتاب النظام: ويحتوي على التشكيل الهيكلي للسلطة، وقوانينها ومهامها، وعلى دليل العبادة وقوانين التأديب والمقاضاة.

2/- كتاب العبادة العامة: وقد طبع في القرن العشرين، ليخدم الكنيسة المشيخية الأمريكية وهو عبارة عن دليل للكنائس في تنظيم الذكر والدعاء، ويحتوي على الأدعية في المواسم والأعياد.

3/- كتاب المعاهدات: ويتضمن قانون نيقية الثاني، وقانون الرسل، واعتراف الإيمان الاسكتلندي وغيرها.

كما أنهم يؤمنون بالكتاب المقدس كلمة الله الموحى بها، وأنّ الكلمة الحيّة الموجودة بواسطة الشهادة الباطنية للروح القدس، وأنه القانون المعصوم للإيمان والأعمال والمرجع الأعلى لكل الأفكار العقائدية، وتحتوي على ستة وستين كتابا، وهي منقسمة إلى قسمين: العهد القديم: ويتكون من ستة وثلاثين كتابا، والعهد الجديد ويتكون من سبعة وعشرين كتابا.

ويعتمدون نسخة الملك جيمس عام 1611م وتعكس هذه الترجمة أخطاء كثيرة، إضافة إلى صعوبة فهمها، وفي عام 1950م، تمّ اختيار ترجمة من الترجمات المختلفة، واعتمدت في خدمات العبادة المشيخية، ويطلق عليها الترجمة القياسية المنقّحة، والترجمة القياسية الجديدة والمنقّحة⁽¹⁾.

- يؤمنون بالعقيدة الكالفينية الجبرية (التعين السابق)، وأنّ الله قبل تأسيس العالم حسب مشيئته أعطى ابنه شعبا مختارًا قبل الدهور، للخلاص والقداسة والخدمة، ويعتقدون أنّه بالنعمة تحصل النجاة من خلال الإيمان، وهذا ليس بفضل عمل الشخص، بل لأنّه هبة من الله ومحبة منه، حتّى لا يكون هناك أي تفاخر⁽²⁾.

- يؤمنون بمجيء المسيح ثانية، وأنّ الكنيسة تعيش حالة من الترقّب والانتظار، سيأتي ليكمل

استرجع يوم: 2025/8/21-<https://www.Pcusa-org/101/101-holy-htm>-⁽¹⁾

⁽²⁾-القمص حلمي يعقوب: المصدر السابق، ص: 24.

مهمته لخلق عالم مكانه العدل والسّلام والحبّ، ولا وجود فيه للشّر⁽¹⁾.

- يؤمنون بأنّ أرواح الأبرار الذين يموتون في المسيح هي في الفردوس، وأنّ الحالة ما بين الموت والقيامة هي حالة عدم كمال، لأنّ السعادة العظمى التي يستمتع بها القديسون، والهلاك الأبدي الذي يعذب به الأشرار يبدأ عند القيامة والديونية النهائية، وهي حالة انتظار⁽²⁾.

- الإيمان بالنّار هي عقيدة فيها إشكالية عندهم، لأنّها تقود مباشرة إلى السؤال: كيف يجبر الله العبد ثم يحاسبه ويعاقبه على فعله بالنّار، "فكالفن" كان يعتبر ذلك استعارة عن شدة الألم، أمّا البيان المشيخي الذي كتب رسمياً عام 1930م فيتضمن الجحيم، ثم في عام 1974م ورد التحذير من الحساب وتعد بالأمل⁽³⁾.

- يؤمنون بإنشاق الروح القدس من الأب والإبن موافقين بذلك الكاثوليك، ويؤمنون بأنّه الإله في شكل التثليث.

- أمّا بالنسبة للعشاء الرباني فيعتقدون بإستحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح، وتؤمن فقط بأنّه وجود روحي لا جسدي.

- يؤمنون بالتعميد على أنّه نعمة من الله ممنوحة، وأنّه نداء الله للاستجابة للنعمة ويعرفونه بأنّه إختيار مقدّس⁽⁴⁾.

- كانت هذه أهمّ المبادئ والمعتقدات التي تؤمن بها الكنيسة المشيخانية مع وجود تناقضات كثيرة مع المبادئ البروتستانتية عامة ومع المبادئ الكالفينية خاصة، تناقضات في المبادئ نفسها كمبدأ الجبرية، والإيمان بالنّار بالرغم من قولهم أنّه قول "كالفن" كان على سبيل المجاز أو لعدم وضوحه في التوراة وعدم الخوض فيه.

(1) - إنعام بنت محمد عقيل: المرجع السابق، ص: 351.

(2) - القمص حلمي يعقوب: المصدر نفسه، ص: 25.

(3) - المرجع نفسه، ص: 26.

(4) - إنعام بنت محمد عقيل: المرجع نفسه، ص 352.

الفرع الثالث: أهدافها ونشاطاتها

رَكَزَت الكَنِيسَةُ المشيخية على شعار الرِّحمة والسَّلام "Peace and compassion" بالرغم من أنَّها أهداف سياسية، ولنخصها كمايلي:

1/- الدعوة للإنجيل لخلاص البشرية.

2/- توفير السكن، والغذاء، والمودة الروحية لأبناء الله.

3/- عرض مملكة النعيم أو الجنة للعالم.

4/- المحافظة على العبادة الروحية الإلهية.

5/- السعي بالرقى لإصلاح المجتمع المسيحي.

والملاحظ أنَّ هناك تقارب كبير بين أهداف ومخططات الكَنِيسَةُ المشيخية والكَنِيسَةُ المعمدانية، وإن كان هناك فرق في توظيف تلك الأهداف وعرضها، إلا أنَّ الكَنِيسَةُ المشيخانية تتميز بإتحاد الأهداف والقيادات أكثر من الكَنِيسَةُ المعمدانية، وكذلك اهتمام تقني وتكنولوجي وإجتماعي وتطويري ويظهر ذلك من خلال برامجها التعليمية مع الشيوخ والمدرسين، كما تقوم بإرسال المنصرين مجموعات أو مع عائلاتهم، مع تجهيزهم في أكثر من مائة دولة، كما أنَّها تستجيب لحاجات المعوزين⁽¹⁾.

المطلب الرابع: الكَنِيسَةُ المنهجية "Methodists".

الفرع الأول: تعريفها ونشأتها:

لغة:

تعد كلمة "Methodeia" كلمة يونانية ترجم إلى العربية بمعنى "الطريقة" أو "الإجراء"، وفي سياق الكتاب المقدس تشير إلى الطريقة التي تتم بها الأمور أو الأساليب التي تحدث بها الأشياء.

(1)-إنعام بنت محمد عقيل: المرجع السابق، ص 351-352.

وهي كلمة مشتقة من "ميثودوس" حيث تعني كلمة "ميثا" "بعد" أو "ما وراء" وتعني كلمة "هودوس" تعني "طريق" أو "رحلة"، وهذا يشير إلى مسار أو أسلوب ينبغي اتباعه⁽¹⁾.

- أصلها في اللغة الإنجليزية "Méthode" ميثود أي: طريقة، ومنهج⁽²⁾، وكلمة "Methodists" أي: الشخص الذي يتخذ طريقة أداء نظامية⁽³⁾.

إِصْطِلَاحًا:

«Methodism traces its origins to 18th cent England with the evangelical movement led by Jhon Wesley his brother Charles Wesley⁽⁴⁾, and George Whitefield⁽⁵⁾. The movement sought to reform the church of England (the Anglican church) and reitalize christianity in England through a methodical approach to faith and practice hence the name «Methodism» which was originally a derogatory title given to the original participants⁽⁶⁾».

«تعود أصول الميثودية إلى إنجلترا في القرن الثامن عشر مع الحركة الإنجيلية التي قادها "جون ويسلي" و"شقيقة" تشارلز ويسلي" و"جورج وايتفيلد"، وقد سعت الحركة إلى إصلاح كنيسة إنجلترا وتنشيط المسيحية في إنجلترا من خلال نهج منهجي للإيمان والممارسة، ومن هنا جاء اسم الميثودية الذي كان في الأصل عنواناً مهيناً للمشاركين الأصليين».

- «Methodism arose within the church of England during the eighteenth century as a movement of spiritual renewal parallel to the great Awakening in North America John Wesley (1703-1791) and (1707-1788) who gave leadership to this revival, were loyal Anglican priests and dedicated their lives to the rediscovery of «primitive» or scriptural christianity, the brothers sought to help people experience God's transforming love, realize their true identity

⁽¹⁾ - Méthode in Greek and the Bible - <https://ministry-voice.com/21/7/25/19M46>.

⁽²⁾ - قاموس أكسفورد الحديث: المرجع السابق، ص: 472.

⁽³⁾ - <https://dictionary.reference.com/browse/methodist>. 2025/8/21 استرجع يوم

⁽⁴⁾ - تشارلز ويسلي: (1707-1788) مشير وشاعر إنجليزي، كتب ما يقارب تسعة آلاف تريلة، ساعد أخاه جون ويزلي في وضع أسس الكنيسة الميثودية <https://www.britannica.com> استرجع يوم: 2025/8/21

⁽⁵⁾ - جورج وايتفيلد: (1714-1770) رجل دين، مبشر إنجيلي من مؤسسي المنهجية والحركة الإنجيلية <https://www.calendaez.com> استرجع يوم: 2025/8/21

⁽⁶⁾ - Matt Ayars: Methodism/Abrief Introduction, 2004, p3.

as god's children and spread scriptural holiness throughout the World they viewed their theology and practice as aligned with the Anglican heritage in which they stood, their vision of a lived Christian theology can be encapsulated in the simple phrase faith working by love leading to holiness of heart and holiness of life see Gal 5:6) they sought to bring balance to the Christian life and restore vitality to the church loved undegirding the Methodist movement with robust and normative theology of grace and love»⁽¹⁾

-نشأت الميثودية داخل كنيسة إنجلترا خلال القرن الثامن عشر كحركة تجديد روعي موازية للصحة الكبرى في أمريكا الشمالية كان "جون ويسلي" (1703-1791م) و"تشارلز ويسلي" (1707-1788م)، اللذان قادا هذا التجديد، قساوسة أنجليكان مخلصين، وكرسا حياتهما لإعادة اكتشاف "المسيحية البدائية" أو "المسيحية الكتابية"، سعى الإخوة إلى مساعدة الناس على التجربة حب الله المتغير، وإدراك هويتهم الحقيقية كأبناء الله ونشر القداية الكتابية في جميع أنحاء العالم، واعتبروا أنفسهم أن عقيدتهم وممارساتهم تتماشى مع التراث الأنجليكاني الذي يقفون فيه، ويمكن تلخيص رؤيتهم للعقيدة المسيحية الحية في العبارة البسيطة (الإيمان العامل بالمحبة يؤدي إلى طهارة القلب وطهارة الحياة) غلا 5=6، وسعوا إلى تحقيق التوازن في الحياة المسيحية واستعادة الحيوية للكنيسة التي أحببها، ودعم الحركة الميثودية بعقيدة قوية ومعيارية للنعمة والمحبة».

- "هي حركة بدأت كجمعية دينية ترغب في إصلاح الكنيسة الإنجليزية من الداخل، وفي القرن الثامن عشر استقلت عن الكنيسة الإنجليزية، وأعلنت نفسها كنيسة مستقلة، بعد موت "جون ويسلي" عام 1795م وسميت بهذا الاسم لأن "ويسلي" وأتباعه كانوا يتبعون نظامًا صارمًا من الصلوات وقراءة كتابهم المقدس ودراسته، والصوم، وأعمال الخير، ولهم أساليب خاصة في ذلك ونمط معين أطلق عليهم بالمنهجية (الميثودية)⁽²⁾.

⁽¹⁾-Paul chilcote: st Andrews encycloepadia of theology Methodist theology, Edited by brendan, N.Wolfe et al, 2022, p4.

⁽²⁾- ماهر بونان عبد الله: المرجع السابق، ص: 197.

نشأتها:

في عام 1735م سافر الإخوة "وسلي" إلى ولاية جورجيا في أمريكا الشمالية ضمن بعثة أنجليكانية وإلتقيا في السفينة ببعض المبشرين الألمان تأثر بمنهجهم وتقواهم الديني.

وعند عودته إلى إنجلترا بدأ بإطلاق دعوته في الأماكن العامة، لأنّ الكنيسة كانت تجاربه، وكان يقصد جماهير الناس، وجذب حوله عددًا كبيرًا من الأتباع، والناس كانوا متعطشين لمثل هذا النوع من الإيمان الداخلي، فأطلق للناس تأكيدات بأنّه تمّ قبولهم كأبناء الله، وهذا النوع البسيط من الإيمان أعطى جاذبية أكثر لدى شريحة كبيرة من الناس وفي عام 1739م، تمّ إنشاء الحركة مع مجموعة من أتباعه، ومع استمرار الحركة، كانت الحاجة ملحة لإنشاء تنظيم وتقسيم العمل على شعب ولكل شعبة رئيس، وبازدياد الأعداد والأتباع تمّ عقد مؤتمرات سنوية، ومما زاد الحركة نجاحًا، قدرة "ويزلي" وقوة تحمله في الدعوة إلى حركته الجديدة.

في البداية لم يكن "ويزلي" يصرح باستقلاله عن الكنيسة الأنجليكانية إلاّ أنّ مقاومته رجال الدين في الكنيسة الإنجليزية، وبعض الظروف الأخرى أدى إلى الانفصال عام 1784م، حيث تمّ إعلان هذا الأمر في مؤتمر أقيم في أمريكا الشمالية، وتمّ إنشاء أبريشة الكنيسة المنهجية⁽¹⁾.

إلاّ أنّه وبسبب التغيرات الإجتماعية لدى "الميثوديست" تسببت في وجود عدة خلافات وإنشاقات، أدت إلى تأسيس كنائس جديدة في أمريكا وبريطانيا وإفريقيا، وجرت محاولات للّم الشمل في عام 1932م في بريطانيا، وإنتهت إلى تأسيس كنيسة موحدة، ضمن كنيسة كندا المتحدة 1968م بمسمى الكنيسة الميثوديسية الموحدة⁽²⁾.

وتمركزت والغالبية العظمى في الوقت الحالي في أمريكا وبعدها بريطانيا، أمّا في المناطق، فإنّ الميثودية تشكل نوعا من القوة في إفريقيا وبعض مناطق آسيا ووسط وشمال أوروبا من المهاجرين الأمريكيين.

(1) - سعد رستم: المرجع السابق، ص: 181.

(2) - طارق بن سليمان البهلال: المرجع السابق، ص: 1102.

الفرع الثاني: معتقداتها ومبادئها

يؤمنون بالعقائد الأساسية للنصرانية، التثليث، والفداء والخلاص بالإيمان وحده، ويؤمنون بكتابهم المقدس أنه كلمة الله⁽¹⁾، إلا أن الاعتقاد في صحة كتابهم المقدس منخفضة بين الميثوديين، بالرغم من تأكيدهم لسلطته⁽²⁾، كما تؤكد الكنائس الميثودية على أهمية تعميد الأطفال، والحاجة إلى ممارسة طقس العشاء الرباني بشكل منتظم، حيث يعتقدون بوجود المسيح حقيقة في هذا العشاء، بالرغم من عدم وجود تعريف دقيق لديهم عن كيفية وجوده⁽³⁾.

كما أنهم يؤمنون بأن نعمة الله السابقة تسبق الخلاص وتجعله ممكناً للخطاة الذين يعملون بحسب الإنجيل، كما يؤمنون بأنه من الممكن أن يرتكب المسيحيون خطايا بشكل يفقدتهم الخلاص، والكل يحتاج الكفارة لاستعادة صورة الله⁽⁴⁾.

أما فيما يخص جانب العبادات ركزوا الميثوديين على التقوى والممارسة التعبدية أكثر من المعتقد أو المذهب، كما حدده "ويسلي" عند أرسل إلى الكنيسة الأمريكية مناديا بروح الحرية التي لا تقبل بيان المذهب كمذهب نهائي خال من أي أخطاء، ويرى "جو وسلي" أن الوسائط المفروضة للنعمة هي: الصلاة وذلك بقراءة الكتاب المقدس، العشاء الرباني، الصوم⁽⁵⁾.

ولعل هذا الأمر يتناقض مع قولهم أن الحصول على نعمة الخلاص مجاناً بدون عمل إلا أن "ويسلي" أقر هذه الوسائل للحصول على النعمة.

- يؤمن الميثوديين أن جوهر الدين يظهر في العلاقة الشخصية مع الرب، وكذلك العبادة اليسيرة ومشاركة الكهنوت للمؤمنين والعامية سواء في العبادة وإدارة الكنيسة، أو الإهتمام بأصحاب الظروف الإجتماعية القاسية، وكذلك تفردت بتشكيل مجموعات صغيرة من أجل التشجيع والتنوير المتبادل.

⁽¹⁾-Jean lacoste: encycopaedia, p 1027.

⁽²⁾-<https://www.gotquestion.org.2025/1/21> استرجع يوم:

⁽³⁾- إنعام بنت محمد عقيل: المرجع السابق، ص: 431.

⁽⁴⁾-Kennedy ovirno, Mume.H.Dandala: Methodst churches in Africa, Regrum Books Intenational chapter 32, p 362.

⁽⁵⁾-ماهر يونان عبد الله: المرجع السابق، ص: 198.

- كما تفردت العبادة عندهم بأنّها تقوم على الخبرة الروحية التي يشعر بها الشخص أثناء الإهداء، بمعنى أنّ "وسلي" يزعم أنّه لا بد من رؤية المسيح أو حدوث أمر خارق، وبه يعرف الإنسان أمر خلاصة.

- كما أنّها تركز على ضرورة تبليغ رسالة النصرانية، وخدمة العالم.

- معظم الكنائس الميثودية تتبع في طقوسها السنوية دعوة "وسلي" لتجديد عهدا مع الله، يوم الأحد من كل سنة في شهر نوفمبر، ولهم تراتيل معينة منها: صلاة "وسلي" الخاصة بالعهد مع الله، ولا زالت تستعمل بالإضافة لبعض التعديلات البسيطة بالنسبة لتنظيم الخدمة⁽¹⁾.

- تعترف الكنيسة الميثودية بقانون إيمان الرّسل⁽²⁾، وتترك لأفرادها حرية الإيمان، وتصرّ كثيرًا على المشاعر الروحية التي يعيشها المؤمن عند اهتدائه، وتؤكد على قوة الروح القدس، وحاجة الإنسان إلى علاقة قوية مباشرة مع الله، وتطالب بالالتزام بالبساطة في العبادة، والحرص على مساعدة المحرومين.

كما أنّها تؤمن بكتاب الصلّاة العامة، والدّي قام "وسلي" بتعديله وتكييفه ليتناسب مع الاستخدام لأتباعه، وتؤمن أيضا بكتاب الشعائر الميثودية 1975م المكتوب بلغة حديثة ليعطي فرصة واسعة لممارسة طقوس العبادة لديهم.

ثمّ جمعت الطقوس التي في كتاب الصلّاة 1965م، وكتاب النظام 1980م، والترانيم الميثودية المتّحدة في كتاب العبادة الميثودية المتّحدة 1988م، الدّي تمّ إعداده للتخلص من جميع آثار التحيز ضدّ المرأة⁽³⁾.

لكن ما يؤاخذ على المعتقدات الميثودية أنّها اتّسمت بنزعة رهبانية صوفية تقوم على التقشّف والزهد الممقوت⁽⁴⁾، وأنّها لم تقدم ثقافة ولا فكرًا، وكل ما كان عليه إشاعة الترانيم الدّينية والتركيز على التخويف من النّار، ومن هنا اعتبرت نكسة فكرية خاصة وأنّها عاصرت حركة التنوير، والصراع الكبير

(1) - إنعام بنت محمد عقيل: المرجع السابق، ص: 433.

(2) - قانون إيمان الرّسل: نص موجز للعقيدة المسيحية يستخدم على نطاق واسع في العديد من الكنائس، ويعرف أيضا باسم عقيدة الرّسل، يعود أصله إلى القرون الأولى للمسيحية (https://www.bible.com). استرجع يوم: 2025/2/1.

(3) - إنعام بنت محمد عقيل: المرجع السابق، ص: 435.

(4) - أحمد شلبي: المرجع السابق، 1998م، ص: 198.

بين العقل والايمان لم يكن لها فيه أي مشاركة، وكانت أعمالها مركزة على الخوف وتعتمد على العاطفة، وترى أن العقل فتح للإنسان.

أيضا المناداة بروح الحرية في علاقة الشخص مع الرب، فتح باب التمرد للرعايا، وأعطى حق الاستبداد للقساوسة في اتخاذ القرارات مما نتج عنه حدوث انقسامات متتالية للكنيسة⁽¹⁾.

ومما يؤخذ عليهم أنهم اتصفوا بالتعصب والحماس الزائد في الوعظ، ويذكر أن "جورج ويتفيلد" حينما كان يلقي المواعظ يغشى على الحاضرين ويصرخون ويبيكون، وكانت الكنائس ترتج بصيحات من يظنون أنهم نالوا الخلاص، وأناس يظنون أنهم هلكوا⁽²⁾.

بالإضافة إلى اعتقادهم أنه يمكن للشخص أن يعرف من نفسه أنه من أهل النعيم أو الجحيم، ويشير علماء التاريخ والنفس أنه من أخطر أنواع الإنفعال النفسي وله أخطار عديدة تصل بالشخص إلى حد الانتحار⁽³⁾.

وكذلك ما يؤخذ على هذا المذهب أنه تلقائي لا يخضع لأي نظام، حيث أنه كان يسمح للناس أن يعبروا عن شتى ألوان مشاعرهم والإنغماس في العبادات، مما ألقى بالبعض إلى التهلكة⁽⁴⁾.

الفرع الثالث: أهدافها وأنشطتها

ذكرت الكنيسة الميثودية في أحد مواقعها أنها تهدف إلى الدمج بين الحاجة الاجتماعية والفردية، ومعالجة القضايا الاجتماعية، والمحافظة على وحدة المجتمع والاجتهاد في تحديد أولويات الأنشطة والإرساليات الميثودية، والسماح بتطوير العبادة والطقوس بين أعضاء الكنيسة، ودعم وتنسيق عمليات الطباعة والنشر⁽⁵⁾.

(1) - إنعام بنت محمد عقيل: المرجع السابق، ص: 437/438.

(2) - المرجع نفسه، ص: 439.

(3) - كارين ارمنسترونج: معارك في سبيل الإله (الحركات الأصولية الدينية في اليهودية والمسيحية والإسلام)، ت: فاطمة نصر-محمد عناني، New yorke, Alfred A.Knopfr، ط1، 2000، ص: 136.

(4) - المصدر نفسه، ص: 137.

(5) - المجلس العالمي للميثودية <https://www.worldmethodist.org> استرجع يوم: 2025/8/21

أما عن أهدافهم في تجمعاتهم فقد جُمعت في أربع عبارات مختصرة وهي: الترحيب، العبادة، التربية، الإرسال.

أ/-الترحيب: ويقصدون أي شخص لديه شكوك وأسئلة ويشعر بالضياع أو لديه اضطرابات اجتماعية، ومهمتهم الوصول إليهم وسماعهم، وقبولهم ومشاركة الانجيل معهم.

ب/العبادة: ويقصدون بذلك السعي لتكوين علاقة بين الناس والربّ ومساعدتهم في تعميقها.

ج/-التربية: (النشأة أو التغذية): ويقصدون به تغذية الناس بالإيمان النصراني، من خلال ممارسة الشعائر المقدّسة كالتعميد، العشاء الرباني، دراسة التوراة، والصّلاة وغيرها.

د/-الإرسال: يرون من مهماتهم إرسال الأعضاء للمحتاجين لنشر الحبّ والعدل، حيث يعتقدون أنّ الروح القدس تدلهم وتعطيهم القوة لإيجاد المحتاجين ومساعدتهم، بحيث أنّه لا يمكن للفرد عمل ذلك وحده إلاّ بمساعدة الجماعة⁽¹⁾.

إضافة إلى بعض الأنشطة الاجتماعية والإقتصادية والتعليمية التي تقوم بها الكنيسة الميثودية، كمنع كافة أشكال الاستعباد، ولايقرون بالعرقية ويعتبرونها ذنب، كما يؤكّدون على قداسية عقد الزواج، وينكرون على أنّ الانتحار ليس الصحيح لأنّهم حياة البشر، وتعارض القتل الرحيم، والكنيسة تتحمل معالجة الظروف التي تقود إلى فقد قيمة الحياة بمساعدة بابوية أو طبيّة.

وأيضاً عارضوا في البداية الاجهاض لإعتقادهم في قدسية الحياة الإنسانية لكنّهم باحترامهم لحياة وسلامة الأم هي التي تختار ذلك، والإقرار بجرمة الأشخاص المحتضرين في عدم إكمال العلاج وغيرها من الأنشطة الاجتماعية، والإقتصادية والتعليمية⁽²⁾؛ إلاّ أنّها تبقى تصبّ في هدف واحد وهو حسب اعتقادهم نشر الرسالة المسيحية بين الناس.

وتشير النتائج المستخلصة من العرض السابق إلى أنّ الكنيسة المشيخية التي سعت إلى إصلاح الكنيسة الإنجليزية، وضمنان حرية الفرد في اختيار دينه ومذهبه وفكره، لم تتجاوز في إصلاحاتها كونها إصلاحات شكلية طفيفة ذات طابع اجتماعي ونفسي، ولم تتطرق هذه الإصلاحات إلى الإصلاح الجذري العقائدي للكنيسة، كما لم تسهم في إضافة مفاهيم جديدة للمسيحية.

(1) - إنعام بنت محمد عقيل: المرجع السابق، ص 430.

(2) -المرجع نفسه، ص 452.

المبحث الثاني: من الناحية السياسية:

كان للإصلاح البروتستانتى تأثير كبير على المشهد السياسى فى أوروبا خلال القرن السادس عشر، وإختلاف زعماء الإصلاح البروتستانتى فى وجهات نظرهم السياسية أدى إلى تأثيرات مختلفة على المجتمعات التى عملوا فيها خاصة وأوروبا عامة، ولعل من بين أهم التأثيرات التى نتجت نذكر بعض النقاط المهمة كمايلي:

المطلب الأول: الحروب الدينية:

يعدّ موضوع الحروب الدينية، من أكثر المواضيع التى أرهقت كاهل أوروبا مطلع العصر الحديث، والتى تسرّبت برداء الدين فى معظم الأحيان من أجل تحقيق أهداف سياسية، ومصالح شخصية وإقتصادية وإجتماعية، فكانت حروب إمتدت بجذورها عبر الزمان منذ العصور الوسطى، والخلافات التى نشأت بين البروتستانت والكاثوليك كنتيجة حتمية لاختلاف الآراء، ورفض التسامح، فتأجج العنف فى الأوساط الإجتماعية، أو الانقسامات البروتستانتية التى أضعفت الحركة من الداخل، وكانت سببا مباشراً فى تهيج مشاعر الحقد والعداوة، بين البروتستانت أنفسهم.

هذه الحروب اتّسمت بالتعصب الشديد بشتى أشكاله، واختفت فيه روح التسامح الدينى بكافة أشكاله، وسادت نزعات اللاتسامح، وتفشّت موجة الأحقاد والضغائن والفهم الخاطى، فتشتت الشعوب الأوربية وتمزّقت وإنقسمت، وأسكت صوت، العقل والمنطق.

فكانت صراعات ومعارك دامية، انقسامات وأتّهامات بالكفر والزندقة وأحكاماً بالقتل والتعذيب والحرمان، فأدّت إلى هدم جسور الثقة، وساد الشك والخبث فى العلاقات بين الدول، والأفراد والجماعات، فانتشر الفساد وسادت الفوضى فى شتى الأرجاء، وانتشرت الإضطهادات الدينية، واضطراب المناخ الدينى، وأجبروا الشعوب كل على مذهبه بما يخالف عقيدته الدينية، فراح الكثيرين من المضطّهدين يبحثون من ملاذ آمن، وبيئة متسامحة فكانت تلك الحروب مصدراً للرعب والهلع، أخفت الهدوء والسّلام فى بقاع الغرب الأوروبى فترات طويلة من الزمان، التى لم تقتصر فيما بعد على البلدان الغربية فحسب، بل اكتوت بناها باقى القارات الأخرى، فمع الاتّشاح برداء الدين خرج الأوربيون إلى العديد من بلدان العالم، وأبادوا باسم الدين ملايين البشر، ونهبوا ثرواتهم وانتهكوا حرماهم المقدّسة.

ولعله من بين أهمّ الحروب الدّينية التي عاشتها البلاد الأوربية:

1/- حرب الثلاثين عامًا (1618-1648م): التي كانت بين الكاثوليك والروتستانت خاصة بعد إخفاق صلح أوغسبورغ الديني عام 1555م، وعدم استطاعة الإمبراطور⁽¹⁾، أن يعرض الكاثوليكية على الشعب الألماني كله، وإضطراره إلى ترك الحرية لكل حاكم في اختيار المذهب الذي يروق له، ولعل من أهمّ أسباب فشل هذا الصلح لم يفسح المجال للبروتستانتية التي أخذت تنتشر في أوروبا، فلم يعترف صلح أوغسبورغ بهذه العقيدة الجديدة (الكالفينية خاصة)، أو بمبدأ التسامح الديني عموماً، بالإضافة إلى أنّ شخصية إمبراطور آل هابسبورغ في النمسا فريناند الثاني (1619-1637م) عاملاً في اشتعال هذه الحروب، فقد كان رجلاً كاثوليكياً متعصباً، وكان يمقت البروتستانت مقتاً شديداً، وقد أقسم أيماناً مغلظة على اقتلاعهم من أملاكه، فأنزّل بهم سلسلة من الاضطهادات في استيريا وبوهميا، وفي سائر أنحاء أملاكه النمساوية، ونجح في تحقيق أهدافه ووضع الحياة الدّينية والفكرية في النمسا تحت سيطرة الكاثوليك، ممّا أدى إلى إندلاع حرب الثلاثين عامًا⁽²⁾.

بالإضافة إلى أنّ انتشار البروتستانتية في شمال ألمانيا وجنوبها اضطرت الكنيسة الكاثوليكية إلى العمل بجدّ ونشاط في حركة الإصلاح الكاثوليكي، وقد قدم "فليب الثاني" ملك إسبانيا واليسوعيون خدمات كبيرة للكنيسة، وأخذت الحكومة الكاثوليكية في ألمانيا تضطهد البروتستانت، وعاد عدد كبير من الأمراء إلى اعتناق المذهب الكاثوليكي، فخاف البروتستانت، فكوّنوا إتحاداً في عام 1608م وسمّوا الإتحاد البروتستانتى للدفاع عن مصالحهم المشتركة ودفع الأخطار القادمة من جهة الكاثوليك، وراح الكاثوليك يؤسسون في عام 1609م عصبة كاثوليكية أو حلفاً مقدّساً لمواجهة البروتستانت، وبذلك إنقسمت ألمانيا إلى معسكرين كانا على استعداد للإشتباك في حرب عند أوّل ظرف يسمح بذلك.

دون أن ننسى أنّه من أكبر الأسباب آنذاك، الأطماع السّياسية للدول التي اشتركت في حرب الثلاثين عامًا، مثل السويد والدانمارك، وقد اتّضحت أغراض فرنسا السّياسية وغيرها، وهذه الأطماع

(1) - شارل الخامس (1338-1380م) أحد ملوك فرنسا، وثالث ملك من أسرة فالوا

(استرجع يوم: <https://www.cononvonderland.nl2025/8/21>)

(2) - محمد على محمد عثمان: الحروب الدّينية في أوروبا على مشارف العصر الحديث، جامعة الزقازيق، مصر، ص: 121-122.

تدل دلالة قاطعة على ضعف الدوافع الدينية في هذه الحروب، واستمرت هذه الحروب والنزاعات بينهم 30 عامًا وفي الأخير جاء صلح وستفاليا⁽¹⁾، عام 1648م نهاية الحروب الدينية والتسامح الديني، ونص على كثير من البنود مثل:

- أن يتمتع أتباع لوثر وكالفن بالحرية الدينية في جميع أنحاء الإمبراطورية .

- أن يستردّ رجال الدين البروتستانت ما انتزع منهم من أملاك، ويحتفظ الكاثوليك بما تحت أيديهم وغيرها من البنود.

وكخلاصة لما تقدّم ذكره فإنّ هذه الحروب الدينية كان لها تأثير سلبي، حيث اندثرت فيه معالم الصناعة والتجارة والفنون، وتأثرت المانيا أكثر من الدول الأخرى لأنّها كانت مساحة للمعارك، وفي الحقيقة أنّ صلح وستفاليا يعدّ بداية طور جديد في تاريخ الحضارة الأوروبية، فقد أقرّ بعد فترة الحروب الدينية الطويلة مبادئ من شأنها نجاة البروتستانتية نهائيًا من الأخطار⁽²⁾، التي تهددها، واختفى الاضطهاد الديني، فقد كان الصلح نهاية لعصر الإصلاح والحروب الدينية، فقد قضى هذا الصلح على أمل المصلحين في تحطيم الكنسية الرومانية التي تتّبع روما، وكذلك فشل الحركات الإصلاحية المضادة في إعادة الولاء المطلق للبابا وكنسية روما، ومن ثمّ كان لا بد من بقاء المذهبين وتعايشهما جنبًا إلى جنب في أوروبا فساد مبدأ التسامح الديني في أوروبا⁽³⁾.

(1) - صلح وستفاليا: أو معاهدة مونستر تمّ توقيعها في 24 أكتوبر 1648م في مونستر واستفاليا(ألمانيا)، وقد أنهى هذا الصلح حرب الثلاثين عامًا (1618 - 1648م)، (الموسوعة السياسية: معاهدة وستفاليا/ <https://political-encyc-lopedia.org> 2022.Mars.7 استرجع يوم: 2025/9/21

(2) - محمد على محمد عثمان: المرجع السابق، ص: 123-126.

(3) - عبد العزيز نوار: عبد الحميد البطريق: التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى اواخر القرن الثامن عشر، دار الفكر العربي، القاهرة 1995، ص: 143.

2/- الحروب الدينية في فرنسا (1560-1598م):

كانت بين البروتستانت الهيغونوت⁽¹⁾ الفرنسيين والكاثوليك، ظهرت فيه الدسائس والمؤمرات والمكائد والخداع بشكل يتنافى مع الدين مثلاً: ما فعله البروتستانت الفرنسيون يستجدون بإنجلترا ودعمها ضد الكاثوليك في مقابل تسهيل احتلال قوات إنجلترا للهافر⁽²⁾ الفرنسية.

فأصبحت فرنسا موطناً لحروب دينية ضاربه، وتدهورت أحوالها واضطربت الأمور فيها، وكثرت حوادث الاغتيالات السياسية وإزهاق كثير من الأرواح من الجانبين، فعانت فرنسا حينذاك من أزمات داخلية طاحنة إذ زيد في مقدرا الضرائب، ودمرت، مما أدى بها إلى إعادة البناء والتعمير حينها قال الملك هنري الرابع: يبدو أنّ مهمة التعمير أشدّ من قهر الجيوش⁽³⁾، وقد عانى الهيغونوت من الإضطهاد والصراعات إلى أنّ أصدر عام 1598م هنري الرابع ملك فرنسي مرسوم نانت الذي منح لهم الحقوق الدينية والمدنية، لكن في عام 1685م تمّ إلغاء هذا المرسوم من قبل لويس الرابع عشر، ممّا أدى إلى موجة جديدة من الاضطهاد للهغونوت حاولت من خلاله الحكومة الفرنسية إجبارهم على العودة إلى الكاثوليكية، مما أجبر العديد منهم إلى الهجرة إلى البلدان المجاورة هرباً من الاضطهاد الديني، وتمّ في هذه الفترة تدمير العديد من الكنائس البروتستانتية في فرنسا، وتحويل البعض منها إلى كنائس كاثوليكية، واهتموا الهيغونوت بالهرطقة والتمرد، فتّم اعتقالهم وتعذيبهم ومحاكمتهم⁽⁴⁾.

و لعله من أبعث الأحداث الإرهابية في تاريخ الحروب الدينية وأحزنها على الإطلاق، مجزرة القدس بارثليمو، التي حدثت في التاريخ الفرنسي، وكان ذلك يوم 24 أوت 1572م، بفترة قصيرة بعد زواج

(1) -الهيغونوت "Huguenot": مصطلح يستخدم لوصف أتباع البروتستانتية في فرنسا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وكانوا يتبعون تعاليم "كالفن"، وهي كلمة ألمانية تعني الشركاء في العهد، وقد عانوا من الاضطهاد الدينية في فرنسا، فهاجروا إلى هولندا وإنجلترا وأمريكا الشمالية وساهموا في تطوير الثقافة والاقتصاد في هذه البلدان (الموسوعة العلمية الشاملة، تاريخ دول واحداث، ط1، دار الفكر، لبنان، 2014، ص: 172).

(2) -الهافر (le Harve): مدينة ساحلية تقع في شمال فرنسا على ساحل القناة الإنجليزية، وتعتبر الهافر ميناء هاماً ومركزاً صناعياً واقتصادياً كبيراً في فرنسا (موسوعة العربية 20: 08/07/2025/22: <https://arab.ency.com.sy>)

(3) - عبد العظيم رمضان: تاريخ أوروبا والعالم الحديث (من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م، ج1، ص: 133.

(4) - زينب عصمت راشد: تاريخ أوروبا الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ج1، ص: 24-28.

"هنري النافاري" الذي أصبح فيما بعد "هنري الرابع" ملك فرنسا الذي كان زعيمًا للهوغونوت، من "مارغريت"، من فالوا في كتدرائية نوتردام في باريس، وكان الهدف من الزواج هو توحيد الكاثوليك والبروتستانت في فرنسا، وتقليل التوترات بين الطائفتين، فتم التخطيط للزواج كجزء من محاولة لتحقيق السلام.

في أوت 1572م، وصل "هنري النافاري" إلى باريس لحضور حفل زفافه على مارغريت، وكانت الأجواء متوترة، حيث تجتمع العديد من البروتستانت في باريس لحضور الزفاف في الليلة التي سبقت المذبحة في 23 أوت، كان الزواج في ساحة الكاتدرائية التي لم يدخلها هنري نظرًا لأنه كان بروتستانتيا ومارغريت كانت كاثوليكية، فلم يتمكن من المشاركة في القداس الكاثوليكي بالكامل وفي ساحة الكاتدرائية قام الكاردينال "دي بوربون" ببارك الزواج، وبعدها توجه العروسان إلى قصر اللوفر لحضور الإحتفالات التي تخللتها عروض وموسيقى ورقص، وأثناء هذا الاحتفال بدأت شائعات حول مؤامرة بروتستانتية مزعومة ضد العائلة المالكة (عائلة فالوا)، وفي ليلة 23 أوت تلقى ضابط باريس يدعى "شارل دوجاس" أمرًا من الملك "شارل التاسع" بتحريض من والدته "كاترين دي ميديشي" بقتل قادة البروتستانت، وبدأ الكاثوليك بالتسلح والاستعداد للهجوم⁽¹⁾.

و في الساعات الأولى من يوم 24 أوت، يوم القديس باثليمو، بدأ الكاثوليك بقتل الهوغونوت البروتستانت، وكانت الضربة الأولى موجهة ضد قادة الهوغونوت، ولكن سرعان ما انتشر العنف إلى أحياء باريس، وبدأ الكاثوليك في قتل أي هوغونوتي يقع في أيديهم.

استمرت المذبحة لعدة أيام، وإمتدت إلى مدن أخرى في فرنسا، وتم قتل الآلاف من البروتستانت، حيث تشير التقديرات إلى أن عدد الضحايا تراوح بين 5.000 إلى 30.000 شخص، وتم رمي جثثهم في نهر السين وتركها في الشوارع، وتركت هذه المذبحة آثارًا عميقة بين الكاثوليك والبروتستانت في فرنسا، كما أدت إلى إنخفاض شعبية الملك "شارل التاسع"، وزادت من تعقيدات الوضع السياسي في فرنسا⁽²⁾.

فكانت هذه المجزرة النقطة السوداء التي لازالت لحد الآن عالقة في التاريخ الأسود لفرنسا، وهي

(1) -ميلاد المقرحي: تاريخ أوروبا الحديث (1453-1848م)، ط1، منشورات قاربونس، بنغازي، 1996م، ص: 106.

(2) - عبد الفتاح حسن أبو عليه، اسماعيل أحمد باغي: المرجع السابق، ص: 115-129.

تدرس في المدارس والجامعات الفرنسية لحد الساعة، كدرس تاريخي حول مخاطر الصراعات الدينية والطائفية، وتبيان مدى أهمية التعايش السلمي بين الأديان والمذاهب المختلفة، وتحث على تشجيع الحوار والتفاهم بين الثقافات وتقبل الرأي الآخر.

بالرغم من أنّ تاريخ فرنسا الغير مشرف يثبت عكس هذه المنهجيات التي تعتمدها في مدارسها وجامعاتها نظريا فقط، لأنّ التاريخ الفرنسي مليء بأحداث عنيفة ودمرية، بدءا من هذه المجزرة نفسها مرورًا بالعديد من الحروب الاستعمارية، مثل الثورة الجزائرية التي شهدت مقاومة شرسة من الشعب الجزائري ضدّ الإستعمار الفرنسي، ممّا يظهر أنّ الطمع والعنف والصراعات جزءًا من تاريخ فرنسا، وليست مجرد حادثة معزولة ممّا يثير تساؤلات حول مدى تأثير هذه الأحداث التاريخية على فهم الحاضر والمستقبل الفرنسي، وعلاقتها الدولية.

لكن يبدو أنّ فرنسا قد دفعت ثمن هذه الاضطهادات غاليا، فقد خسرت المواهب والخبرات الهامة عندما هاجر الهيغونوت إلى بلدان أخرى خاصة بعد أن ساهموا في تعزيز إقتصاد هذه البلدان وتطويره.

3/- الحروب الدينية بين البروتستانت:

في أعقاب الإصلاح البروتستانتي نشبت صراعات دينية وسياسية بين الطوائف البروتستانتية المختلفة، حيث اختلفت تفسيراتهم للنصوص الدينية وممارساتهم العقائدية، هذه الاختلافات أدت إلى توترات وحروب مما أدى إلى تغييرات جذرية في الخريطة الدينية والسياسية لأوروبا، مثل الخلافات التي نشأت بين اللوثريين والكالفينين وتطورت إلى معارك فكرية، كل هاجم الآخر ساعيا إلى إبطال مذهبه، حتّى وصل بهم الأمر إلى التأليف ضدّ بعضهم البعض، فاقت ثلاثة أضعاف تلك التي ألّفوها ضدّ الكاثوليك.

ففي 1573م عدّد راع لوثري أربعين خاصية من خصائص الذئاب، وقال بأنّها صفات للكالفينية، وارتأى أنّ أنصار هذه الحركة أشبه بالذئاب الضاربة التي ما فتئت تنهش وحدة العالم الأوروبي وتمزّق تعاليم الدين المسيحي⁽¹⁾.

(1) - كامل سعفان: المرجع السابق، ص: 394.

وامتلأت قلوب الكالفنيين بالإحتقار للمذهب اللوثري إذ اعتبروه ممتلاً بالأباطيل البابوية، كما أنّ الحس القومي لم يغيب عن هذه العداوة اللوثرية للهيغونوت، وقد جاء في إحدى المقالات الهجائية عام 1590م ما يلي: «آه يا ألمانيا، إلى أين يجرك ظلالك؟ ألا تدركين أنّ الذئاب الضاربة تتسلل إلى ديارك، وتتهياً لحمام دم يسقط فيه أولئك الذين يأنفون من سمّ كالفن الشيطاني؟ إنهم ينؤون تسديد الضربة القاتلة إليك مستندين إلى دعم أسياد غرباء يتحّينون لحظة إهلاكك بفارغ الصبر، ومنذ زمن بعيد، فمتى أيها الألمان تدركون أنّ الكالفنيين يحتقرونكم، ويسخرون منكم»⁽¹⁾؛ فهذا القول يعكس رؤية نقدية إتجاه تأثيرات الأفكار الكالفينية في ألمانيا، حيث يشبه الوضع بالذئاب الضاربة التي تتسلل إلى الديار وتتسبب في الدمار، لذا يجب الحذر من حدوث عواقب وخيمة قد تنجم عن انتشار هذه الأفكار، كما يشير إلى خطر كبير يهدد الاستقرار والنظام في البلاد، بالإضافة إلى أنّ القول دليل واضح يعكس لنا الوضع السائد آنذاك من أتباع لوثر وأتباع كالفن من توترات دينية وسياسية ومدى تأثيرها على المجتمع.

ويبدو أنّ هذه المضاربات الفكرية قد أثارت المشاعر والغرائز والأهواء، والانفعالات أوهجت العنف لدى الأفراد والجماعات، بحيث لم يبقى لكلا الطرفين فرصة لسماع صوت العقل، حتّى نال العطب والعقم مسار الإصلاح الديني، مما أدى إلى الدخول في حروب ومعارك دموية.

ومن جهة أخرى لم يكن الزوينجليون في محضّة من تلك التجاذبات والصراعات، ولعلنا قد لاحظنا هذا سابقاً في علاقة المصلح السويسري "أولريخ زوينجلي" بنظيره الألماني "مارتن لوثر"، واختلافهما حول مسألة العشاء المقدّس، بالرغم من إتحاد اللوثريين والزوينجليين معا في الحرب ضدّ "شارل الخامس" الإمبراطور الروماني الذي واجه مشاكل كبيرة خلال فترة حكمه بسبب انتشار البروتستانتية في أوروبا، وكان "شارل الخامس" كاثوليكيًا متدينا، ورأى في البروتستانتية تهديداً لسلطته وديانته فواجهه عسكرياً البروتستانت في حرب "شمكالديكية" بهدف قمع الحركة البروتستانتية، وإنتهت

⁽¹⁾ - لوكليز جوزيف: تاريخ التسامح في عصر الإصلاح، ت: جورج سليمان، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2009م، ص366.

الحرب بتوازن القوى آنذاك، وبعد فشل المواجهة العسكرية اتجه "شارل الخامس" إلى التفاوض السياسي مع القادة البروتستانت، حيث قدّم لهم تنازلات دينية في مقابل ولائهم، وتمثّل ذلك في صلح أوغسبورغ⁽¹⁾، الذي سمح لكل حاكم في الإمبراطوية الرومانية اختيار الدين الرسمي لدولته، والذي اعتبره بعض المؤرخين حلاً مؤقتاً، لأنّه لم يحل التوترات الدينية الأساسية بين الكاثوليك والبروتستانت⁽²⁾.

هذا التكتل بين اللوثريين والزوينجليين لم يكن كافياً لانقسام الحركتين إلى النهاية، ولا أدلّ من ذلك قول لوثر: «أن أتناول الدم فقط مع البابا أحبّ إليّ من أن أتناول الخمر فقط مع زونيجلي»⁽³⁾.

فالحركة البروتستانتية كشفت لنا عن شكل معين من أشكال الإلتباس أو التناقض، حيث إنّ التيار الإصلاحية قد مثل ثورة على سلطة قائمة تمتلك الصفات الخارجية لأي سلطة من تنظيم وقوانين وطقوس وتقاليد، وقد ناشدت البروتستانتية الجماهير: (ألاً يعتقدوا في ذلك أو يطيعوا)، بل ناشدتهم في الواقع، وفي حماسة أنّ يعتقدوا في أمور أفضل وأن يطيعوا رجالاً أفضل، وقوانين أفضل، ولكن أصرّ كل من لوثر وكالفن على أنّ ما دعوا الناس إلى اعتقاده، وإلى طاعته هو عين الصواب، وأنّ ما دونه لا يعدو أن يكون بلاذة فكر وبدع مستحدثة⁽⁴⁾.

مما سبق ذكره نستنتج أنّ فكرة العصيان وعدم تقبل الرأي المخالف قد ترسخت لدى البروتستانت، وأنّ كل الأفكار والمبادئ المخالفة لا تقتصر على الكاثوليك فقط، بل تعدت إلى البروتستانت فيما بينهم.

والواقع أنّ التخبط والتناقض والتنافر الذي أصاب الفكر اللوثري بالكالفيني بالزونيجلي هو نتيجة خلط الدين بالسياسة، مما أدى بالحركة الإصلاحية إلى خروجها من روحانيتها المسيحية، ودخولها في متاهات العنف والكراهية ومع تصاعد حدة التنافر العقائدي بين البروتستانت أدى إلى إضعاف موقفهم التفاوضي والوجودي أمام الخصوم الخارجيين.

(1) - صلح أوغسبورغ: هو اتفاقية دينية وسياسية تم التوقيع عليها في 25 سبتمبر 1555م في مدينة أوغسبورغ الألمانية، كان الهدف منها هو حل النزاعات الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت في الإمبراطورية الرومانية (الموسوعة العربية).

استرجع يوم: <https://www.tagepedtie.org.2025/8/21>

(2) - عزت زكي: المصدر السابق، ص: 104.

(3) - القس حلمي يعقوب: المصدر السابق، ص 60.

(4) - كرين برنتن: قصة الفكر الغربي، ت: محمود محمود، مؤسسة هندواي للنشر، مصر، 2020م، ص: 313.

في ضوء ذلك بات من الضروري للبروتستانت إعادة تقييم أولوياتهم اللاهوتية والسياسية، والعمل على توحيد جهودهم لمواجهة التحديات الخارجية التي تهدد كيان الحركة البروتستانتية برمتها.

بشكل عام اختلاف البروتستانت فيما بينهم أدى إلى إنقسامهم وتفرعهم كنائس وطوائف بروتستانتية عديدة، وأختم بقول رائد الإصلاح الفكري في الإسلام محمد عبده: «ما دخلت السياسة في شيء إلا أفسدته»⁽¹⁾.

المطلب الثاني: ظهور الدولة بمفهومها الحديث

تبين مما سبق أن أوروبا شهدت جملة من التطورات، أبرزها تلك الحروب الدينية التي ساهمت إلى حد كبير في توجيه التاريخ السياسي الأوروبي، فقد نشطت العديد من الكتابات، وتبلورت العديد من النظريات السياسية للخروج من الأزمة، ويكون كفيلا بضمان الحفاظ على كيان تلك الحركات ووضع حد للقتال والصراع، خصوصا أن البروتستانتية لم تكن عقيدة عالمية، فكان خطر الاضمحلال يهددها، مما أدى بها إلى الاحتياج الكبير لحماية السياسيين من حكام ورؤساء دول⁽²⁾، وتأسيسا على ما سبق برز جيل من المفكرين السياسيين أمثال: "جان بودان" (1529-1596م)⁽³⁾، الذي أرجع تكوين الدولة⁽⁴⁾ إلى التكوين البشري المتألف من جماعات متألفة تحكم بواسطة القوى العظمى والعقل، ولقد سعى "جون بودان" إلى استعادة مكانة السلطة وقوتها، في زمن كان أبعد ما يكون عن ذلك التسامح، حيث كانت أوروبا تعيش آنذاك في عالم مخيف تسوده الصراعات الدينية، حتى إن أعنى

(1) -عثمان أمين: رائد الفكر المصري (الإمام محمد عبده)، المجلس الأعلى للثقافة، مصر 1945م، ص: 195.

(2) - برتراند راسل: حكمة الغرب، ت: فؤاد زكريا، عالم المعرفة، الكويت، 1983م، ج3، ص: 35.

(3) - جان بودان "Jean Bodin": فيلسوف فرنسي ولد عام (1529-1596م) كاتب وسياسي ومؤلف اقتصادي، صاحب كتاب "الجمهورية"، نادى بمفهوم السيادة المطلقة وأعطى الحاكم السلطة المطلقة (فوزي أبو ذياب: المفاهيم الحديثة للأنظمة والحياة، دار النهضة العربية، لبنان، 1971م، ص: 58.

(4) -الدولة: عرفها الفيلسوف الفرنسي باتلي (مؤسسة سياسية يرتبط بها الأفراد من خلال تنظيمات متطورة).

وعرفها الدكتور محسن خليل: بأنها جماعة من الأفراد تقطن على وجه الدوام والاستقرار إقليمًا جغرافيًا معينًا، وتخضع في تنظيم شؤونها لسلطة سياسية تستقل في أساسها عن أشخاص من ممارستها.

(هشام إبراهيم أحمد: ملخص عن بعض جوانب الدولة، كلية الآداب، جامعة القدس، دائرة العلوم السياسية والدراسات الدبلوماسية، بيت حنينا، 2000-2001م، ص: 6.

السلطة الزمنية ما كانت لتصمد وتحافظ على قوتها جراء تلك الصراعات وما رافقها من تعصب وتمزق للمجتمعات، وبنى أفكاره على أنّ السبيل إلى تجاوز الحروب الدينية والتجاذبات المذهبية هو الخضوع من جانب الرعية لرأس السلطة الشيء الذي يجعلهم مواطنين، بغض النظر عن طوائفهم ومعتقداتهم وتقاليدهم، وأكد على أنّ الرابطة السياسية يمكن أن تكفي لقيام الدولة، وإن كانت الجماعة السياسية منقسمة على نفسها بسبب فوارق الدين، وعرف السيادة أنّها سلطة عليا على الرعية والمواطنين⁽¹⁾.

ولعل رأي "بودن" إلى الترويج لفكرة سيادة الدولة، راجع إلى الواقع المرير الذي عايشه في تلك الحقبة الزمنية، والذي طغت عليه الحروب والصراعات الدموية في أغلب أقطار أوروبا.

ويبرز في ذلك أنّ السيادة ستقضي عليه المصالح الطبقية وتضاربها، كما ستساعد على استقرار النظام في الدولة الواسعة، فهو ينشد سلطة زمنية محايدة متسامحة دينيا ومتسامكة أخلاقيا، فهو بذلك قد نجح إلى حد بعيد في إخراج نسق فلسفي قائم على المعرفة العلمية خلّص السلطة السياسية من اللاهوت⁽²⁾.

إضافة على رأي "بودن" فالحتمية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية أدت إلى ضرورة إنشاء الدولة، فالاستبداد والحكم المطلق الذي هيمن على القرون الوسطى في أوروبا، وكثرة الحروب، كل ذلك أدى إلى تعزيز مركزية الدول آنذاك، عن طريق الاكتشافات والاختراعات مثلا وسائل التواصل والمراقبة، وزيادة قدرة الجيوش يحسن الدخل الفردي، فكل ذلك شكل جوهر الدولة الحديثة، وبفضل حقبة التنوير وإصلاحاتها تطورت مفاهيم الحرية وحقوق الفرد والسيادة الشعبية ومحاسبة السلطة وغيرها، فالمجتمع الإنساني وجد وفرضت فيه علاقات إجتماعية معقّدة، ونشاطات إجتماعية متعددة وبالتالي في هذا الحال لابد من وجود المشرف الذي ينظّم هذه العلاقات والنشاطات تنظيما يحول بينه وبين التفكك بفعل تصادم مصالح الأفراد والجماعات، ويشرّع القوانين التي تصون حقوق الأفراد في المجتمع وواجباتهم نحوه⁽³⁾.

(1) - جورج سباين: تطور الفكر السياسي، ت: راشد البراوي، دار المعارف، القاهرة، ج3، ص: 557.

(2) - وليام. ت كافانو: أسطورة العنف الديني (الايديولوجيا العلمانية وجذور الصراع الحديث)، ت: أسامة غاوجي، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2017، ص: 220.

(3) - محمد مهدي شمس الدين، دراسات ومواقف في الفكر والسياسة والمجتمع، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1991م، ص: 39-40.

فحسب "بودان" لا يجب أن ننظر إلى ظهور الدولة بمفهومها الحديث على أنّها كائن يلازمه الشر ملازمة تامة، لأنّ الدوافع التي قضت بإقامتها هي دوافع خيرة تتمثل في تخليص الشعوب الأوروبية آنذاك من الأوضاع الفاسدة التي عاشتها على جميع الأصعدة.

من "جان بودان" الذي رسّخ مفهوم السيادة الوطنية في القرن السادس عشر إلى رأي "ديفيد هيلد"، الذي يرى أنّ إنتقال السلطة من الكنيسة إلى الدولة هو الحلّ الوحيد، والممكن لعنف الحروب الدينية، وفي هذا السياق يقول: "اكتسب تشكّل فكرة الدولة الحديثة قوة دفع كبرى من الصراع المير بين الفرق والطوائف الدينية، والذي انتشر عبر غرب أوروبا خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر، ووصل إلى ذروته خلال حرب الثلاثين عاما في ألمانيا⁽¹⁾."

كما تأثرت كتابات "باروخ سينوزا"⁽²⁾، إلى حد كبير بالإنقسامات والحروب التي ابتليت بها بلده هولندا، وباقي أنحاء أوروبا طوال فترة حياته فنجد في مقدمة كتابه "رسالة في اللاهوت والسياسة"، يقدم سينوزا بإعتباره المشكلة التي تسعى الرسالة إلى تجاوزها، فيتحدّث في البداية عن أسباب بعض الحروب والثورات الدينية، ويركّز على كيفية وقوع الجماهير الساذجة في قبضة الدوغما "Dogma"⁽³⁾، الدينية لتصير وقودًا لتلك الحروب، لذلك اقترح فكرة الحرية الدينية، والمذهب القائل بأنّ على الدولة ذات السيادة أن تمتلك الحقّ في كل شيء في الشؤون الدنيوية الزمنية والروحية على حد سواء، وبذلك تكون السلطات العليا الحاكمة هي مفسّرة الدين بالنسبة إلى شعوبها⁽⁴⁾.

(1) -وليام. ت كافونو: المرجع السابق، ص: 221.

(2) - باروخ سينوزا: هولندي، من أهم فلاسفة القرن 17، ولد في 1632م-1677م في لاهاي، له عدة مؤلفات: رسالة في اللاهوت والسياسية، رسالة في إصلاح العقل، علم الاخلاق (باروخ سيسوزا: علم الأخلاق، ت: جلال الدين سعيد، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009، ص: 7-11).

(3) - دوغما "Dogma": هي مجموعة من المبادئ أو العقائد التي يجب على المؤمنين قبولها والإيمان بها دون شك، هذا في السياق الدّيني. أما في السياق العلمي أو الفلسفي، فهي الأفكار والنظريات التي تعتبر مسلمات غير قابلة للنقاش أو التدقيق. (قاموس المعاني عربي إنجليزي). [Httos: //www.almaay.com](https://www.almaay.com) استرجع يوم: 2025/8/21

(4) - باروخ سينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ت: حسن حنفي، ط1، دار التوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005، ص:

مما سبق نستنتج أنّ سينوزا كان يرى أنّ الحروب الدينية نابعة من التعصب الديني وعدم التسامح، وأنها سببت دماراً كبيراً للمجتمعات، فهو يؤكّد على أنّ الدولة يجب أن تكون علمانية ومحيدة تجاه الدين لكي تتجنب مثل هذه الصراعات التي يرجعها في أصلها إلى سوء فهم نصوص الكتاب المقدس وتفسير هذه النصوص بشكل متطرف، لذا يجب تحكيم العقل في فهم النصوص الدينية فهما جيداً، وفي حلّ هذه الصراعات والاختلافات، فيدعوا إلى التسامح الديني والتعايش السلمي بين مختلف الطوائف الدينية، والدولة وجدت كأداة للحفاظ على السلام وتحقيق الأمن، ولا يكون هذا الأمر إلاّ إذا كانت الدولة محايدة تجاه الدين فلا تفضّل ولا تدعم طائفة على حساب أخرى، ويجب أن تضمن حرية المعتقد والعبادة للجماهير بغض النظر عن إنتماءه الديني، فدورها يقتصر على الحماية وحفظ السلم لا التدخل في الشؤون الداخلية للطوائف الدينية المختلفة، لكن من ناحية أخرى يرى بعض النقاد أنّ فكرة سينوزا في الفصل بين الدين والدولة قد يؤدي إلى تهميش الدين في الحياة العامة، ممّا ينتج عنه تآكل القيم الدينية في المجتمع.

أمّا من الناحية السياسية فيرى البعض أنّ سينوزا لم يأخذ في الاعتبار تعقيدات السياسة والعلاقة بين الدين والدولة في الواقع العملي، كما أنّ فكرة العلمانية التي نادى بها ستؤدي إلى صراعات سياسية خاصة في المجتمعات التي لديها تقاليد دينية قوية.

وبينما يرى سينوزا أنّ العلمانية والديمقراطية تؤدي إلى التسامح والتعايش السلمي، يركّز "ميكافيلي"⁽¹⁾، على أهمية القوة والذكاء في السياسة فيشير إلى أن الدين يمكن أن يكون أداة مفيدة للحاكم في تحقيق أهدافه، فنظرته نظرة براغماتية، المهمّ عنده ليس أن تكون العقيدة صحيحة أو خاطئة إنّما المهم هو مساهمتها في إضفاء قدر من التماسك الاجتماعي داخل الدولة، وفكرته الغاية تبرر الوسيلة يعتبرها قاعدة أساسية وفكرة محورية في الإدارة السياسية، وهي من الفلسفات الواقعية التي يجب أن يكون مستعداً لها أي حاكم، فلا مانع من استخدام الأمور الغير أخلاقية مادامت تخدم شؤون

⁽¹⁾ - نيكولا ميكافيلي: فيلسوف كاتب ايطالي (1469-1527م) عرف بالحنكة السياسية من أهم أعماله: كتاب "الأمير" (كينج روس: ميكافيلي فيلسوف السلطة، ت: فايقه جرجس، ط1، كلمات عربية للتوزيع والنشر، القاهرة، 2008م، ص: 9-10.

المصلحة العامة.

فروية ميكافلي للواقع البائس الذي دخلته أوروبا كان بسبب تداخل الدين والسياسة، وجمع الباباوات بين مهمة حرق البخور وتقليد التاج، هذا كله أدى إلى تمزق وضعف أوروبا ففتح عنه عدم تشكل بوادر الدولة آنذاك.

وعلى هذا الأساس أقر بضرورة إعادة مكانة الدين وحسن إستغلاله، فالدين في نظره هو ابن الدولة، التي يجب أن تستغله لأغراض سياسية بحتة واعتبارية، وأداة يفرضها الأمير للحصول على موافقة الشعب عامة، يقول: «إنّ الدين ضروري للحكومة لا لخدمة الفضيلة، ولكن لتمكين الحكومة من السيطرة على الناس، كان المواطن الروماني يخشى حنث اليمين أكثر من القوانين لأنّه يهاب أولئك الذين يمثلون سلطان الربّ أكثر من الرجال»⁽¹⁾، لذلك نجد موقف الكنيسة من هذا الكتاب الذي لم ينشر إلاّ بعد خمس سنوات من موت ميكافلي، سرعان ما أثار مخاوفها فأدرجته ضمن قائمة الكتب المحظورة التي أصدرتها عام 1559م، يقول أحد الباحثين: (موقف الكنيسة من الكتاب مريب فقد أباحت نشره في البداية ثم منعتة، وهذا عائد إلى مزاج الباباوات ومدى إنفحتاهم على الأفكار، بعضهم رأى أنّه غير أخلاقي، وبعضهم رأى فيه طعنا للدين، وأنّه يعطي وزنا للتراث الوثني على حساب الدين، وهذا لا يخدم مصالح الكنيسة»⁽²⁾.

إضافة إلى ذلك فإنّ ميكافلي هاجم رجال الكنيسة بسبب حياة الترف التي يعيشها الكثير من القساوسة، وما سببته من زعزعة للثقة في الدين يقول: «... كما أنّه وجد البابا مفتوحًا على جمع الأموال بطرق لم تستخدم من قبل ... وهو لم يكتف باستخدام تلك الطرق بل زاد عليها»⁽³⁾.

كما يشير في كتابه "المطارحات" أيضا إلى الفساد الذي انخرط فيه رجال روما وتدخلهم في الحكم والمصالح الزمنية على حساب المصالح الروحية، أدى إلى تمزق المجتمع وإضعافه، يقول: «قد نجم عن فساد رجال الكنسية عدد لا يحصى من المتاعب والفتن وأول ما ندين به نحن الإيطاليين للكنيسة

(1) -نيقولا ميكافلي: الأميرات: أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 2004م، ص: 31.

(2) -حسن لعدم: كتاب الأمير الميكافلي (نظرية اليد القدرة والقفاز النظيف)، الجزيرة الوثائقية، 2020/4/7 <https://2020/4/7>

2025/8/21: doc.aljareera.net/9: 57

(3) -نيقولا ميكافلي: المصدر نفسه، ص: 65.

ورجالها، هو أننا صرنا ملحدين ومعوجين، كما أننا ندين للكنيسة ورجالها بشيء أعظم ولعله السبب الثاني فيما لحق بنا من خراب، فالكنيسة هي التي جزأت إيطاليا ومازالت تحافظ على تجزئتها، ومن الحق أن يقال أن أي بلاد تشعر بنعمة الوحدة والسعادة، إلا إذا كانت كلها تحت سيطرة حكم جمهوري واحد أو أمير واحد»⁽¹⁾.

كما أنه كان يرى أن المسيحية كديانة في ذلك الوقت غير صالحة لنشأة دولة قوية يقول: «ولو احتفظ حكام الدول المسيحية بالروح الدينية التي رسمها لنا مؤسس المسيحية، لكانت دول النصرانية وجمهورياتها في وضع أكثر إتقاداً، وأكثر سعادة مما هي عليه الآن، ولو أراد أحد أن يخمن الأسباب التي أدت إلى تدهور هذه الروح الدينية، لما وجد خيراً من التطلع إلى تلك الشعوب التي تعيش على مقربة من كنيسة روما، وهي رأس ديانتنا، إذ يرى أن الدين أضعف لديها منه عند غيرها من الشعوب البعيدة، ولو درس المرء ديانتنا كما كانت عليه عند ظهورها، ثم رأى مدى الخلاف الذي يقوم بينها وبين ما هو واقع اليوم، لتوصل حتماً إلى النتيجة القائلة بأن ديانتنا تقترب إما من الدمار أو من الكارثة»⁽²⁾، فهو ينتقد الكنيسة لإستغلالها السلطة والمال لتحقيق أهدافها، مما أدى إلى فساد أخلاق رجال الدين زادت أطماعهم وشغفهم بحياة البذخ والرفاهية، فانعكست له الرؤيا في عدم صلاح المسيحية كديانة يمكن أن تنتج دولة قوية وعلى هذا الأساس يجب فصل الدين عن الدولة لضمان استقرار الدولة وتحقيق أهدافها وأن لا تتدخل الكنيسة في الشؤون السياسية، وأن تكون سلطتها محدودة، وعلى الدولة أن تستخدم هذا الدين لصالحها بحيث يكون ذلك بشكل مفيد ومتوازن.

وعلى الرغم من آراء هؤلاء المنظرين السياسيين ووجود بعض الاختلاف في آراءهم الفكرية، إلا أن العقل الأوربي استساغ تلك الأفكار ولاقت ترحيباً في الأوساط الشعبية، التي سئمت إراقة الدماء في سبيل الدفاع عن أفكار غريبة، إذ أن فكرة التعايش السلمي، والتسامح الديني في منظور الجماهير الأوربية، كانت غاية صعبة المنال بل تكاد تكون مثالية، ولبلوغ تلك الغاية ساندت الجماهير البروتستانتية والكاثوليكية على حد السواء الفكرة الداعمة لإيجاد سلطة محايدة ذات سيادة قادرة على ضمان حق البقاء، والتعددية لجميع المذاهب الدينية ما لم تهدد كل طائفة بقاء غيرها، لذلك ارتأت

⁽¹⁾ -نيقولا ميكيافيلي: مطارحات ميكيافيلي، ت: خيرى حماد، ط3، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982م، ص: 268.

⁽²⁾ -المصدر نفسه، ص: 267.

الأغلبية أنّ الدولة هي السلطة الكفيلة بتحقيق السلم والأمان والسعادة.

بشكل عام يؤكّد لنا المفكر المصري "محمد عمارة" ما ذكرناه سابقاً، حيث نقل في كتاب "مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا" شهادة ألمانية للقس "جوتفرايد كونزلن"⁽¹⁾، فحواها «أنّ الإنشقاق الناتج عن الإصلاح الدّيني وما خلفه من حروب ذات الدوافع المذهبية استدعى ضرورة العيش الموحد في ظل نظام سياسي مشترك على الرغم من اختلاف المذاهب الدّينية، فتمخّض عن ذلك إعطاء الأولوية للسياسية بتقدّمها عن الدّين، فكانت هذه الأفضلية للسياسة على مطالب الفئات الدّينية هي وحدها التي جعلت تكوين نظام سياسي سلمي للأمم أمراً ممكناً، وعلى هذا النحو يتطور التصور الإنساني للسلم من قيامه على الحقائق الدّينية إلى قيامه على ما تكفله الحكومة من أمن وتعايش سلمي متجاوز بذلك الاختلافات المذهبية التي أصبحت أموراً دينية وكنيسية داخلية، وقضايا يخصّ أسلوب حياة المؤمنين الشّخصية الخاصة⁽²⁾».

بمعنى أنّ الصراعات والانقسامات المذهبية دفعت إلى تكوين نظام سياسي يعمل على تحقيق الأمن والسلم.

وتأكيد لما سبق يقول أحد الباحثين: «وسيادة الدولة آنذاك نشأت نزعة لتحويل الكنيسة إلى أداة بيد الدولة، وتحويل رجال الدّين إلى جهاز وظيفي في الدولة، وبعد أن كان الدّين هو الوسيط بين المنفعة الخاصة والخير العام يصبح بالإمكان أن تؤدي الوطنية هذه الوظيفة»⁽³⁾، فهنا يصنف عملية "تسييس الكنيسة" و"وظيفة رجال الدّين"، حيث أصبحت الدولة هي المهيمنة على الكنيسة، وبات رجال الدّين ينظر إليهم كموظفين حكوميين، هذا ما يشير إلى تلاشي دور الكنيسة كوسيط بين المصالح الفردية والخير العام، ليحلّ محلّه مفهوم الوطنية كقيمة مركزية، هذا التحوّل يعكس تغييرات هيكلية في السلطة والشرعية الإجتماعية.

⁽¹⁾ -جوتفرايد كونزلن: Goltfried Konzelman ألماني عالم اجتماع وأستاذ اللاهوت الانجيلي والأخلاقيات الإجتماعية، بجامعة القوات المسلحة بميونخ. (محمد عمارة، مقال: خواطر دعوية Islam.web.net/2012/5/8 ماذا صنعت العلمانية بأوروبا).

⁽²⁾ - جوتفرايد كونزلن: مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا (شهادة ألمانية)، تقديم: محمد عمارة، دار نضرة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1999م، ص: 27.

⁽³⁾ - عزمي بشاره: الدين والعلمانية في سياق تاريخي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ج1، ص: 430.

بإيجاز يمكن القول، إنّ إفساح المجال للدولة كفضاءٍ للتعايش السلمي بين مختلف الفرق الدينية كان يعتبر الحلّ الأمثل لتحرير المفكر الأوربي من قبضة الخوف، ممّا يتيح له الحق في الابداع وتوليد الأفكار ضمن إطار دستوري يقوم على المساواة، وتصبح السلطة السياسية هي المسؤولة عن محاسبة المخالفين لهذه القوانين، بعيداً عن الصراعات الطائفية والمذهبية.

-ومن الجدير بالملاحظة أنّ هذه التوجهات السياسية المذكورة ليست في مأمن من النقد التاريخي، فمن خلال منح السيادة للدولة والعيش تحت رعايتها في جوّ يسوده الأمن والسلام، ثمّ القضاء على الاضطهاد والعنف بين المذاهب الدينية، ومع ذلك أدّت هذه السيادة الجديدة إلى خلق فجوة بين السلطة السياسية والسلطة الدينية، مما أدى إلى نوع من الاغتراب بين الكنيسة والدولة، وساهم بشكل اساسي في ظهور العلمانية.

ومما لا شك فيه أنّ ظهور الدولة الحديثة قد أنقذ أوروبا من عنف الدين، فالإنتقال من القروسطيّ إلى الحداثي، كان انتقالاً طويلاً، بقدر ما كان عملية معقدة المكاسب والخسائر.

وأياً كان هذا التحول فإنّه لم يكن مساراً تقديمياً من العنف إلى السلام التام بل يبقى مجرد انتقال تدريجي من الكنسية الدينية إلى الدولة العلمانية أو استبدال سيادة روما بسيادة الدولة، هجرة للمقدّس من الكنسية إلى الدولة ويظهر ذلك جلياً في تأسيس حروب جديدة بطموحات جديدة ورفع شعار الموت في سبيل رفع اقتصاد الوطن بالنهّب والسلب من القارات المجاورة.

المطلب الثالث: تبلور فكرة العلمانية

تبين ممّا سبق ذكره أنّ البروتستانت كان لهم الدور الأكبر في نثر بذور العلمنة السياسية في عموم القارة الأوربية، حيث تمكّنت الحركة البروتستانتية من مدّ جذورها وتثبيت أقدامها؛ ولربّما في حقيقة الأمر أنّ الثورة الدينية الإصلاحية الذي بذل الجهد لفهم الكتاب المقدّس وإبراز مكانته، وإلغاء الوساطة اللاهوتية، كان ينوي بمحض إرادته دفع المسار العلماني، أو الميل عن مقاصد الديانة والانحراف عن مساره، ولكنّ العلمانية، تمخّضت عن مجموعة من السياقات السياسية والاجتماعية التي لم تكن هي نفسها واعية بمصائرهما وعواقبهما؛ فما معناها؟ وأسبابها؟ وكيف ظهرت وترعرعت؟

الفرع الأول: تعريفها

جاء تعريفها في بعض المصادر الأجنبية كما يلي:

-«The idea That religion shoreld not be involved in public life or gouvernement»⁽¹⁾

-«فكرة أن الدين لا ينبغي أن يكون له دور في الحياة العامة أو في الحكومة».

-« Aprinxiple That séparates religion forme the state, and allows indivrduals to enjoy freedom belife and worship »⁽²⁾

-«مبدأ يفصل بين الدين والدولة، ويسمح للأفراد بالتمتع بحرية العقيدة والعبادة».

-وجاء تعريفها في القواميس والمعاجم كما يلي: (Webesters New world).

في قاموس العالم الجديد -لويستر:

«هي نظام من المبادئ والتطبيقات، يرفض أي شكل من أشكال الإيمان والعبادة»⁽³⁾، أو

-«الإعتقاد بأنّ الدين والشؤون الكنيسية لا دخل لها في شؤون الدولة، وخاصة التربية العامة»⁽⁴⁾.

-وجاء أيضا في معجم أكسفورد شرحا لكلمة "Secular".

"دنيوي، أو مادي، ليس دينيا ولا روحيا: مثل التربية اللاتينية، الفن أو الموسيقى اللادينية، السلطة اللادينية، الحكومة المناقضة للكنيسة".

-أو "الرأي الذي يقول أنّه لا ينبغي أن يكون الدين أساسا للأخلاق والتربية»⁽⁵⁾.

(1)-Bary copeland, and a,other: Secularism: Avery short Introduction, oxford university press, 1st edition, p1.

(2)-Christian Smith: the Secular Revvolution, Pouoer Interets, and conflict in the secularization of Americon public life, johns Hopkins unive -rsity press, 1st Edition, p3.

(3)-سفر بن عبد الرحمن الحوالي: العلمانية: نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، دار المحجرة، ص: 21-23.

(4)-المرجع نفسه، ص: 22-23.

(5)- معجم أكسفورد: المصدر السابق، ص: 1117.

- يقول المعجم الدولي الثالث الجديد، مادة "Secularism".

- «إتجاه في الحياة أو في أي شأن خاص يقوم على مبدأ أنّ الدين أو الاعتبارات الدينية يجب أن لا تتدخل في الحكومة، أو إستبعاد هذه الإعتبارات استبعادًا مقصودًا، فهي تعني مثلاً: السياسية اللادينية البحتة في الحكومة»⁽¹⁾.

- ويعرفها المستشرق "آربري" في كتابه (الدين في الشرق الأوسط) على الكلمة نفسها: «إنّ المادية العلمية والإنسانية والمذهب الطبيعي والوضعي كلها، أشكال اللادينية، واللاينية صفة مميزة لأوروبا وأمريكا، ومع أنّ مظاهرها موجودة في الشرق الأوسط، فإن لم تتخذ أي صيغة فلسفية أو أدبية محددة، والنموذج الرئيسي لها هو فصل الدين عن الدولة في الجمهورية التركية»⁽²⁾.

وجاء أيضا في تعريفها أنها:

- كلمة مترجمة لكلمة "سيكولاريزم" "Secularism" الإنجليزية، التي لها نظائر في اللغات الأوربية، والكلمة اللاتينية "سيكولوم" "Seaculum"، وتعني "العصر" أو "الجيل" أو "القرن"، أما في لاتينية العصور الوسطى فإنّها تعني: "العالم" أو "الدنيا".

استخدم مصطلح "سيكولار" مع نهاية حرب الثلاثين عامًا عند توقيع صلح وإستفاليا، وبداية ظهور الدولة القومية (الحديثة).

- ومعنى مصطلح العلمانية محدود الدلالة، ولا يتسم بأي نوع من أنواع الشمول إذا تمّت الإشارة إلى ممتلكات الكنيسة، فهي (نقلها من سلطات سياسية غير دينية) أي إلى سلطة الدولة التي لا تخضع لسلطة الكنيسة.

- وعرفها جون هولويك (1817-1906م): «الإيمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية دون التصدي لقضية الايمان سواء بالقبول أو الرفض»⁽³⁾.

(1) - سفر بن عبد الرحمن الحوالي: المرجع السابق، ص: 23.

(2) - المرجع نفسه، ص: 23.

(3) - محمد إبراهيم مبروك، المرجع في العلمانية (حقيقة العلمانية والصراع بين الإسلاميين والعلمانيين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2000، ص: 6/5.

وجاء تعريفها في الكتابات العربية كما يلي:

-التعريف الشائع عندنا أنّها "فصل الدين عن الدولة"، ولفظة العلمانية هي ترجمة خاطئة لكلمة "Secularism" في الإنجليزية أو "Secularite" بالفرنسية⁽¹⁾، وهي كلمة لا صلة لها بلفظ "العلم" ومشتقاته على الإطلاق.

فالعلم في الإنجليزية والفرنسية معناه "Science"، والمذهب العلمي نطلق عليه اسم "Sientism"، والنسبة إلى العلم "Scientific"، ثم إنّ زيادة الألف والنون غير قياسية في اللغة العربية أي في الإسم المنسوب، وإمّا جاءت سماعًا ثمّ كثرت في كلام المتأخرين كقولهم: روحاني، جسماني نوراني...

-والترجمة الصحيحة للكلمة هي "اللا دينية" أو "الدينية" لا بمعنى يقابل الأخروية فحسب، بل بمعنى أخصّ هو ما لا صلة له بالدين أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضادّ وتّضح الترجمة الصحيحة لها: «حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيهاتهم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها»⁽²⁾.

ويعرفها:

محمد أركون: «تحرير الفكر الديني من سلطته المطلقة»⁽³⁾، يعتبر أركون أنّ العلمانية يمكن أن تكون وسيلة لإعادة قراءة التراث الإسلامي بطريقة عصرية وتحرير الفكر الإسلامي من التفسيرات التقليدية.

-عبد الوهاب المسيري: "هي فصل المؤسسات الدينية (الكنسية) عن المؤسسات السياسية (الدولة) أو (فصل الدين عن المادة)، مع تحديد دور الدين في الحياة الروحية"⁽⁴⁾.

-محمد عمارة: يرى أنّ العلمانية هي "فصل الدين عن الحياة العامة، وتحديد دور الدين في الحياة

(1) - القاموس فرنسي عربي، قاموس عام لغوي-علمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص: 1030.

(2) -سفر بن عبد الرحمن الحوالي: المرجع السابق، ص: 22/21.

(3) -محمد أركون: العلمنة والدين (الإسلام، المسيحية الغرب)، ط3، دار الساقي، بيروت، لبنان، 1996م، ص: 07.

(4) -عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية العلمانية الشاملة، ط1، دار الشروق، مصر، 1423-2002م، ص: 17.

الشخصية»⁽¹⁾، وهي علمانية جزئية لأنها تتيح للدين أن يحتفظ بدوره.

وتعرّف بصفة عامة فنقول هي: «العلمانية أو العلمانية أو اللائكية أو الدنيوية، هي المبدأ القائم على فصل الحكومة ومؤسساتها والسلطة الدينية أو الشخصيات الدينية».

ويبقى إختلاف عبارات العلماء وكُتّاب الموسوعات في تعريفها اختلافا كبيرا كل يعرفها من زاويته الدينية والفكرية.

الفرع الثاني: تطور مفهوم العلمانية عبر العصور

ظهرت بوادر العلمانية في أوروبا خلال العصور الوسطى كردّ فعل على هيمنة الكنيسة على الحياة السياسية والاجتماعية (كما سبق ذكره)، وكانت الثورة الفرنسية (1789م) نقطة تحول بارزة، حيث أقرّت مبدأ فصل الدين عن الدولة رسميا في عصر النهضة الذي ظهرت فيه الاكتشافات العلمية، وعصر التنوير بقيادة جمع من الفلاسفة والمفكرين الذين نادوا إلى الديمقراطية وفصل السلطات والحرية بكل أشكالها بما فيها الحرية الدينية، فما عانت منه الشعوب الأوروبية في العصور الوسطى، ودور حركة الإصلاح الديني البروتستانتية، وحاجة الشعوب إلى نظام تحرّهم من قيود الكنيسة الكاثوليكية أكبر سبب لظهور العلمانية من جهة، ومن جهة أخرى الحروب الدينية والطائفية فتحت المجال أمام العلاج العلماني، فمن رحم الحروب الدينية والممارسات الكنيسة تشكلت فكرة الفصل بين الدين والدولة، ومن ثمّ يمكننا القول أنّ قصة الصعود البروتستانتية والانشقاق عن كنيسة روما، وما أنتجه من عنف ديني له أهمية استثنائية في تأسيس شرعية الغرب العلماني، وأنّه ما إن جاءت العلمانية حتّى أجبرت الطوائف الدينية المتخاصمة على التسامح⁽²⁾.

فالحل العلماني تمّ تنفيذه عمليا قبل أن يصبح نظرية فكرية محددة أو رؤية سياسية واضحة المعالم، فهي لم تكن وليدة ممارسات تأملية عميقة أو اكتشافات حول ميول فكرية لبعض الأفراد أو الجماعات، وإنما كانت حلاً علميا فرضته أجواء العنف الديني في القرنين السادس عشر والسابع عشر.

(1) - محمد عمارة: الحوار بين الاسلاميين والعلمانيين، نضضة، مصر، 2000م، ص: 10.

(2) - كافانو وويليام: المصدر السابق، ص: 215.

فكما ذكرنا سابقاً فقد هيا زعماء الإصلاح الديني البروتستانتى الضروريات التاريخية والمسوّغات الدينية والكلامية التي تضافرت فيما بينها من أجل تفخيم سلطة الدولة، كما سعوا في بلورة القومية التي بدأت في التشكل آنذاك.

فعملت بعدها الدولة الزمنية على افتكاك الكثير من الوظائف السياسية والاجتماعية التي كانت تستأثر بها الكنيسة، كما قامت على صهر الموروثات المسيحية ضمن وحدة المشاعر القومية المتمركزة حول أفكار شرف الأمة، وعزة الوطن، والشرف القومي، وأصبح الفرد الأوروبي يؤثر السكينة والسلام في نظم علمانية على التبعية القطيعة في النظم التيقراطية، وصار يفضل أن تظل المملكة في سلام بدون الكنيسة على أن تكن في حرب مع سيادتها⁽¹⁾.

فقد اجتهد لوثر في توفير السمع والطاعة لحكام الأمة مهما كانت زلاتهم وهفواتهم، لإعتبار أنّ السيف الزمني هو الكفيل للأمان الاجتماعي وهو المؤمن على المؤمنين، ولم تكتفي بتفكيك أسس الشرعية الدينية والكلامية التي تتأسس عليها سلطة الكنيسة البابوية، بل عمل على ملئ ما تركت البابوية من فراغ ديني وسياسي، ويظهر ذلك جلياً في قوله: «من حقّ الأمراء في إرادة الشؤون الزمنية والروحية على السواء، بما في ذلك حقهم في ممارسة سلطتهم الإكراهية على الكنيسة نفسها، من جهة أخرى دأبت الحركة البروتستانتية على نزع رداء القداسة عن رجال الدين ليصبحوا أناساً عاديين، وعملت على تجريد الكنيسة من مشروعية التحكم في أرواح المؤمنين وأجسادهم.

وفي المحصلة، فإنّ تطور السلطة العلمانية، قد تزامن مع عجز الكنيسة عن تحقيق مهامها السياسية والفكرية، وواكب تنامي معقولة المعرفة العلمية، وقوة الدولة في حل المشكلات الاجتماعية والروحية، وهذا هو الذي دفع السياسة الحديثة إلى التماهي في تثبيت شرعيتها مع فكرة فاعلية العلم كوسيلة للتقدم الحضاري، وفاعلية الدولة كوسيلة لتحقيق الهناء الاجتماعي، وهكذا سادت مع الوقت الحكمة القائلة بأنّه من الأصح للمجتمع أن تكون ممارسة السلطة السياسية فيه من قبل ناس مدنيين لديهم خبرة مباشرة بشؤون السعادة الارضية والحقيقة المادية، وفي هذه الحالة فإنّ رجال الدين يحتفظون بسلطتهم الروحية ولا ينبغي عليهم ولا يحقّ لهم التدخل في السلطة السياسية⁽²⁾.

(1) - جورج سيابن: المصدر السابق، ص: 112/3.

(2) - برهان غليون: تقد السياسة، الدولة والدين، ط4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2007م، ص: 356.

وفي الختام نقول أنّ العلمانية في الغرب المسيحي بقدر ما كانت شرطاً للمناس من مقابح النظام الإقطاعي، اقترنت أيضاً بميلاد الدولة الحديثة، دولة القوانين والحريات، بعيداً عن حدود الانتماء المذهبي، وكان من الطبيعي أن يترسخ هذا الفكر في أوروبا، ويجد له مكاناً كإجراء عملي وقائي داخل الدولة تحول دون عودة كابوس الحروب الدينية.

المطلب الرابع: إعادة اليهود على الخارطة السياسية:

يعتبر اليهود من أقدم الجماعات الدينية في العالم، ولهم تأثير كبير على العديد من حضارات وثقافات الشعوب الأخرى، بحكم أنهم عاشوا في تشتت طويل، فانتشروا في مختلف أنحاء العالم، خاصة في أوروبا حيث تواجدوا فيها لفترة طويلة جداً، وكان تاريخهم في أوروبا حافل بالأحداث التاريخية إلى غاية ظهور حركة الإصلاح الديني التي يُعتبر ظهورها بمثابة تحول في تاريخ اليهود.

الفرع الأول: حال اليهود قبل ظهور حركة الإصلاح البروتستانتية

من الحقائق التاريخية التي لم ينكرها أحد من المؤرخين هي أنّ اليهود كانوا في أوروبا في العصور الوسطى في ظلّ إضطهاد دائم ومعاناة مستمرة، فذاقوا العذاب والحزني لزمان طويل، وشربوا من كأس الذلّ والمهانة والخضوع حتّى ثملوا، وقد صوّر أحد مفكري الصهاينة "ليونشكر"⁽¹⁾ حال اليهود آنذاك قائلاً: «لقد أصبح اليهود يحتلون بين أمم العالم الحيّة وضع أمة ماتت منذ أمد بعيد، وبعد أن فقدوا أرض آباءهم، فقدوا استقلالهم، وأضحوا أشبه ما يكون بحالة من حالات المادة المنتفخة، مالا ينسجم مع وجود كائن عضوي حيوي ومتكامل، فمنذ أن سحق الفاتحون الرومان الدولة اليهودية اختفت عن أنظار العالم... ولم يكن بوسع خيال الأمم الأخرى غير أن يشعر بانطباع غريب إزاء هذا الشيء الشبيه بالشبح المجرد من الوحدة والتنظيم، المجرد من الأرض، ومن أية رابطة توحدته...»⁽²⁾، فهو يعكس الواقع الذي عاشه اليهود في العصور الوسطى، حيث كانوا يتعرضون للتمييز والاضطهاد وكانوا يعيشون في عزلة وانفصال عن المجتمعات المحيطة بهم، فهم كانوا كالأشباح لأنّه ليس لهم انتماء.

⁽¹⁾ -ليونشكر: (1821-1891) طبيب روسي، صهيوني، زعيم جماعة أحبّاء صهيون أصدر كتابه "التحرر الذاتي" بالألمانية، دعا إلى إتحاد قومية يهودية تتيح لهم المشي على أرض واحدة، كما دعا إلى إقامة شركة مساهمة لشراء الأراضي (المركز الفلسطيني للإعلام <https://palinfo.com/12/7/2025/15/31>).

⁽²⁾ - خالد القسنطيني: تكوين الصهيونية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1986م، ص: 29.

كما أنه لم تصور صورة اليهودي في القرون الوسطى في الرسوم والحكايات الشعبية إلا على شاكلة إنسان نجس وخاطيء، أو على شكل بومة أو أفعى، أو رجل صاحب أنف مقوس، هرم ذي لحية وملامح عبيسة وكريهة⁽¹⁾، وقد ظلّ اليهود في نظر الشعوب المسيحية بأسرها "أمة ملعونة"، أمة مارقة من رحمة الرب، كما لم تكن هناك ذرة من حبّ عاطفي للمجد القديم للجنس العبري، ولا بارقة أمل في إعادة بعث رفاة تلك الترسّبات التاريخية روحيا أو قوميا⁽²⁾.

وبغض النظر عن هذا، فإنّ دمار بني اسرائيل جاء بسبب فسقهم وكفرهم منذ أزل التاريخ، وقد عبّر عن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (4) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ آوَالِهِمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ حِبَانًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّوعُودًا (5) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (6)﴾⁽³⁾.

وقد عبّر الكهنة ورجال الدّين في كل عصر ومصر عن هذا الشعور حتّى أصبح من المميّزات الأساسية التي إرتبطت بالفكر الموسوي والنتاج الفكري اليهودي، وفي مقارنة عقدها "ماكس فيبر"، بين الخطايا الأخلاقية كما وردت في كتاب الأموات عند المصريين، وفي تعاليم العهد الجديد، وجد الباحث الألماني في أنّ الفرق الأساسي بين أخلاقية مصر القديمة، والأخلاقية اليهودية يكمن في الإثم الذي يسري في بطون الثّانية وتمتد جذوره إلى الوصايا العشر⁽⁴⁾.

وقد كان سبب هذا الاضطهاد وترسّخه في العقل المسيحي نتيجة لمجموعة من العوامل أبرزها إثنان وهما:

الأول: هو وزر اليهود في قتل المسيح، وتحميلهم الكنيسة المسؤولية التاريخية وجاء في رسالة بولس أهل تسالونيكى: «الذين قتلوا الربّ يسوع وأنبيائهم، واضطهدونا نحن، وهم غير مرضيّين لله وأضداداً

(1) - جمال حمدان: انثروبولوجيا اليهود، تقديم: عبد الوهاب المسيري، دار الهلال، مصر، 1996م، ص: 09.

(2) - ريجينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية (جذورها في التاريخ الغربي)، ت: أحمد عبد الله العزيز، عالم المعرفة، الكويت، 1985م، ص: 29.

(3) - سورة الإسراء: 4-6.

(4) - خالد القسنطيني: المرجع السابق، ص: 32.

لجميع الناس، يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكي يخلصوا، حتى يتمموا خطاياهم كل حين ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية»⁽¹⁾، وقد نادى البابا جريجوري الأعظم بأن اليهود لم يكونوا عميائاً عن رسالة السيد المسيح، وأتهم مسؤولون مسؤولية مباشرة عن صلبه⁽²⁾، فكانت نظرية البذور الأولى للعداء ضد اليهود، وقد استخدمت الكنيسة قصة صلب وقتل المسيح الواردة في الأناجيل لإثارة الكراهية والإضطهاد لليهود، فامتألت صدور المسيحين كرهاً وحقداً على اليهود بداية من قصة إتهام اليهود للمسيح بالتجديف، ورد في الأناجيل: «ولكن من جدّف على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد، بل هو مستوجب دينونة أبدية»⁽³⁾، وأيضاً: «وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له، لا في هذا العالم ولا في الآتي»⁽⁴⁾، وورد أيضاً: «ومن أنكرني قدام الناس ينكر قدام ملائكة الله... وأما من جدف على الروح القدس فلا يغفر له»⁽⁵⁾، بمعنى أنّ كل إهانة وتحقير ضد المسيح يعتبر خطيئة لا تغتفر؛ فالنصوص تشدّد على خطورة رفض الله بشكل متعمّد ومستمر.

ومن ثمّ محاولتهم لرحمته، وقتله أكثر من مرّة حتى انتهى بهم الأمر، إلى محاكمته وإثبات تهمة التجديف بحقه، ومن ثمّ صلبه بأمر من القيصر "بيلاطس"، وتنفيذ جنود الرومان، وإشراف مباشر من "الحاخامات" الذين تجمعوا للطمه وضربه والبصق في وجهه، وقد ثبتت هذه القصة في الأناجيل الأربعة والتي تلخص كما جاءت في إنجيل متى: «والذين أمسكوا يسوع مضوا به إلى قيافا رئيس الكهنة، حيث اجتمع الكتبة والسيوخ، وأما بطرس فتبعه من بعيد إلى دار رئيس الكهنة، فدخل إلى داخل وجلس بين الخدّام لينظر النهاية، وكان رؤساء الكهنة والسيوخ والجمّع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه، فلم يجدوا ومع أنّه جاء شهود زور كثيرون، لم يجدوا، ولكن أخيراً تقدم شاهد زور وقال: «هذا قال: إني أقدر أن أنقض هيكل الله، وفي ثلاثة أيام أبنيه، فقام رئيس الكهنة وقال له: أما تجيب بشيء؟ ماذا يشهد به هذا عليك، وأما يسوع فكان ساكناً فأجاب رئيس الكهنة وقال له: استحلّفك بالله الحيّ أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟ قال له يسوع: أنت قلت، وأيضاً أقول لكم: من الآن تبصرون

(1) - 1تسا: 14/2-16.

(2) - Bernard lazare: Antisemitism, its history and couse, translated from the french, Published by the inter-national library publishing, New York, 1903, p8.

(3) - مر3: 28.

(4) - متى 12: 32.

(5) - لو 12: 9-10.

ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة، وآتيا على سحاب السماء، فمزق رئيس الكهنة حينئذ نيابة قائلا: قد جُدّف، ما حاجتنا بعد إلى شهود، ها قد سمعتم تجديفه، ماذا ترون، فأجابوا، وقالوا إنّه مستوجب الموت، حينئذ بصقوا في وجهه ولكمّوه، وآخرون لطموه، قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من ضريك»⁽¹⁾، وقد ترجم المخرج الأمريكي (ميل جبسون) هذا النصّ إلى فيلم عنوانه (آلام المسيح)، وكان قد عرض نصّه وبسيناريوهات على الفاتيكان، وحصل على موافقته ومباركته لذلك، فأقدم بعدها على صناعة "الفيلم" وإخراجه كما تحاكيه الأناجيل، إلّا أنّ اللوبي اليهودي في أمريكا، بعد عرض الفيلم للمرّة الأولى، إستطاع إجبار المخرج "ميل جبسون" على حذف المقاطع التي تدين اليهود في الفيلم، فخرجت للناس هذه النسخة المبتورة التي أجاد المبشرون إستغلالها لكسب تعاطف الناس مع المسيح في حكاية صلبة لتكفير خطايا البشرية⁽²⁾.

نعود إلى مسألة صلب وقتل المسيح كما يعتقد المسيحيون، ومسؤولية اليهود في هذا الصلب، يقول أحد الباحثين في الميدان: «سعى كتاب الإنجيل إلى التأكيد على مسؤولية اليهود وتبرئة الرومان، حيث ورد في الإنجيل الذي تعبّر الحاكم الروماني عن إقتناعه ببراءة المسيح، وأنّ رجال الذين اليهود هم الذين دفعوه إلى إتخاذ قرار الصلب بعد أن حاول التملّص منهم بكلّ حيلة ومن الفقرات التي تسرد هذا المشهد، فقرة في إنجيل "متى" أثارت الحقد في قلوب المسيحيين ضدّ اليهود في كل عصر، وقد ورد فيها «فعاد بلاطس يسأل: فماذا أفعل يسوع الذي يدعى المسيح؟ قال له الجميع: ليصلب، فقال الوالي: وأي شرّ عمل فكانوا يزدادون صراخا قائلين: ليصلب، فلمّا رأى بيلاطس أنّه لا ينفذ شيئا، بل بالحري يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا: إيّ برئ من دم هذا البار، أبصروا أنتم، فأجاب جميع الشعب، وقالوا: دمه علينا وعلى أوّادنا، حينئذ أطلق لهم باراباس وأمّا يسوع فجلده وأسلمه ليصلب»⁽³⁾، وقد بقيت عبارة «ليكن دمه علينا وعلى أوّادنا» مغروسة في العقل المسيحي على مرّ القرون، واعتبرتها الكنيسة شهادة دامغة على أنّ اليهود في كل عصر يحملون في أعناقهم دمّ المسيح، وإنّ لعنة الربّ قد حلّت عليهم بسبب ذلك إلى الأبد، وأنهم بذلك استحقوا كل أنواع التنكيل والإضطهاد،

(1) متى 26: 57-68.

(2) أصدر هذا الفيلم عام 2004 (موقع الجزيرة نت 23 janvrer, 2004 <https://www.Aljazeera.net>)

استرجع يوم: 2025/8/21

(3) متى 26: 22-26.

وظلّ في اعتقادهم صورة المسيح وهو مقيد يبصق النَّاس في وجهه ويضربونه، صورة لا تمحى من عقولهم، لذا يجب على اليهود أن يدفعوا ثمن ذلك⁽¹⁾.

ومن الطبيعي أن يشعر المسيحي بالغيظ والكرهية عندما يقرأون في كتابهم المقدّس ما فعله اليهود بالمسيح، إضافة إلى ذلك الدعاية المبرجة التي كانت الكنيسة ترعاها، فزادت من وطأة الإذلال بالنازلين اليهود، فوصفتهم بقتلة الربّ، وقتلة الأنبياء، وأبناء قتلة الأنبياء، وبأثم أولاد الأفاعي وأثم أهل الضلال والضياع والعمى والجهل، وهي أوصاف عاد "مارتن لوثر" لاستخدامها بعد انقلابه عليهم⁽²⁾، واعتمدت الكنيسة بعض النصوص الإنجيلية في حملتها العدائية ضدّ اليهود أهمها ما يلي:

1/- جاء في إنجيل متى: (دعوهم وشأنهم فهم عميان يقودون عميانا وإذا كان الأعمى يقود أعمى يسقطان معا في حفرة)⁽³⁾.

2/- وفي نفس الإنجيل: (يا أولاد الأفاعي كيف تقدرين وأنتن أشرار أن تتكلموا كلامًا صالحًا، لأنّ الفم يتكلّم بما يفيض به القلب)⁽⁴⁾.

3/- وجاء في رسالة بولس إلى أهل تسالونيكى: (إنّكم أيها الإخوة، قد صرتم على مثال كنائس الله التي في منطقة اليهودية، والتي هي في المسيح يسوع، فأنتم أيضا قاسيتم على أيدي بني جنسكم ما قاسوه هم على أيدي اليهود الذين قتلوا الربّ يسوع والأنبياء، وإضطهدونا نحن أيضا، وهم لا يرضون الله ويعادون النَّاس جميعا)⁽⁵⁾، فكانت هذه النصوص الإنجيلية كافية لتهييج مشاعر كل مسيحي ضدّ اليهود ونسلهم.

ثانيا: من مبررات اضطهاد اليهود في أوروبا كذلك العامل الاجتماعي والاقتصادي، والمتمثل في تعامل اليهود بالربا وبخلّهم الشديد، وسعيهم الدائم للتحكّم الاقتصادي على المجتمعات المسيحية التي

(1) - محمد بن المختار الشنقيطي: المسيحية الصهيونية والسياسية الأمريكية سلسلة مقالات ودراسات: <https://www.Ajozeera.net>

3/10/2004 استرجع يوم: 2023/9/21

(2) - عيسى اليازي: المسيحية المتهودة في خدمة الصهيونية العالمية، ط1، الدرا الوطنية للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ص 132-135.

(3) - متى 15: 14.

(4) - متى 34: 12.

(5) - 1 تسلا 2: 14-15.

يعيشون فيها، فمعظم اليهود كانوا يمارسون التجارة، وكانت لهم رغبة كبيرة في تكوين الثروات وجمع الأموال من أجل تحقيق النفوذ، بحكم أنّ النصوص التوراتية تبيح التعامل الربوي مع غير اليهودي، وقد أدى هذا إلى غناهم وحبّهم للمال والبخل، وبالتالي من كراهية المجتمع لهم، ووصل كره ونبذ العنصر اليهودي في المجتمعات المسيحية إلى ترجمة صفاتهم وأعمالهم القبيحة على شكل أعمال فنية، مثل قصة المسرحية التي ألفها "ويليام شكسبير"⁽¹⁾، ونالت شهرة عالمية ثمّ إلى فيلم سينمائي فيما بعد، فقد جسّد شخصية اليهودي المخادع، البخيل، الجبان، المرابي ألا وهو (شايлок) الذي عقد إتفاق مع تاجر مسيحي يكره اليهود ويصق عليهم حين مرورهم عليه، ومراب يهودي يكره المسيحيين لأنّهم يصقون عليه، ويذلونه حين يمر أمامهم، وحدث يوماً أنّ هذا التاجر احتاج ذلك المرابي واقترض منه مبلغاً من المال لمدة معينة، وفي حال مرت المدة ولم يرد المال يقطع (شايлок) أوقية⁽²⁾ من لحم كتف التاجر المسيحي.

وحصلت للتاجر مشكلات، وغرقت سفنه الثلاثة المبحرة من الهند وطرابلس والمكسيك فجاء وقت إنتقام اليهودي، وقد كانت قاعة المحكمة وما جرى فيها من حوار، ودفاع، وحكم نهائي تُلخّص الثقافة السائدة والأفكار الشائعة، وتعطي فكرة "هزلية" عن مأساة ذلك التاجر الذي أوقعه الزمن في شبكة "شايлок".

وفي أثناء المحاكمة وقع مجلس القضاء في حيرة من أمره، بين إنقاد التاجر المسيحي من المرابي اليهودي، وبين إلغاء إتفاقية موقعة من الطرفين، وهذا سيؤدي بسمعة البندقية التجاري إلى سوء الحال فهي مدينة تجارية محترمة معروفة باحترامها للإتفاقيات، وبالتالي يصعب عليها تجاوز تلك المشكلة قبل أن يأخذ اليهودي حقه من لحم كتف التاجر المسيحي.

وانتهت القصة بفرض التنصير على اليهودي، ومصادرة أملاكه وأمواله بإسم القانون وبذريعة الاتّفاق نفسه، فالإتفاق نصّ على اللحم ولم يذكر الدّم وغيره من زيادة أو نقصان في الكمية المقتطعة.

⁽¹⁾ - ويليام شكسبير (1564-1616م) شاعر وكاتب مسرحي، وممثل إنجليزي بارز في الأدب الإنجليزي خاصة، والأدب العالمي عامة، ويحمل أعماله 39 مسرحية و158 قصيدة قصيرة وغيرها، ترجمت أعماله إلى كل اللغات (مؤسسة هنداوي (hidaiori-org).

استرجع يوم: 2025/12/21

⁽²⁾ - أوقية: جمع أواقٍ وهي وحدة موازين، وهي جزء من اثني عشر جزءاً من الرطل (بجمع اللّغة العربية القاهرة

<https://www.Arabicacadeny.gov.eg/12/7/2025/00: 11>

وما نستخلصه من هذه القصة أنّ اليهود كانوا مكروهين في المجتمع المسيحي الأوروبي، وبسبب هذه الكراهية الخلفيات الدينية والاجتماعية والإقتصادية، فما كان إلا أن أذقهم المسيحيين أنواع العذاب والذلّ والمهانة، وحرّموا من أبسط حقوقهم كبشر⁽¹⁾، ومن ذلك ما ذكره أحد الباحثين أنّ المسيحيين الأوروبيين كانوا يعقدون اجتماعات ومراسم فيما يعتبرونه ذكرى صلب المسيح، خلال القرن التاسع والعاشر، والحادي عشر الميلادي، وكان سكان مدينة "تولوز" الفرنسية لديهم تقليد خاص بهم في هذه المناسبة، يعتبرونه جزءاً مهماً من مراسم تلك الذكرى، وهو إحضار يهودي إلى الكنيسة أثناء الاجتماع، ليصفعه أحد النبلاء أمام الجمع، إحياءً لذكرى ضرب وإهانة المسيح على أيدي اليهود⁽²⁾.

وفي نفس السياق يذكر أحد الباحثين: أنّه في تولوز الفرنسية وافقت السلطات الكنسية على تخفيف هذه العقوبة فاستبدلت عام 1077م بفرض الضرائب على المجتمع اليهودي، لكن التقليد الخاص بلطم اليهود على الوجه استمر إذ أنّه في إحدى المرات الرجل الذي أسندت إليه مهمة الضرب، قام عام 1020م بواجبه بكفاءة عالية فسدد إلى ضحيته لكمة جعلته يفقد إحدى عينيه ليموت بعد ذلك بوقت قصير.

وقد سجل حوار بين مؤرخ مسيحي ويهودي عام 1090م، حيث نجد اليهودي يسأل المؤرخ المسيحي السؤال التالي: (إذا كانت المسيحية تشترط على المسيحي احترام شريعة موسى، فلماذا إذن تعاملون أتباعها وكأئهم كلاب، وتطردوهم وتطاردوهم بالعصى في كل مكان)⁽³⁾.

وهناك أسباب أخرى دفعت العالم المسيحي إلى كره وإضطهاد اليهود، كالاتقاد السائد آنذاك أنّ اليهود يشتغلون كثيراً بالسحر يسخرهم الشيطان لتدمير العالم المسيحي من الناحية المادية والروحية، وهو إعتقاد استمدوه من بعض تفسيرات آيات العهد الجديد، فقد جاء في إنجيل يوحنا: (لماذا لا تفهمون كلامي لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن

(1) - ويليام شكسبير: تاجر البندقية، ت: حسين احمد ابن، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1994م (يتصرف).

(2) - إميل أمين: ذئاب في ثياب حملان، دار المريخ للنشر، القاهرة، مصر، 2006، ص: 29.

(3) - رمسيس عوض: الهرطقة في الغرب، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 1997م، ص: 170.

تعملوا⁽¹⁾، وجاء أيضا في سفر الرؤيا (إنّ اليهود مجمع شياطين: إنهم يهود وليسوا يهودًا بل مجمع الشيطان)⁽²⁾.

ويذكر أنه عام 992م أنّ اليهود قاموا بمحاولة إغتيال أحد رؤساء البلدة فقاموا بغرس الدبابيس في صورة صنعوها له من الشمع، كما يقول أحد المؤرخين "جويبرت نوجنت" عام 1110م أنّ رآهب مرّدت ساعده أحد اليهود في إتقان السحر الأسود عن طريق بيع روحه للشيطان⁽³⁾.

وفي عامي 1378 و1391م تعرض اليهود في كل من "أراغون"⁽⁴⁾ و"قشتالة"⁽⁵⁾ للعدوان على أيدي المسيحيين الذين كانوا يُجْرُونَ جرا إلى مياه التعميد ويرغمونهم على اعتناق النصرانية، وإلا كان الهلاك عقابهم، كما كان المسيحيين ينظمون مناظرات عامة مع الحاخامات بقصد التشكيك في الدين اليهودي، وحاول بعض اليهود تفادي الإضطهاد بالتحول إلى اعتناق النصرانية طوعا، وكان يطلق عليهم اسم المتحولون، وإن كان المسيحيون ينعنونهم بلفظ "الماراتو" أي الخنازير⁽⁶⁾.

وكان من أبرز ما تعرض له اليهود في أوروبا من اضطهاد إصدار ملك ومملكة إسبانيا "فريديناك" و"إيزابيلا" عام 1499م "مرسوم الطرد" الذي كان يهدف إلى إخلاء أوروبا من العنصر اليهودي، وقد خيروا أيضا بين التعميد وبين الترحيل، وكان الكثير من اليهود قد عزّ عليهم فراق وطنهم في إسبانيا فاعتنقوا المسيحية وظلّوا فيها⁽⁷⁾، والبعض الآخر هاجر سفاراد⁽⁸⁾ كما كان يسمونها.

(1) - يوحنا 2: 43-44.

(2) - رؤيا 2: 9.

(3) - رمسيس عوض: المرجع السابق، ص 171.

(4) - أراغون: هي دولة تاريخية في شبه الجزيرة الإيبيرية، وهي مجتمع مستقل داخل إسبانيا، تقع شمال شرق إسبانيا (<https://www.britannica.com>). استرجع يوم: 2025/8/4

(5) - قشتالة: مملكة تاريخية سابقة تقع في الشمال الغربي لشبه الجزيرة الإسبانية (www.Tagopedia.org). استرجع يوم: 2025/8/4

(6) - كارين أرمسترونج: المصدر السابق، ص 24.

(7) - المصدر نفسه، ص 25.

(8) - سفاراد: ومنه جاء يهود سفرديم الذين تعود اصولهم الأولى إلى إسبانيا والبرتغال، الذين طردوا منها في القرن الخامس عشر وتفرقوا في شمال افريقيا وآسيا الصغرى والشام، وكثير منهم كانوا من رعايا الدولة العثمانية في المناطق التي تخضع لسيطرتها الدرر السنية: موسوعة الأديان، <https://dorar.net>، استرجع يوم: 2025/4/30

وعلاوة على ذلك فقد اتّسم وضع اليهود في القوانين الأوربية بالغرابة، فقد وردت في المجلد الأوّلن تاريخ القانون الانجليزي 1895م فقرة تنصّ على أنّه ليس من حق اليهودي أن يمتلك أي شيء لنفسه بل من أجل ملك البلاد إذ يتعين على اليهود أن يعيش من أجل الآخرين، وترجع جذور هذه القوانين إلى قرارات مجمّع "توليدو" الإيطالي المنعقد عام 694م، وهي قرارات من شأنها تحويل جميع يهود إسبانيا إلى طبقة العبيد⁽¹⁾، إلّا أنّه يبدو أنّ الهدف من وراء هذه القرارات كان يرمي إلى تحقيق غرض إقتصادي وهو من حق الملك الإستيلاء على جميع أملاك اليهود، وتصبح خاصة به، بالإضافة إلى إضعاف اليهود من الناحية السياسية حتّى لا يصبحوا قوة ضغط فيما بعد.

ووصلت التفرقة الدّينية ذروتها خلال القرن الثالث عشر حيث أنّ الكنيسة أصدرت على أن يلبس اليهود شارة العار حتّى يسهل تمييزهم عن المسيّحين.

يقول مجمّع لاتيران" في هذا الشأن: تجد في البلاد التي لا يميّز المسيّحيون أنفسهم عن اليهود والعرب في زمن الحروب الصّليبية أنّ المسيّحيين يقيمون علاقات مع اليهود وهؤلاء العرب، وحتّى لا يتكرر حدوث هذا الخطأ في المستقبل فإنّه يتعين عن طريق الملابس تمييز اليهود من الذكور والإناث عن بقية النّاس⁽²⁾.

وقد أدى الشعور بالقهر والإغتراب وعداء الآخرين إلى إنطواء اليهودي على نفسه، والنمو في داخله أو دخل الجيتو⁽³⁾،

ولعل للحاخامات دورًا هامًا في هذا الإنعزال أيضا، لأنّ تعاليمهم التلمودية كانت تكبل حركة اليهودي في طعامه وشرابه، في بيته ومتجره ومزرعته ومصنعه، في غدوّه ورواحه، في علاقته بزوجته وأبويه وأولاده وأقربائه في علاقته بالله وبالمعبد، فاليهودي يتحرك بإشارة الحاخام، وفي إطار النسيج العنكبوتي الحاخامي، في انتظار "الماشيخ" الدّي يجمع شتاتهم ويعود بهم إلى الأرض المقدّسة.

ومن هنا صار "الجيتو" سجنا بعد أن كان حصنا، وكان رد الفعل العنيف منهم ومن المجتمع من

(1) - رمسيس عوض: المرجع السابق، ص: 172-173.

(2) - المرجع نفسه، ص: 174.

(3) - "الجيتو" "Ghetto": اسم الحي اليهودي في البندقية التي تمت إقامته عام 1516م وأجبرت سلطات البندقية يهود المدينة على العيس فيه (كامل سفعان: اليهود من سراديب الجيتو إلى مقاصر الفاتيكان، دار الفضيلة، مصر، ص: 148).

حولهم، لأنهم رأوا في المجتمع السّجن، وهو رأى فيهم المجرمين يقول بعض المؤرخين عن اليهود واصفين حياتهم في "الجيتو": (إنهم شعب قلق بلا جذور، يعيش حياة زائفة وفسادة) ويقول آخر: (إنهم شعب منحط، قانط، يجيا في القاذورات)، وأيضا: (حياة اليهود كلاب تثير الاشمئزاز).

كل هذا ساعد على تغليف اليهودي، وعلى تعفنه من الداخل وعلى نشر رائحته الكريهة في المجتمع من حوله⁽¹⁾.

وشواهد الاضطهاد التي عانى منها اليهود في أوروبا مليئة في كتب التاريخ الأوربي والكنسي.

ولكنّ إجماع كل الأمم على اضطهادهم ظاهرة تستحق الترقية، فهم البلاء حيثما حلوا وساروا، ومن أجل هذا كله لم يكن المجتمع المسيحي يسمح لليهود بالدوام والسكينة، وسنرى بعد ظهور حركة الإصلاح الديني كيف كانت الفرصة المواتية لكي يبعث اليهود فكرهم الخبيث وكيف يستغل البروتستانتية ليضمدها بالآمه.

الفرع الثاني: حال اليهود بعد ظهور حركة الإصلاح الديني، وعودتهم على خارطة العالم.

في جو مليء بالعداء والتوتر والخوف، وتزامنا مع تعمق الانطباعات السلبية والمشوهة تجاه شتات اليهود، الذي فقد ملامحه وترتيبه، وأصبح بدون أرض تؤويه أو روابط توحيده، ظهر البروتستانت محاولين تقويض أساسات الكنيسة الرومانية فائدة العداء المعلن والتوارث من جيل إلى جيل تجاه كل ما هو يهودي في أوروبا، وفي خضم المعركة المحتدمة مع البابوية، قدّر لوثر من منطلقات عدائية سياسية واقتصادية وإيديولوجية، أنّ التقرب من اليهود أفضل له، فإنّ نقد موقف السلطة البابوية منهم، والتعامل معهم على أنّهم (كلاب لا بشر) حسب تعبيره⁽²⁾، فكتب حول هذا الموضوع كتابه الأول ذا الدلالة الواضحة، والذي أصبح فيما بعد أحد الشعارات الأساسية لليمين المسيحي، أو ما يطلق عليه المسيحية الصهيونية، وهو كتاب "عيسى ولد يهوديا" الذي أعيد طبعه سبع مرات في العام نفسه عام 1523م⁽³⁾.

أعاد لوثر من خلال هذا الكتاب إلى الترويج لفكرة أنّ اليهود شعب الله المختار وضرورة عودتهم

(1) - كامل سغان: اليهود تاريخ وعقيدة، دار الاعتصام، ص: 47-48.

(2) - إميل أمين: المرجع السابق، ص: 30.

(3) - بادية حيدر: معلومات الأصولية المسيحية في العالم، شركة السفيرش.م.ل، 2012م، ص: 35.

للأرض المزعومة كمقدمة لعودة المسيح لقيام دولة صهيون وبزوغ فجر العصر الألفي السعيد⁽¹⁾، وقد شرح فيه المواقف المؤيدة لليهودية، وأدان اضطهاد الكنسية الكاثوليكية لليهود محتجا بأن المسيحيين واليهود ينحدرون من أصل واحد، شاءت الروح المقدسة أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس للعالم عن طريقهم وحدهم فقال: «إثم الأطفال، ونحن الضيوف والغرباء وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل ما يتساقط من فئات مائدة أسيادها تماما كالمرأة الكنعانية»، فهذه الفقرات تظهر بشكل قاطع أن هدف لوثر النهائي هو تحول اليهود للمسيحية أي البروتستانتية

يقول: «إني أنصح وأرجو كل شخص أن يكون لطيفا في تعامله مع اليهود، وأن يعلمهم الكتاب المقدس، وعندما نتوقع منهم أن يأتوا إلينا، أما إذا استعملنا العنف الوحشي وألحقنا بهم الإهانات قائلين إثمهم بحاجة لدعم المسيحيين للتخلص من نبتهم وغير ذلك من السخافات، وإذا بقينا نعاملهم كل الكلاب فأبي خير نتوقعه منهم؟ كيف نتوقع منهم أن يكونوا أفضل مما هم إذا كنا نحول بينهم وبين العمل معنا ونرغمهم بذلك على الرياء، إذا أردنا أن نجعلهم خيرا مما هم فعلينا أن نعاملهم حسب قانون المحبة المسيحية لا قانون البابا، علينا أن نحسن وقادتهم وأن نسمح لهم بالتنافس المسيحية معنا لكسب عيشهم لتتاح لهم الفرصة لمشاهدة الحياة والعقيدة المسيحية، وإذا أصّر بعضهم على عناده فما الضرر من ذلك نحن لسنا جميعا مسيحيين صالحين⁽²⁾».

وقد ساهم اليهود كثيرا في الترويج لهذا الكتاب على نطاق واسع خاصة وأن مؤلفه "لوثر" كان العدو الأكبر لعدوهم الأول ألا وهو البابا وكنيسة روما التي اضطهدتهم عصورا طويلة، وكانت ترى أنه لا حق لهم في العودة إلى "أورشليم" لأنهم طردوا منها، وتشتتوا في العالم بسبب رفضهم للمسيح وقتلهم أبيه، فالله طردهم من "بابل" أولا، ثم تشتتهم في بقاع الأرض، وإنتهى إلى الأبد وجود "الأمة اليهودية"، لذلك فإنه في الكاثوليكية ليس لليهود أي مستقبل جماعي في أرض كنعان، أما خلاصهم الروحي فلا يكون إلا بالإرتداد للمسيحية.

⁽¹⁾—سليمان بن صالح الخراشي: كيف تطورت العلاقة بين اليهود والنصارى من عداوة إلى صداقة؟، ط1، روافد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2009، ص: 26-27.

⁽²⁾—بادية حيدر: المرجع السابق، ص: 35.

وبناءً على ما سبق فما كان من أتباع "لوثر" في جميع ربوع أوروبا، إلاّ الترحيب بتقبل الجماعات اليهودية، حيث وصل الأمر بهذا القبول والترحيب أن قال "حاحامات" اليهود بأنّ ظهور "لوثر" وإنتشار دعوته علامة مؤكّدة على قرب مجيء المسيح المنتظر⁽¹⁾.

في حين هاجمته الكنيسة الكاثوليكية واعتبرته مخزّباً يهودياً، أو شبه يهودي مخزّب للمسيحية.

لكن ما سجله التاريخ ضدّ لوثر وعلاقته مع اليهود أنّه بطريقة غير مباشرة برأ اليهود من دمّ المسيح، كما رفع من قدر اليهود وجعلهم أسياداً للنصارى، وأنّ روح بين الناس أنّهم هم شعب الله المختار، إختاره الله لهذه السيادة، فوصفهم بأنّهم هم "إخوة للرب"، كما أثار التعاطف مع اليهود وقضاياهم فتوقف المسيحيين عن معاملتهم كالكلاب.

وما كان على اليهود إلاّ أن روّجوا لهذه الأفكار، وأسّسوا عليها أفكارهم ضمن أطر ثابتة ومحدّدة كفكرة شعب الله المختار واليهود أبناء الرب ثمّ توسّعت هذه الأفكار لتشمل أرض الميعاد ولا عودة ثانية للمسيح إلاّ بعد عودة اليهود إلى أرض الميعاد، وإعادة بناء الهيكل، وغيرها من المعتقدات التي تمّت وتطورت، وأصبحت قوتا يوميا لكل من يؤمن بأنّ العهد الجديد هو مكمل و متمم للعهد القديم، وأنّ المسيح جاء لبني اسرائيل، كما أكّد "لوثر" في كتابه على ضرورة دراسة اللّغة العبرية لفهم الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد، وعلى علو مكانة اللّغة العبرية لأنّها اللسان المقدّس الذي تكلم به الله مع الإنسان، فأقبل الناس على دراسة اللّغة العبرية وأصبحت مسألة ثقافية واسعة⁽²⁾.

ويذكر أحد الباحثين: (إنّ الثورة البروتستانتية، وترجمات الكتاب المقدّس حفّزت الكثير من الأسئلة عن مكانة اليهود، وطبيعة معتقداتهم، والإله الذي يعبدونه وحدث بصورة تدريجية تحوّل في نظرة المسيحيين في أوروبا إلى وجود اليهود بينهم، وأثارت معرفة الناس بنصوص العهد القديم فضولهم حيال مفاهيم العهد، والشّعب المختار، وأرض الميعاد وكلّ الأساطير التي وردت عن اليهود ودياناتهم

⁽¹⁾ -المسيح المنتظر: (الماشيح): عند اليهود هو ملك من نسل داوود، سيأتي ليعدل مسار التاريخ اليهودي، فينتهي عذاب اليهود ويأتيهم بالخلاص ويجمع شتات المنفيين، ويعود بهم إلى اسرائيل وتتخذ أورشليم عاصمة له، ويعيد بناء الهيكل ويحكم(محمود الشال: مفهوم عقيدة المسيح المنتظر في الفكر الديني اليهودي، مجلة كلية الآداب. جامعة المنصورة 2022، استرجع يوم: 2025/4/12

<https://artman.journals.eg>

⁽²⁾ -جورجي كنعان: الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي، ط1، دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 1995م، ص: 35.

وأنبياؤهم⁽¹⁾.

فإتاحة الكتاب المقدس لعامة الناس كمطلب أساسي لحركة الإصلاح الديني أضحى ما ورد في العهد القديم من تاريخ ومعتقدات وقوانين العبرانيين وأرض فلسطين أمورًا مألوفة، وأصبح المسيح نفسه معروفًا وحلّ أبطال العهد القديم محلّ القديس الكاثوليك، فأحيا ذلك الذاكرة اليهودية وروايات الأرض المقدسة، وحُظيت بأهمية جديدة فصارت مرتبطة بدلالات صهيونية، ومن هذا المنطلق أصبحت فلسطين أرضًا يهودية في الفكر البروتستانتية، وأصبح اليهود هم الفلسطينيين الغرباء في أوروبا والذين سيعادون إلى فلسطين عندما يجين الوقت المناسب⁽²⁾.

-حركة الإصلاح الديني مهدت الطريق للأفكار الصهيونية عن الأمة العبرانية والبعث اليهودي⁽³⁾، وكون فلسطين وطنًا لليهود، وهي الأفكار التي روجت لها فيما بعد.

ومنذ القرن السادس عشر تجاوزت اليهودية حدود العقيدة الدينية، وأصبحت أمة ورمزًا للقومية، حتى الكتاب المقدس تحول منذ ذلك الوقت المبكر من كتاب دين إلى كتاب سياسي يقوم على قاعدة العهد الإلهي بالأرض المقدسة للشعب اليهودي المختار.

فأصبحت هذه المعتقدات جزءًا من عقيدة الكنيسة البروتستانتية الجديدة ومن جوهر طقوسها، ومن خلالها تحوّلت إلى قاعدة عامة للتربية الدينية، خرّجت أتباعًا لها ومؤمنين بها من رجال السياسة والأدب والفكر (طائفة البيورتيانية)، ولعلّه من أبرز مظاهر التطرف في هذا العهد:

-استعمال العبرية لغة الصلاة في الكنائس وعند تلاوة الكتاب المقدس.

-تعميد الأطفال في الكنائس بأسماء عبرية بعد أن كان يتمّ تعميدهم بأسماء القديسين.

⁽¹⁾ - فؤاد شعبان: من أجل صهيون، التراث اليهودي المسيحي في الثقافة الأمريكية، ط1، دار الفكر، دمشق، 2003، ص: 42-43.

⁽²⁾ - ريجين شريف: المرجع السابق، ص 23.

⁽³⁾ - بعد انفصال الملك هنري الثامن عن روما، اقتحمت حركة الإصلاح الديني بريطانيا وتمركزت فيها، وهناك ظهرت أول دعوة لانبعث اليهود كأمة الله المفضلة في فلسطين، على يد عالم اللاهوت اليهودي البريطاني توماس براتيمان (1562-1607م) فقد نشر كتاب (Apocaluypscos Apocalypsis) وهو الكتاب الذي قال فيه: (أنّ الله يريد عودة اليهود إلى فلسطين ليعبده حيث يفضل أن تتم عبادته في هذا المكان دون غيره من الممكنة)، في حين قال القديس أو غستان: (أنّ فلسطين هي إرث المسيح للمسيحيين والقدس مدينة العهد الجديد) (محمد السماك: الصهيونية المسيحية، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2004م، ص 36).

-نقل يوم الاحتفال الديني إلى يوم السبت اليهودي.

وأما سياسيًا فإنّ طائفة البيوريتانية، طالب الحكومة بأن تعلن أنّ التوراة دستورًا لبريطانيا، وفي عام 1649م وجه عالم لاهوت بيوريتاني مذكرة إلى الحكومة البريطانية طالبا فيها (بأن يكون للشعب الإنجليزي شرف حمل أولاد وبنات اسرائيل على متن سفنهم إلى الأرض التي وعد الله بها أجدادهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ومنحهم إياها إرثًا أبدًا) وقد راجت في تلك الفترة بعض الأفكار الدينية التي تقول إنّ المعاناة التي واجهتها بريطانيا في الحرب الأهلية في فترة من الفترات، مردّها إلى غضب الله بسبب سوء معاملة اليهود، وهي نفس الأفكار التي يُروج لها اليوم أنّ الو.م. أ أنعم الله عليها بالقوة والثروة بسبب مساندتها لليهود ودعمها لإسرائيل.

وفي هذا السياق يقول أحد السياسيين البريطانيين: (ليس اليهود قلة مبعثرة، بل إنهم أمة ستعود أمة اليهود إلى وطنها وستعمر كل زوايا الأرض، وسيعيش اليهود بسلام في وطنهم إلى الأبد)⁽¹⁾، لتحويل المهاجرين من بريطانيا إلى العرش أو حتّى إلى أوغندا في إفريقيا فالمهم هو حل مشكلة المهاجرين اليهود من روسيا ورومانيا وبقية دول شرق أوروبا دون التسبب في إثارة مشكلة توطين لليهود في بريطانيا.

فالتقى " تشمبرلين " مع " هرتزل " ⁽²⁾، في لندن الذي أرسى قاعدة اللقاء بين " آرثر بلفور " ⁽³⁾، مع اليهود عام 1914م، وكان بلفور أول مسؤول بريطاني يمنح اليهود أرضا لإقامة دولتهم عليها وهي "أوغندا" في إفريقيا، غير أنّ المؤتمر الصهيوني الرابع الذي عقد عام 1903م، رفض هذا العرض متمسكا منه بأرض فلسطين، واستجاب بلفور للطلب الصهيوني، وأعدّ مذكرة حول موضوع الاستيطان اليهودي في فلسطين وقال فيها: (ليس في بيتنا حتّى مراعاة مشاعر مكان فلسطين الحاليين، مع أنّ اللجنة الأمريكية تحاول استقصاءها، إنّ القوى الأربع الكبرى ملتزمة بالصهيونية، وسواء أكانت

⁽¹⁾ -محمد السماك: الصهيونية المسيحية، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2004م، ص: 35-42.

⁽²⁾ - تيودور هرتزل (1860-1904م)، صحفي يهودي نمساوي مجري يعتبر مؤسس الصهيونية السياسية المعاصرة، يعتبر المؤسس

الحقيقي لدولة اليهود المزعومة استرجع يوم: <https://doc.Aljazeera.net> 11/7/2025/14/3.

⁽³⁾ - آرثر بلفور (1848-1930) سياسي بريطاني تولى رئاسة الوزراء في بريطانيا عام 1902م، عمل وزيرًا للخارجية، اشتهر بإعطاء

وعد بلفور الذي نص على دعم بريطانيا لا نشاء وطن قومي لليهود في فلسطين استرجع يوم: <https://www.marefa.org> 2025/7/12.

الصهيونية على حق أم على باطل، جيّدة أم سيئة، فإنّها متأصلة الجذور في التقاليد القديمة العهد والحاجات الحالية، وآمال المستقبل، وهي ذات أهمية تفوق بكثير رغبات وميول السبعمئة ألف عربي الذين يسكنون الآن هذه الأرض القديمة)، وبهذا القرار سلبت أرض فلسطين من أهلها، وتمّ ذلك رسمياً عام 1917م وعد بلفور الشهير وفور صدوره مباشرة تحرك اليهود في تنفيذه، وبدأت الهجرات اليهودية نحو فلسطين، وعندما قاوم العرب الهجرة والاستيطان ومصادرة الأراضي، كوّن اليهود المنظمات الإرهابية "شترن"⁽¹⁾، و"أرغون"⁽²⁾، وهي المنظمات التي تحولت إلى النواة الأولى للجيش الإسرائيلي عام 1948م⁽³⁾.

فكانت بريطانيا هي الركيزة الأولى التي ظهرت فيها الصهيونية المسيحية، أمّا في أوروبا فقد كانت هولندا هي الركيزة التي تكوّنت بعد الحرب الدّينية بين الكاثوليك الإسبان والبروتستانت الألمان عام 1565م بهزيمة الكاثوليك عام 1906م، وتكوّنت جمهورية هولندا على أساس المبادئ البروتستانتية الكالفينية، ممّا أدى إلى أنتشار تيار المسيحية الصهيونية في أوروبا، وتوالت الأحداث التاريخية إلى غاية 1841م كتب أحد أنصار الصهيونية المسيحية الضابط البريطاني "تشارلز هـ. تشرشل"، رسالة إلى رئيس المجلس اليهودي في لندن يقول له فيها: (إنّ إستعادة اليهود لوجودهم كشعب في فلسطين أمر مسيور إذا توافر عاملان اثنان: أولهما أن يتولى اليهود أنفسهم وبالإجماع طرح موضوع العودة على الصعيد العالمي، وثانيهما أن تبادر القوى الأوربية وراء مشروع الاستيطان اليهودي في فلسطين)⁽⁴⁾.

وبدأ التمهيد للإستيطان من خلال بعثات الاستكشاف إلى فلسطين التي كان يمولها مند عام 1865م (صندوق اكتشاف فلسطين).

(1) - شترين: نسبة إبراهيم شترين يهودي من أصل بولندي، الأب الروحي لمنظمة شترين الصهيونية التي أطلقت عليها قوات الانتداب البريطانية في فلسطين اسم مجموعة شترين استرجع يوم: 2025/3/28. (<https://www.aljazeera.net> 18/2/2024).

(2) - أرغون: منظمة عسكرية سرية صهيونية إرهابية، نشأت في الأراضي الفلسطينية إبان الانتداب البريطاني. (<https://aqlame.com>) استرجع يوم: 2025/3/28

(3) - محمد السماك: المرجع السابق، ص: 45

(4) - محمد السماك: المرجع السابق، ص 46.

ولعل من أكثر خطط البعثات الاستكشافية تفصيلاً تلك التي وضعها المؤلف البريطاني (1888م) 1829- "لورنس أوليفنت"، في كتابه "أرض جلعاد" والتي اقترح فيها إقامة مستوطنة يهودية على مساحة مليون ونصف المليون، فدان شرقي نهر الأردن لتوطين يهود روسيا ورومانيا، أما بالنسبة لسكان هذه المنطقة من العرب فاقترح تجميعهم في منطقة خاصة بهم، كما جرى للهنود الحمر في أمريكا، وهكذا جرت الأحداث إلى أنّ بدأ تدفق يهود أوروبا إلى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، ولم يكن "جوزف تشمبرلين"⁽¹⁾، مرتاحاً لهذه الهجرة إلى بريطانيا خوفاً من الانعكاسات السلبية على إقتصاد بريطانيا ومن مزاحمة الأيدي الرخيصة للمهاجرين اليهود للطبقة العاملة في بريطانيا، فتبنى المشروع الصهيوني⁽²⁾.

ذكرنا سابقاً أنّ "لوثر" ألف كتاب "المسيح ولد يهودياً"، ودافع بكل ما أوتي من قوة على اليهود حتى أعادهم إلى الإنتماء إلى خارطة البشر، على أمل أن يؤتي عمله ثماره، لكن جاءت كل آماله بالفشل، حيث أنه كان يدعو اليهود إلى اعتناق مبادئ المسيحية البروتستانتية، فإنهم بدلاً من تحولهم إلى المسيحية كما كان يأمل، كانوا يجمعون الأنصار لتهود المسيحية، بالإضافة إلى إصرارهم على التعامل بالربا، واستخدامه في ابتزاز الكثير من الأوربيين وإذلالهم والسيطرة على ممتلكاتهم، يقول "شكسبير" في هذا الصدد: «إذا فقد انتهى لوثر من وهمه في دعوة اليهود للتصير إلى خيبة أمل وفشل ذريعين تنم، كما أرى من وجهة نظري عن سطحه في فهم تركيبته العنصرية وحقدهم، بل الذي حصل العكس، فإنهم قد أحسنوا إستغلال دعوته لهم ومساهمته، في رفع قيود الاضطهاد عنهم وأخذوا منها منطلقاً لتحررهم من الاستعباد الكنسي الرومي، ومن الاضطهاد الإجتماعي الأوربي المسيحي، وكانت تلك فاتحة عهد التسامح المسيحي-اليهودي الذي لازالت أوروبا تدفع ثمنه حتى الآن»⁽³⁾، ولا أدل على ندم لوثر ممّا وضّحه "شكسبير" في كلماته، هذه الأسباب دفعت "ب(مارتن لوثر)" إلى تأليف كتابه الجديد بعنوان "أكاذيب اليهود" الذي اعتبره النقاد التناقض الذي وقع فيه لوثر في آخر حياته، وقد تضمن الكتاب محاور أساسية نذكر منها:

⁽¹⁾ - جوزف تشمبرلين: (1836-1914م) رجل سياسة بريطاني، المنظر الحقيقي لمشروع شرق أفريقيا، صاحب أول وعد بلفوري

وزير المستعمرات عام (1895-1903) استرجع يوم: <https://www.Alhesm-net> 13/7/2025/

⁽²⁾ - محمد السماك: المرجع السابق، ص: 48.

⁽³⁾ - راجح إبراهيم محمد البساتين: المرجع السابق، ص: 49.

- نفى كون اليهود شعب الله المختار يقول لوثر: فغضب الله على اليهود، يقرّر لنا النتيجة من أنّ اليهود قد رفضهم الله، وليسوا هم بعد ذلك بشعبه، وليس هو بعد ذلك إله لهم، وهذا وفق هوشع «لأنّكم لستم شعبي ولا أنا لكم»⁽¹⁾.

- التنبيه على رفض مجادلة اليهود لعدم وجود جدوى من ذلك، لأنّه من الأسباب الخاصة التي دعت لوثر إلى كتابة هذا الكتاب هو رسالة اليهود التي حاور بها المسيحى وجادله بالباطل، وقد ذكر هذا في كتابه "أكانت اليهود"⁽²⁾.

يقول لوثر: (لاسترسل مع اليهود في الجدل الذي يتعلق بديننا، فإنّهم قد ارتضعوا الكراهية لربنا من أئداء أمهاتهم، ولقنوا طرق التسميم في الطفولة فلا امل في إصلاحهم)⁽³⁾.

-اليهود هم أبناء إبليس وأولاد الأفاعي: يقول لوثر: (إنّ سيدنا يسوع المسيح قد دعاهمأولاد الأفاعي)⁽⁴⁾.

-اليهود منافقون وسفاحو دماء: (وهم على الحقيقة المنافقون سفاحوا الدم بلا مرء، ولم يكتفوا بتحريف التوراة...)⁽⁵⁾.

-مدارس اليهود عش لإبليس: يقول لوثر: (فإحذر اليهود كل الحذر، واعلم أنّ مدارسهم في أي مكان ماهي إلاّ عش إبليس.... وأينما وقع لك أن ترى يهوديا أو تسمع به أنّه يتعاطى التدريس والتعليم فلا تظنّن أنّك ترى ببصرك غير الأفعى)⁽⁶⁾.

-وقال عبارات متناثرة في عدد من الصفحات: اليهود هم السمّ النافع تلمودهم أشرّ من الفلسفة الوثنية، هم سيعيدوننا بأموالنا... وغيرها⁽⁷⁾.

(1)- يوشع 1: 9.

(2)- راجح ابراهيم محمد البساتين: المرجع السابق، ص: 50.

(3)-مارتن لوثر: اليهود وأكاديبهم، ت: محمود النجيري، ط1، مكتبة النافذة، 2007م، ص: 57.

(4)-المصدر نفسه، ص: 69.

(5)-المصدر نفسه، ص: 6.

(6)-الصدر نفسه، ص: 85.

(7)-المصدر نفسه، ص: 99-105-130.

كما كتب رسالة في آخر أيامه إلى زوجته يتوعدّ فيها بأنّه سيعمل على طرد اليهود⁽¹⁾.
ونستخلص ممّا سبق أنّ لوثر قد وضع المعروف في غير أهله من جهة، ومن جهة أخرى شخصية
لوثر بالرغم من شهرته كخطيب، ومتحدّث إلاّ أنّه كان كثير التناقضات في آراءه وأفكاره.
كما أنّ هذا الكتاب لم يلقى شهرة كما لقاها الكتاب الأوّل "عيسى ولد يهوديا" ولم يترك الأثر
أو الانطباع الذي تركه الكتاب الأوّل، وذلك راجع إلى:

- كتب الكتاب في فترة زمنية شاخ فيها لوثر وفقد قدرته في التأثير.

- كتب الكتاب سنتين فقط قبل وفاته.

أنّ اليهود حاربوا هذا الكتاب وعملوا على إخفائه على مدى أكثر من أربعة قرون⁽²⁾، (كما ذكر
ناشر الكتاب في مقدمته).

-ومما يدعو للاستغراب في الحديث عن هذا الكتاب أنّ ممثلي "الإتحاد اللوثري" المجتمعين في
مؤتمرهم في "استوكهولم" في "السويد" 1983م، قد أعلنوا تبرأوا عن كل ما صدر من لوثر بشأن
اليهود.

- كما عبّر مؤتمر رؤساء الكنيسة اللوثرية الأمريكية عام 1983م عن أسف اللوثريين على كلام
لوثر المتطرف تجاه اليهود⁽³⁾.

وهكذا صار توطيد اليهود في فلسطين مسألة تداخلت فيها المعتقدات التوراتية والطموحات
الامبريالية السياسية والإستراتيجية، لكن يبقى الدور الأساسي والكبير لحركة الإصلاح الديني البروتستانتية
في إعادة اليهود إلى خارطة العالم.

(1) -مارتن لوثر: المصدر السابق، ص: 157.

(2) -مارتن لوثر: المصدر السابق، ص 16.

(3) - يوسف الحسن: البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي -الصهيوني، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان،
بيروت، 1990م، ص: 25.

المبحث الثالث: من الناحية الثقافية والاجتماعية:

حققت حركة الإصلاح الديني البروتستانتية آثارا كبيرة جمعت بين السلبيات الشنيعة والايجابيات الكبيرة، في أوروبا في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر، فقد شهدت تغييرات ومعالم جديدة في تاريخها تمثل بداية انطلاق لتاريخها الحديث، الذي امتد من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، والتي أطلق عليها عصر النهضة، وعليه يمكن تمييز الآثار التي خلفها الإصلاح الديني على المستوى الثقافي والاجتماعي آنذاك.

المطلب الأول: تحرر الفكر من القيود الكنسية

كانت الكنيسة الكاثوليكية طيلة سنوات من أعظم قوى الفكر آنذاك، وكان الذين يجلبون العقل شرذمة قليلة في نظر البابوية التي كانت تتحكم في زمام تسيير الأمور، بإعتبارها أعلى سلطة في البلاد من صلاحياتها ممارسة كل نفوذها على الحياة الدينية والاجتماعية والفكرية للمسيحيين.

فكانت تسعى لقمع أي فكر او معتقد يخالفها معتبرة إياه هرطقة تهدد للإيمان المسيحي، إلا أن سلطان العقل مع هذا كان يشتد شيئا فشيئا وأضحى سيفه فيما بعد مضاء، حتى باتت السلطات والمحاكم الكنسية في الكثير من الأحيان تلجأ إلى إستلافه لمجادلة خصومها، حتى خلصت بهم حجة العقل إلى آفاق رحبة انتهت بهم إلى الانشقاق عن حضيرة روما.

وفي مطلع العصر الحديث، لم أقل نجم البابوية، ورفعت الرقابة على منابر المعرفة، وزالت قيود البابوية عن العالم والعلماء، وتلاشت خرافات وأوهام الكنيسة الكاثوليكية، حتى لا نكاد نرى اليوم لها باقية في الدول البروتستانتية.

فقد نجح البروتستانت في هدم ذلك الصرح المتين الذي شيدته الكنيسة عبر عصور من الزمن، فصار لكل فرد الحق في البحث عن الحقيقة على شاكلته.

بالإضافة إلى صعود الدولة الحديثة صارت ميادين التعليم وأجهزته بيد الدولة الحديثة، حتى تتحقق مصالح الإنسان الدنيوية وطموحاته المستقبلية بعيدا عن أية مؤثرات لاهوتية.

وكان بخروج الإنسان عن السيطرة الكنسية، ترسخت ظاهرة الاستنارة العقلية والبحث العلمي،

فتزايد الإيمان بقدرة العقل البشري وفك طلاسّم النظام الكوني، واكتشاف تراتيب الظواهر الطبيعية وعللها عن طريق الإختبار والتجربة⁽¹⁾.

وقد سلكت المعرفة العلمية سبلا جديدة إبان الحركة الإصلاحية، ففي حين كان الناس في الماضي موقنون بمسلمات كثيرة استنادا إلى سلطة الكنيسة، أصبح الإتجاه الجديد هو الإقتداء بالعلماء، كما أنّ البروتستانتية قد طرحت في الميدان الديني الفكرة القائلة إنّ كل شخص ينبغي أن يتصرف حسب تقديره الشخصي، ومنه فقد أصبح من واجب الناس أن يتطلعوا إلى الطبيعة بأنفسهم، بدلا من أن يضعوا ثقتهم العمياء في أقوال أولئك الذين كانوا يدافعون عن النظريات البالية⁽²⁾.

فالكنيسة قبل الإصلاح وضعت حواجز تعارض كل ما يبدو ومهدّداً للعقيدة البابوية، وجعلت كل المعارف والعلوم الخارجة عن الأطر الكنسية، وقيام الثورة البروتستانتية لاحت بوادى رفع الرقابة الدينية على الإبداع الفكري والبحث العلمي، وهذا ما أثبتته السياق التاريخي للتطور العلمي حيث بقي العلم وأكّد منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر في البلدان الكاثوليكية، وتقدم بخطوات ثابتة في البلاد البروتستانتية⁽³⁾.

وقد شهدت أوروبا البروتستانتية ظروفًا تاريخية أفرزت نمطا جديداً من التكوين الفكري، سمي بالحرية الفكرية والإستقلالية في الرأي، فقد أصبح الإنسان قادراً على التعبير عن رأيه دون الحاجة إلى وساطة رجل دين أو كاهن، ولم تعد هناك حاجة لتفسير الدين من قبل رجال الدين فقط، فقد أصبح الانجيل متاحاً للجميع، ويمكن لأي شخص قراءته وفهمه بنفسه، دون الإعتماد على التفسيرات التقليدية، وقد كان لهذا التغيير أثر كبير في نشر فكر الإصلاح الديني، إذ ساهم في تمكين الفرد من التعامل مباشرة مع النصوص المقدسة⁽⁴⁾.

(1) - محمد كامل ظاهرة: الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر، ط1، دار البيروني للطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، 1994م، ص: 35.

(2) - برتراند رسل: حكمة الغرب، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: 108.

(3) - جورج مينوا: الكنيسة والعلم (تاريخ الصراع بين العقل الديني والعقل العلمي، ت: مورسي جلال، ط1، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 2005م، ص: 541.

(4) - نجيب محمود زكي، أحمد أمين: قصة الفلسفة الحديثة، ط1، مؤسسة هندواي، مصر، 1936م، ص: 27.

وفي هذا السياق يرى أحد الفلاسفة أشار إلى أنه من أبرز العوامل التي ساهمت في بروز العلم الحديث كانت مرتبطة بالدين، وتحديدًا لحركة الإصلاح الديني، إذ يرى أن البروتستانت كانوا أكثر تقبلاً وحادثة مقارنة بالكاثوليك.

ويؤكد السوسيولوجي الأمريكي "روبرت ميرتون"⁽¹⁾، أن البروتستانتية لعبت دورًا مهمًا في النهضة العلمية، ليس فقط من خلال التشجيع على التعلم بل أيضا في منح بعض أشكال العلوم خاصة التطبيقية منها، قيمة عالية لما لها من منافع عملية في حياة الناس⁽²⁾، فحركة لوثر ومن بعده كالفن ساهمت بشكل كبير في إعلاء شأن العقل والبحث العلمي، حيث إن حركة الإصلاح الديني شجعت الفكر الحر.

وفي هذا السياق يقول "توفيق الطويل" في كتابه "النزاع بين الدين والفلسفة" عن الصراع بين العقل واللاهوت في إنجلترا البروتستانتية، مشيرًا إلى كون النزاع في العالم الكاثوليكي، تكشف عن حقيقة مؤداها أن المنازعة في البلاد البروتستانتية تكون مقارعة حجة بحجة، وأن رجال اللاهوت كانوا قد لجأوا أنفسهم إلى العقل واعتصموا بشريعته، وكاد اضطهادهم الذي يمارس على أحرار الفكر، أن يقتصر على مصادرة كتاب وسجن مؤلفه وناشره، وإلزامه بدفع غرامة مالية، أما في العالم الكاثوليكي حيث استحوذت الكنيسة الكاثوليكية على نفوذ مدني إلى جانب نفوذها الديني، فقد عرف تاريخ النزاع محاكم التفتيش وهي تطارد أحرار الفكر وتسلب عليهم عذابها، وتتولى تشريدتهم والتنكيل بهم إحراقًا وإعدامًا، وتسلب سلطتها على قلوب الناس، فتسجل مؤلفات هؤلاء الأحرار في سجل الكتب التي حرمت على المؤمنين قراءتها⁽³⁾.

ولعله من الإنصاف أن نقول أن الإصلاح البروتستاني قد أيد قضية الحرية الفكرية، وإن كان دون قصد منه، وحتى إن كان التأييد على غير محبة منه ومن زعمائه، وكانت النتيجة في هذا الصدد بطيئة وغير مباشرة.

(1) - روبرت ميرتون: ولد عام 1944م بنيويورك، تخرج من كلية هارفرد للأعمال وحصل على ماجستير الهندسة والرياضيات من جامعة كولومبيا عام 1966م عمل بمعهد كاليفورنيا للتكنولوجيا، حصل على درجة الماجستير الفخرية في الآداب من جامعة هارفرد عام 1989م (وليد محمود الصديق الاغتراب السياسي في الوسط الطلابي، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2015م، ص: 46.

(2) - هوكاس ريجار: الدين ونشوء العلم الحديث، ت: زيد العامري الرفاعي، ط1، مكتبة مدبولي، مصر، 2008م، ص: 123.

(3) -توفيق الطويل: النزاع بين الدين والفلسفة، مكتبة الآداب، مصر، ص: 229.

وفي سياق الحرية المسيحية كما روَّج لها الفكر البروتستانتي وكيفية تأطير المؤمن دينياً، وتحريره من رتابة الأعمال والممارسات التقليدية التي يقاس بها مدى إلتزام الإنسان المسيحي بديانته الموثوقة إلى كنسية روما ورجالها.

ففي فترة الإصلاح تعيَّرت مصطلحات المناظرة بين الطرفين بفضل المكانة التي يوليها فكر البروتستانت إلى الفرد، فصار ممكناً للمواطن العادي إذا عرف كيف يخاطب الله أن يعطي له الحق حتَّى في مناظرة مع البابا، الذي لم يعد مهمًّا مثل قبل، في مأمن من تهمة الزندقة، وكان لوثر في مرحلة أولى يرى أنّ الملك صاحب السلطة الزمنية مطالب باحترام ذلك المجال المنيع الذي يسمّيه علماء اللاهوت "الأفعال المحايثة"، أي العلاقة مع الله، فلا أحد ينافس الأمير في ممارسة السلطة، لكن سلطته لها حد تقف عنده، لا يتمثل في سلطة الكنيسة بل في ضمير الفرد، والفرد لا حساب له في هذا الشأن إلاّ مع الله⁽¹⁾.

بمعنى أنّ قوة الفرد قد بدأت تتشكل بفاعل حركة الإصلاح الديني كقوة جديدة لتعكر على التقابل السابق بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية، حيث صار المؤمن يتابع بمفرده مدى تواصله مع الله، والذي قد يصبح بإمكانه في مرحلة لاحقة الإنفراد بمراقبة مساحات أخرى غير خاضعة لهيمنة الكنيسة.

وفي هذا السياق يقول (مارتن لوثر) «إني سأركز وأباحث وأكتب، ولكنني لن أرغم إنساناً، لأنّ الإيمان شيء اختياري، انظروا ماذا فعلت لقد وقفت ضدّ البابا وضدّ صكوك الغفران وضدّ البابويين، ولكن من دون عنف أو ثورة، لقد قدمت كلمة الله وكرّزت وكتبت، هذا هو كل ما قد فعلته، ومع ذلك فإنّ الكلمة التي كرّزت بها أطاحت بالبابوية، فلو إنني حاولت الإلتجاء إلى القوة فرمما كانت كل ألمانيا قد غرقت في طوفان هائل من الدم، وماذا كانت تكون النتيجة، الخراب والدمار للجسد والنفس»⁽²⁾.

وهنا نرى أنّ الضمير قد تحرّر مع البروتستانت من المعايير الأخلاقية التي وضعها التقليد البابوي في القرون الماضية، حيث قدّم المصلحون البروتستانت قواعد جديدة لعمل الضمير صارت معها تعاليم الكتاب المقدّس، والمحبة هما المعياران الوحيدان اللذان يجب أن يرجع إليهما الضمير عند إصداره الأحكام على صاحبه، فمن خلال الترويج لعقيدة كهنوت جميع المؤمنين أصبح مع الإصلاح البروتستانتي كل

(1) - تودوروف تزفيتان: روح الأنوار، ت: حافظ قويعة، ط1، دار محمد علي النشر، الدار البيضاء، المغرب، 2007م، ص: 64.

(2) - الن، ج، هويت: الصراع العظيم، ت: اسحاق فرج، ط3، دار الشرق الأوسط للطباعة والنشر، لبنان، 1997م، ص: 210.

مسيحي قادرا على أن يحكم بنفسه على أمور الإيمان تمامًا مثل رجال الدين، فالمسيح قد اشترى للمؤمنين حريتهم بدمه لتكون ضمائرهم حرة وبمناى عن كل الناس⁽¹⁾.

وكخلاصة لما سبق، أنّ الإنسان في العصر الوسيط كان فردًا من قطيع يمشي في ركابه ويعمل بقوانينه، فاستردّ في العصر الحديث إستقلال شخصيته، وتحرير الضمير من قيود العقيدة الدّينية.

إضافة إلى ما سبق هناك بعض العوامل والحريات حدّدت معالم فترة الإنتقال التي امتدّت من بدء تراجع العصور الوسطى حتّى القفزة الكبرى في القرن السابع عشر، وأوّل هذه الحركات هي النهضة الإيطالية التي حدثت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، وكان ذلك على أيدي أعلام إيطاليين مثل "دانتي" و"بوكاتشيو"، من خلال كتبهم وإهتمامهم بثقافة القدماء وكتابتهم، وظهر ذلك جليًا في كثير من الفنون والعلوم، وكان ذلك يمثّل خروجًا على التراث الكنسي السائد في العصور الوسطى، فبينما كانت الاهتمامات اللاهوتية تسود الجو العام في العصور الوسطى أصبح مفكرو عصر النهضة أكثر اهتمامًا، ومن هنا استمدت الحركة الثقافية الجديدة اسمها "النزعة الإنسانية"، والتي كانت ثاني مظهر من مظاهر تحرر الفكر والعقل الأوربي من القيود الكنيسة.

وثاني هذه الحركات هي "النزعة الإنسانية"، فقد كان رواد هذا الفكر يعتقدون أنّ التراث العقلي اليوناني كفيل بتكوين الإنسان الجديد، ومن هنا كان حرصهم على التراث اليوناني أكثر من غيره والإهتمام بالعمل على إحياءه، وتأكّدت بعد ذلك النزعة الإنسانية بإتجاهاتها إلى الإعلاء من شأن الفكر الإنساني، وردّ القيم إلى العقل لا إلى الدين، والتمرد على السلطة التي تقيد انطلاق العقل، خاصة أنّ هؤلاء الإنسانيين وجدوا في الكنيسة معوّقا لتقدّم الفلسفة الجديدة⁽²⁾.

ومن الممكن أن نشير هنا إلى أنّها تميّزت عن النهضة الإيطالية ذلك أنّ النهضة الإيطالية أثّرت في النظرة العامة إلى الحياة، أمّا الحركة الإنسانية فقد اقتصر مجال تأثيرها على المفكرين والباحثين، خاصة

(1) -جون جاك شوفاليه: تاريخ الفكر السياسي من المدينة إلى الدولة القومية، ت: محمد عرب صاصيلا، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1985م، الجزء الأوّل، ص: 258.

(2) - أحمد عجّية: المرجع السابق، ص: 71.

في ألمانيا التي كان انتشار الحركة الإنسانية معاصرًا للإصلاح الديني الذي أتى به "لوثر"، والذي كان أهم عوامل تحرر الفكر من قيود الكنيسة.

أما ثالث هذه العوامل فقد نشأ مباشرة من إحياء الدراسات التجريبية، والإهتمام بالطبيعة الحافلة بالحقائق، ونزوعه إلى إرتياد المجهول من آفاق العلم الطبيعي، ولقد انبعثت صيحات "روجر بيكون" بالدعوة إلى التجربة والاختيار، واستجاب لها العلماء والفنانون، وثمّ إنشاء بعض الجمعيات كصدى لهذه الدعوة، ومن المعلوم أنّ هذا الأمر مهدّ لنشأة العلوم الطبيعية مؤيدة بالمخترعات الحديثة⁽¹⁾.

وأخيرًا فإنّ التحرر من القيود الفكرية التي فرضتها الكنيسة نجح بأن أتاح للمفكرين الأوروبيين أن يرتادوا كثيرًا من الميادين العلمية التي كانت محظورة في العصور الوسطى، وكان نتيجة ذلك أن تكشفت حقائق جديدة ونظريات علمية لم تكن معروفة، وقد خالف الكثير منها ما كان الناس يعتقدونه ويؤمنون به في العصور الوسطى.

المطلب الثاني: إزدهار التعليم واللغات القومية:

من آثار الحركة البروتستانتية في مجال التعليم، أهمّ لم يضيفوا الكثير إلى مضمون التعليم إلاّ أنهم ساعدوا كثيرًا على إنتشاره.

فأوروبا في العصور الوسطى كان التعليم فيها حكراً على رجال الدين، وكانت مقررات التدريس في منابرها تقتصر في غالب الأمر على دراسة اللاتينية واليونانية وبعض علوم اللاهوت.

وما إن تهيأت شروط الاستقرار، وتوطّد الوجود البروتستانتي في البلاد الأوربية حتّى بذل قادة الإصلاح قصارى الجهد من أجل تثقيف الجماهير، وتسليحهم بالوسائل المعرفية الرئيسية على الأقل من أجل تيسير الولوج إلى بوتقة الفهم الفردي للكتاب المقدّس، حيث ارتفع صوت "مارتن لوثر" وللمرة الأولى في تاريخ ألمانيا داعياً إلى التعليم الشّعبي.

وقد عرفت مدارس التعليم البروتستانتية تطور لافت في مقارنتها بالمدارس الكاثوليكية سواء أكان ذلك في ميدان "طرائق البحث" أو على صعيد المواكبة العلمية، وكان هذا الانتقال من التعليم الوصفي

(1) - برتراند راسل: المصدر السابق، ص: 17/2.

إلى التعليم الكمي، أي الدقة.

فالمنهج التعليمي البروتستانتي حقق شرف طالب العلم كونه يرقى به عقلا ومعيشة، وأضيفت التراجم والتمارين البدنية للمقررات المدرسية، وعززت التربية الإنسانية في المقام الأول، كما وقع التركيز على مضمون الأدب اليوناني والروماني، ونظرا لما صحب الحركة الإصلاحية من حركة علمية اعتمدت البحث العلمي والتفكير المنطقي والتحليل المتحرر من قيود ومسلّمات العصور الوسطى، ولم يعد كذلك بإمكان الناس قبول علم التاريخ القائم على جمع الروايات وسردّها، وأخذ عدد من البروتستانت على عاتقهم دراسة التاريخ بصورة جديدة وعلى أساس إخضاع الرواية التاريخية للبحث والمناقشة، والتحليل ورفض مالا يقره العقل والمنطق السليم أيا كان مصدره تماشيا مع إهتمامهم المتجدد بالطبيعة، كما قاموا البروتستانت أيضا بتطهير علم الفلك وتحريره من خرافات الكنيسة⁽¹⁾.

أما فيما يخص الجامعة، فقد كانت جامعة "ويتنبرج" المهد الأساسي للتعاليم اللوثرية، ومنافسا خطيرا للتعليم التقليدي في السوربون، فجاء إليها طلاب العلم من أنحاء المانيا، حيث أصبحت بمثابة المعمل العظيم للأدب اللوثيري، وفي هذا المكان وجد العقل القومي لألمانيا.

واهتم أيضا "جون كالفن" هو الآخر بعمل مماثل في هذا المجال، فأنشأ أكاديمية في جنيف عام 1559م، أشرف عليها "تيودور بيزا"، والتي غدت في أيام "كالفن" مركزا تعليميا مهما، يقصده الكثير من الطلاب لطلب العلم، وكان يدعوا "كالفن" إلى التعليم الشامل بشرط أن لا يكون حكوميا، بمعنى أن يكون التعليم شعبيا في متناول الجميع.

فكانت المدارس التي أخذت بنظام "كالفن" إلاّ القلّة من الطبقة العاملة، ولم يكن منهم من يصل إلى التعليم الجامعي، وكان "كالفن" يكتفي بتعليم المتعلّم القراءة، والكتابة حتى يتمكن المتعلّم التعامل مع الناس، وأن يقرأ الكتب المقدّسة وهذا الهدف الأساسي من التربية الكالفينية.

وفي إنجلترا تزعم "جون كنوكس" تلميذ "كالفن" إنشاء المدارس حيثما كانت هناك تجمّعات سكانية، وحاول النبلاء أن يثنوه عن إتمام عمله، ولعلّ أهم ما يمكن أن توصف به الكالفينية في مجال

(1) -جمعة مصطفى: منذ فجر التعليم وحتى اليوم، كيف غير التعليم وجه البشرية، استرجع يوم: 2025/8/30

التعليم أنّها تغلغت في أعماق الريف.

ووصلت إلى الأحياء الفقيرة جدا، بفضل حركة افتتاح المدارس، ثمّ إنّها لم تكتشف بتطبيع التعليم الابتدائي حتى الثاني، ولكنّها طبعت بطابعها وأهدافها التربوية التعليم الجامعي، وأنشأت الجامعات على المنهاج الكالفيني، وكان تأسيس كلية "إيمانويل" الملحققة بجامعة "كمبريدج" من مآثر النظام الكالفيني⁽¹⁾.

ومن هنا كانت الحاجة ماسة في العصر الحديث إلى التعليم الشعبي المتحرّر لا إلى التعليم التلقيني الذي يستظلّ بأسوار البابوية، ويحتمي بحصونها بعيدا عن الحاضن الفكري والثقافي القائم على هواجس الفكر النقدي والتمحيص الفكري، وبذلك أدرك البروتستانت أنّ التعليم لن يؤت أكله، ولن تطيب ثمرته إلا إذا نُفض عنه غبار الجهل وإستقيت المعارف من مصادرها ومشاربها الأصلية.

إضافة إلى هذا فقد ظهر الإهتمام باللغات الكلاسيكية، لما لها من أهمية في رد الإعتبار للغات المحلية، حيث تطورت استعمالاتها في الأدب القومي الشعبي، وكان ذلك بفضل كتابات المصلحين كل بلغته وترجمتهم للأناجيل للغات شعوبهم، حتى ذاع صيت تلك التراجم وانتشرت في جميع أوروبا⁽²⁾.

ففي ألمانيا اتّجه "لوثر" وغيره من المصلحين إلى المتعلمين بالكتابة باللّغة اللاتينية، وإلى الشعب أيضا باستخدام اللّغة الألمانية، هذا الأمر أعان على إيجاد أدب قومي شعبي، وهذا التحول من اللاتينية إلى الألمانية كان ازدهارا للأدب القومي في البلاد، كما أنّ أعظم هدية قدمها "لوثر" للشعب الألماني كانت الكتاب المقدّس باللّغة الألمانية، هذا الأمر حدّد مستقبل اللّغة ومنهجها في البلاد، حتى أنّ اللّغة الألمانية الحالية التي انتهجها قديماً، وينتهجها الآن أدباء الألمان هي لغة "لوثر" في الكتاب المقدّس⁽³⁾.

يقول (مارتن لوثر): «ينبغي ألا نطلب من الحروف اللاتينية أن تعلّمنا كيف تتحدث الألمانية، بل يجب أن نسأل الأمهات في بيوتهن، والأطفال في الشوارع وعمامة النّاس في السوق.... يجب أن نسترشد

(1) - نيبيل موسى: موسوعة مشاهير العالم، ط1، دار الصداقة العربية، بيروت، لبنان، 2002م، الجزء الثاني، ص: 313.

(2) - محمد خالد أبو حطب: مرجع سابق، ص: 96.

(3) - عزت زكي: المصدر السابق، ص: 176.

بهم في الترجمة ولسوف يفهموننا، ويعرفون أننا نخطبهم بالألمانية»⁽¹⁾.

"فلوثر" قد تفرّد وتميّز في إحياء اللّغة الألمانية، فكما أطلق عليه بعض الباحثين والمؤرخين أنّه هو المبدع والمجدّد للغة الألمانية الحديثة، خاصّة بعد أن وضع معيارًا قوميا واحداً للغة الأدبية.

أمّا "زوينجلي" هو الآخر فقد عرف عليه أنّه كان مفتونا باللّغة العبرية لغة العهد القديم، وقال فيها: «لقد وجدتها لغة مقدّسة فوق كل ما يعتقد النّاس لغة مهذبة رشيقة خفيفة، وعلى الرغم من فقرها في عدد الكلمات، فإنّ أحداً لا يشعر بهذا النقص، لأنّها تستخدم حصيلتها من الألفاظ بأساليب شتى، والحقّ أنّي قد أجرأ على القول بأنّ الإنسان إذا أدرك جلالها ورشاققتها، لوجد أنّه ليس هناك لغة أخرى تستطيع أن تعبر عن الكثير بمثل هذا العدد القليل من الألفاظ، ويمثل هذه التعبيرات القوية وليس ثمة لغة مثلها غنية بأساليب التصوير المتعددة الجوانب الزاخرة بالمعاني، وليست هناك مثلها تبهج القلب وتنفذ إليه بسرعة».

كما نال أيضا الأدب الفرنسي دفعة قوية من ثورة الإصلاح الديني، فاللّغة الفرنسية التي استخدمها "كالفن" في ترجمته للكتاب المقدّس، وفي كتابه "أنظمة الدين المسيحي" أصبحت اللّغة الكلاسيكية في الدّين والفلسفة على السواء، في الوقت الذي أصبحت فيه لغة "رابيليه"⁽²⁾، من الجانب الآخر المنهاج الذي سار عليه كتاب الأدب.

كما هو الحال في إنجلترا حيث إنّ المصلحين هناك أدّوا إلى ظهور عشرات من الكتب والرسائل، التي كتبت بالإنجليزية، دفاعاً عن عقيدتهم وردّاً على أعدائهم، كما ساهم في ظهور الأدب الإنجليزي.

عمومًا أثمرت ترجمات الأناجيل والوعظ بلغة الشعب، استبدال اللاتينية باللغات الوطنية والآداب التي واكبت الحركة القومية والتي سايرت هزيمة كنيسة روما، إلّا أنّ تراجم الانجيل باللغات المحلية كانت من منطلق فهمهم للإصلاح الديني⁽³⁾.

(1) - ويل ديوارنت: المصدر السابق، ص: 54/24.

(2) - رابيليه فرانسوا(Francoa Rabelai1493-1553م) كاتب فرنسين بدأ حياته راهبًا، ثم انصرف إلى الطب والتربية والأدب، وكان له أسلوب ساخر حاول من خلاله أن يجرّ إنسان العصر الوسيط من قيود الخرافة من أشهر أعماله رواية بانتا غروويل (البعلبكي: المرجع السابق، ص: 201)

(3) - عزت زكي: المصدر السابق، ص: 178.

المطلب الثالث: تبلور الحياة القومية وظهور الدول

باعتبار أنّ الحياة القومية تعتبر واحدة من الأبعاد الجوهرية للحياة الاجتماعية يمكن التأكيد على أنّ أولى المكاسب الرئيسة التي تحققت نتيجة للبروتستانتية، وتمثل بشكل أساسي في عملية التبلور والشكل التدريجي للحياة القومية، وظهور الدول الحديث، فقد كانت سلطة البابوية تعتبر العالم كله وحدة كنسية مترامية الأطراف مركزها "روما"، ومع أنّ الثورة البروتستانتية لم تنجح في بعض الأماكن، وفي بعضها الآخر لم يقدر لها النجاح الجزئي إلا أنّها حيثما نجحت نجاحًا تامًا تبلورت الحياة القومية، وظهرت الدول المتماسكة، وذابت الطبقات في وحدة متكاملة، وقلّت الفروق الطبقية.

وحيثما فشلت أيضا كان لها ردّة فعل كأي ثورة فاشلة، وكل فعل لا بد أن يكون له ردّة فعل، فقد كانت الدول الكاثوليكية في مركز القوة ظاهريا حينما كانت تتحكم في السلطة الدينية المدنية معا، ولكنها كانت قوة ظاهرية لا تستند إلى دعم من الشعب بطبقاته المختلفة، بل تهدف إلى تقوية الملكية الاستبدادية، وتثبت دعائم الإمبراطورية الكنسية⁽¹⁾.

فقد كانت فرنسا وإسبانيا تعيش شعوبها تحت استبداد التاج والكنيسة، وتجنّدت في محاكم التفتيش، وسجون الباستيل الفرنسية، لقتل الحريات والروح القومية، وزيادة الفروق الطبيعية، ومنع قيام الأمة الواحدة المتماسكة، مما أدى إلى التعطل عن مواكبة الحضارة الحديثة، وانتهت إلى سلسلة من الثورات والتيارات المتضاربة.

أما في الأماكن التي تحققت فيها نجاحات جزئية للثورة البروتستانتية، كما هو الحال في بعض الكانتونات السويسرية، أدت هذه النجاحات إلى تشكيل مجتمع غير متجانس، سرعان ما نشأ فيه تنافس وتنازع أديا إلى الإندلاع حروب أهلية، ولم يظهر تأثير قوي للحياة القومية، ومثال ذلك المانيا حيث عانى الفلاحون من عبودية الاقطاع، ولم تتبلور حياة متحررة للفلاحين إلا في القرن التاسع عشر، بالإضافة إلى ذلك، تأثرت الهياكل الاجتماعية والإقتصادية بشكل كبير، أدت الثورة البروتستانتية إلى تغيرات في توزيع الأراضي والثروة مما أدى إلى تفاقم الصراعات الطبقية⁽²⁾.

(1) -عزت زكي: المصدر السابق، ص 175.

(2) -المصدر نفسه، ص 176.

أما علاقة الأمم بعضها ببعض، والصراع البروتستانتى لم يجد نفعا في تبلور العلاقات بين الشعوب، فقد استمرت الإمبراطورية الكنسية قائمة، وفي كافة الأحداث التي تميّزت بها حقبة الإصلاح، في الصراع بين اسبانيا وفرنسا على السيادة في المجتمع المسيحي، ومجهودات القادة العسكريين في توحيد عدد من الدول تحت حكمهم، ومطامع فرنسا وإسبانيا في إيطاليا و"هنري الثامن"، ومشروعاته التوسيعية في فرنسا والبلاد المجاورة، في كل هذه الأمور لم يكن لثورة الإصلاح الديني أي تأثير يذكر.

مع أنّ بعض المصلحين وغيرهم حاولوا أن يوجدوا نوعًا من الصلات الدبلوماسية بين الأمر في أكثر من دولة، ليس لفائدة الأمراء بل لمنفعة شعوبهم، إلا أنّ الباباوات والأمراء فضلوا السير على منهاج ميكيافيلي بدلاً من المنهاج الأخلاقي⁽¹⁾.

المطلب الرابع: أثر الإصلاح الديني على الحياة الاجتماعية والعائلية

تميّز العصر الوسيط بالنظام الإقطاعي الذي تلاشت مظاهره في العصور الحديثة، فقد كانت الأرض موزعة بين أشراف يمتلكونها بما عليها من إنسان وحيوان، ويحكمون إقطاعاتهم بمطلق إرادتهم بين الناس، فانعدم وجود الطبقة الوسطى، فكان المجتمع في العصر الوسيط ينقسم إلى طبقتين: أشراف يتمتّعون بكل شيء، وفلاحون يعتبرون عبيدًا للأرض⁽²⁾.

ومع بداية العصور الحديثة أخذت الأوضاع في بعض البلاد الأوروبية تأخذ أشكالًا متغيّرة، فعندما اتسعت العلاقات التجارية بين أوروبا والعالم الجديد بعد حركة الكشوف الجغرافية، ظهرت على إثر ذلك طبقة وسطى تشتغل بالتجارة، ونالت ثراءً أوصلها إلى نفوذ حرمت منه في العصور السابقة. وانتعشت أحوال أوروبا الاقتصادية بانتعاش تلك الطبقة الجديدة التي كان مصلحتها تدعيم نفوذ الملكيات، وبذلك إرتبطت مصلحة الملوك بمصلحة الطبقة الوسطى في صراع ضدّ الأشراف.

وقد لعبت الطبقة الوسطى دورًا كبيرًا في نشأة الدولة القومية الحديثة، وذلك أنّه بمجرد زوال الإقطاع الأوربي ساعدت الاعتبارات الجغرافية، وإتفاق أهل الإقليم الواحد في اللّغة والجنس على تقسيم

(1) - عزت زكي: المصدر السابق، ص 177.

(2) - عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار: التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى اواخر القرن الثامن عشر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995م، ص: 13.

أوروبا إلى مجموعة من الأمم⁽¹⁾.

أما الروح العائلية كانت مهددة بالإهيار، بسبب تأثير الكهنة والرهبان والراهبات، الذين يعيشون حياة العزوية القهرية، هذا النظام خلق طبقة جنسية واضعا حياة الأسر العادية في مستوى أقل من حياة ما يسمى بالتبتل معطيا فكرة ضمنية مفادها أنّ الزواج شرّ وخطيئة، خاطفا من أبناء الأسر الكريمة زهرات الشباب ممن كان يمكن أن يصبحوا أعمدة في عائلاتهم، ومجتمعاتهم، ليزجّ بهم خلف الجدران الرمادية، في حياة تواكلية كسولة انطوائية، تحشى مجاهدة المجتمع بمشاكله، وتعقيم للإمكانيات والمواهب الخدمات بسبب ما فرضته الكنسية وما دعا إليه الكهنة والرهبان.

فالنظام الإصلاحي البروتستانتي سعى إلى حلّ هذه الأديرة، للحدّ من تصرفات الرهبان القاسية، ونذورهم ليعشوا كما يرغبون، فسمح للكهنة بالزواج وكان ذلك خطوة تقدمية وحضارية في غاية الأهميّة من الناحية الخلقية، والناحية الدينية في أوروبا آنذاك.

⁽¹⁾ - عبد الفتاح حسن أبو عليّة، اسماعيل أحمد باغي: المرجع السابق، ص: 21.

المبحث الرابع: من الناحية الاقتصادية:

أثرت حركة الإصلاح الديني بشكل كبير على الجانب الاقتصادي، حيث يرى بعض المؤرخين أنّ الإصلاح البروتستانتي، وخاصة تعاليم "كالفن"، قد مهدت الطريق لظهور الرأسمالية من خلال تشجيع العمل الجاد، والادّخار، والإنتاجية، وربط النجاح المادي بالبركة الإلهية، فما هي الرأسمالية؟ وما علاقتها بالفكر الإصلاحي البروتستانتي؟

المطلب الأول: معنى الرأسمالية، نشأتها، وأهم نظرياتها.

الفرع الأول: تعريف الرأسمالية "Capitalism".

1/ «Capitalism is an economic system based on private ownership of the means of production, investment for profit, and free markets that determine prices and allocate resources»⁽¹⁾

«الرأسمالية هي نظام اقتصادي يعتمد على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، والاستثمار بهدف تحقيق الربح، والسوق الحرة التي تحدد الأسعار والطلب والعرض».

2/ «Capitalism is an economic system based on private owneship, investment, free markets, and Competition, the primary goal of capitalism is to generate profits through production and trade»⁽²⁾

-«هي نظام إقتصادي يعتمد على الملكية الخاصة والإستثمار، والسوق الحرة، والمنافسة، الهدف الرئيسي للرأسمالية هو تحقيق الربح من خلال الإنتاج والتجارة».

3/ «....., free markts that determine prices and allocate resources and investment for profit, capitalism is characterized by competition among firms and individuals»⁽³⁾

⁽¹⁾-Seteven N.Durlauf-lawrence E.Blume: the neuo palgrave dictionary of Economics, palagrove Macmillan, 2008, p1/388.

⁽²⁾-Daird R.Henderson: the Encyclopedua of Economics, Elsevier, p2/396.

⁽³⁾-Steven N.Durlauf, paul A Johmson, Jonathon R.W.temple: the oxford (Hand book of Economics, 2010, p423.

«..... والسوق الحرة التي تحدد الأسعار والطلب والعرض، الرأسمالية تتميز بالإستثمار بهدف تحقيق الربح والمنافسة بين الشركات والأفراد».

4/ «Capitalism is characted by competition omong firms and indivrduals and investment for profit».⁽¹⁾

-«..... الرأسمالية تتميز بالمنافسة بين الشركات والأفراد والإستثمار بهدف تحقيق الربح».

أما في المعاجم العربية فجاءت:

1/- «اسم منسوب لرأس مال، وإقتصاديا هو نظام إقتصادي تكون فيه رؤوس الأموال مملوكة لأصحاب الأموال الموظفة وغير مملوكة للعمال، ومن أهم خصائصها التنافس الحر لتحقيق أكبر ربح ممكن»⁽²⁾.

2/- وفي قاموس المعجم الوسيط: «تعني كلمة رأسمالية نظام إقتصادي تكون فيه ملكية وسائل الإنتاج كالأرض والمصانع ملكية خاصة تعمل من أجل الربح وعادة ما تكون حكراً على عدد قليل من الناس»⁽³⁾.

-وجاء في الموسوعة العربية العالمية: «الرأسمالية هي النظام السياسي الإقتصادي القائم على الملكية الخاصة والربح الخاص، في هذا النظام يمتلك الأفراد الشركات ويديرون أغلب الموارد المستخدمة في إنتاج السلع والخدمات»⁽⁴⁾.

-وعرفها بعض المفكرين وعلماء الاقتصاد كمايلي:

⁽¹⁾-Donald Rutherford: the combridge dictionary of Economics, combridge universitypress, 2004, p103.

⁽²⁾-المعاني الجامع (معجم الكتروني). استرجع يوم:

Almaany.com/ar/dict/ar-a/29/06/2025/16M26.

⁽³⁾-مجموعة من المؤلفين: المعجم الوسيط، ط 4، مجمع اللّغة العربية، مصر، 1435هـ-2004م، ص: 319.

⁽⁴⁾- الموسوعة العربية العالمية، ط2، مؤسسة اعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة السعودية، 1999م، ج3، ص: 18.

- «الرأسمالية كلمة تدل على مرحلة إقتصادية معينة، وعلى نظام للإنتاج والتبادل»⁽¹⁾.

- «هو ذلك النظام الذي يقوم على الملكية الفردية لعناصر الانتاج، والحرية الإقتصادية في إدارة، وتسيير وممارسة النشاط الإقتصادي من خلال جهاز الثمن أو قوى السوق»⁽²⁾.

- «هي نظام إقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية يقوم على أساس تنمية الملكية الفردية، والمحافظة عليها، متوسعا في مفهوم الحرية»⁽³⁾.

- «الرأسمالية هي نظام مالي إقتصادي، سميت رأسمالية لأن الفرد بوسعه أن يمتلك رأس مال مثل المصانع، الشقق السكنية، والسكك وتشجيع الرأسمالية حرية العمل التجاري والإقتصادي الحر، لأنها تسمح للناس بأن يباشروا أنشطتهم الإقتصادية بصورة مباشرة ومتحررة إلى حد كبير من التدخل وتحكم الحكوميين»⁽⁴⁾.

وما نلاحظه من خلال هذه التعريفات أنّ الرأسمالية قد عُرِفَت بعدة طرق، يتوقف كل تعريف على حسب السياق والمنظور الإقتصادي والاجتماعي والتاريخي.

الفرع الثاني: النشأة التاريخية للرأسمالية.

تعود نشأة الرأسمالية إلى عدة عوامل وتطورات تاريخية حدثت في أوروبا خلال العصور الوسطى والفترة الحديثة المبكرة، وتعتبر إنجلترا هي أوّل بلد ظهرت فيه الرأسمالية بشكلها الحديث، خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وقد شهدت إنجلترا عدة تطورات إقتصادية واجتماعية مهمّة مثل:

- الثورة الزراعية التي أدت إلى زيادة الإنتاج وتحسين كفاءة العمل، بالإضافة إلى اتّساع دائرة التجارة العالمية مع المستعمرات الأمريكية والإفريقية والآسيوية⁽⁵⁾.

كما بدأت الصناعة في النمو، والتي ساهمت كثيراً في تطور الرأسمالية، كما أدى تطور النظم المالية

(1) - فرنسوا بيرو: هذه هي الرأسمالية، ت: محمد عيساني، دار بيروت، للطباعة والنشر، بيروت، 1953م، ص: 3.

(2) - أشرف محمد دوابة: النظام الاقتصادي مدخل، منهاج، ط1، دار السلام، القاهرة، 2010م، ص: 35.

(3) - يوسف كمال: الإسلام والمذاهب الإقتصادية المعاصرة، ط1، دار الوفاء، القاهرة، 1407هـ، ص: 30.

(4) - جويس أبلي: الرأسمالية، ت: رحاب صلاح الدّين، ط1، مؤسسة هنداوي، 2014م، ص: 15.

(5) - جيمس فولتشر: مقدمة قصيرة عن الرأسمالية، ت: رفعت السيد علي، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، ص: 36-42.

بما في ذلك البنوك والأسواق المالية، مما ساهم في تسهيل التجارة والاستثمار⁽¹⁾.

بالإضافة إلى ظهور الفكر الإقتصادي الليبرالي⁽²⁾، الذي يدعو إلى حرية السوق وعدم التدخل الحكومي في الشؤون الاقتصادية والتي ساهم في تشكيل الأسس الفكرية للرأسمالية، وساهم التطور التكنولوجي والاختراعات مساهمة كبيرة في تحسين الإنتاج وتسهيل النقل والتجارة كإختراع الآلات البخارية والسكك الحديدية آنذاك⁽³⁾.

هذه العوامل والتطورات ساهمت في خلق بيئة اقتصادية واجتماعية ملائمة لظهور الرأسمالية، فتحول الاقتصاد من الاعتماد على الزراعة والصناعات الحرفية إلى الاعتماد على الصناعة الميكانيكية والتصنيع، وكانت إنجلترا رائدة هذا التحول، وانتشرت فيما بعد الرأسمالية في دول أخرى أوربية وأمريكا الشمالية.

الفرع الثالث: تطور النظريات الرأسمالية:

كانت الفكرة الرأسمالية قبل القرن السادس عشر ميلادي لاتزال متناثرة بين أفكار المثقفين والمصلحين، وكان لهؤلاء المصلحين دور في ترسيخ الفكرة الرأسمالية، فمنذ القرن الخامس عشر كانت أغلب الدول تعتمد نظام إقتصادي يسمى النزعة التجارية، وتقوم الحكومات في ظلّ هذا النظام بتنظيم أمورها الإقتصادية، بحيث تزيد الصادرات عن الواردات، وتضع الدول تعريفات جمركية عالية على السلع المستوردة، وتقدم الدول في نفس الوقت دعماً مالياً لمزارعيها، وصناعاتها، حتى تنخفض أسعار صادراتها، بذلك ملأت الدول خزائنها ببيع سلع أكثر مما تشتري.

وخلال منتصف القرن الثامن عشر، قام عدد من الإقتصاديين الفرنسيين يدعون بالفيزيوقراطيين⁽⁴⁾،

(1) -محمد سلمان حسين: الاقتصاد السياسي والرأسمالية والاشتراكية، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1980م، ج3، ص: 54.

(2) -الليبرالية: مذهب فلسفي وإقتصادي وسياسي يؤكد على أهمية الحرية الفردية وحرية التعبير والفكر والاقتصاد الحر، مع تقليص دور الدولة في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية (أندريه لا لاند: موسوعة لا لاند الفلسفية، ت: خليل أحمد خليل، أحمد عويدات، ط2، منشورات عويدات، بيروت، باريس، مج: 2، ص: 733).

(3) -جيمس فولتشر: المصدر السابق، ص: 45.

(4) -الفيزيوقراطيين "physiocrats": أو المذهب الطبيعي، مذهب نشأ في فرنسا في القرن الثامن عشر، وذهب اصحابه إلى القول بجرية الصاعدة والتجارة، وبأنّ الارض هي مصدر الثروة كلها، أسس هذا المذهب فرانسوا كيناي (1694م-1778م)، طبيب الملك لويس الخامس عشر استرجع يوم: 2024/3/3 جريدة الجريدة الكويتية 2013/8/24 (<https://www.aljarida.com>)

بحث الحكومات على وقف تدخلها في التجارة الخارجية، كما دعت سياساتهم التي تُدعى حرية العمل والتجارة (دعه يعمل) إلى عدم التدخل، وإنهاء التعريفات الجمركية والقيود التجارية الأخرى.

يرى الإقتصادي الاسكتلندي "آدم سميت"⁽¹⁾، المنظر الأول للفكر الرأسمالي في العالم الغربي، بأنّ الدولة تستطيع زيادة ثروتها بسرعة وذلك بترك التجارة حرة، وكان يرى أنّ الأفراد وهم يسعون وراء مصلحتهم الإقتصادية، يسلكون سلوكاً تلقائياً فيه خير ومصلحة للمجتمع، ووصف سميت في كتابه (ثروة الأمم) الذي نشره عام 1776م الكيفية التي يعمل بها نظام حرية العمل والتجارة (دعه يعمل)، وفي تلك الفترة بدأت الحكومة البريطانية برفع قيودها التجارية، وتطوير أول إقتصاد رأسمالي، ومن ثمّ انتشرت الرأسمالية في الدول التجارية الرئيسة الأخرى⁽²⁾.

وبما أنّ رغبة معظم الناس في تحسين مستوى معيشتهم، انكبوا في الدول الرأسمالية على العمل في المزارع والمصانع والمكاتب وينتجون ثروة هائلة من السلع والخدمات في كل سنة، ولا تفرض الحكومات على الناس المكان الذي يجب أن يعملوا فيه، كما لا تقرر ما الذي يجب إنتاجه في المزارع.

ولا تفرض الأسعار التي يجب دفعها ثمناً لمعظم السلع والخدمات، فهذا ما يجعل النظام ناجحاً⁽³⁾، وللناس مطلق الحرية في أن يحسّنوا من وضعهم الإقتصادي، فيمكنهم أن يحصلوا على وظيفة في المكان الذي يفضلونه، كما يمكنهم إنفاق دخلهم بأي طريقة يريدونها، وتشارك الحكومة بالطبع في العديد من النشاطات الإقتصادية المهمة، ولكن في معظم الأحوال فإنّ الإقتصاد الرأسمالي يعمل وحده، أي يضطلع الناس بدور المستهلكين والعمل والإدارة، ويتخذ الأفراد والمنشآت الخاصة، مع المؤسسات الأخرى، قراراتهم الإقتصادية الخاصة بهم، وتشكل هذه القرارات قوى إقتصادية مثل العرض والطلب والأرباح والأسواق والأسعار والمنافسة وتوزيع الدخل.

(1) - آدم سميت "Adam smith" (1723-1790م) فيلسوف اجتماعي وعالم اقتصاد اسكتلندي، يعتبر مؤسس علم الاقتصاد الكلاسيكي دعا إلى تعزيز المبادرة الفردية والمنافسة، وحرية التجارة بوصفها الوسيلة الفضلى لتحقيق أكبر قدر من الثروة والسعادة، من أهم مؤلفاته: ثروة الأمم وأسبابها" نشره عام 1776م منير العلبكي، (معجم أعلام المورد، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م، ص: 243).

(2) - محمد عرب: شرائع النفس والعقل والمنطق، ط1، دار الإتحاد، 2005م، ص: 505.

(3) - الموسوعة العربية العالمية: المرجع السابق، ج3، ص: 33.

فالرأسمالية حسب رأي "سميث" أنّها هي النظام الأفضل مقارنة بالأنظمة الأخرى، وإذا كانت كل الأنظمة تستخدم الذكاء الإنساني، والإبداع لتقوية نظامها، فإنّ الرأسمالية متفوقة أكثر من غيرها، في الاستفادة من الذكاء الإنساني، وفي بعض الحيوية والأمل في كافة المجالات كل بضع سنوات بالتغيير الذي تحدّثه الإنتخابات، إنّ وجود عدد كبير من الرأسماليين الأقوياء لا يتيح للسلطة الإنفراد باتخاذ القرارات أو تجاوز حدودها الموسومة، ممّا يجعل الفرص متاحة دائما للتراجع عن أي خطأ قد يؤثر على البلاد⁽¹⁾.

وبهذه المرونة والاستفادة من الذكاء البشري لأقصى حد ممكن تفوّقت الرأسمالية على كل الأنظمة في عصرنا، ومع ذلك فإنّ خطورة الرأسمالي تكمن في قدرته على إنتاج الشرّ، وترسيخ أسسه، وتبرير إرتكابه في النفس البشرية بسبب الجوهر الشّخصي والفردية الذي قام عليه النظام، والذي لا يهتم إلاّ بالمصلحة الشّخصية للفرد⁽²⁾.

- كان منظرو المجتمع الرأسمالي يتصورون أنّ الأنانية والمساومة والملكية الخاصّة على حساب الآخرين سمات أزلية للطبيعة البشرية يتميز بها التاريخ الإنساني كله، (الرأسمالية وإن لم تكن قد وجدت دائما فإنّ الحاجة إلى الرأسمالية ومنطقها وجد دائما، وما كان التاريخ إلاّ تطورا لتلك الرغبة ومع ذلك المنطق الذي يفسر الأحداث بأكملها تفسيراً مادياً⁽³⁾).

لكن على الرغم من الطبيعة التقدمية في بعض نواحي الرأسمالية فقد ظهرت لها جوانب سلبية أيضا مثل:

- سيطرة أصحاب الشركات ورؤوس الأموال في احتكار السلعة والتحكم في السعر في غير صالح المستهلك.

- أصبحت الرأسمالية معوقا للإنتاج بعكس بداية نشأتها عندما أسهمت في تقدم الإنسان للسيطرة على الطبيعة، فهي عمّقت اغتراب وإستغلال الإنسان.

- إستغلال الرأسماليين الأوربيين للدول المستعمّرة للحصول على المواد الخام فيها بأبجس الأسعار ثم

(1) - محمد عرب: المرجع السابق، ص 513.

(2) - المرجع نفسه، ص 513.

(3) - كافين رايلي: الغرب والعالم، ت: عبد الوهاب محمد المسيري، هدى عبد السميع حجازي، منشورات عالم المعرفة، 1956م، ج2، ص: 67.

تصدير المواد المصنعة إليها بأعلى الأثمان، مما أدى إلى خضوع اقتصاديات الدول النامية للدول الرأسمالية.

-إحلال الآلات محل الإنسان مما يؤدي إلى ظهور البطالة بصفة كبيرة.

-المجتمع الرأسمالي غير عادل، فمن يبذلون الجهد في تشغيل الآلات يعانون كل المعاناة في المرحلة الصناعية الرأسمالية، مما يعد ظلماً أخلاقياً واقتصادياً⁽¹⁾.

-الإقتصادي الرأسمالي يتحرك نحو الاحتكار، مما يؤدي إلى فقدان الرأسماليين الضعفاء لمواقعهم وانتقالهم إلى الطبقة العاملة.

-الإستغلال الشديد للعمال في ظلّ الرأسمالية يؤدي إلى تدهور أوضاعهم، مما يدفعهم إلى التنظيم في نقابات للدفاع عن حقوقهم⁽²⁾.

المطلب الثاني: علاقة البروتستانتية بالفكر الرأسمالي

تعد آراء زعماء الإصلاح الديني من الرأسمالية، فنجد أنّ أفكارهم وآراءهم من قضية النظام الرأسمالي متناقضة فيما بينها، فهناك من رفض المبادئ التي تقوم عليها الرأسمالية، في حين هناك من يؤيد هذه الأفكار، وتركت الأثر الواضح في تطور العقلية الرأسمالية.

في بداية العصور الوسطى كان العالم المسيحي ينظر إلى المال بشيء من الريبة، وكانت مقولة شائعة آنذاك مقولة أرسطو (المال لا يولد المال)⁽³⁾، بمعنى أنّ الثروة لا تنتج من تلقاء نفسها، بل تحتاج إلى جهد وعمل لإنتاجها وهذا يعارض فكرة الربح الناتج عن الاستثمار أو الفائدة دون جهد حقيقي، فأرسطو كان ينتقد ممارسة الربا، حيث يتم تحصيل الفائدة على القروض دون تقديم قيمة مضافة حقيقية، فكان يرى أنّ المال ما هو إلا وسيلة للتبادل وليس كمصدر للربح بحدّ ذاته.

بالإضافة إلى أنّ الكنيسة آنذاك كانت ترفض وبشدة ممارسة الربا، واعتبرتها خطيئة، وأنّ التعامل بمثل هذا الأمر هو إنتهاك لمبادئ المسيحية، وقد إستندت إلى تعاليم الكتاب المقدّس خاصة العهد

(1) - صفاء جعفر: الحضارة الغربية الحديثة بين النشأة والتدهور، دار الثقافة العلمية، الاسكندرية، 1998م، ص: 33.

(2) - المرجع نفسه، ص 34.

(3) - أرسطو طاليس: السياسية، ت: أحمد لطفي السيد، ط1، منشورات الجمل، بغداد، بيروت، 2009م، ص: 116.

الجديد حيث تحذر من جني الفائدة بالقروض جاء في إنجيل لوقا: (وكل من سألك فأعطه، وإذا أخذ منك الذي لك فلا تطالبه)⁽¹⁾.

وجاء أيضا: (من سألك فأعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا تردّه)⁽²⁾، وفي رسالة بولس إلى أهل رومية (ليس للوثنيين والخطاة دين، أنا مديون لهم، بقدر المستطاع، بقدر ما في أنا مديون للجميع)⁽³⁾، وجاء أيضا: (إن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما، وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء، فيسقطون في التجربة والفتنة والشهوات الكثيرة السخيفة والمضرة التي تغرق الناس في الدمار والهلاك، لأنّ محبة المال أصل كل الشرور، الذي إذا ابتغاه قوم ضلّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بآلام كثيرة)⁽⁴⁾.

ولعل هذه النصوص تشدّد على أهمية الإكتفاء بما يكفي والإبتعاد عن الطمع والجشع.

وأكدت الكنيسة رفضها أيضا في عدة مجامع كنسية "كمجمع ليون الثاني 1274م"⁽⁵⁾، وفي مجمع "فيينا عام 1312م"⁽⁶⁾، و"لاتيران عام 1515م"⁽⁷⁾، وحينها حرّمت السلطات الكنيسة ممارسة الربا فإنها قامت بما يبدو بالنسبة لها على أنه واجب من واجباتها، وهو حماية الضعفاء من شجع المغرضين⁽⁸⁾.

(1) - لوقا 6: 30.

(2) - متى: 42: 5.

(3) - رومية 1: 14-15.

(4) - 1 تيموثاوس 6: 6-10.

(5) - مجمع ليون الثاني: 1274م عقد في مدينة ليون الفرنسية، دعا إلى عقد البابا غير يغوريوس العاشر، ناقش قضايا هامة في الكنيسة الكاثوليكية بما في ذلك: محاولة إعادة الوحدة مع الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، مناقشة قضايا الربا والتعامل المالي، تعزيز الإصلاح الكنسي استرجع يوم: <https://liveinarabic.org/04/07/2025/>

(6) - مجمع فيينا (1311-1312م) عقد في مدينة فيينا في فرنسا بطلب من البابا إكليمنص الخامس تحت ضغط ملك فرنسا فيليب الرابع من قراراته: تعزيز السلطة البابوية-محاكمة فرسان الهيكل-مناقشة قضايا الإصلاح الكنسي والتنظيم الكنسي. استرجع يوم: 2025/7/4

<http://liveinarabic.org>

(7) - مجمع لاتيران: هو عبارة عن سلسلة من المجمع الكنيسة، عقدت في روما، في قصر لاتيران، من بينها مجمعات لاتيران الخامس (1512-1517م) ناقش قضايا الإصلاح الكنسي، والعلاقات مع الكنائس الأخرى والتنظيم الكنسي. استرجع يوم:

<http://liveinarabic.org/4/7/2025>

(8) - رولان موسينييه: المصدر السابق، 107/4.

وجاء في نصّ أصدرته كلية اللاهوت في باريس عام 1532م، جاء فيه (سعادة الإنسان الأتم لا تتمّ إلاّ بمشاهدة الذات الإلهية، فمقتنيات هذه الأرض ليست سوى ذرائع أو أدوات تجب أن تساعدنا على العيش بحيث نحيا حياة روحية تؤهلنا بدورها للحياة الأبدية، فالسعي وراء هذه الخيرات الأرضية والعمل على توفيرها يجب أن يتمّ باعتدال كلي... والسعي الدؤوب المتكالب على إدّخار المال وجمع الثروة خطيئة هو فالعمل في هذا السبيل يجب أن يستهدف قبل كل شيء تلبية حاجتنا الضرورية والنقد قد يسمى مفسدة للأخلاق والآداب... الذين يجب أن يكون بلا بدل وبدون فائدة)⁽¹⁾، وكانت هذه المبادئ قبل ظهور حركة الإصلاح الديني، وقبل تطور النظام الرأسمالي وتوسع التجارة والذي بدأت فيه مواقف الكنيسة فيما بعد تتغير تدريجياً، فقد سعى الكثير من رجال الدين المسيحي في آخر العصر الوسيط إلى الاحتيال على التحريم الكنسي، لأنّ مقتضيات التجارة الدولية وإرتباط روما ودول أوروبا بأصحاب المصارف أرغمتهم على ذلك، ففي القرن السادس عشر لم تكن الرأسمالية حكراً على البروتستانتية، حيث احتفظ الكاثوليك بثروات كبيرة لكن الممارسات البروتستانتية عزّزت الفكر الرأسمالي بشكل أكبر⁽²⁾، تقول jeanninolson⁽³⁾.

«Various contractuel seights of hand were developed to get around the church s proscription of lending money at interest in the Middle Ages, but in the sixteenth century some of the reformers took the addition step of officially allowing the lending of mony at interest as long as the rates were reasonable, the wittenberg church order of 1522 provided for the refinancing of high-interest loans for its citizens at the lower rate of four percent annual»⁽⁴⁾

«تمّ تطوير حيّل مختلفة للالتفاف على خطر الكنيسة لإقراض المال بالفائدة في العصور الوسطى، لكنّ في القرن السادس عشر خطا بعض المصلحين خطوة إضافية وهي السماح رسمياً بإقراض المال

⁽¹⁾—رولان موسينييه: المصدر السابق، 4 / 107.

⁽²⁾— صبحي اليسوعي: المصدر السابق، 1 / 105.

⁽³⁾— أستاذة تاريخ في كلية رودز في ممفيس، تينيسي بالو.م. أ متخصصة في التاريخ الأوربي في العصور الوسطى، لها أبحاث ومؤلفات

عديدة حول مواضيع مختلفة استرجع يوم: (00: 22/07/2025 / <https://epws.org>)

⁽⁴⁾—Donald Mckim and others the cambridge companion to john cabirn, united kingdom, 2004, p168.

بالفائدة شرط أن تكون الفائدة معقولة، فأصدرت كنيسة واتنبرغ سنة 1522م قانونا ينصّ على إعادة تحديد القروض ذات الفائدة العالية لمواطنيها بتخفيض المعدلات السنوية العالية إلى أربعة بالمائة».

وقال بعض الباحثين والمؤرخين أنّ المصلحين البروتستانت رويت عنهم العديد من الأقوال التي يناقض بعضها البعض، فروي ما يفهم منه الاعتراض على الرأسمالية، وروي خلاف ذلك.

فمثلا "لوثر" أنكر ما يسمى بالرأسمالية، وكان يراها أنّها من أعمال إبليس⁽¹⁾، فقال:

«Undoubtedly, the gretest Calamity to befall the German nation is financial Speculation, Which is a devrilish invention supported by the pope this has brought upon the Word countless and unimagivable afflictions, trading with foreign countries to import crops from distant places harms the nation by draining its currency allowed, I have much to say about these trading companies, where nothing is vrisible but greed and volations of the simplest rules of justice»⁽²⁾

-«أكبر مصيبة نزلت بالأمة الألمانية هي بلا شك المضاربات المالية التي هي من اختراع الشيطان والبابا لتأييدهما هذه الاعمال التي جرّت على العالم ويلات لا يمكن حصرها ولا تصورها، فالإتجار مع الخارج في سبيل استيراد المحاصيل من أماكن نائية تسبب أذى للبلاد بتسرب نقدها إلى الخارج، ومثل هذه التجارة لم يكن من الجائز السماح بها، وعندني الكثير عن هذه الشركات التجارية حيث لا تقع العين إلاّ على الجشع وعلى أمور مخالفة لأبسط قواعد العدالة»⁽³⁾، فنرى في النصّ أن "لوثر" ينكر التجارة والربا، عدالة واعتبرهما ممارسات غير عادلة ومخالفة للقيم المسيحية، ولأنّها لا تحقق عدالة إجتماعية فهي معاملة غير أخلاقية.

أما نظرة "لوثر" للعمل، فهي نظرة تؤيّد نمو الرأسمالية وتطورها، فالعمل في نظره المهنة والنشاط اليومي أيا كان، والذي يجب أن يمثل له الإنسان امتثالا كافيا فهو جزء من العبادة والتقوى.

⁽¹⁾— أحمد عوف: المؤمرات الخفية ضدّ الإسلام والمسيحية، ط1، الزهراء للإعلام العربي، 1992، ص: 92.

⁽²⁾—Martin luther: on trade and usury An address by doctor martin buther, translated By W.corruth, 1924, p33.

⁽³⁾—أحمد عوف: المرجع السابق، ص: 93.

وقد كانت القاعدة آنذاك تقول "صلِّ واعمل"، فكان "لوثر" يعتقد أنّ العمل يمكن أن يكون وسيلة للتقرب إلى الله وتحقيق الإرادة الإلهية، فلقد أكّد على أنّ جميع الأعمال بغضّ النظر عن نوعها على أن تكون ذات قيمة روحية إذا تمّت بإخلاص، فالعمل والصلاة برأيه يمكن أن يكونا متلازمين وأنّ العمل يمكن أن يكون شكلا من أشكال العبادة وهي مأخوذة من تقاليد الرهبنة وهذه الفكرة أشاد بها "توما الإكويني"⁽¹⁾، في العصر الوسيط، وقد أضفى "لوثر" مبدأ أخلاقي على فكرة العمل اليومي والنشاط البشري، فانتشرت أخلاقيات العمل اليومي بين المصلحين في ألمانيا⁽²⁾.

أمّا "كالفن" فكان له موقفان، الموقف الأوّل إعتراض على النشاط الرأسمالي، واتّخاذ موقف الداعي لبساطة العيش والكفاف، وكان يراها المثالية التي دعا إليها بولس «يكفيننا أن تتوفر لنا وسائل العيش واللبس»⁽³⁾.

ويعتبر كل شيء مرتبا مسبقا وفقا لإرادة الله، حركة الأعمال التجارية والمال والنقد، كل ذلك يأتي وفقا لترتيبات الله، وبالتالي يجب على الأفراد مراعاة هذه الترتيبات والعمل بموجبها، فعندما يسعى التاجر لتأمين ربح، فإنّ نجاح مشروعه يتطلب جهدًا وقناعة واقتصادًا ونظامًا يتوافق مع مقاصد الله من خلال العمل بنجد لتقديس العالم، يصبح عمل التاجر ذا قداسة⁽⁴⁾، فرأي "كالفن" يعكس فكرة أنّ الله يسيطر على كل شيء، وأنّ الأحداث والتفاصيل الدقيقة في الحياة مكتوبة مسبقا وفقا لإرادة الله، "فكالفن" يربط بين النجاح في الأعمال التجارية والتوافق مع إرادة الله، ممّا يعطي بعدًا دينيا للعمل التجاري، وكان لهذا المفهوم تأثير كبير على أصحاب الطبقة البرجوازية التي كان أبنائها عادة ما يمارسون أعمال التجارة والصناعة، حيث يرون أنّ النجاح ليس فقط نتيجة جهودهم الشخصية بل أيضا لتوافقهم مع إرادة الله.

(1) - توما الإكويني (1225-1274): فيلسوف أوري، عاش في العصر الوسيط بمدينة "أكينو" الرابطة بين نابولي وروما، درس في باريس على يد أستاذه (أبرت الكبير) فرق بين العقل والمادة والفلسفة واللاهوت وكان لاعتوتيا (ادوارد جونو، الفلسفة الوسيطية، ت: علي زيعور، ط3، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1982م، ص: 127)

(2) - صبحي اليسوعي: المصدر السابق، ص: 106.

(3) - 1 تيموثاوس 6: 6-10.

(4) - رولان موينسه: المصدر السابق، 109/4.

فمراجعة الأعراف السائدة آنذاك أدت إلى اختلاف وجهات النظر من قضية الرأسمالية وفق الحركة البروتستانتية، فكان موقفها ضدّ كل ألوان النشاط التجاري الذي يوسع الملكية ويُدّر الأموال، لكن حين توثقت عُرا الإصلاح الديني تغيرت مواقف المصلحين من معارضين لألوان النشاط الرأسمالي، إلى مؤيدين، وخاصة (كالفن)، الذي تميّزت عقدة الاختيار المسبق عنده بطابع من القسوة، وقد زاد تلاميذه من التشديد على هذه العقيدة مثل الطائفة التطهيرية (Puritans) التي حافظت على تعاليم (كالفن) كما تركها، خاصّة صفة التشدّد والتمسك الحرفي بالكتاب المقدّس، فاشتهرت بشدّتها وصرامتها خاصة محافظتهم على التقاليد العبرانية، وكان مذهبهم بمنزلة بعث للروح اليهودية القديمة، فالتزموا بتعاليم العهد القديم، وعدّوه وحيا سماويا يغذي الفكر ويرشد نحو الصلاح، ووجدوا فيه مثالا سماويا لاستنباط الأحكام. وقد عملت هذه الطائفة على ترسيخ الفكر الرأسمالي في البروتستانتية، وربما استلهمت هذه الفكرة من المبادئ اليهودية التي كانت هذه الفرقة معروفة بتمسكها بها، يعرف الفكر الرأسمالي اليهودي بتركيزه على التملك وتجميع الثروات، وقد لاحظ (ماكس فيبر) أنّ أخلاقيات العمل اليومي في البروتستانتية التقشفية التي لعبت دورًا هامًا في تشكيل روح الرأسمالية⁽¹⁾.

ولعل هذه الملامح أسهمت في نشر العقلية الرأسمالية مع مختلف الانحرافات التي تضمنتها، فالحركة الإصلاحية أسهمت كثيرًا في تكوين.

المطلب الثالث: تعاليم "جون كالفن" في الربا

لا يخفى على الباحثين والمؤرخين والإقتصاديين أنّ "جون كالفن" كان له دور كبير في شيوع فكرة الربا⁽²⁾، في العالم الغربي، وليست القضية تتعلق بالممارسات الفردية التي لا تحتاج إلى مبرر وغطاء

(1) - راجح البساتين: المرجع السابق، ص: 68.

(2) - كلمة اشتقت من الكلمة اللاتينية "usura" التي تعني الربح الذي يتحقق للمقرض من المقرض مباشرة مقابل القرض، فهي استخدام التقود في معاملة ينتج عنها مباشرة ربح للمقرض عبد الرحمن أحمد يسري: تحريم الربا (الفائدة) في اليهودية والمسيحية والإسلام، مقال منتدى البركة استرجع يوم: <https://Forum.albaraka.site/05/07/2025/> 16: 33 وعرفها فقهاء الاسلام: لغة: الزيادة والنماء، قال تعالى: (أن تكون أمة هي أرى من أمة) النحل: 93، أما شرعا: هو الزيادة في أشياء مخصوصة، والزيادة على الدّين مقابل الأجل مطلقا وقيل هو الزيادة في بيع شيئين يجري فيهما الربا. ويطلق على شيئين: على ربا الفضل (الزيادة) وriba النسيئة (التأجيل) (سعيد بن علي بن وهف القحطاني: الربا اضراره وثاره، تقديم: صالح بن فوزان الفوزان، شبكة الالوكة، 1431هـ، ص 11).

أخلاقي، لأنّ فكرة "كالفن" عن الربا لا تتعلق بهذا النوع من التصرفات، بل إنّ فكرته كانت تبريراً للمذهب البراغماتي، حتّى قامت الكثير من التنظيمات الغربية لمسائل الإقراض والربا، منذرعة بالمبدأ الكالفيني والتبرير الأخلاقي له.

الفرع الأوّل: الربا في الكتاب المقدّس

1/- الربا في العهد القديم:

وردت الكثير من النصوص التي تفيد حرمة التعامل بالربا، نذكر منها:

جاء في سفر الخروج: «إذا أخذت من أخيك رهنا، فلا تأخذ منه فائدة».

«إن أقرضت قضة لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي لا تضعوا عليه ربا»⁽¹⁾.

- جاء في سفر اللاويين: «وإذا افتقر أخوك وقصرت يده عندك فاعضده غريبا أو مستوطنا

فيعيش معك، لا تأخذ منه ربا ولا مراجحة بل اخش إهلك فيعيش أخوك معك»⁽²⁾.

- وورد أيضا في سفر التثنية: «لا تقرض أحاك بربا فضّة أو ربا طعام أو ربا شيء ما، ممّا يقرض

بربا»⁽³⁾.

- وفي سفر نحما: "ردوا لهم هذا اليوم حقولهم وكرومهم وزيتونهم وبيوتهم والجزء من مئة الفضة

والقمح والخمر والزيت الذي تأخذونه منه ربا»⁽⁴⁾.

- وفي سفر حزقيال: «ورفع يده عن الفقير ولم يأخذ ربا ولا مراجحة بل أجرى أحكامي وسلك في

فرائضي فإنّه لا يموت بإثم أبيه حياة تحيا»⁽⁵⁾.

- ويتّضح لنا من هذه النصوص أنّ تحريم الربا في العهد القديم، مقيد بقيدين هما أن يكون هذا

(1)- الخروج: 22/25.

(2)- اللاويين: 25/35-37.

(3)- التثنية 19/23.

(4)- نحما: 5/11.

(5)- حزقيال: 18/17.

التعامل مع قريب أو فقير يهودي محرّم، أمّا إن خرج عن هذين القيدتين فالتعامل بالربا جائزاً⁽¹⁾. وهذا لاشك أنّها من حيل وأباطيل اليهود الذين كانوا يجتالون بها ويخادعون بها أنبياءهم عليهم السلام.

يقول أحد ربابيهم: «عندما يحتاج النصراني إلى درهم فعلى اليهودي أن يستولي عليه من كل جهة، ويضيف الربا الفاحش إلى الربا الفاحش، حتّى يرهقه، ويعجز عن إيفاءه ما لم يتخلّ عن أملاكه أو حتّى يضاهي المال مع الفائدة، أملاك النصراني، وعندئذ يقوم اليهودي على مدينه وبمعاونة الحاكم يستولي على أملاكه»⁽²⁾.

2/- الربا في العهد الجديد:

جاءت تعاليم العهد الجديد مطابقة لما ورد في العهد القديم من حيث المعاملات المالية، فورد في إنجيل لوقا: (بل أحبّوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً فيكون أجركم عظيماً)⁽³⁾، وأيضاً جاء في نفس الإنجيل: (فلماذا لم تضع فضتي على مائدة الصياغة، فكنت متى جئت استوفيتها مع ربا)⁽⁴⁾. -وجاء في إنجيل متى: (من سألك فأعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا تردّه)⁽⁵⁾، وهذه النصوص حسب التفاسير المسيحية تشدّد على أهميّة التعامل بالرحمة والعدل، وتشجع على إقراض الآخرين دون توقع ربح أو فائدة⁽⁶⁾.

يقول "رينان" في تفسيره للنصوص السابقة أنّ "يسوع كرّر كلامه عن ضرورة أن نحبّ أعداءنا ونحسن ونقرض ونحن لا نرجو شيئاً، فهذا النوع من التصرف هو مسيحي على نحو مميّز، كما أنّه يبرز من هم بنو العلي"⁽⁷⁾، يفهم من كلام "أرنست رينان" فهمه للتعاليم المسيحية حول كيفية التعامل مع الآخرين حتّى الأعداء، وأنّ هذه التعاليم تميز المسيحية وتبرز من يتبعون تعاليم المسيح هم مميّزون

(1) - ربة الصياد: الأسس الاخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم، ط1، دار النوادر، 2012م، ص: 398.

(2) - عمر سليمان الأشقر: الربا وأثره على المجتمع الإنساني، دار النفائس للنشر والتوزيع، 1988م، ص: 31.

(3) - لوقا: 35/6.

(4) - لوقا: 23/19.

(5) - متى: 5: 42.

(6) - التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس، المصدر السابق، ص: 1887/2085.

(7) - أرنست رينان: تاريخ المسيحية، ت: فرج أنطوان، مطبعة الجامعة بالإسكندرية، باب الرشيد، 1904، ص: 64.

ويعيشون وفق القيم المسيحية.

-وورد أيضا في (التفسير المسيحي للكتاب المقدس) شرحا على ما جاء في إنجيل لوقا 6: 35:
(أقرضوا غير راجين عوضا) يقول: "أي قرض لا يرجو منه المدّ عوضا؟ أدرك قوة كلامه، وتعجب من
محبة المشرع للبشر إذا علّمت الفقير من أجل الربّ، فذلك هدية وقرض، هدية لعدم توقع العوض، وقرض
بسبب هدية السيد العظيمة الذي يوفى عنه فمن تسلّم صغائر الأمور من الفقير سيعطي عوضا عنها
عظائم الأمور"⁽¹⁾.

فنستنتج من هذا التفسير أنّ المسيح كان يقصد أن يضع ضوابط أخلاقية لتعامل المسيحي مع
غيره، وطبعا هذه الضوابط والتعاليم لا تخرج عن التعاليم التوراتية التي تمنع التعامل مع الربا، وأنّ عطاء
الإنسان يجب أن لا يكون توقع أي فائدة وريح.

ولذلك فإنّ المجامع المسيحية أجمعت بتحريم الربا، ومنع التعامل بها بحرمتها بما جاء في العهد
القديم.

الفرع الثاني: موقف زعماء الإصلاح من الربا:

لم تختلف مواقف المصلحين البروتستانت عمّا أجمعت عليه الكنيسة الكاثوليكية من تحريم التعامل
بالربا وأشكال الفائدة المترتبة على رأس المال، فلم يكتفي "لوثر" بتحريم الفائدة قلّت أو كثرت، بل
حرم كل العقود التي تؤدي إلى الربا حتّى بثمن مؤجل إذا كان أكثر من الثمن العاجل، وقد قرّر أنّ ذلك
نوع من الربا، يروج باسم التجارة، وكتب في ذلك رسالة عن التجارة والربا وقد جاء فيها:

«There are people whose consciences are not troubled by selling their
goods on credit for high prices that exceed their cash prices, indeed, there are
those who do to not like to sell anything for cash and prefer to sell all their
goods on credit...this behave is contrary to goods commands, contrary to
reason and propriety, it is similar to a seller raising the price of a commodity
Knowing that there is a shortage of goods or that he has monopolized the

⁽¹⁾ -ميشال نجم: التفسير المسيحي القديم للكتاب المقدس الإنجيل كما دوّنه لوقا، منشورات جامعة بلنمند، 2008م، ص: 186.

little that is available it is also similar to a merchant buying up all the goods to monopolize»⁽¹⁾

«أن هناك أناسًا لا تبالي ضمائرهم أن يبيعوا بضائعهم بالنسيئة في مقابل أثمان غالية تزيد على أثمانها التي تباع بها نقداً، بل هناك أناس لا يحبون أن يبيعوا شيئاً بالنقد ويؤثرون أن يبيعوا سلعتهم جميعاً بالنسيئة... إن هذا التصرف مخالف لأوامر الله مخالفته للعقل والصواب ومشابهة في مخالفة الأوامر الإلهية والأوامر العقلية، أن يرفع البائع السلعة لعمله بقلة البضائع المعروضة، أو لاحتكاره القليل الموجود من هذه البضاعة، ومثل ذلك وذاك أن يعتمد التاجر إلى شراء البضاعة كلها ليحتكر بيعها ويتحكم في أسعارها»

"فلوثر" يعتبر الإحتكار من قبيل الكسب بغير مقابل كالربا، بل إنه ليعتبر خفض سعر ما عنده ليضطر غيره إلى خفض ما عنده ليحلّ بغيره الخراب حراماً⁽²⁾.

ويعتبر "لوثر" أيضاً أنّ من الربا أن يبيع الشخص ما ليس عنده، كما يعتبر من الربا أن يتآمر التجار في حال الحرب ويشيعوا الأكاذيب ليدفعوا الناس إلى بيع إلى عندهم، ثم يشتروه بأقلّ الأثمان ثم يتحكموا في أسعارها من بعد.

وهكذا يعدّ كثيراً من البيوع حراماً، لأنها تؤدي إلى الإحتكار، وجعل البضائع في أيدي محدودة، تتحكم في أسعارها، الفائدة في نظره أياً كان مقدارها حراماً⁽³⁾، ويقول في ذلك: «هناك تصرف مألوف بين الشركات، وهو أن يودع أحد مقداراً من المال عند تاجر ألف قطعة من الذهب، على أن يؤدي له التاجر مائة أو مائتين كل سنة، سواء أربح أم خسر، ويسوغ هذه الصفقة بأنها تصرف ينفع التاجر، لأن التاجر بغير هذا القرض يبقى معطلاً من غير فائدة»⁽⁴⁾.

⁽¹⁾—Martin luther: on trade and usury, translated by W.corruth, 1924, p37.

⁽²⁾— محمد أبو زهرة: بحوث في الربا، دار الفكر العربي، القاهرة، ص: 4-5.

⁽³⁾— المرجع نفسه، ص: 5.

⁽⁴⁾— عباس محمود العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، ط4، نضمة مصر للطباعة والنشر، مصر، 2005م، ص: 95.

وفي نفس السياق أطلق "زوينجلي" لعناته على ممارسات الربا، وكانت لهجة خطابه حازمة لا تقل حدة عن إنتقاداتلوثر في ذلك العصر⁽¹⁾.

"فزونيجلي" ذكر في كتاباته أنّ الربا يمكن أن يكون مشكلة عندما يشتغل الفقراء والمساكين والمحتاجون من خلال أسعار فائدة غير عادلة، فيجب أن يُحكم بالعدالة والرحمة⁽²⁾.

الفرع الثالث: موقف "جون كالفن" من الربا

كان رأي كالفن مختلفا عن باقي المصلحين، فقد تأرجح في موقفه من تأييد لمسألة الإقراض بالفائدة، وإباحة الفائدة القليلة على المقرض، وبين التشجيع الشديد على الممارسات الأخلاقية في المعاملات المالية.

ولعل رأي "كالفن" في هذا الأمر يرجع إلى حيرته بين تأييد النصوص الكتابية التي تحرم الربا، وبين تأييد الممارسات الإقتصادية التي كانت تجري في زمنه آنذاك، والتي ربما تأييده لها يكسبه قاعدة شعبية جديدة⁽³⁾.

من المعلوم أنّ "كالفن" كان من مؤيدي المعاملة الربوية، فكان أول من رفع الحظر عن هذه المعاملة، والذي كانت الكنيسة قد حرمتها منذ نشأتها الأولى.

ففي سنة 1545م كتب نيبيل بريسي يدعى "كلود دي ساشين" إلى "كالفن"، يسأله بلسان أحد أصدقائه، الرأي في استثمار ماله، هل يستطيع وضميره مرتاح أن يودع مبلغا من المال لدى المصارف ليستفيد من فائدته؟ أليس ذلك محظراً في الإنجيل الذي يوصي بالإقراض من غير الرجاء بشيء في المقابل؟ فرد "كالفن": بأنّ المسألة صعبة، لأنّ حظر الإقراض بالربا خطراً باتا معناه أننا نفرض على الضمائر رباطاً أضيق ممّا يفعله الله والسماح به، معناه إرخاء الزمام للجشع الجامح، وليس في الكتاب المقدّس حظر للإقراض وقول المسيح في لوقا: (واقترضوا وأنتم لا ترجون شيئاً)⁽⁴⁾، يوصي بمساعدة الفقراء

(1) - صبحي اليسوعي: المصدر السابق، ص 105.

(2) - فاضل عباس الحمود: الربا وآثاره الإجتماعية والسياسية والإقتصادية في مختلف الديانات المؤمنة والكافرة، قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية ببيون، جامعة حضر موت للعلوم والتكنولوجيا، مجلة دراسات بمنية، العدد 80، ص 10.

(3) - محمود عبد الرحمن دادو: المرجع السابق، ص 423.

(4) - لوقا 6: 35.

دون الرجاء بشيء مقابل ولا يوصي بعدم الإقراض، وفي مقاطع أخرى من الكتاب المقدس يبدو أنّ ما هو محظور ليس الإقراض بحد ذاته، إنّما إساءة استخدامه حتى وإن كانت تلك الممارسة محظورة على اليهود، فإنّ ذلك ليس لحظرها على أتباع المسيح، لأنّ وضع اليهود الاقتصادي والسياسي ليس مشابها لوضع المسيحيين، لذا فإنّه يجب الحكم على مسألة الإقراض بميزان العدل.

كان هذا هو "كالفن" على سؤال "كلود دي ساشين" حول استثمار ماله في البنوك الربوية، ففهم من رده هذا بداية رفع الحظر عن مسألة الربا، ولم يفتي في البداية بجواز التعامل بهذه المعاملة الربوية بل أراد أن يوقع الحظر عما تابعت عليه اليهود والكنيسة الكاثوليكية، وأنّ تحريمها لليهود لا المسيحيين، لأنّ كل أمة وظروفها وأحكامها.

ومن هنا نفهم أنّ "جون كالفن" قد تدرّج في إعلان موقفه من مسألة الربا بداية برفع الحظر عن المسيحي، وأنّ هذا وارد فقط في حق اليهودي ثمّ أعلن بعد ذلك أنّ هذا التعامل جائر، إلّا أنّه قيّد هذه الإباحة بعدّة شروط وضوابط، يجب الإلتزام بها حتى تكون المعاملة جائزة، وفي هذا السياق يقول: «الإقراض بالربا شرط أن لا يتحول إلى ربا فاحش، ويتقل كاهن الفقير وأن يكون ضمن حدود العدالة والبر»، فنلاحظ أن كالفن يدرس المعطيات التوراتية، وفق الأحداث الاقتصادية والظروف الموضوعية⁽¹⁾ ويعلق أحد الباحثين بقول:

«l'usure a son avis, n est pas d'abord une question économique ni un act moral, cest un événement qui place l'individu dans une action personnelle devant Dieu avec toute sa responsabilité, cest un événement dont la nature objective ne peut être extraite et mesurée que par rapport a la compassion du christ qui donne a tout sa véritable identité»⁽²⁾

«الإقراض بالربا، ليس في رأيه مسألة اقتصادية قبل كل شيء، ولا عملا من أعمال الأخلاق، إنّما هو حدث يضع الإنسان في عمل شخصي أمام الله بكامل مسؤوليته إنّّه حدث لا يمكن استخراج طبيعته الموضوعية وقياسها، إلّا بالنسبة إلى عطف المسيح، الذي يعطي كل شيء هويته الحقيقية».

⁽¹⁾ - جان كادييه: المصدر السابق، ص: 70-72.

⁽²⁾ - André biéler: la pensée économique et sociale de calvrin, libraire de l'université, Georgie, S.A 1 ère édition, 1959, p453.

فهذه الفقرة تعكس رؤية "كالفن" حول الربا وتأثيرها على العلاقة بين الإنسان والله، وتبرر العطف المسيحي في فهم طبيعة الأمور المالية والإقتصادية.

ويلخص شروط التعامل الربوي عند "كالفن" كما ذكرناه في قوله سابقا في النقاط الآتية:

1- أن لا ينال الغني فائدة على حساب الفقير.

2- تحدد نسبة الفائدة نظريا بخمسة بالمئة (5%) من رأس المال.

3- أن لا يتحول الإقراض بالربا إلى ربا فاحش بحيث يثقل كاهل الفقير بل يجب أن يكون في حدود العدالة والبر.

4- أن لا توجد في العقد شروط لا يقبلها المقترض بالفائدة⁽¹⁾.

وهذه هي الشروط التي وضعها "كالفن" والتي قيّد بها التعامل الربوي لكي تجعل الأمر مفيداً في المجتمع الأوربي، وهذا ما ذهب بالباحثين والمؤرخين بأنّ "كالفن" صاحب الفكر الرأسمالي، وأنّ أفكاره ساهمت كثيراً في نمو النظام الرأسمالي وتطوره خاصة في "سويسرا" و"فرنسا".

لكن إذا تمعنا في هذه الشروط التي وضعها كالفن، نستنتج أنّها شروط نظرية لا أكثر، لأنّه لا يمكن تجريد التعامل الربوي عن خصائصه النفعية المشبعة خاصة أنّ النسبة التي حددها كالفن (5%) قد زادت بعد ذلك.

تقول "Jeannine olson"

«In Geneva the city council set the allowable rate of interest but was not able to control those who charged more the problem was setting that allowable rate of intrest at a just amount in the inflationary economy of the siscteenth century, After he returned to Geneva in 1541, Calvrin Worked hard with the city council to Keep the rate of interest at higher than five percent brut by November, 12, 1557 it was raised to 6.67 percent per year»⁽²⁾

⁽¹⁾ - عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق، 266/2.

⁽²⁾ - Donald Mckin and others: the combridge companion to jhon caboin, p172.

عين مجلس المدينة في جنيف المعدل المسموح به من الفائدة، لكنّه لم يكن قادرًا على ضبط أولئك الذين يكلفون أكثر فكانت المشكلة في وضع هذا المعدل المسموح به من الفائدة في ترقية التضخم الإقتصادي للقرن السادس عشر، وبعد عودته (كالفن) إلى جنيف عام 1541م عمل بجدّ مع مجلس المدينة للحفاظ على معدل الفائدة عند حدّ لا يتجاوز خمسة في المئة، لكن في 12 نوفمبر 1557م تمّ رفعه إلى 6,67 في المئة سنويًا⁽¹⁾.

هذا بالإضافة إلى النظام الرأسمالي يؤكد واقعيًا أنّه لا يمكن التقيد بالشروط التي وضعها "كالفن" خاصة أنّه خالف الشريعة التوراتية التي حرّمت الربا، وتعاليم المسيح التي صرح بها بمثل هذه المعاملات. ولعل الظروف والبيئة التي نشأ فيها "كالفن" هي التي أكسبته هذه الجرأة في مخالفة النصوص الكتابية، وإعتماده على إجهاده الخاص، حيث قال "كارل ماركس"⁽²⁾، في كتابه (رأس المال): «لقد كان "كالفن" رغما منه ودون علم منه أحد مبدعي الاقتصاد الرأسمالي في الأزمنة الحديثة»⁽³⁾.

-ويقول أيضا "ول ديورانت": «إنّ مذهب كالفن" التزم بالعمل الشاق والرصانة والإجتهاد والاعتدال في النفقة، وأصبح الاقتصاد قانونا دينيا.... ولعل ذلك هو الذي أسهم في تطوير ما فطر عليه رجال الأعمال البروتستانت لحديث من المثابرة على العمل»⁽⁴⁾.

-ويقول "عبد الرحمن بدوي": «وفي هذه المسألة لا يتقيّد "كالفن" بالمنقول بل يراعي الظروف الإقتصادية والأحوال الواقعية»⁽⁵⁾.

فهذه الأقوال تؤكد على أنّ "كالفن" في مسألة المعاملات المالية والإقتصادية لا بتقيّد بالمسلمات الكتابية بخلاف الجوانب الأخرى التي شدّد فيها على أهمية التمسك بتعاليم الكتاب المقدّس وعدم

(1) - نور الدين حاطوم: المرجع السابق، ص 184.

(2) - كارل ماركس (1818-1883م) فيلسوف واقتصادي ألماني، أحد أكثر الشخصيات تأثيراً في العالم، درس الفلسفة والحقوق في جامعة "برلين" أشتهر أعماله (البيان الشيوعي 1848م، رأس المال 1867) (موسوعة ستانفورد للفلسفة، ت مصطفى رفعت (كارل ماركس). استرجع يوم: 45: 06/07/2025/00: <http://hekmah.org>

(3) - نور الدين حاطوم: المرجع السابق، ص 185.

(4) - ويل ديورانت: المصدر السابق، ج 24/ص 232.

(5) - عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق، 266/2.

الخروج عنها، لكن الجانب المالي أصدر فتواه على أساس حاجة الناس واختلاف العصر واختلاف البيئات والعصور والظروف الإقتصادية، فوجد أنّ الأنسب في ذلك العصر هو السماح بالفائدة والربا، وهذا غير مقبول منه خاصة أنّه عُرف بتشدده وصرامته.

يذكر بعض المؤرخين والباحثين أنّ رؤية "كالفن" لمسألة الفائدة والربا أنّه أعاد قراءة النصوص المقدّسة وربطها بسياقها التاريخي، ولم يخالف النصوص الكتابية، وإنما وصل به الفهم إلى إباحة هذه المعاملات وفق شروط وقيود محددة.

يقول "ديورانت" «إنّنا قد نسلم بوجود إتفاق ودّي صامت ومتزايد بين مذهب "كالفن" والعمل والتجارة، وما كان بوسع "كالفن" أن يحتفظ طويلاً بزعامته لو أنّه عاق النمو التجاري في مدينة تعتمد حياتها على التجارة، وهياً نفسه للموقف وسمح بتقاضي فائدة قدرها عشرة في المائة، وأوصي بمنح قروض للدولة لتمويل صناعة.... ومالت المراكز التجارية مثل "أنتورب" و"امستردام" و"لندن" للدين الجديد الذي تقبل الاقتصاد الحديث»⁽¹⁾.

ويقول أحد الباحثين: «إحدى الآثار العظيمة لفكر "كالفن" التي لاتزال قائمة في العالم الحديث هو استنتاجه أنّ المجال الاقتصادي يكون بشكل خاص في مجال العمل المسيحي، وقد أشار "مارك فاليري" إلى أنّ القوانين التجارية التي كانت قيد العمل خلال فترة "كالفن" في جنيف وجدت بالضبط لدعم أهداف "كالفن" التجارية المسيحية، بدلا من السماح لمنهج سياسة عدم التدخل التي من المتوقع أن تكون نموذجاً لاحقاً من المفاسد الخاصة وتتحول إلى فضيلة عامة، وعلى الرغم من أنّ "فاليري" كان يعلق على القوانين بشكل خاص إلا أنّ كتابات "كالفن" الدّينية تدعم هذه الفرضية».

وهنا إشارة إلى "كالفن" قد أضاف قيمة للإقتصاد في الميدان المسيحي، حيث كانت تعاليمه أحدثت ثورة في تغيير بنية العمل التجاري في المسيحية⁽²⁾.

لكن يظل فكر "كالفن" حول الربا موضوعاً مثيراً للنقاش والتأمل لأنّه يعكس تعقيدات العلاقة بين الدين والاقتصاد في العصر الحديث.

(1) - ديورانت: المصدر السابق، ج 24/ص 232.

(2) - محمود عبد الرحمن دادو: المرجع السابق، ص 428.

المطلب الرابع: أثر البروتستانتية في الفكر الرأسمالي

ذكرنا آنفاً أنّ "كالفن" كان له الدور البارز في ظهور وتطور النظام الرأسمالي كما ذكر أغلب الباحثين والمؤرخين، فكان له أثر واضح في إغناء الإقتصاد الأوربي، هذا ما أدى ببعض الباحثين إلى دراسة مدى تأثير الفكر الديني في النشاط الاقتصادي.

ولقد أفرد عالم الاجتماع "ماكس فيبر"⁽¹⁾، دراسة لبعض النماذج البروتستانتية بالأخص الكاليفينية ومدى تأثيرها على النشاط الأوربي، وأراد من خلال ذلك أن يوضح تأثير الفكرة الدينية في النشاط الاقتصادي؛ خاصة أنّ رجال الأعمال وأصحاب الحيازات الرأسمالية ومثلي الطبقات البرجوازية هم من الطائفة البروتستانتية خاصة إحدى الطوائف الكاليفينية.

فيرى "ماكس فيبر" أنّ السلطة الكاليفينية التي عاثت فساداً في القرن السادس عشر في (جنيف) و(اسكتلندا)، وخلال نهاية القرن السادس عشر وبداية السابع عشر في (انجلترا) تمثل أكثر أشكال الرقابة الكنيسة على الفرد إزعاجاً بالطلق، هذا ما كانت تشعر به شرائح واسعة من طبقات الأشراف في كل مكان انتشرت فيه الكاليفينية⁽²⁾.

لذا فإنّ انتشار الكاليفينية في مساحات واسعة في أوروبا عمومًا وما اشتهرت به من قسوة وصرامة ورقابة حتّى في أبسط الأمور والتصرفات، كان ذلك كله سبباً في تقديم أتباعها اقتصادياً ليكونوا من أصحاب الرأسماليين والصدارة الإقتصادية في أي مجتمع وجدوا فيه.

ومن هنا يتبيّن الفرق بين الكاثوليك والبروتستانت فيما يخص الأمور الإقتصادية والعملية، وهذا ما يفسر أسباب حيازة الكاثوليك على الحصة الصغرى على صعيد اليد العاملة المصنفة في قطاع الصناعات الكبرى الحديثة، إذ من المعروف أنّ المصنّع يختار عادة اليد العاملة المصنفة بين الأجيال الشابة من الصناع المهرة الذين يفسح لهم المجال للتدرب الإحترافي، ثمّ ينتزعهم بعد أن يحصلوا على الخبرة، هذا الأمر يصدق على البروتستانت فقط، أمّا الكاثوليك فإنّه يوجد لهم ميل واضح إلى البقاء في

⁽¹⁾ - ماكس فيبر (1864-1920)، عالم إجتماع ألماني بارز في أواخر القرن التاسع عشر، يعتبر أحد مؤسسي علم الإجتماع الحديث، من أشهر أعماله كتاب (الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية ماكس فيبر)، (موسوعة بتسافورد للفلسفة <http://hekma.org> استرجع يوم: 20/ 2025/7/07

⁽²⁾ - ماكس فيبر: الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، ت: محمد علي مقلّد، مركز الإنماء القومي، بيروت، ص: 17.

المحترف لكي يتحولوا فيه إلى رئيس شغيلة في حين يبدو أمثالهم من البروتستانت مشدودين نحو المصانع حيث يشكلون الكوادر العليا من اليد العاملة، ويضطلعون بالمهام الإدارية⁽¹⁾.

فنفهم من كلام "كاس فيبر" أنّ البروتستانت عموماً والكالفينيين خاصة، أكثر حرصاً وبذل الجهد في سبيل العمل، وأنّ الكاثوليك استمرت على العقلية الكلاسيكية التي رسخت في أذهان معتنقيها لا بمبالاة إزاء الثروات في العالم، عكس البروتستانت الذين أبدوا استعداداً كبيراً للعقلانية الاقتصادية، وينتقدون نمط معيشة أتباع الكاثوليكية.

كما يفسر البروتستانت مفهوم العمل أنّه هو نوع من أنواع الإلهام الرباني الذي يهبه الله للعبد، وعلى العبد أن يمثل له ويتمسك به، فهم يضيفون قيمة دينية عليه إضافة إلى قيمته الدنيوية، وهذا الأمر كان له أثر واضح في السلوك البروتستانتي الاقتصادي ونشاطه⁽²⁾.

فالعمل بالنسبة للبروتستانت ما هو إلاّ نداء رباني على أساس أنّه الوسيلة المثلى للتأكد من النعمة الإلهية والخلاص وفي نفس شرعت إستغلال هذه الإرادة الإنسانية للعمل.

لذا فإنّ تخطي المرء لقيم الحياة الدنيا بالرهينة والتقشف ليس هو الوسيلة الوحيدة للعيش بطريقة ترضي الله، بل يجب على المرء أن يقوم بواجباته في الحياة بما يتوافق مع موقعه الاجتماعي، فتتحول هذه الواجبات إلى نوع من الإلهام الرباني لصاحبها.

وهكذا استمرت فكرة الإلهام في العمل والنداء الإلهي في الفكر البروتستانتي ويجب على الإنسان أن يمثل لهذا النداء الرباني، لأنّه سبيل المجد الإلهي⁽³⁾، فالبروتستانت ربطوا بين الإيمان والخلاص وبين العمل واستدلوا في ذلك إلى قول بولس: «إذا لم يرغب أحدكم بأن يعمل فليكنف عن الأكل أيضاً»⁽⁴⁾.

ويفهم من هذا القول عادة على أنّه دعوة إلى العمل والاجتهاد، وعدم الاعتماد على الآخرين دون بذل الجهد، وهو مبدأ إستخدمه البروتستانت للتأكيد على أهمية العمل كجزء من الحياة

(1) - ماكس فيبر: المصدر السابق، ص 18.

(2) - المصدر نفسه، ص 147.

(3) - المصدر نفسه، ص 137.

(4) - 2 تسالويكي 3/10.

المسيحية وهو واجب ومسؤولية أمام الله، والكسل والتكاسل غير مقبولين، كما يشددون على الإجتهد الشخصي والمسؤولية الفردية، وأنّ العمل هو تعبير عن الإيمان، والإيمان الحقيقي يظهر في الأعمال، فالإيمان بدون عمل هو إيمان ميت لا ينال به صاحبه الخلاص.

هذا ما أكّده "ماكس فيبر" في كتابه "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" بأنّ العمل والاجتهاد الجاد الذي نادى به البروتستانتية لعب دورًا هامًا في نشوء الرأسمالية⁽¹⁾.

ومن هنا نستنتج أنّ البروتستانت فهموا أنّ العمل هو واجب ديني إيماني، واستجابة لنداء إلهي، لذا ظهر أتباعها وخاصة الكالفنيين التي كانت أشدّ الطوائف البروتستانتية تمسكًا بتعاليم "كالفن" بمظهر أصحاب الرأسماليين نتيجة تمسكهم بمبادئ "جون كالفن" التي تدعو إلى التقشف في الصرف والاقتصاد فيه بصفة خاصة، وتمسكهم بالمبدأ البروتستانتية الذي يدعو إلى العمل الجاد والتفاني فيه بصفة عامة.

ولعلّه من الطوائف المتفرعة عن البروتستانتية والأكثر تأثيرًا بمبدأ العمل الجاد وعلاقته بالإيمان والخلاص طائفة "التقوية"⁽²⁾، من أهمّ الأفكار الأساسية التي نادى بها التي تتعلق بموضوع العمل والخلاص حسب "فيبر":

1-/ إنّ حمل الطهارة الشخصية إلى درجة من اليقين والكمال أكثر ارتفاعًا في ظل رقابة القانون هو مؤشر على الخلاص⁽³⁾، بمعنى أنّ الإهتمام الشديد بالنظافة الجسدية والروحية تحت رقابة الدين هي مؤشر على الخلاص لأنّها تعكس الالتزام بالقيم الدينية والعمل الجاد.

2-/ التفرغ لمهنة ما هو أيضا الوسيلة النسكية لديهم بإمتياز⁽⁴⁾، بمعنى أنّ التفرغ لعمل ما يعتبر وسيلة روحية لأنّها تمكّن الفرد من تحقيق أهدافه الروحية والعمل على خلاص نفسه من خلال العمل

(1) - ماكس فيبر: المصدر السابق، ص 136.

(2) - طائفة التقوية (pietism): هي حركة مسيحية بروتستانتية ظهرت في أواخر القرن السابع عشر وإمتدت حتّى القرن الثامن عشر، حركة تجديدية تهدف إلى تعزيز الحياة الروحية والعملية للمؤمنين من خلال التركيز على التجارب الشخصية للإيمان والتقوى، جمعت الحركة التقوية بين تعاليم لوثر وكالفن، انتشرت التقوية في ألمانيا إلى سويسرا وباقي المناطق الأوروبية. استرجع يوم:

<https://www.gotquestions.org/07/07/2025/00:17>

(3) - ماكس فيبر: المصدر السابق، ص 85.

(4) - المصدر نفسه، ص 86.

الجاد والنجاح لأنهما يعتبران بالنسبة لهم علامات على الاختيار الإلهي والخلص.

وبالنظر لهاتين الفكرتين عند الطائفة التقوية، فإنّ العمل يحتل مكانة هامة جداً، خاصة أنّ إحدى أهم أفكارهم تتعلق بالعمل وأخلاقياته، وهذا ما أكدّ فيبر: «إنّ الفضائل التي طورتها التقوية هي بالأحرى فضائل الموظف والمستخدم والشغيل والعامل المنزلي الأوفياء جميعاً لشغلهم، وهي أيضاً ربّ العمل ذي المشاعر الأبوية والتسامح الورع الرضي»⁽¹⁾، خاصة أنّ التقويون يتميزون بتفكير عقلائي على حساب التفكير العاطفي.

وأيضاً من الطوائف التي أكّدت على أهمية العمل الميثودية "The Methodisime"، التي تعتبر العمل هو شكل من أشكال العبادة، وهو وسيلة لخدمة الله والآخريين، وبه يتحقق الخلاص، وهو تعبير عن الحبّ لله وللآخريين، فهو وسيلة لإظهار الحبّ والالتزام، كما تؤكّد الطائفة الميثودية على أنّ العمل الجاد والاجتهاد هو وسيلة لتحسين الذات وتحقيق الأهداف⁽²⁾.

مما سبق ندرك أهمية الأخلاق العملية بالنسبة للبروتستانت، والتي تعني مجموعة الأخلاق والقواعد والسلوكيات التي تضبط مسألة العمل بالنسبة للفرد البروتستانت، وتوضّحت لنا فكرة أهمية العمل في الفكر البروتستانتية.

وهذا هو السبب الرئيسي أن تقلّد البروتستانت أصحاب رؤوس الأموال والمشاريع والأعمال، وأنّهم المتفوقون عملياً بالمقارنة مع باقي المسيحيين، فقال عنهم الباحثين والمؤرخين أنّهم أصحاب الأثر الأكبر في انتشار الفكر الرأسمالي في الدول الغربية.

⁽¹⁾ -ماكس فيبر: المصدر نفسه، ص 89.

⁽²⁾ -REV.W Clifford Holden: History of Methodism, and of methodist, missions in south Africa, wesleyan conference office, London, 1877, p101.

خاتمة

خاتمة:

نحمد الله على ما أنعم به علينا من إتمام هذا البحث، حتى اكتملت محاوره وأتضح معالمه، وتم إخراجه بهذه الصورة، ونرجوا أن تكون مواضيع هذا البحث قد نالت نصيباً جيداً من الدراسة.

وبعد ما تقدم في الفصول السابقة من حديث عن زعماء حركة الإصلاح الديني والمسائل التي اختلفوا فيها، وأثرها على الحركة البروتستانتية، نخلص من ذلك إلى النتائج الآتية:

1- تعدد أنماط الإصلاح الديني، وذلك تبعاً لتدني مستوى حياة الشعوب الأوروبية في جميع ميادين الحياة الدينية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية وغيرها.

2- أنّ حركة الإصلاح الديني كانت نتاجاً لجملة من الأسباب والعوامل، وأنها حركة ثورية، دعت إلى المعارضة والخروج عن التعاليم الدخيلة عن الدين المسيحي التي اجتاحت أوروبا في العصور الوسطى.

3- أنّ ولادة حركة الإصلاح البروتستانتية شكلت منعطفاً هاماً في تاريخ الغرب، فقد نجحت في تعميم فكرة الثورة في جملة من البلدان. ووضعت أسس الانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية، وتمكنت في المقابل من إنشاء جملة من الكنائس الإنجيلية الفرعية في الكثير من الأرجاء الأوروبية.

4- أنّ الحركة الإصلاحية تحمل فكرًا يهودياً، خاصة أنّ (لوثر) و(كالفن) قد وقعا تحت التأثير اليهودي، ولا شك أنّه هناك بعض الحركات المتفرعة من البروتستانتية أثبتت هذا الأمر، وأنّ زعماء الإصلاح قد شددوا بوجوب العودة إلى العهد وإحيائه بحروفه.

5- أنّ الحركة البروتستانتية ثورة معارضة للكنيسة الكاثوليكية، ورجالها ونظمها قديماً وحديثاً، قديماً برفضهم لعصمة البابا وإنكارهم صكوك الغفران، ودعوتهم للقضاء على مظاهر السيطرة والظلم الاجتماعي والسياسي والفكري، وحديثاً بتشكيل مذهب جديد يناوئ غيره من الطوائف الكنسية في القضايا النصرانية.

6- أنّ الحركة البروتستانتية حركة ضد الكنيسة الكاثوليكية خرجت على تعاليمها ومبادئها، لكنّها اعتقدت بما تعتقده الكنيسة الكاثوليكية من تثليث، وصلب للمسيح وقيامه، وعلى هذا الأساس فلا نستطيع القول بأنّها حركة دينية إصلاحية، بل هي حركة الإصلاح الكنيسي، لأنّها كانت تدعو الكنيسة

الكاثوليكية إلى إصلاح مبادئها والتعاليم الخاصة بها.

7- أن السياسة لعبت دورا هاما في قيام البروتستانتية، إذ قامت في ألمانيا على أكتاف الأمراء، ودخلت إلى إنجلترا عن طريق الملك هنري الثاني، وفي العديد من بلدان أوروبا.

8- الأفكار الإصلاحية آثارت نقاشا لاهوتية صاخبة، وآثارت معارك وحروب وصراعات، وأسفرت في النهاية عن نتائج متنوعة كان لها صدى واسع في أوروبا.

9- أن المذهب البروتستانتي بعيد كل البعد عما جاء به المسيح عليه السلام، فالمسيح كان دينه الإسلام وعقيدته التوحيد، ولم يأتي بشيء من طقوس العبادة الجديدة، قال تعالى:

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ

أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾

[المائدة: 117].

10- أن اختلاف الآراء الفكرية الإصلاحية لزعماء الإصلاح أدت إلى حروب دينية داخلية بين لاشعوب الأوروبية، مما أدى إلى تمزق أوروبا إلى أشلاء متناحرة.

11- أن الحركة الإصلاحية البروتستانتية تعدّ القطيعة مع العصور الوسطى في التاريخ الأوروبي، وحلقة وصل مع عصر النهضة الأوروبية آنذاك.

12- في زمن الإصلاح الديني تبين أنه هناط اهتمام باللغات الكلاسيكية لما لها من أهمية في قراءة الكتاب المقدس من ناحية، ومن ناحية أخرى ساهم البروتستانت في رد الاعتبار للغات المحلية، حيث تطورت واستعملت في جميع المعيادين، وهذا راجع لكتابات المصلحين كل بلغته، وترجمتهم للكتاب المقدس بلغات شعوبهم حتى ذاع صيت تلك التراجم وانتشرت في جميع أصقاع أوروبا.

13- ظهور عدة طرائق بروتستانتية أدت إلى بثّ الأفكار والنظريات كبروز النظريات الفلسفية والاجتماعية والإقتصادية.

14- اتسمت حركة الإصلاح عند (لوثر) و(زوينجلي) بالإصلاح الداخلي لكل مصلح في إقليمه فقط، عكس (جون كالفن) الذي دعوته اتسمت بالشمولية لكافة الأقطار الأوروبية.

15- وُجدت بعض حركات الإصلاح الديني قبل ((مارتن لوثر))، أو (لريخ زوينجلي) و(جون كالفن)، بعض هذه الحركات أتت ثمارها كحركة الإصلاح الديني البروتستانتي، وبعض الحركات التي لم يكتب لها النجاح كحركة (سافونا رولا) و(جون هوس)، و(جون ويكليف) وغيرهم.

16- أنه للحركة نتائج إيجابية وسلبية قد تحققتهما، إلا أنها لم تحقق الإصلاح الديني كما كان متوصع، خاصة مع كثرة الإنشقاقات والطائفية، وهي نتيجة طبيعية لخلل المصدر، فما بني على باطل فهو باطل، وهي في حد ذاتها تحتاج إلى حركة إصلاحية أخرى.

17- أن رد فعل الكنيسة الكاثوليكية لم يتوقف في مطاردة لوثر حرمانه فقط، بل تشكلت حركة إصلاحية كاثوليكية مضادة (جمعية جزويت) للحركة البروتستانتية، وكان لها أثر كبير في وجود اختلافات بين أتباع الحركة البروتستانتية.

18- ساهمت المجامع المسيحية (مجمع ترنت 1545-1563م) في توسيع الهوة بين الشعوب الأوروبية، ولم تسعى إلى رأي الصدع بين الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية، وذلك لأهداف سياسية واقتصادية.

19- أن حركة الإصلاح الديني أدت إلى ظهور حركات هدامة، وأفكار دخيلة على العالم، خاصة العالم الإسلامي كظهور الفكر الرأسمالي، فصل الدين عن الدولة-العلمانية- التعامل الربوي وغيره.

20- أن التناقض والاختلاف لم يكن بين الطوائف البروتستانتية فحسب، بل حتى داخل كل طائفة من الطوائف البروتستانتية.

21- أن (مارتن لوثر) و(جون كالفن) قد استعمالا العنف في دعوتهم فاقتروا أخطاء كبيرة ضد شعوبهم، كالعنف الذي مارسه لوثر مع الفلاحين ودحضهم، وإحراق كالفن ل(سرفيتوس)، وهذا مخالفة لمبادئ التي نادوا بها في بداية الإصلاح.

22- تبين من خلال استعراض السيرورة التاريخية للحركة الإصلاحية من خلال تبنيها تعاليم لاهوتية لبعض القديسين، وطريقة فهمهم للنصوص المقدسة وغيرها، أن البلاء الجديد قد حل على المسيحية من جديد على أيدي البروتستانت، ولم يحدث أي تغيير سوى أن رعايا الكنيسة انتقلوا من

إيديولوجيا كاثوليكية إلى إيديولوجية بروتستانتية.

وفي نهاية النتائج المستنبطة نرى أنّ هناك بعض العوائق في فكر زعماء التيار الإصلاحية، ومن أهمّ هذه العوائق أنّ الحركة الإصلاحية وقعت تحت سقف التراث التراكمي للمجامع المسيحية الذي لا عقل يستوعبه (التقليد، عقيدة، الصلب والفداء، ألوهية المسيح، الروح القدس)، وكل هذه المعاني مستمدة تاريخياً من الحراك التاريخي الفكري لأتباع المسيحية، وقد رسخوا هؤلاء المسيحيون هذه العقائد بشكل رسمي مفروض على الجميع من خلال آلية المجامع المسكونية التي حاول رجال الإصلاح إزاحة سلطتها عن رقاب المسيحيين، وقد أفلحوا نسبياً عندما جعلوا الكتاب المقدس المرجع الأول والوحيد للدين المسيحي، لكنهم استمروا يقرؤونه ويفهمونه ويؤولونه ضمن المنظومة العقديّة التي أقرتها تلك المجامع التي رفضوها. بل كان يجب التخلي عن هذه المنظومة التي تحكمت في إصدار كل فكر مسيحي.

لذلك يمكننا القول بأنّ محاولة الإصلاحيين بالعودة بالدين إلى نقاءه الأول ليست إلا محاولة سطحيّة، وماهي إلا ردة فعل على ملوك الكنيسة ورجالها من جهة. ومحاولة للتفاعل مع مقتضيات العصر الحديث من جهة أخرى دون أن تصل وتصلح جوهر الدين وحقيقته.

التوصيات المقترحة:

— بالرغم من الأبحاث التي تناولت الإصلاح الديني إلا أنّ الكثير من محاوره لا تزال بحاجة إلى دراسة تحليلية مقارنة توضح المنهجية التي اعتمدها هؤلاء المصلحين في طرح أفكارهم، ومدى تجسيدها في أرض الواقع.

— من الضروري إيلاء اهتمام كبير لدراسة الفكر الاصلاحية البروتستانتية، نظراً لتأثيره العميق في تغيير مسار التاريخ الأوربي، حيث أدى إلى تحولات جوهرية في المجالات الدينية و السياسية، مما يجعل دراسته ضرورة لفهم التحولات الكبرى التي شهدتها أوروبا و العالم .

— تنفيذ برنامج بحثي شامل يهدف إلى استكشاف و تحليل جذور و أبعاد حركة الاصلاح الديني البروتستانتية، و تقييم تأثيراتها المتعددة على المجتمعات و الثقافات المختلفة مع التركيز على الواقع الحاضر

و الرؤى المستقبلية.

__ تنظيم سلسلة من الندوات و ورش العمل المتخصصة التي تركز على الدراسات المسيحية في شموليتها، مع التركيز بشكل خاص على البروتستانتية، وذلك بهدف تعزيز البحث الأكاديمي و تحفيز الحوار البناء حول القضايا الدينية و الثقافية ذات الصلة.

__ الإرتقاء بمستوى المساهمة الفعالة للمؤسسات الأكاديمية التعليمية في مجالات البحث و التحليل المقارن للدراسات المسيحية

__ تأسيس مراكز متخصصة في التوعية و التثقيف العقدي، حيث يتم التركيز على تزويد الأفراد بالمعرفة الأساسية و الضرورية المتعلقة بالعقيدة الإسلامية، و ذلك بهدف تعزيز فهمهم للإسلام و تصحيح المفاهيم الخاطئة مع التركيز على الجهل بالأمور العقديّة الأساسية لا يعتبر عذرا مقبولا.

__ تكثيف الجهود الجادة و المستمرة من قبل الدارسين و الباحثين المختصين في مجال الدراسات الإسلامية، و ذلك بهدف تقديم و عرض المبادئ الإسلامية الصحيحة و المستمدة من مصادرها الأصلية، بعيدا عن التأثيرات الفلسفية الإلحادية التي تشوش على فهم الإسلام الصحيح، و ذلك من خلال أبحاث علمية رصينة و محاضرات توعوية شاملة بهدف تعزيز الفهم العميق و الإدراك السليم للإسلام.

أختم توصياتي بالتنبيه إلى أمر مهم بالنسبة للدارسين والباحثين في مجال مقارنة الأديان، بالإبتعاد عن العقلية التي لا تفرق ولا تجمع، ولا بد من الانفتاح على الغير، وهذه مهمة للباحث المسلم لعلها تكون الطريق الأقرب إلى النفوس المخالفين للتأثير عليهم ودعوتهم إلى الدين الإسلامي بالحكمة والموعظة الحسنة وإستعمال أسلوب اللين والرفق بالقول والفعل.

اللهم ردنا إليك ردا جميلا، ووقفنا لما تحبّه وترضاه، وأشرح صدورنا ويسر أمورنا وأختم بالصالحات أعمالنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى اللهم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

الملاحق



- I, Fra Jeronimus Munghofer of the Order of St. Benedict, confessor and penitentiary of the monastery and chapel of the Blessed Virgin Mary that by the will of God has been consecrated at Einsiedeln in the Diocese of Constance, acknowledge that the worthy and honourable brothers Johannes and Oswald Bürgi have visited the said place and chapel, have confessed their sins to me in the form established by the Church and, after imposition of a salutary penance, have by the authority granted to me in this region by the Apostolic See been absolved. In witness whereof I have delivered the present document and marked it with the usual seal for such documents. Given in the year 1521, on the nineteenth day of the month of December.

- أنا الكاهن جيروني موسى مانجوفير المتلقي للاعتراف، وباسم القديس بينديكت داخل دير وكنيسة القديسة مريم العذراء المباركة وبإذن الله نعترف بأن الإخوة الشرفاء يوحنا وأوزو برجي قد زاروا المكان وقالوا معترفين بخطاياهم إلي في الشكل الذي وضعته الكنيسة، وبعد الاعتراف المفيد للتكفير عن ذنوبهم وبواسطة السلطة الممنوحة لي في هذه المنطقة الرسولية قد برأتهم من خطاياهم. وإثباتاً لذلك لقد سلمتهم هذه الوثيقة ووضعت معها الختم المعتاد لمثل هذه الوثائق. منحت في عام 1521م في 19 ديسمبر.



- Letter indulgences by papal permission of Clement IV in selling indulgences receivers for the construction of the Cathedral of Utrecht
- صك غفران بإذن من البابا كليمنت الرابع ببيع الصكوك من أجل إنشاء كاتدرائية أوترخت.

http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Pauselijke_toestemming_van_Clementis_IV_voor_het_verkopen_van_aflaten.jpg

* * *

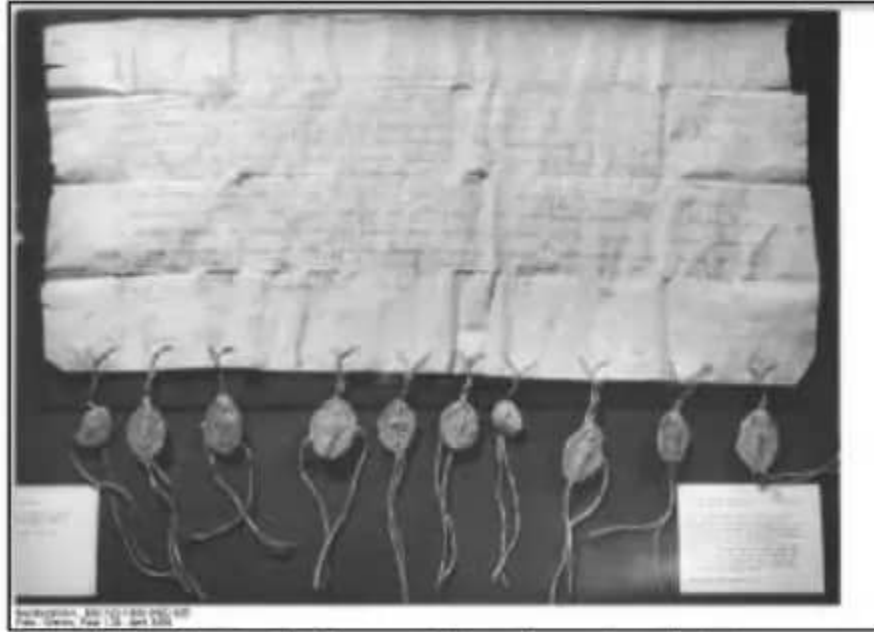


- English: Letter of indulgence issued by Johannes Angelus Arcimboldus in Sweden in the 1500s.

• صك غفران صادر بواسطة يوحنا انجيليس في السويد سنة 1500م.

<http://runeberg.org/nfba/-۷۱۲.html>

* * *



- This papal letter of indulgence of the College of Cardinals in Rome on ١٤ January ١٢٩٢ for the parish church in Berlin written, this document provides the earliest known letter of indulgence in the Mark Brandenburg.

- صك غفران بابوي من كلية الكرادلة في روما بتاريخ ١٤ يناير سنة ١٢٩٢ لكنيسة الرعية في كتابات برلين. هذه الوثيقة توضح خطابات صكوك الغفران المتعارف عليها حديثاً في دار مارك براندنبورغ

ملحق

نماذج لبعض صكوك الغفران



- Eng: In warrant of all saints and in mercy, I absolve you from all sins and misdeeds and pardon you from all punishments for ten days.

- باسم رحمة جميع القديسين أنا أعفيك من كل خطاياك وأثامك، وأرفع عنك الذنوب وجميع العقوبات لمدة عشرة أيام.

<http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Indulgence.png>

* * *



- I, Fra Jeronimus Munghofer of the Order of St. Benedict, confessor and penitentiary of the monastery and chapel of the Blessed Virgin Mary that by the will of God has been consecrated at Einsiedeln in the Diocese of Constance, acknowledge that the worthy and honourable brothers Johannes and Oswald Bürgi have visited the said place and chapel, have confessed their sins to me in the form established by the Church and, after imposition of a salutary penance, have by the authority granted to me in this region by the Apostolic See been absolved. In witness whereof I have delivered the present document and marked it with the usual seal for such documents. Given in the year 1521, on the nineteenth day of the month of December.

- أنا الكاهن جيروني موسى مانجوفير المتلقي للاعتراف، وباسم القديس بينديكت داخل دير وكنيسة القديسة مريم العذراء المباركة وبإذن الله نعترف بأن الإخوة الشرفاء يوحنا وأوزو برجي قد زاروا المكان وقالوا معترفين بخطاياهم إلي في الشكل الذي وضعته الكنيسة، وبعد الاعتراف المفيد للتكفير عن ذنوبهم وبواسطة السلطة الممنوحة لي في هذه المنطقة الرسولية قد برأتهم من خطاياهم. وإثباتاً لذلك لقد سلمتهم هذه الوثيقة ووضعت معها الختم المعتاد لمثل هذه الوثائق. منحت في عام 1521م في 19 ديسمبر.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	الرقم	طرف الآية
سورة البقرة		
180	82	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾
و	113	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾
سورة المائدة		
169	73	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾
381	117	﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾
سورة الأنعام		
169	164	﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾
سورة النحل		
195	97	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾
سورة الإسراء		
325	6-4	﴿ وَفَضَّلْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتَقْسُودَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَاتِبُهُمْ وَلَتَجْلُنَّ عُثُورُهُمْ ﴿٤﴾ ... ﴾
169	15	﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾
سورة مريم		
169	35	﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحٰنَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾
سورة الأنبياء		
ب	107	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾
سورة الروم		

ب	30	﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ ٣٠ ﴾
سورة الزمر		
169	53	﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾
سورة الشورى		
195	25	﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾

ثانيا: فهرس نصوص الكتاب المقدس

الصفحة	الرقم	العهد
العهد القديم		
التكوين		
155	2: 24.	لذلك يترك الرجل أباه وأمه، ويلتصق...
211	1: 26-27.	وقال الله لنصنع الإنسان على صورتنا..
الخروج		
49	20: 4	لا تصنع لك منحوتا...
166	14: 13.	فقال موسى للشعب لا تخافوا...
170	19: 6.	أنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة...
366	22/25.	إن أقرضت قصة لشعبي الفقير الذي عندك
اللاويين		
268	20: 21.	وإذا أخذ رجل امرأة أخيه، فذلك نجاسة....
211	2: 17.	وأما شجرة معرفة الخير...
280	15: 16.	وإذا حدث من رجل اضطجاع زرع يرحض....
العدد		
280	19: 8.	والذي أحرقها يغسل ثيابه بماء..
الشمية		
50	4: 14-19.	الأرض أو شيء من السمك ممّا في الماء....
164	27: 15.	لا تصنع للكم منحوتا، ولا صورة شيء....
269	25: 5.	إذا سكن إخوة معا، ومات واحد منهم وليس له...
366	23/19.	لا تقرض أخاك بربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ...
يشوع		
366	25/35-37.	وإذا افتقر أخوك وقصرت يده عندك فاعضده...
مزامير		
37-09	4/130	لأن عبدك المغفرة....
190	116: 13-17.	كأس الخلاص أتناول، وباسم الرب أدعوا...

166	.10-8 :106	فخلصهم من أجل اسمه...
أشعيا		
136	21/59	أما أنا فهذا عهدي...
198	.7-4 :53	لكن احزاننا حملها، وأوجاعنا...
آرميا		
8	14/32	قال الربّ القدير إله إسرائيل: خذ هذا الصك المختوم.....
8	44/32	يشترونها بالفضة...
حزقيال		
225	.18 :31	سمعا سمعت أفرايم ينتحبّ، أدبّنتي.....
	7/6 :34	الربّ لربّ اله رحيم...
366	.17/18	ورفع يده عن الفقير ولم يأخذ ربا ولا مرابحة...
09	.7/6 :34	الربّ الربّ إله رحيم ورؤوف، بطيء الغضب..
نحميا		
366	.11/5	ردوا لهم هذا اليوم حقولهم وكرومهم وزيتونهم...
هوشع		
62	.16 :3	لأنه هكذا أحبّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد..
يوشع		
340	.9 :1	لأنكم لستم شعبي ولا أنا لكم....
ملاخي		
191	11:1	لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها إسمي عظيم ...

العهد الجديد		
متى		
62	28 :20	إنّ ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل يخدم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين....
10	28/26	لأن هذا هو دمي....
65	.29-26 :26	وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسره..
123	17/18	وان لم يسمع منهم....
151	29/28 :19	ها نحن قد تركنا....
194	20/18	إذا اجتمع اثنان...
09	15/12 :6	و اغفر لنا ذنوبنا...
144	.21 :19	إن أردت أن تكون كاملاً فإذهب وبع أملاكك...
162	.18-17 :6	وأما أنت فمتى صمت فادهن راسك...
166	.21 :1	فستلد ابناً وتدعوا سمه يسوع...
170	.18 :5	لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس..
174	.20 :16	حنيفي أوصي تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع
326	.32 :12	وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر...
327	.68-57 :26	قد جدّف، ما حاجتنا بعد إلى شهود.....
327	.26-22 :26	فعاد بلاطس يسأل: فماذا أفعل بيسوع....
328	.14 :15	دعوهم وشأنهم فهم عميان يقودون عميانا.....
328	.12 :34	أولاد الأفاعي كيف تقدرون وأنتم أشرار.....
367-361	5 :42	من سألك فأعطه، ومن أراد أن يقترض.....
مرقس		
160	.01 :15	والوقت في الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ
177	.31 :8	وابتداً يعلمهم أنّ ابن الإنسان....
191-189	.24-22 :14	وفيما هم يأكلون، اخذ يسوع خبزا وبارك....
280	.16 :16	من آمن واعتمد خلص...
280	.8 :1	أنا عمّدتكم بالماء، وأما هو فسيعمدكم...
326	.28 :3	ولكن من جدّف على الروح القدس...

لوقا		
09	7/5 :16	دعا كلّ واحد من مديوني....
09	37 :6	فيقول الربّ: اغفروا...
187	.19 :22	اصنعوا هذا لذكري.....
188	.20 :22	هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي.....
280	.16 :3	أجاب يوحنا الجميع قائلاً: أنا أعمدكم بماء....
285	.4-2 :11	أبانا في السموات....
326	.10-9 :12	ومن أنكرني قدام الناس ينكر قدام ملائكة الله
361	.30 :6	وكل من سألك فأعطه، وإذا أخذ منك الذي لك فلا تطالبه...
364	.35/6	بل أحبوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً...
364	.23/19	فلماذا لم تضع فضتي على مائدة الصياغة...
370	.35 :6	واقترضوا وأنتم لا ترجون شيئاً....
يوحنا		
182	.13-12 :1	فأما كلّ الذين قبلوه فأعطى لهم سلطاناً.....
190	.9 :19	وقال لي، أكتب طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس.
183	.16 :3	لأنه هكذا أحبّ الله العالم.....
192	.34 :19	لكن واحداً من العسكر طعن جنسه....
201	.59-55 :6	لأن جسدي مأكّل حق ودمي....
211	.36 :8	إن حرركم الآب ابن صرتم أحراراً....
281	.33 :1	ترى الروح نازلاً، ومستقراً عليه، فهذا.....
331	.44-43 :2	لماذا لا تفهمون كلامي لأنكم لا تقدرون....
أعمال الرّسل		
10	43/10	له يشهد جميع الأنبياء...
190	.42 :2	وكانوا كلّ يوم يواظبون على تعليم.....
190	.46 :2	وكانوا كلّ يوم يواظبون في الهيكل....

281	.5-3 :1	وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار....
رومية		
117	1/1	بولس, عبد يسوع المسيح.....
211	.10 :3	أنه ليس بار ولا واحد.....
214	.8 :13	لا تكونوا مديونين لأحد بشيء....
221	.5-1 :13	لتخضع كل نفس للسلطين الفائقة....
224	.14 :6	فإن الخطيئة لا تسود عليكم لأنكم لستم....
224	14 :149	إني عالم ومتيقن في الرب....
361	.15-14 :1	ليس للوثنيين والخطاة دين، أنا مديون لهم....
1 كورنثوس		
122	13/5	أما الذين من الخارج....
151	33/32 :7	فأريد ان تكونوا بلا هم...
62	.21-18 :5	لكن الكل من الله الذي صالحنا لنفسه.....
188	24 :11	ان الرب يسوع....
160	5 :5	أن يُسلم مثل هذا للشيطان.....
181	.21 :5	ملعون كل من علق على خشبة....
189	.20 :11	فحين يجتمعون معا ليس هو لأكل....
أفسس		
112	12/10 :4	الذي نزل هو الذي....
10	17 :1	الذين فيه لنا الفداء....
166	.13 :1	الذي فيه أيضا أنتم، إذ سمعتم كلمة....
كولوسي		
65	.25-23 :11	أخذ خبزا وشكر فكسر وقال خذوا....
10	13 :3	كم غفر المسيح....
09	14/2	وقد محا المسيح الصك الذي....
163	.17-16 :2	فلا تحكم عليكم أحد في أكل أو شرب....
168	.2 :6	لأنه يقول في وقت مقبول سمعتك....

189	.24-23 :11	ولأنني تسلمت من الرب ما سلمتك..
190	.17 :11	ولكنني إذا أوصى بهذا، لست أمدح....
191	.36 :10	كأس البركة التي نباركها، أليست هي شركة....
214	.19 :9	لأنني إذا كنت حرا من الجميع عبّدت...
215	16 :4	فإن كان إنساننا الظاهر ينهدم...
تسالونيكي 1		
326	.16-14/2	الذين قتلوا الرب يسوع وأنبيائهم، وإضطهدونا...
328	.15-14 :2	إنكم أيها الإخوة، قد صرتم على مثال كنائس الله
تسالونيكي 2		
376	.3/10	إذا لم يرغب أحدكم بأن يعمل فليكف عن الأكل
تيموثأوس 1		
152	3/2	يجب أن يكون الأسقف...
163-155	.3-1 :4	ولكن الروح يقول صريحًا أنه في الأزمنة....
157	2 :3	فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم...
223-217	.9 :1	الناموس لم يشرع للبار....
364-361	.10-6 :6	إن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما،....
تيموثأوس 2		
136	17/3 :16	نافعة للتعليم والتقويم...
بطرس		
47	.7 :2	ها أنا أضع في صهيون حجر زاوية مختارًا...
191	1 بطرس 2 :5	كونوا أنتم مبنيين كحجارة حيّة بيتاروحيا...
رؤيا		
331	.9 :2	إنّ اليهود مجمع شياطين: إنهم يهود وليسوا...
العبرتين		
118	4/5	ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو...
غلاطية		
217	4:4	ولمن جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة

ثالثاً: قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

- الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، لبنان، ط30، 1993م-1995م.

أولاً: الكتب باللّغة العربية

1-الكتب:

1. أه برودنبت: الكنيسة المتغربة، ت: وليم وهبة بياوي، ط2، 1973م.
2. حنا الفاخوري: اللاهوت العقيدى، دار المشرق، بيروت.
3. صبحي حموي اليسوعي: تاريخ الكنيسة المفصل، ط1، دار المشرق، بيروت، 2002م.
4. لويس برسوم: المطهر، المعهد الأكليريكي الفرنسيكاني القبطي بالجيزة، القاهرة، 1984م.
5. ميشال ابرص- الآب: انطوان عرب: مدخل إلى الجامع المسكونية، ط1، المكتبة البوليسية-لبنان-بيروت، 1996م.
6. إبراهيم أحمد العدوي: المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، ط1، دار المعرفة، القاهرة، 1961م.
7. إبراهيم لوقا: المسيحية في الإسلام، ط5، 1995م.
8. أبرص ميشال، وأنطوان عرب: مدخل إلى الجامع المسكونية، ط1، المكتبة البوليسية، لبنان، بيروت، 1996م.
9. أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط10، دار القلم، دار الأنصار، 1977م.
- 10.
11. أبو جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 1989م.
12. أبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.
13. اثنا سيوس، فهرس كتابات آباء كنسية الإسكندرية (الكتابات اليونانية)، ط1، دار بوبار، 2003م.

14. أحمد بن عبد الله آل سرور الغامدي: الصراع بين الكنيسة والعلم أسبابه وآثاره، كلية التربية بجامعة الملك عبد العزيز.
15. أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979م.
16. أحمد حسن القواسمة، زيد موسى ابو زيد: موسوعة الفرق في الأديان السماوية الثلاثة، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، دار الرؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009م.
17. أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1982م.
18. أحمد شلبي: مقارنة الأديان-المسيحية، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988م.
19. أحمد طه: قانون الإيمان المسيحي، دار الصفوة، 2013.
20. أحمد عبد الغفار عطار: الديانات والعقائد في مختلف العصور، ط1، مكة المكرمة، 1981م.
21. أحمد عبد الوهاب: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ط2، مكتبة وهبة، مصر، 1988م.
22. أحمد عبد الوهاب: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1981م.
23. أحمد علي عجيبية: أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، ط1، دار آفاق العربية، مصر، 2004م.
24. أحمد علي عجيبية: البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي في العصور الوسطى، ط1، قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين، طنطا، مصر، 1416هـ-1991م.
25. أحمد علي عجيبية: الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه، ط1، دار الأفق العربية، القاهرة، 2005م.
26. أحمد علي عجيبية: الزهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ط1، دار الأفق العربية، القاهرة، 2004م.
27. أحمد عوف: المؤتمرات الخفية ضد الإسلام والمسيحية، ط1، الزهراء للإعلام العربي، 1992.
28. أحمد مختار رمزي: عقائد أهل الكتاب، ط1، دار الفتح للدراسات والنشر.
29. ادوارد جونو، الفلسفة الوسيطية، ت: علي زيعور، ط3، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1982م.
30. آر.سي. سيرول: ماهو لاهوت الإصّلاح؟ فهم الأساسيات، ت: ماهر ناثان معروف، ط1، الرابطة الإنجيلية في الشرق الأوسط (ميرف)، 2021م.

31. أرسطو طاليس: السياسة، ت: أحمد لطفي السيد، ط1، منشورات الجمل، بغداد، بيروت، 2009م.
32. الأرشيد باكون نقولا بشارة، سر العشاء الرباني، مطبعة التوفيق، مصر.
33. أرنست رينان: تاريخ المسيحية، ت: فرح أنطوان، مطبعة الجامعة بالإسكندرية، بباب الرشيد، 1904.
34. أسد رستم: حرب في الكنائس، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 1958م.
35. أشرف صالح محمد سيد: أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ط1، دار وانا للنشر الرقمي، قطر، 2009م.
36. أشرف صالح محمد سيد: قراءة في تاريخ وحضارة أوروبا العصور الوسطى، شركة الكتاب العربي الإلكتروني، لبنان، 2008م.
37. أشرف محمد دوابة: النظام الاقتصادي مدخل، منهاج، ط1، دار السلام، القاهرة، 2010م.
38. ألن ج هوأيت: الصراع العظيم، ت: إسحاق فرج، ط3، دار الشرق الأوسط للطباعة والنشر، لبنان، 1997م.
39. إميل أمين: ذئاب في ثياب حملان، دار المريخ للنشر، القاهرة، مصر، 2006.
40. الأنبا يوانس: مذكرات في الزهينة المسيحية، باقات عطر من سير الآبرار، المكتبة القبطية.
41. أندرو وطسون ابراهيم سعيدة: شرح اصول الإيمان، ط4، دار الجيل للطباعة، القاهرة.
42. أندريه لالاند: موسوعة لا لاند الفلسفية، ت: خليل أحمد خليل، أحمد عويدات، ط2، منشورات عويدات، بيروت، باريس.
43. إنعام بنت محمد عقيل: طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها. ط1. مؤسسه عكاظ للطباعة والنشر. جدة. السعودية. 2013.
44. شنودة الثالث: بدعة الخلاص في لحظة، ط2، الأنبارونيس، القاهرة، 1988م.
45. بادية حيدر: معلومات الأصولية المسيحية في العالم، شركة السفيرش.م.ل، 2012م.
46. باروخ سيسوزا: علم الأخلاق، ت: جلال الدين سعيد، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009.
47. باروخ سينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ت: حسن خنفي، ط1، دار التوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005.

48. بان دوبراتشينسكي: أوروبا والمسيحية، ت: كبرو لحدو، ط1، دار الحصاد للطباعة والنشر، دمشق، 2004م.
49. برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، (الفلسفة الكاثوليكية)، ت: زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
50. برتراند راسل: حكمة الغرب، ت: فؤاد زكريا، عالم المعرفة، الكويت، 1983م.
51. برهان غليون: تقد السياسة، الدولة والدين، ط4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2007م.
52. بطرس البستاني: محيط المحيط، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1987م.
53. بطرس عبد الملك وآخرون: قاموس الكتاب المقدس، دار الثقافة، القاهرة، 1995م.
54. البعلبكي: معجم أعلام المورد
55. بنشر آل: تاريخ الأمة القبطية، ت: اسكندر تاضروس، مكتبة المحيية، القاهرة.
56. بنيامين بنكرتن: تفسير انجيل متى، كنيسة الإخوة، مصر، 1998م.
57. بنيامين محرقى: البتولية في فكر القديس أثناء سيوس الرسولي، كتاب التراث الرهباني في الشرق الأوسط، 2018م.
58. بول هازار: الفكر الأوروبي في القرن 18 (من منتسكيو إلى ليسنج)، ت: محمد غلاب، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية.
59. بولس فغالي: المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، ط1، المكتبة البولسية، لبنان، بيروت، 2003م.
60. البير حوراني: تاريخ الشعوب العربية، ت: ناصر الدين الأسد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997م.
61. بيريل سمارى: المؤرخون في العصور الوسطى، ت: قاسم عبده قاسم، ط2، دار المعارف، 1984م.
62. تادرس يعقوب: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والروحانية، المكتبة القبطية، مصر.
63. التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، عربي: المتروبوليت جيب باشا، المطران كيراس سليم بسترس، المطران يوحنا منصور، الأب يوحنا الفاخوري، المكتبة البولسية، جونيه، لبنان، 1999م.

64. تودوروف تزفيتان: روح الأنوار، ت: حافظ قويعة، ط1، دار محمد علي النشر، الدار البيضاء، المغرب، 2007م.
65. توفيق الطويل: النزاع بين الدين والفلسفة، مكتبة الآداب، مصر.
66. توفيق الطويل: قصة النزاع بين الدين والفلسفة، ط3، دار النهضة المصرية، 1979م.
67. توماس كون: بنية الثورات العلمية، ت: شوفي جلال الكويت، 1992م.
68. جان بيرنجيه، أيفودوارن، فيليب كونتامين، فرنسيس راب: موسوعة تاريخ أوروبا العام منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر، ت: وجيه البعيني، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1995م.
69. جان توشار: تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الأنوار، ت: ناحي الدراوشة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر 2010.
70. جان كادييه: كالفن، ت: حسيب نمر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981م.
71. جان كمي: دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ت: أيوب زكي وآخرون، ط1، دار المشرق، بيروت، 1994م.
72. جبر محمد حسن جبر: أضواء على النصرانية بين الملة والنحلة، ط1، 1987م.
73. جلال يحي: أوروبا في العصور الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، 1981م.
74. جمال حمدان: انثروبولوجيا اليهود، تقديم: عبد الوهاب المسيري، دار الهلال، مصر، 1996م.
75. جمعة مصطفى: منذ فجر التعليم وحتى اليوم، كيف غير التعليم وجه البشرية
76. جوتفرايد كونزلن: مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا (شهادة المانية)، تقديم: محمد عمارة، دار نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1999م.
77. جورج بوست: فهرس الكتاب المقدس، ط2، المطبعة الإمبركانية، بيروت، 1930م.
78. جورج حبيب بباوي: الليتورجيا القبطية (مدرسة اللاهوت الأرثوذكسي)، 2017م.
79. جورج سباين: تطور الفكر السياسي، ت: راشد البراوي، دار المعارف، القاهرة.
80. جورج مينوا: الكنيسة والعلم (تاريخ الصراع بين العقل الديني والعقل العلمي، ت: مورسي جلال، ط1، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 2005م.

81. جورجى كنعان: الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي، ط1، دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 1995م.
82. جوزيف نسيم يوسف: دراسات في تاريخ العصور الوسطى، مؤسسة شباب الإسكندرية، القاهرة، 1983م.
83. جون جاك شوفاليه: تاريخ الفكر السياسي من المدينة إلى الدولة القومية، ت: محمد عرب صاصيلا، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1985م.
84. جون ستوت: المسيحية في جوهرها، ت: نجيب غالي، دار يوسف كمال للطباعة.
85. جون كالفن: أسس الدين المسيحي، ت: أديب عوض، ط1، دار منهل الحياة، 2017م.
86. جون كالفن: مقالة قصيرة في العشاء المقدس، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 2004م.
87. جون لوريمر: تاريخ الكنيسة، ط1، دار الثقافة، مصر، 2013م37.
88. جون لوكليير: تاريخ التسامح في عصر الإصلاح. ت: جورج مركز دراسات الوحدة العربية. 2009.
89. جون. ا. هامرتن: تاريخ العالم، ت: إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم، مكتبة النهضة المصرية، مصر.
90. جونات هيل: تاريخ الفكر المسيحي. ت: سليم اسكندر، مايكل رأفت، ط1، دار الكلمة للطباعة والنشر. مصر. 2013م.
91. جويس أبلي: الرأسمالية، ت: رحاب صلاح الدين، ط1، مؤسسة هنداوني، 2014م، ص: 15.
92. جيمس أنسس: علم اللاهوت النظامي، ت: منيس عبد النور، الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، القاهرة، 1999م.
93. جيمس فولتشر: مقدمة قصيرة عن الرأسمالية، ت: رفعت السيد علي، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر.
94. جيمس وستفال وآخرون: حضارة عصر النهضة، ت: عبد الرحمن زكي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1961م.
95. حارث يوسف غنيمه: البروتستانت والانجليون في العراق، مطبعة الناشر المكتبي، بغداد، 1998م.
96. حبيب سعيد: تاريخ المسيحية (فجر المسيحية)، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، 1978م.

97. حسن حنفي: تطور الفكر الديني الغربي (الأسس والتطبيقات)، ط1، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2004م.
98. حسن عثمان: سافونا رولا الراهب الثائر، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، مصر، 1947م.
99. حكيم أمين: دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، القاهرة، 1963م.
100. حنا الخضري: جون كالفن (دراسة عقائدية تاريخية)، ط1، دار الثقافة المسيحية، القاهرة.
101. حنا جرجس الخضري: (مارتن لوثر)، حياته تعاليمه، بحث تاريخي عقائدي لاهوتي، دار الثقافة، القاهرة، 1983.
102. حنا جرجس الخضري: تاريخ الفكر المسيحي، دار الثقافة، القاهرة، 1981م، المجلد الأول.
103. خالد القسنطيني: تكوين الصهيونية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1986م.
104. الخوري عيسى اسعد: الخلاصة الجلية من تاريخ الكنيسة المسيحية، مطبعة حمص، 1938م.
105. دانتي الجيزيري: الكوميديا الإلهية (المطهر)، ت: حسن عثمان، دار المعارف، مصر، 1964م.
106. ذياب عيسى: مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها، ط1، دار منهل الحياة، لبنان، 2009م.
107. ر.ت. كندل: كيف نفهم علم اللاهوت، ت: منسي عبد النور، القاهرة، 2006م.
108. رأفت عبد الحميد: الدولة والكنيسة، دار المعارف.
109. رحيل محمد غرايبة: الحقوق والحزبات السياسية في الشريعة الإسلامية، ط1، دار المنار للنشر والتوزيع، 2000م.
110. رمسيس عوض: المرطقة في الغرب، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 1997م.
111. رولان موسنييه: تاريخ الحضارات العام: القرنان السادس عشر والسابع عشر، ت: يوسف أسعد داغر-فريد م. داغر، ط2، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1987م.
112. رؤوف حبيب: تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارها الإنسانية على العالم، مكتبة المحبة.
113. رؤوف شليبي: المسيحية الرابعة، مكتبة الاهر، مصر، 1980م.
114. رجبينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية (جذورها في التاريخ الغربي)، ت: أحمد عبد الله العزيز، عالم المعرفة، الكويت، 1985م.
115. ريمة الصياد: الأسس الاخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم، ط1، دار النوادر، 2012م.
116. زكي شنودة: تاريخ الأقباط، ط1، جمعية التوفيق القبطي، لجنة التاريخ والنشر، 1962م.

117. زغيريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ت: فاروق بيضون، كمال الدسوقي، ط5، 1401هـ-1981م.
118. زينب عبد العزيز: الإلحاد وأسبابه (الصفحة السوداء)، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، 2004م.
119. زينب عضمت راشد: تاريخ أوروبا الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة.
120. سعدرستم: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، ط2، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2005.
121. سعيد بن علي بن وهف القحطاني: الربا اضاراه وآثاره، تقديم: صالح بن فوزان الفوزان، شبكة الالوكة، 1431هـ.
122. سعيد حبيب: قاموس المصطلحات الكنيسة، دار الثقافة، القاهرة، 1961م.
123. سعيد حوى: الأساس في التفسير، ط1، دار السلام، القاهرة، 1991م.
124. سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، ط3، القاهرة، 1978.
125. سعيد عبد الفتاح عاشور: أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 2009م.
126. سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م.
127. سفر بن عبد الرحمن الحوالي: العلمانية: نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، دار الهجرة للنشر والتوزيع.
128. سكوت إتش هندريكس: (مارتن لوثر)، مقدمة قصيرة جدا، ت: كوثر محمود محمد، مراجعة: هبة عبد العزيز غانم، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014.
129. سلطان عبد الحميد سلطان: الجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، ط1، مطبعة الأمانة، القاهرة، 1990م.
130. سليمان بن صالح الخراشي: كيف تطورت العلاقة بين اليهود والنصارى من عداوة إلى صداقة؟، ط1، روافد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2009.
131. السيد رجب خراز: عصر النهضة (دراسة في الحضارة الأوروبية الحديثة)، دار النهضة العربية.
132. سيغموند فرويد: موسى والتوحيد، ت: جورج طرايشي، ط4، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
133. شارل أدري جوليان: تاريخ افريقيا، ت: طلعت عوض اباطة، دار النهضة، مصر، 1968م.

134. صاحب اسماعيل بن عبّاد: المحيط في اللّغة، ت: محمد حسن آل ياسين، ط1، عالم الكتب، 1994م.
135. صبحي حموي السيوعي: معجم الايمان المسيحي، ط2، دار المشرق، لبنان، بيروت، 1998.
136. صبحي حموي السيوعي: من ثمارهم تعرفونهم، ط3، دار المشرق، بيروت، 1986م.
137. صبحي حموي السيوعي: دليل عربي يوناني إلى ألفاظ العهد الجديد، ط1، دار المشرق، لبنان، بيروت، 1993م.
138. صفاء جعفر: الحضارة الغربية الحديثة بين النشأة والتدهور، دار الثقافة العلمية، الاسكندرية، 1998م.
139. صمويل زرقي: تحديد الفكر الديني في المسيحية، ط1، دار الثقافة، مصر، 2002م.
140. عادل درويش: الكنيسة أسرارها وطقوسها، ط1، دار بلال ابن رباح، دار بان حزم، القاهرة، مصر، 2012م.
141. عادل المعلم: مقدمة في الأصولية المسيحية في أمريكا، مكتبة الشروق الدولية.
142. عامر عبد العزيز كاظم الوائلي: الإصّلاح الديني قراءة المفهوم في التجربة المسيحية الغربية، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية العتية العباسية المقدّسة، 1439هـ-2018م.
143. عباس محمود العقاد: المجموعة الكاملة لمؤلفاته، حضارة الإسلام، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978م.
144. عباس محمود العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومة، ط4، نخضة مصر للطباعة والنشر، مصر، 2005م.
145. عباس محمود العقاد، حياة المسيح في التّاريخ وكشوف العصر الحديث، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م.
146. عبد الجليل شلي: عظماء قادة الأديان، مؤسسه الخليج العربي، ط1، 1991 م.
147. عبد الحميد البطريق: تاريخ أوروبا الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، مطبعه جامعة الرياض، 1987م.
148. عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار: التّاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى اواخر القرن الثامن عشر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995م.
149. عبد الحميد حمدي: (مارتن لوثر): رائد الإصّلاح الديني، ط2، دار المعرفة، مصر، 2010م.
150. عبد الرحمان بدوي: مناهج البحث العلمي، ط3، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977م.

151. عبد الرحمن بدوي: الوجودية في ميزان الفكر، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1998م.
152. عبد الرحمن بدوي: إيمانويل كانط، وكالة المطبوعات، الكويت.
153. عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984م.
154. عبد الرحمن جي زادة: الفارق بين الخالق والمخلوق، 1987م.
155. عبد العزيز محمد الشناوي: أوروبا في مطلع العصور الحديثة، دار المعارف، مصر، 1969م.
156. عبد العزيز نوار: عبد الحميد البطريق: التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر، دار الفكر العربي، القاهرة 1995.
157. عبد العظيم رمضان: تاريخ أوروبا في العالم الحديث من ظهور الحركة البرجوازية حتى الحرب الباردة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1997م.
158. عبد الغني محمود: المسيح والمسيحية والإسلام، ط1، دار الفكر، القاهرة، 1984م.
159. عبد الفتاح حسن أبو عليه، اسماعيل احمد باغي: تاريخ أوروبا الحديث، ط3، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.
160. عبد الكريم الخطيب، المسيح في القرآن والثورة والإنجيل، ط1، دار الكتب الحديثة، 1965م.
161. عبد الكريم عاشور: الراديكالية والتطرف "مقاربة مفاهيمية" 18 نوفمبر 2022، مركز المسار للدراسات والبحوث.
162. عبد الكريم على كابان: الإصلاح الديني في المسيحية مقارنة بالإصلاح الفكري في الإسلام، ط1، دار دجلة، 2010.
163. عبد المجيد الشهاوي: بداية الإصلاح الديني في إنجلترا، موسوعة تاريخ العالم، بوابة الهدف الاخبارية
164. عبد المجيد النعنع: أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة (1453-1848م)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1983م.
165. عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوني: شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، تحقيق: احمد بن محمد بن غانم آل ثاني، ط1، دار ابن حزم، للطباعة والنشر، 2015م.
166. عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية العلمانية الشاملة، ط1، دار الشروق، مصر، 1423-2002م.
167. عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1945م.
168. عثمان أمين: رائد الفكر المصري (الإمام محمد عبده)، المجلس الأعلى للثقافة، مصر 1945م.

169. عدد من المؤلفين: موسوعة الأديان الميسرة، ط2، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2005م.
170. عزت زكي: تاريخ المسيحية في عصر الإصلاح، دار الجيل للطباعة، القاهرة، مصر، 1980م.
171. عزمي بشار: الدين والعلمانية في سياق تاريخي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
172. عزيز فهمي: المدخل إلى العهد الجديد، ط1، مطبعة دار الجيل للطباعة، القاهرة، 1980م.
173. عزيزة فوال باتي: موسوعة الأعلام (العرب والمسلمين والعالمين)، دار الكتب العلمية: بيروت، 2009م.
174. علي بن محمد علي الجرجاني: كتاب التعريفات، ت: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ.
175. علي حيدر سليمان: تاريخ الحضارة الأوروبية الحديثة، ط1، دار وسط، بغداد 1990.
176. علي بن حسن بن أحمد فقيهي: مفهوم الحرّية (دراسة تأصيلية)، قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1431-1432هـ.
177. علي حسن الروبي: مفهوم الحرّية في الإسلام ومفهومها في الفكر الغربي، شبكة إلالوكة، قسم الكتاب، 2022م.
178. عمر سليمان الأشقر: الربا وآثره على المجتمع الإنساني، دار النفائس للنشر والتوزيع، 1988م.
179. عمر عبد العزيز عمر: دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1992م.
180. عمران سمية: مفهوم الحرّية في الفكر الفلسفي: طرح كرونولوجي، مجلة المعيار، العدد 12، جامعة تيسمسيلت، الجزائر، 2021م.
181. عوض سمعان: الخلاص بين الوحي، المفاهيم البشرية، ط1، كنيسة الإخوة، مصر، 2009م.
182. عيسى اليازجي: المسيحية المتهددة في خدمة الصهيونية العالمية، ط1، الدار الوطنية للنشر والتوزيع، دمشق، سورية.
183. ف. عبد الرحيم: معجم الدخيل في اللّغة العربية الحديثة ولهجاتها، ط1، دار القلم، دمشق، 2011م.
184. فاضل سيدرواس اليسوعي: سر الأفخارستيا، مطبوعات الآباء اليسوعيين، مصر، 1989م.
185. فان هام اليسوعي: الكوكب الواضح في تاريخ الإصلاح (ردًا على ما اخترعه خدمة البروتستانت)، مطبعة المرسلين اليسوعيين، بيروت، 1876.
186. فايز فارس: أضواء على الإصلاح الإنجيلي، ط1، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، مصر، 1984م.

187. فايز فارس: حقائق الإيمان المسيحي، ط2، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، 2025م.
- 188.
189. فرنسوا بيرو: هذه هي الرأسمالية، ت: محمد عيساني، دار بيروت، للطباعة والنشر، بيروت، 1953م.
190. فؤاد شعبان: من أجل صهيون، التراث اليهودي المسيحي في الثقافة الامريكية، ط1، دار الفكر، دمشق، 2003.
191. فوزي أبو ذياب: المفاهيم الحديثة للأنظمة والحياة، دار النهضة العربية، لبنان، 1971م.
192. يوحنا ذهبي الفم: البتولية، ت الراهب القمص مرقوريوس الأنبا بيشوي، ط1، مكتبة النشر للطباعة، سوريا، دمشق، 2008م.
193. إلياس مقار: قضايا المسيحية الكبرى، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 2016م.
194. حلمي يعقوب: يا إخوتنا البورتستانت هلمو نتحاور، كنيسة القديسين مارمرقس والبابا خاتم الشهداء، مصر.
195. دي روزا: التاريخ الأسود للكنيسة، ت: آسر حطية، ط1، الدار المصرية، القاهرة، 1415هـ-1994م.
196. سهيل سعود: الإيمان المصلح للقرن الحادي والعشرون، ط1، 2021.
197. صموئيل زريقي: تجديد الفكر الديني في المسيحية، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 2003م.
198. لبيب ميخائيل: يقين الخلاص، ط2، مطبوعات الكنيسة المعمدانية الكتابية الأولى، مصر، 1962م.
199. نصر الله زكريا: العشاء الرباني في المفهوم الإنجيلي، دار الفكر الإنجيلي.
200. تادرس يعقوب ملطي: علم الباتولوجي، مطرانية الكنيسة القبطية، الإسكندرية، مصر.
201. قورلس بهنام بني: الدرة النفسية في بيان حقيقة الكنيسة، دير الآباء الدومنيكان، الموصل، 1867م.
202. بول بوبار: معجم الأديان، تعريب: مركز الدراسات والأبحاث الشرقية، ط1، المطبعة البوليسية، جونية، لبنان، 2016م.
203. كافين رايلي: الغرب والعالم، ت: عبد الوهاب محمد المسيري، هدى عبد السميع حجازي، منشورات عالم المعرفة، 1956م.
204. كامل سفغان: مسيحية بلا مسيح، دار الفضية، القاهرة، مصر.
205. كامل سفغان: اليهود من سراديب الجيتو إلى مقاصر الفاتيكان، دار الفضيلة، مصر.
206. كرين برنتن: قصة الفكر الغربي، ت: محمود محمود، مؤسسة هنداوي للنشر، مصر، 2020م.

207. كينج روس: ميكافيلي فيلسوف السلطة، ت: فايقه جرجس، ط1، كلمات عربية للتوزيع والنشر، القاهرة، 2008م.
208. لبيب مشرقي: حديث مع جون كالفن، (د.ط)، دار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر، (د.ت).
209. لورانس فان موسيهم: تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة في ستة كتب، ت: هنري هوس، المطبعة الأمريكية، بيروت، 1870م.
210. لوكليز جوزيف: تاريخ التسامح في عصر الإصلاح، ت: جورج سليمان، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2009م.
211. لويس معلوف اليسوعي: المنجد في اللغة والأعلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 2009م.
212. محمد سلمان حسين: الاقتصاد السياسي والرأسمالية والاشتراكية، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1980م.
213. محمد صالح: تاريخ أوروبا من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية، دار الجاحظ، بغداد، 1401هـ-1981م.
214. مارتن لوثر: أصول التعليم المسيحي (الكتاخيسمس الصغير)، ت ونشر: المركز اللوثيري للخدمات الدينية في الشرق الأوسط، بيروت، لبنان.
215. مارتن لوثر: اليهود وأكاذيبهم، ت: محمود النجيري، ط1، مكتبة النافذة، 2007م.
216. مارتن لوثر: مختارات من كتابات الرجل الذي عبر تاريخ المسيحية، ت: هدى بهيج، ط1، سلسلة الكلاسيكيات المسيحية، 2017م.
217. ماكس فيبر: الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، ت: محمد علي مقلد، مركز الإنماء القومي، بيروت.
218. مانع بن حماد الجهني: الموسوعة المسيرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط4، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 1420هـ، مج2.
219. ماهر يونان عبد الله: الطوائف المسيحية في مصر والعالم، ت: جرجس صبحي، المركز المصري للطباعة، 2001م.
220. مايكل كوريت، جوليا ميتشل كوريت: الدين والسياسة في الولايات المتحدة، ت: عصام فايز وآخرون، ط3، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2006م.
221. مايكل هارت: الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ، ت: أنيس منصور، المكتب المصري الحديث.

222. منقذ السقار: هل اقتدانا المسيح على الصليب، ط1، دار الندى، الرياض، 2002م.
223. متى المسكين: الروح القدس الرب المحسى، ط1، دير القديس أنبامقار-وادي النظرون، القاهرة، 1981م، الكتاب الثاني
224. متى المسكين: الكنسية والدولة (الطائفية والتعصب)، ط6، مطبعة دير القديس أنبامقار، وادي النظرون، 2006م.
225. متى المسكين: لمحة سريعة عن رهبنة مصر، ط1، مطبعة دير القديس أنبا مقار، 1981م.
226. مجموعة من الباحثين: الباباوات (أسياد على السماء والأرض)، ت: شاكرا مطلق، ط1، دار الحوار، سوريا، 2015م.
227. مجموعة من المؤلفين: المعجم الوسيط، ط4، مجمع اللغة العربية، مصر، 1435هـ-2004م.
228. مجموعة من المؤلفين: الموسوعة الغربية الميسرة، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة.
229. مجموعة من المؤلفين: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ط1، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، 2001م.
230. مجموعة من المؤلفين: تاريخ الكنيسة المفصل، ت: صبحي حموي اليسوعي، ط1، دار المشرق، بيروت-لبنان، 2003م.
231. مجموعة مؤلفين: موسوعة الأديان المسيرة، ط3، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2005م.
232. محمد إبراهيم مبروك: المرجع في العلمانية (حقيقة العلمانية والصراع بين الإسلاميين والعلمانيين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2000م.
233. محمد أبو حطب خالد: مارتن اللوثر والإسلام، ط1، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.
234. محمد أبو زهرة: بحوث في الربا، دار الفكر العربي، القاهرة.
235. محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1961م.
236. محمد أركون: العلمنة والدين (الإسلام، المسيحية الغرب)، ط3، دار الساقى، بيروت، لبنان، 1996م.
237. محمد السماك: الصهيونية المسيحية، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2004م.
238. محمد الطاهر بن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ط2، الشركة، التونسية للتوزيع، تونس.
239. محمد عبد الله دراز: بحوث مهددة لدراسة تاريخ الأديان، ط2، دار القلم، بيروت، 1981م.

240. محمد عرب: شرائع النفس والعقل والمنطق، ط1، دار الإتحاد، 2005م.
241. محمد عزت الطهطاوي: الإسلام والنصرانية، ط2، مكتبة النور، القاهرة، 1986م.
242. محمد علي محمد عثمان: الحروب الدينية في أوروبا على مشارف العصر الحديث، جامعة الزقازيق، مصر.
243. كارين ارمسترونج: معارك في سبيل الإله (الحركات الأصولية الدينية في اليهودية والمسيحية والإسلام)، ت: فاطمة نصر-محمد عناني، New yorke, Alfred A.Knopf، ط1، 2000.
- 244.
245. محمد علي مصطفى وخير الدين محمد عبدي: تاريخ الفلسفة، ط1، المطبعة الرحمانية، مصر، 1993م.
246. محمد عمارة: (مارتن لوتر): حياته وفكره، ط1، دار الشروق، مصر، 2005م.
247. محمد عمارة: الحوار بين الاسلاميين والعلمانيين، نهضة، مصر، 2000م.
248. محمد فؤاد شكري، محمد أنيس: أوروبا في العصور الحديثة، ط1، مكتبة الأنجلو، 1957م.
249. محمد قطب: مذاهب فكرية معاصرة، ط7، دار الشروق، القاهرة، بيروت 1413هـ-1993م.
250. محمد كامل ظاهرة: الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر، ط1، دار البيروني للطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، 1994م.
251. محمد كرد علي: تاريخ الحضارة في القرون الوسطى والحديثة، دار التقدم، القاهرة.
252. محمد كمال الدسوقي: تاريخ ألمانيا، دار المعارف للنشر والتوزيع، مصر، 1962م.
253. محمد مخزوم: مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي، ط1، بيروت، 1990م.
254. محمد مهدي شمس الدين: دراسات ومواقف في الفكر والسياسة والمجتمع، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1991م.
255. محمود مزروعة، دراسات في النصرانية، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 2019م.
256. مراد محمود: الحرية في الفلسفة اليونانية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1999م.
257. باسيلوس: سر الفداء، ت: نصحي عبد الشهيد، ط2، دار يوسف كمال للطباعة، القاهرة، 2012م.
258. مفيد الزبيدي: تاريخ أوروبا لحديث والمعاصر، ط3، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009م.

259. منير البعلبكي: المورد، قاموس إنجليزي عربي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 2008م.
260. منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م.
261. منير عبد النور وآخرون، دائرة المعارف الكتابية، ت: وليم وهيبه بباوي، ط2، دار الثقافة، القاهرة، مج5.
262. الموسوعة العربية العالمية، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة السعودية، 1999م.
263. الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غريال، دار الجيل، مصر، 1995م.
264. الموسوعة العلمية الشاملة، تاريخ دول واحداث، ط1، دار الفكر، لبنان، 2014.
265. ميرل دوينيه: تاريخ الإصّلاح في القرن السادس عشر، دط، مكتبة الشعل، بيروت، 1878م.
266. ميشال نجم: التفسير المسيحي القديم للكتاب المقدّس الإنجيل كما دوّنه لوقا، منشورات جامعة البلمند، 2008م.
267. ميلاد المقرحي: تاريخ أوروبا الحديث (1453-1848م)، ط1، منشورات قاريونس، بنغازي، 1996م.
268. ميلر ستيفن: تاريخ الكتاب المقدّس منذ عهد التكوين وحتى اليوم، ت: وليم وهبة، ط1، دار الثقافة، مصر، 2008م.
269. الن، ج، هويت: الصراع العظيم، ت: اسحاق فرج، ط3، دار الشرق الأوسط للطباعة والنشر، لبنان، 1997م.
270. نبيل موسى: موسوعة مشاهير العالم، ط1، دار الصداقة العربية، بيروت، لبنان، 2002م.
271. نجيب محمود زكي، أحمد أمين: قصة الفلسفة الحديثة، ط1، مؤسسة هنداوي، مصر، 1936م.
- 272.
273. نزيه معلوف: تاريخ عصر النهضة الأوروبية، دار المعارف، ص 175.
274. نشأت عطية عبد الله: التقليد الكنسي ودوره في الكنيسة الجامعة، ط1، دار العالم العربي، 1988م.
275. نغم محمد حواد: تأثيرات الديانة الكاثوليكية والبروتستانتية خلال القرن السادس عشر والسابع عشر في العالم الغربي، جامعة سانت كليمتس العالمية الدراسات العليا، بغداد، 2013م.
276. نور الدين حاطوم: تاريخ عصر النهضة الأوروبية، دار الفكر، دمشق.
277. نورمان فاكاتور: التاريخ الوسيط، (قصة حضارة البداية والنهاية)، ت: قاسم عبده قاسم، ط5، عين للدراسات والبحوث الإجتماعية، مصر، 1997م.

278. نوي أنطوان: الخلاص اليوم، ت: يوسف سمير، ط1، دار الثقافة، القاهرة، مصر.
279. نيقولا ميكيافيلي: الأمير. ت: اكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 2004م.
280. نيقولا ميكيافيلي: مطارحات ميكيافيلي، ت: خيرى حماد، ط3، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982م.
281. ه. ج. ولر: معالم تاريخ الإنسانية، ت: عبد العزيز توفيق جاويد، ط3، 1963م.
282. هاري أيرتس: مصلح في المنفى. ت: وليم وهبة بياوي، دار الثقافة المسيحية، القاهرة.
283. هانس أبرها دمار: تاريخ الحروب الصليبية، ت: عماد الدين غانم، ط1، اللاذقية، 2008م.
284. هيرت فيشر: أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة الأوروبية إلى الثورة الفرنسية، ت: زينب عصمت راشد، وأحمد الحليم مصطفى، ط3، دار المعارف، القاهرة.
285. هيرت فيشر: أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ت: زينب عصمت راشد، أحمد عبد الرحيم مصطفى، ط3، دار المعارف، مصر، 1965م.
286. هوكاس ريجار: الدين ونشوء العلم الحديث، ت: زيد العامري الرفاعي، ط1، مكتبة مدبولي، مصر، 2008م.
287. هيثم إبراهيم أحمد: ملخص عن بعض جوانب الدولة، كلية الآداب، جامعة القدس، دائرة العلوم السياسية والدراسات الدبلوماسية، بيت حنين، 2000-2001م.
288. هيلين إلييري: الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، ت: سهيل زكار، دار قتيبة.
289. وجيه يوسف: العشاء المقدس في فكر يوحنا كالفن، إصدارات الرابطة الإنجيلية في الشرق الأوسط، مصر.
290. وليام. ت كافانو: أسطورة العنف الديني (الايديولوجيا العلمانية وجذور الصراع الحديث)، ت: أسامة غاوجي، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2017.
291. وليد محمود الصديق الإغتراب السياسي في الوسط الطلابي، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2015م.
292. ويل ديورانت: قصة الحضارة، ت: عبد حميد يونس وعلي أدهم، دار الجيل، بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.
293. ويليام شكسبير: تاجر البندقية، ت: حسين أحمد اين، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1994م.
294. يوسايبوس القيصري: تاريخ الكنيسة، ت: مرقص داود، ط2، مكتبة المحيية، القاهرة، 1979م.

295. يوسف الحارث غنيمه: البروتستانت والإنجليون في العراق مطبعة الناشر المكتبي بغداد العراق 1983م.
296. يوسف الحسن: البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الصهيوني، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، بيروت، 1990م.
297. يوسف القرضاوي: الإسلام والعقلانية: موقف إسلام من العقل والعلم، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1994م.
298. يوسف تادرس: جون كالفن: حياته وتعاليمه، دار الثقافة، القاهرة، 2002م.
299. يوسف قزّي وإميل عقيقي: الحياة الرهبانية (تاريخها، طرقها، قيمها)، منشورات اليوبيل المئوي الثالث للرهبانية اللبنانية المارونية، 1995م.
300. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ط1، دار الكتاب المصري، 1946م.
301. يوسف كمال: الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة، ط1، دار الوفاء، القاهرة، 1407هـ.
302. هيرت جورج ويلز: معالم تاريخ الإنسانية في المسيحية والإسلام والعصور الوسطى وعصر النهضة، ت: عبد العزيز توفيق جاويد، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد 3.
303. يوسف نعيم سمعان: اللاهوت المسيحي والإصلاح الديني، دار المشرق، بيروت، 2001م.

المعاجم والموسوعات

1. صبحي حموي السيوعي: معجم الإيمان المسيحي، ط1، دار المشرق، بيروت، 1994م.

2. المجلات والدوريات:

3. أحمد سأيح مرزوق: القديس أوغسطينوس ومواقفه السياسية من خلال كتابه مدينة الله، مخبر الدراسات التاريخية والأثرية، المركز الجامعي تيبازة، الجزائر، المجلد الرابع عشر، العدد1، 2023م.
4. عائشة مبروك معمر: ممارسة محاكم التفتيش الإسبانية بعد سقوط غرناطة، مجلة أبحاث، العدد الخامس عشر، كلية الآداب، جامعة سرت 2020م.
5. فاضل عباس الحمود: الربا وآثاره الإجتماعية والسياسية والإقتصادية في مختلف الديانات المؤمنة والكافرة، قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية ببنين، جامعة حضر موت للعلوم والتكنولوجيا، مجلة دراسات يمنية، العدد 80.

6. قاسم جمعة راشد: الإصلاح الديني عند (مارتن لوثر) (جدل اللاهوت والسياسية)، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الإجتماعية، العدد 33، جامعة واسط، 2018م.
7. كريمة سعيد حسين محمد: بواكير الحركة الصوفية في العصر المدرسي (القديس برنارد دي كليرفو نمودجا)، مجلة كلية التربية، جامعة الإسكندرية، العدد الأول.
8. عفاف مصباح بلق: مفهوم الحرّية في الفكر الإسلامي، مجلة كلية التربية، العدد 16، جامعة القاهرة، القاهرة، 2019م.
9. فارس فرنك نصوري: البروتستانت في فرنسا خلال فترة حكم الملك فرانسيس الأول (1515-1547م)، مجلة الأبحاث ميسان، العدد التاسع عشر، جامعة البصرة، المجلد العاشر، 2014م.
10. نجاة عصام زكي: الوظائف الكهنوتية في إيونو خلال عصر الدولة الحديثة، مجلة بحوث الشرق الأوسط، مركز بحوث الشرق الأوسط، 2016.
11. طارق بن سليمان البهلال: الإتجاهات الدينية المعاصرة وجذورها في المجتمع البريطاني في العصر الحديث، مجلة الشمال للعلوم الإنسانية، المجلد (8)، العدد (2)، ج (4)، جامعة الحدود الشمالية، 2023.
12. ليندة بوعافية: نشأة الزهنة المسيحية، مجلة الأحياء، العدد 28، المجلد 21، جانفي 2021م.

الأطروحات الجامعية

13. بن الموفق شهناز سمية: الليتورجية الأفخارستية ومكانتها في الديانة المسيحية، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم مقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2007م.
14. حامدي سفيان: حركة الإصلاح البروتستانتي وأثرها في التحولات السياسية والثقافية في العصر الحديث، رسالة دكتوراه، تخصص: الحضارة الإسلامية وحوار الثقافات، المعهد العالي أصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، 2021-2022.
15. راجح إبراهيم محمد السبانين: المسيحية البروتستانتية وعلاقتها بالصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2007م.
16. سامي الشيخ محمد: مفهوم الإنسان في فكر لوثر وكالفن، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة دمشق، 1422هـ-2001م.
17. سلوى بنت أحمد بن يحيى المحرزي: التناقضات العقدية بين الطوائف النصرانية وآثارها، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، جامعة أم القرى، المملكة السعودية، 1434هـ-1435هـ.

18. طارق عبد الحميد: حركات الإصلاح بين المسيحية والاسلام، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة، جامعة الأزهر
نقسم الأديان والمذاهب، 1999م،

19. محمود عبد رحمان دادو، حركة الإصلاح الديني عند جون كالفن وأثرها في المجتمعات الأوروبية
في بداية العصر الحديث، رسالة ماجستير في العقائد والأديان، كلية الشريعة جامعة دمشق، سوريا
2017.

20. مريم بنت بنیان الحرّبي: البروتستانتية وأثرها على العالم، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين،
قسم العقيدة، المملكة العربية السعودية، 1468هـ.

21. موسى بن عقيلي بن احمد الشخحي: تقديس الأشخاص عند النصارى وآثاره رساله ماجستير كلية
الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة جامعة أم القرى المملكة السعودية، 1429 هـ.

22. وجيه محمد زكريا عمران: الحركة البروتستانتية و أثرها على النصرانية و مدى تأثيرها بالاسلام، رسالة
ماجستير، قسم الدعوة، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، مصر، 1413هـ-1999م.

ثانيا: المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

23. Airne Humber: Mlrich Zuringli et sou époque ،Lau sanne ،imprimerie
et libraire de marc duclox 1844.

24. Alexander ganozy ،the cambridge companion to john calvin.

25. André biéler: la pensée économique et sociale de calvrin, libraire de
l'université, Georgcie, S.A 1 ére édition, 1959.

26.

27. Bary copeland, and another: Secularism: Avery short Introduction,
oxford university press, 1st edition.

28. Bernard lazare: Antisemitssm, its history and couse, translated frome
the french, Published by the inter-national library publishing, New York,
1903.

29. Britannica.com History of the christian church, vorlume // the history of
the Reformation.

30. Bruce gordon: the surss Reformation, Manchester univesity press,
2002.

31. Canogzy ،the cambridge companion to john calvin.

32. Carter Vgood, Dictionary of Eduction, Mcgrao hill Books company,
Néo York, 1973.

33. Christian Smith: the Secular Revrolution, Pouoer Interets, and conflict
in the secularization of Americon public life, johns Hopkins unive -rsity
press, 1st Edition.

34. Daivid Lauo ;the historical-critical Method, A Guide for the perplexed, first edition, tand tclark Interrationl, 2012.
35. DavisM H.W.C ‘Jerone ‘Business and the church ‘the century co ‘New york.
36. Donald K.M ckin ; the cambridge companion to jhon Calvin.
- 37.
38. Donald McKim and others: The Cambridge Companion to John Calvin, United Kingdom, 2004.
39. Donald Rutherford: the combridge dictionary of Economics, combridge universitypress, 2004.
40. Doreen Rosman, From catholic to protesant Religion and the people in tudor and stuart england 1st Edition, 2003, London.
41. Erroll hules: the Example of English puritanism, 1996.
42. G.R potter and M.greengrass ‘documents of modern history(john calvin) ‘British library cataloginng in publication data ‘london ‘1983.
43. George tourn, Jean Calvin, le réformateur de genéve, traduit lasserre, édition olivetan.
44. George yule: luther, theologion for catholics and protestants, t.t clark, 59 george street, Edinburg, 1986.
45. Gerrish ‘the Cambridge companion to John Colvin.
46. G-R-Potter ‘Hildrych Zurngli ‘london ; 1978 .
47. H.O.E.vennet: the spirit of the counter Reformation, the Birk beck lectures in Ecclesiastical History, University of combridge, 1951.
48. Heiko oberman: luther: Man betweengod and the Devil yal univessty Press, 1989.
49. Henri Daniel – Rops: The protestant Refomation, voluneI, 1963.
50. Henry Willian elson: Puritan laus and cheracter, 1904.
51. Huldreich Zwinglis santliche werle V1.Emil Egli georg finsler.
52. .
53. J.W.C. Wand ‘History of the snodern church form 1500 ‘to present day ‘ London ‘1971.
54. Jean Roalolphe peyrans: historical defence of the waldenses or vaudois, c.j Rivrnngton st pauls church-yard, london, 1826.
55. Jean yves lacoste: Encyc llopedia of christian theology, routle-dge, New York, London, 2005.
56. J-H. merle d’Aubigné ‘D-D ‘la ‘reformation du 16 ené Siècle ton 1 ‘ librairied ch ‘Meyneis et compagnie.

57. Jhon Calvin: Institutes of christion Religion.trans: Henry Beverdige, WMB Eerdmans publishing company, grand Ropids Michigan, U.S.A ,1995.
58. Jhon Calvin: commentary on corithians-voume 1, christian classics Ethereal library.
59. John cairn: commentary on Mattheuo, Mark, luke-vrolume 3, christian classics Ethereal library.
60. John calrin: Institutes of christion Religion, Translated by Henry beveridge, Hendrickson Publishers, 2008, TV, 13.
61. John Calvrin: Commentaries on the Epistles to timothy, titus and philemon translated by William Pringle, edinburgh cabrun translation Society, 1856.
62. John Henry Neuonan: An Essay on the development of christion doctrine, university of Notre Dame press 1878.
63. John T.Mc Neill: the History and character of calrnism oxford université press, 1954.
64. John.t christion: Ahistory of the Baptists, 1922.
65. John-j-Elmendorf: Elements of moral thcology, Jomes pott, Neo york, 1892.
66. Joseph Ratzinger: Jesus of Nazareth from the Baptism in the Jordan to the transfiguration, BY john gueguen Doubleday, Néo York, 2007.
67. karl Brandi: the enperor charles loudon ; 1939.
68. Kennedy ovirno, Mume.H.Dandala: Methodst churches in Africa, Regrum Books Intenational chapter 32.
69. Lay.o.Qualbens ‘Ahistory of the christion church ‘now york ‘1993.
70. Martin luther, selections from his Esited and wirth an Introduction by: John dilleneberger, Anchor books, 1961.
71. Martin luther, the Babylonian captivirty of the church, in luther’s works (lw) vol, 36, philadelphia: Mhlenberg.
72. Martin luther: luther »s Works, (trans)Jhon.w. doberstien, Vol 51, Mubleberg press, philadephia, U.S.A , 1959.
73. Martin luther: on the councils and the church, Fortress press, 1966.
74. Martin luther: on trade and usury An address by doctor martin buther, translated By W.corruth, 1924.
75. Martin luther: table talk traslated by Henry Bell Cassell’s national librorry, london ; 1886.
76. Martin luther: three treatises: the Freedom of (trans) christian, W, A lambert, foryress press, philade lphia, U.S.A ?.

77. Martin Luther: Word and Sacrament, by Helmut Lehmann Augsburg
for press publishers, U.S.A. Augsburg for press publishers, 1959 Vol 36 .
78. Matt Ayars: Methodism/Abrief Introduction, 2004.
79. Millard Jrd. J. Ericleson: christian theolog, Baker Academic, 2013.
80. Nouveau Petit Larousse, Librarrie Larousse, paris.
81. Olson: Thé Cambridge companion to John Calvin .
82. Paul Althaus: The Theology of Martin Luther, For tress press, 1996.
83. Paul Chilcote: st Andrews encyclopaedia of theology Methodist
theology, Edited by Brendan, N. Wolfe et al, 2022.
84. Pev. Iraiman Benr Rolerts: Pesbyterian system its characteristics,
Authority, and obligation, Presbyterian board of publication and Sabbath-
school, phildelphia, 1895.
85. Philips dehaaff: the Greads of christendon 'Vol 'I 'the histouy of
creads)'Michigan '1985.
86. P-J-Helm 'History of Europe (1450-1660)'New york '1961.
87. Presroed Snith: the Reformation in Europe (New york '1962.
88. Qeter Toon: Puriton and calinism, Peiner publications, u k, 1973.
89. R. C. Reed. D-D: History of the Persby terian churchs of the world,
philaddelphia, the westminster Press 1912.
90. .
91. REV.W Clifford Holden: History of Methodism, and of methodist,
missions in south Africa, wesleyan conference office, London, 1877.
92. Rev.WM.m Black burn and Author; ubrich Zuringli the patriotic
Reformer '1808.
93. Richrard lodg a history of modern europe 1453-1878 'london 1969.
94. .
95. Seteven N.Durlauf-lawrence E.Blume: the neuo palgrave dictionary of
Economics, palagrove Macmillan, 2008.
96. Stephen R.Holmes: Baptist theology, Neuo yorke, 2012.
97. Steven N.Durlauf, paul A Johmson, Jonathon R.W.temple: the oxford
(Hand book of Economics, 2010.
98. Steven ozment: the age of Reform '1250-1550 .
99. Steven Prunciman: The church in captivrty, combrodge university
press, 1968.
100. the neuo encyclopédie Britannica '4 '16th 'ed (chicago encctopedia
Britannica onc '1988.
101. The oxford English Dictionary, the oxford univerdity press, london,
1933, Vol 2.

102. The table talk of Martin luther, translated and Edited by: William Hazitt
londin 1872.
103. W.Kawfman philosophic classic perenticho.U.S.A vol 11, 1961.
104. William J: bourrsma: Jhon calirn Ascixteenth-century Portait, oxford
university press, 1988.

ثالثا: المواقع الالكترونية:

105. عذبة العاصي: تعريف حركة الإصلاح الدّيني في أوروبا، 3 جويلة 2023
https: .maodoo3.com
106. علاء شنون مطر: مفهوم الحرّية والحتمية في الفكر الفلسفي اليوناني مجلة كلية الفقه
م2021
https: //journal.uokufa-edu-iq
107. فيروز هماش، التسامح الدّيني، https: //mawdoo3.com.
108. قاموس أكسفورد الحديث (انجليزي-انجليزي-عربي) https: .axfors dictionary, p1009.
//www.axforid ductionaries.com
109. قاموس الكتاب المقدّس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية https: //st.takla.org
110. قاموس المعاني عربي انجليزي (https: //www.almaany.com)
111. القاموس فرنسي عربي، قاموس عام لغوي-علمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
112. قاموس مريم ويستّر https://www.meriam-webster.com/dixtionary/Puritan
113. قانون إيمان الرّسل: (https: //www.bible.com).
114. القس يوسف سمير: ليس بكالفن وحده (نظرة لمساهمة أولريخ زوينجلي، في مسيرة حركة الإصلاح، 3
مأي، 2021م (ep-church.org).
115. القمص أنثاسيوس فهمي جورج: النسكية كوسيلة للتربية الرهبانية، (موقع الأنيا
تكلّاهيمانوت(https: //st-takla-org(2021/10/15)
116. القمص حلمي القمص يعقوب كتاب النقد الكتابي موقع الأنيا تكلّا St-Takla.org-
books-library.net
- 117.
118. الكنيسة المعمدانية https: //www.marefa.org

119. كنيسة لبنان المعمدانية الإنجيلية lebanon baptist.church-org
120. لارسون يوجين: بولس الثالث، 2022م، نقلا عن صفحة مبتدئوا أبحاث EBSCO،
<https://www.ebsco.com>
- 121.
122. ماتيوويلز: دليل مختصر لتدمير الأيقونات (<https://daily-jstor.org>)
123. ماكس فيبر، موسوعة بتسانفورد للفلسفة <http://hekma.org>
124. محمد بن المختار الشنقيطي: المسيحية الصهيونية والسياسية الأمريكية سلسلة مقالات ودراسات
<https://wwwAjozeera.net>
125. محمد رأهد غول: (مارتن لوثر) (سردية الإصلاح الكبير)، صحيفة القدس العربي،
 2017م (<https://www-alquds.co.uk>)
126. محمد عبد الرحمان: ليو العاشر عدو (مارتن لوثر) الذي باع صكوك الغفران من أجل اللوحات الفنية
www.youm7.com.
127. محمد عبد الستار البدري: إستمرار حركة الإصلاح الدّيني في أوروبا، صحيفة الأوساط، 14 افريل
 2015م <https://www.aawset.com>.
128. محمد عمارة، مقال: حواطر دعوية Islam.web.net/2012/5/8 ماذا صنعت العلمانية
 بأوروبا.
129. محمد كزو، الحرّية (<https://sapy.com> 2021/12/22) (saqya-com)
130. المركز الفلسطيني للإعلام <https://palinfo.com>
131. المعاني الجامع، مادة طقوس almaany.com/ar/dict
132. معجم المعاني الجامع لفظة أبرشية wwwalmarny.com.
133. معجم المعاني الجامع <https://www.almaany.com>.
134. مكتبة الكتب المسيحية/كتب قبطية/ المكتبة القبطية الأرثوذكسية موقع الأنيا تكلاهيمانوت -St
takal.org
135. ممدوح لوندي: العشاء الرباني بين المفهوم والممارسة، pcegypt.net
136. مناقشة قضايا الإصلاح الكنيسي والتنظيم الكنيسي. <http://liveinarabic.org>.
137. منتدى البركة: <https://Forum.albaraka.site>

138. مؤسس الحركة الزهبانية في العالم. <https://logosof.com>. logosfgalille.com
139. مؤسسة هنداوي: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، الفصل السابع، القديس توما الإكويني
www.hidawi.org
140. الموسوعة التراثية والتاريخية: <https://www.etymonline.com>
141. الموسوعة السياسية (إعلان حقوق الإنسان والمواطن)، 20/12/2020 للسنة 1789م. <https://political-encyclopedia-org>.
142. الموسوعة السياسية: معاهدة وستفاليا/ <https://political-encyclopedia.org> 2022.Mars.7
143. موسوعة العربية <https://arab.ency.com.sy>
144. الموسوعة القطبية (11/2/2025-1991-research.com)
145. موسوعة تاريخ العالم <https://www.world.histoy.org>
146. موسوعة تاريخ كليفلاند <https://case.edr> 25/7/2025 10: 00
147. موسوعة ستانفورد للفلسفة، ت: ناصر الحلواني، القديس أوغسطين، حكمة، 2020م.
148. موقع المفاهيم والإصطلاحات اللاهوتية التعيين وسبق المعرفة clahoteyat-blogspot.com
149. موقع جامعة بيرزيت، معنى "التطهيرة" <https://ontology.birzeit.edu>
150. موقع هدى الإسلام: عبد الحي الفرماوي أكتوبر 2005 www.hotiekislon.com
151. انطونيوس فكري: الأسرار الكنسية السبعة موقع الأنبا تكلاهيما <https://st-tokla.org>
152. بيتر كينج وأندرو أرلينج: فلسفة بيتر أبلارد، ت: منال محمد خليف، مجلة حكمة، <https://www.hekmah.org>
153. بيتر ماكمر: فلسفة جاليلو جاليلي، ت: محمد صديق أمون، مجلة حكمة، <https://www.hekma.org>
154. التحريض، المرابي <https://www.academia.com> Academia-edu
155. ترجمة الملك جيمس: <https://www.gotquestions.org>
156. تشارلز ويسلي: (1707-1788) مشير وشاعرا انجليزي، كتب ما يقارب تسعة آلاف تريلة،
ساعد اخاه جون ويزلي في وضع أسس الكنيسة المتودية <https://www.britannica.com>
157. جورج وايتفيلد: (1714-1770) رجل دين، مبشر انجليكاني من مؤسسي المنهجية والحركة
الإنجليزية <https://www.calendaez.com>

158. جوليس الثاني: يوليوس الثاني(1443-1513م)، شغل منصب رئيس الكنيسة(1503-1513م) أطلق عليه لقب البابا المغوار <https://www.elkalma.com>
159. جون نوكس (1514-1572م) مصلح ديني اسكتلندي، قائد حركة الإصلاح البروتستاني <https://shamela.WS>
160. جوناثان غريفيت: الأفخاريستيا، عشاء الرب، إئتلاف الإنجيل، ar.thegospelcoalition.org
161. أصدر هذا الفيلم عام 2004 (موقع الجزيرة نت 23 <https://www.Aljazeera.net> janvrer, 2004
162. إلهام سرحان: مفهوم النزعة الإنسانية <https://www.mawdoo3.com>
163. أمينة تيطار: فيليب الرابع الجميل، الموسوعة العربية <https://mail.arab.-ency.com.sy>
164. اندبندنت عربية: الكرادلة... أمراء الكنيسة الكاثوليكية، <https://www.Independantarabia.com>
165. أنوسنت الثامن: جوفاني باتيسيا (1432-1492م)، عاصر العثمانيين في فترة السلطان محمد الفاتح <https://www.vatican.va>
166. الآنيا تكلاهيمانوت، تراث الكنيسة القبطية الأرثوذكسية st-takle-org
167. بدر العبري: الصيام في المسيحية البرونستانتية اللوثرية <https://baderalabri.com>
168. إدموند خشان: الحياة الرهبانية في الكنيسة. (<https://www.ayletmarchabel.org>) 17/10/2016.
169. إرساليات العالمية المعمدانية <https://www.bimi.org/ebout-us>
170. أسامة بوخالد: جون ستيورات ميل، روح عصره وسيرة حياته، 2023م) <https://altaniveeri.net>
171. حسن لعدم: كتاب الأمير الميكافيلي (نظرية اليد القدرة والقفاز النظيف)، الجزيرة الوثائقية، <https://doc.aljazeera.net>
172. حسين عبد العزيز: (مارتن لوثر)، رجعية دينية تمهد لحداثة سياسية، موقع عربي 2020/21 <https://arabi21.com>
173. حمدي سيد محمد محمود جدلية العقل والآداة: قراءة في تحولات الفكر الألماني من لوثر إلى نيتشه، 2025/5/19 الحوار المتمدن www.aheurar
174. دهام حسن: حركة الإصلاح الديني في أوروبا، موقع منير الحزيرة، 2010م) <https://mimbaralhuriya.org>

175. راغب العلي، الهوغنوت، الموسوعة العربية، mail-arab-ency.com.
176. ريك لوف: قس ومنصر امريكي نشأ في جنوب كاليفورنيا 1952م (https://ar.islam way.net).
177. سعيد مرقص ابراهيم: بحث في جسد الرب ودمه <https://hanyabdelmalek.word> press.com
178. شريف مراد: يحي الفرد ويسقط المجتمع (المسيرة المظلمة للفردانية في الغرب) 2021/8/27 <https://aljazeera.net>
179. ضحى الطلافح: الفيلسوف جون لوك 20 فيفري 2023 (<https://alfalsafah.com>)
180. ضحى طلافح: تعريف الحرّية في الفلسفة 17 أوت 2022م. <https://alfalsafa.com>
181. ظلال فرج كيلانو، الرسامة الكهنوتية، 12 جانفي 2023م، <https://abouna.org>
182. عبد السلام زيدان: هنري الرابع إمبراطور الدولة الرومانية، الموسوعة العربية، <https://mail.arab-ency.com.sy>
183. عبد الله مطلق القحطاني: الأيقونات والتماثيل بين البروتستانت والأرثوذكس. <https://www.ahaiwar.org>
184. لويس حزبون: الصّوم في ضوء الكتاب المقدّس وتعليم الكنيسة، <https://www.abouna.org>
185. J.G.Hess: ulrich Zwingli (1484-1531) the Suoiss Rrformer, Cristoraul.org 24/9/2020 Across Borders 10/6/2025 <https://tabcm.net.zheosis>
186. definition/baptism. <https://www.websters-online-dic-tionary-org>
187. Goomg.com-New/Generation Dictionary.
188. Reformation SA.org: What Would Reformer ulrich zwingli Say to us today 27/11/2020
189. Rusell, P, Johnson: the affair of the saisages and religions freedon 8/March/2022
190. <http://liveinarabic.org>
191. <https://www.WordReference.com>
192. <https://abouna.org>
193. <https://ar.Zenit.org> 18 oct 2019.
194. <https://artsandculture.google.com>
195. <https://catechism.cph.org> 22/10/2022.
196. <https://catholic-eg.com/1/8/2022>
197. <https://dictionary.refernce.com> Puritanism

198. <https://dictionary.reference.com/browse/methodist>.
199. <https://doc.Aljazera.net>
200. <https://en.wikipedia.org/wiki/plymout>
201. <https://epws.org>
202. <https://Fwbcc-edu/About/pres-Welcome-html>.
203. <https://liveinarabic.orgM58>
204. <https://st-takle.org>
205. <https://study.com> 22/7/2022.
206. <https://www.Alheshm-net>
207. <https://www.aljazeera.net> ،
208. <https://www.answers.com>.
209. <https://www.Arabicacademy.gov.eg>
210. <https://www.baptists.edu/programs.php>.
211. <https://www.ccbcc.edu/About/default.asp>.
212. <https://www.cononvonderland.nl>.
213. <https://www.encyclopedia.com>
214. <https://www.ergeek.com>
215. <https://www.faith.ed/generalinto/hisyory.html>.
216. <https://www.gotquestion.org>.
217. <https://www.loverlilmilkcenter.or> .
218. <https://www.marefa.org>.
219. <https://www.myswitzerland.com>
220. <https://www.Pcusa-org/101/101-holy-htm>.
221. <https://www.tagepedia.org>
222. <https://www.worldmethodist.org>
223. <https://www.zedmi.com.18/4/2018>
224. <https://www.marefa.org>
225. <https://www.thefreedictionary.com> puritanism
226. <https://kingdomoftheearth.com> (2021 blogspot.com 24/7/2023)
227. Huldreich Zuringlis samtliche werke v 1, unter Mitcurkung des Zurngli vereins in Zurich, 1905, Emil Egli, geong finsler.
228. Igdire universitesi, <https://eramus.igadir.edu.tr>
229. Jean lacoste: encycopaedia.
230. Justification by faith Alone in the early church faithalonesaves.com
231. Lutler Maryin last sermon in wittenberg » Dr Martin luther's werke kritische gesamt Ausgabe, vol, 51 weimar, hermann bohlan, 1914 (المكتبة العربية الرقمية).

-
232. Methodeia in Grgek and the Buble-<https://ministry-vroice.com/21/7/25/19M46>.
233. Monalisa, M political Ideas of ulrich zounqli (1484/131).<https://politicalsiencenotes.com> (political science Notes).
234. Rcheinessen.de/<https://rheinessen.de>,
235. SA Jgnatius of loyola-cincinnati <https://sainti.org>.
236. Uni24k.<https://ar.uni24k.com>.
237. Walker 'history of the christian church.
238. [www. Burogathering 2009.blogspot.com](http://www.Burogathering2009.blogspot.com).
239. www.bbc.edu

رابعاً: فهرس الموضوعات

أ	مقدمة
الفصل التمهيدي: أنماط الإصلاح الديني	
2	تمهيد
5	المبحث الأول: النمط الديني والأخلاقي للإصلاح
5	المطلب الأول: النمط الديني
8	الفرع الأول: تعريف صكوك الغفران
9	الفرع الثاني: تعريف الغفران
14	الفرع الثالث: صيغة الصك المعتمدة من الكنيسة
16	المطلب الثاني: الجانب الأخلاقي
22	المبحث الثاني: النمط الاجتماعي والإقتصادي
22	المطلب الأول: النمط الاجتماعي
23	المطلب الثاني: النمط الإقتصادي
25	المبحث الثالث: النمط السياسي والقومي لحركة الإصلاح الديني
25	المطلب الأول: العامل السياسي
33	المطلب الثاني: النمط القومي
34	المبحث الرابع: النمط العلمي والفكري للإصلاح
الفصل الأول:	
زعماء الحركة البروتستانتية	
42	المبحث الأول: أولريخ زوينجلي (Hilrrich Zurigli)

42	المطلب الأول: أسبقية أولرتخ زوينجلي في الإصلاح على مارتن لوثر
44	المطلب الثاني: ولادته وحياته
45	المطلب الثالث: العوامل الخاصة بزوينجلي لقيام حركة الإصلاح الديني
45	الفرع الأول: حال الكنيسة السويسرية
47	الفرع الثاني: المعتقدات الفاسدة والخرافات الكنيسة في سويسرا
50	الفرع الثالث: مرافقة زوينجلي الجنود المرتزقة
53	الفرع الرابع: بيع تأشيرة الغفران في سويسرا
54	الفرع الخامس: موقفه من معيدي المعمودية
55	الفرع السادس: النزعة المسلحة عند زوينجلي
56	الفرع السابع: تأثير أولريخ زوينجلي بإرأسموسن
58	المطلب الرابع: مبادئ وأفكار زوينجلي
58	الفرع الأول: مبادئه
61	الفرع الثاني: أفكاره
65	المطلب الخامس: وفاته ومؤلفاته
65	الفرع الأول: وفاته
66	الفرع الثاني: مؤلفاته
67	المبحث الثاني: مارتن لوثر
67	المطلب الأول: مولده وحياته
71	المطلب الثاني: العوامل الخاصة بمارتن لوثر لقيام حركة الإصلاح الديني
71	الفرع الأول: التكوين الشخصي لمارتن لوثر
72	الفرع الثاني: زيارة مارتن لوثر لروما
74	الفرع الثالث: تأثير مارتن لوثر بفلسفة القرون الوسطى والفلسفة الإسلامية

75	الفرع الرابع: إنزواء لوثر في الدير الأوغسطيني
92	المطلب الخامس: (مارتن لوثر) والكنيسة
92	الفرع الأول: رسائل إلى نبلاء الأمة المسيحية الألمان
92	الفرع الثاني: السبي البابلي للكنيسة
93	الفرع الثالث: كتاب حربه المسيحي
94	الفرع الرابع: ثورة الفلاحين
95	المطلب السادس: وفاته وأهم مؤلفاته
95	الفرع الأول: وفاته
96	الفرع الثاني: مؤلفاته
99	المبحث الثالث جون كالفن
99	المطلب الأول: أوضاع فرنسا العامه
103	المطلب الثاني: حياة جون كالفن
103	الفرع الأول: ميلاده ونشأته
105	الفرع الثاني: حياته الدراسييه
107	الفرع الثالث: رحلة جون كالفن إلى جنيف وإستقراره فيها
114	المطلب الثالث: وفاة "جون كالفن" وأهم مؤلفاته
114	الفرع الأول: وفاته
114	الفرع الثاني: أهم مؤلفاته
119	المطلب الرابع: أهم المبادئ التي نادى بها "جون كالفن"
119	الفرع الأول: تنظيم الكنيسة
122	الفرع الثاني: مجلس الكنسية (الإكليروس)
124	الفرع الثالث: الخلاص المسيحي

125	الفرع الرابع: والأسرار المقدسة
126	الفرع الخامس: الكنيسة والدولة
127	الفرع السادس الكتاب المقدس
129	المبحث الرابع: نقاط الإتفاق بين الرؤى الفكرية لرواد الإصلاح الديني
129	المطلب الأوّل: مرجعية الكتاب المقدّس
143	المطلب الثاني: الرهبنة الديرية وزواج رجال إالليروس
143	الفرع الأوّل: تعريف الرهبانية ونشأتها
150	الفرع الثاني: رأي (مارتن لوثر)
153	الفرع الثالث: رأي أليرخ زوينجلي
155	الفرع الرابع: رأي جون كالفن
158	المطلب الثالث: الطقوس والتقاليد الكنيسة
158	الفرع الأوّل: تعريف الطقس
159	الفرع الثاني: تعريف التقاليد الكنيسة
160	الفرع الثالث: بعض العبادات والتقاليد الكنيسة
165	المطلب الرابع: الخلاص
166	الفرع الأوّل: تعريف الخلاص ونشأته
176	الفرع الثاني: الخلاص عند (مارتن لوثر)
الفصل الثاني:	
بعض المسائل المختلفة فيما بين زعماء البروتستانت وأثارها على الحركات البروتستانتية	
186	المبحث الأوّل: الليتورجية الأفخارستيا
186	المطلب الأوّل: تعريف الأفخارستيا

186	الفرع الأول: لغة
187	الفرع الثاني: اصطلاحا
188	الفرع الثالث: الأصالتاريخي للعشاء الرباني
189	الفرع الرابع: إسمائها وخصائصها
192	المطلب الثاني: العشاء الرباني في فكر (مارتن لوثر)
197	المطلب الثالث: العشاء الرباني في فكر أولريخ زوينجلي
200	المطلب الرابع: فكر جون كالفن في العشاء الرباني
206	المبحث الثاني: الحرّية الفردية:
206	المطلب الأول: تعريف الحرّية
206	الفرع الأول: لغة
207	الفرع الثاني: اصطلاحا
208	الفرع الثالث: مفهوم الحرّية في الفكر الفلسفي
211	الفرع الرابع: مفهوم الحرّية في اللاهوت المسيحي
213	المطلب الثاني: نظرية الحرّية عند "مارتن لوثر"
219	المطلب الثالث: نظرية الحرّية عند أولريخ زوينجلي
222	المطلب الرابع: نظرية الحرّية عند "جون كالفن"
231	المبحث الثالث: الكنيسة والدولة
231	المطلب الأول: الكنيسة والدولة في فكر (مارتن لوثر)
234	المطلب الثاني: الكنيسة والدولة في فكر أولريخ زوينجلي
236	المطلب الثالث: الكنيسة والدولة في فكر جون كالفن
241	المبحث الرابع: الحركة الكاثوليكية المضادة للإصلاح
241	المطلب الأول: نكسة الكنيسة الكاثوليكية

244	المطلب الثاني: خصائص الإصلاح الديني المضاد وأهدافه
246	المطلب الثالث: الوسائل المشروعة للإصلاح المضاد
246	الفرع الأول: موقف السلطة الكنسية من الحركة اللوثرية
248	الفرع الثاني: مجمع ترنت المنعقد
256	الفرع الثالث: جمعية اليسوعيين (الجزويت)
259	المطلب الرابع: الوسائل غير المشروعة للإصلاح المضاد
259	الفرع الأول: الفهرس (الكشاف)
260	الفرع الثاني: محاكم التفتيش
263	الفرع الثالث: نتائج الإصلاح المضاد
الفصل الثالث:	
أثر اختلاف الرؤى الفكرية الإصلاحية على تطور الحركة البروتستانتية	
266	المبحث الأول: الناحية الدينية
266	المطلب الأول: الكنيسة التطهيرية أو البيورتانية
066	الفرع الأول: معناها ونشأتها
272	الفرع الثاني: معتقداتها
276	الفرع الثالث: أهدافها ومخططاتها
277	الفرع الرابع: أنشطتها
278	المطلب الثاني: الكنيسة المعمدانية
278	الفرع الأول: تعريفها، نشأتها
282	الفرع الثاني: معتقداتها ومبادئها
286	الفرع الثالث: أهدافها وأنشطتها

289	المطلب الثالث: الكنيستة المشيخية
289	الفرع الأول: تعريفها ونشأتها
293	الفرع الثاني: معتقداتها ومبادئها
295	الفرع الثالث: أهدافها ونشاطاتها
295	المطلب الرابع: الكنيستة المنهجية
295	الفرع الأول: تسميتها ونشأتها
199	الفرع الثاني: معتقداتها ومبادئه
202	الفرع الثالث: أهدافها وأنشطتها
303	المبحث الثاني: من الناحية السياسية
303	المطلب الأول: الحروب الدينية
311	المطلب الثاني: ظهور الدولة بمفهومها الحديث
318	المطلب الثالث: تبلور فكرة العلمانية
319	الفرع الأول: تعريفها
322	الفرع الثاني: تطور مفهوم العلمانية عبر العصور
324	المطلب الرابع: إعادة اليهود على الخارطة السياسية
324	الفرع الأول: حال اليهود قبل ظهور حركة الإصلاح البروتستانتي
333	الفرع الثاني: حال اليهود بعد ظهور حركة الإصلاح الديني، وعودتهم على خارطة العالم
342	المبحث الثالث: من الناحية الثقافية والاجتماعية
342	المطلب الأول: تحرر الفكر من القيود الكنسية
347	المطلب الثاني: إزدهار التعليم واللغات القومية
351	المطلب الثالث: تبلور الحياة القومية وظهور الدول

252	المطلب الرابع: أثر الإصلاح الديني على الحياة الاجتماعية والعائلية
354	المبحث الرابع: من الناحية الاقتصادية
354	المطلب الأول: معنى الرأسمالية، نشأتها، وأهم نظرياتها
354	الفرع الأول: تعريف الرأسمالية
356	الفرع الثاني: النشأة التاريخية للرأسمالية
357	الفرع الثالث: تطور النظريات الرأسمالية
360	المطلب الثاني: علاقة البروتستانتية بالفكر الرأسمالي
365	المطلب الثالث: تعاليم "جون كالفن" في الربا
366	الفرع الأول: الربا في الكتاب المقدس
368	الفرع الثاني: موقف زعماء الإصلاح من الربا
370	الفرع الثالث: موقف "جون كالفن" من الربا
375	المطلب الرابع: أثر البروتستانتية في الفكر الرأسمالي
380	الخاتمة
الفهارس	
393	أولاً: فهرس الآيات القرآنية
395	ثانياً: فهرس نصوص الكتاب المقدس
401	ثالثاً: قائمة المصادر والمراجع
431	رابعاً: فهرس الموضوعات
	الملخص

المخلص

الملخص:

تناولت هذه الدراسة بعض الجوانب المهمة عن تطور حركة الإصلاح الديني البروتستانتي. من خلال تسليط الضوء على أحوال الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى، مع ذكر أنماط الإصلاح البروتستانتي.

وإبراز قادة الإصلاح البروتستانتي ((مارتن لوثر)، أولريخ زويني، جون كالفن). والتركيز على أهم الركائز والمبادئ والأفكار الإصلاحية التي تبناها كلّ مصلح كرد فعل على التجاوزات الكنيسة الكاثوليكية والأوضاع السائدة آنذاك. لتتحول إلى حركة إصلاحية معارضة.

وإبراز الاختلافات الفكرية في بعض المسائل لهؤلاء المصلحين، وتوضيح أثر هذه الاختلافات على مسار الحركات البروتستانتية.

الكلمات المفتاحية: الإصلاح الديني البروتستانتي، (مارتن لوثر)، جون كالفن، العشاء الرباني، الكنيسة والدولة، رجال الأكليروس، الكتاب المقدس.

Abstract:

This study dealt with some crucial aspects concerning the evolution of the Protestant reformation movement by shedding the light on circumstances of the catholic church in medieval ages, with stating the patterns of the Protestant reformation.

Demonstrating the leaders of the Protestant reformation (Martin Luther, Huldrych Zwingli and Jean Calvin), and emphasizing upon the most significant pillars, principles and reformist thoughts which are adopted by each reformer as a reaction to the transgressions of the catholic church and the dominant circumstances at the time to transform into an opposition reform movement.

As well as shedding the light on the intellectual differences in some issues which belong to those reformers, and clarifying the impact of these differences on the path of the Protestant movements

Keywords: The Protestant religious reformation, Martin Luther, John Calvin, the Lord's supper, the church and state, Clergy, Bible.

Résumé:

Cette étude aborde des aspects cruciaux de l'évolution du mouvement de la Réforme protestante en éclairant le contexte de l'Église catholique au Moyen Âge et en présentant les grandes lignes de ce mouvement.

Elle met en lumière les figures de proue de la Réforme protestante (Martin Luther, Huldrych Zwingli et Jean Calvin) et souligne les piliers, principes et idées réformistes les plus importants adoptés par chacun d'eux en réaction aux transgressions de l'Église catholique et au contexte dominant de l'époque, aboutissant à la formation d'un mouvement de réforme d'opposition.

Elle éclaire également les divergences intellectuelles entre ces réformateurs sur certaines questions et analyse leur impact sur le développement du mouvement protestant.

Mots-clés : Réforme protestante, Martin Luther, Jean Calvin, Cène, Église et État, Clergé, Bible.

Democratic Popular Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research
Amir Abd-el-Kader University of Islamic Sciences
Constantine

Faculty of Usūl al-Dīn
Specialty: Christianity Religions
Ordinal Number..... ..
Identification Number



Department of Aqida and
Comparative

**Modernist reading of doctrinal issues
according to Hisham Jait
The issue of revelation as a model
(a critical doctrinal study)**

Thesis presented to get Scientific Doctoral Diploma:
Specialty: Christian religion

Elaborated by the student: Supervised by the Professor:

Widad Dilmi

Pr. Assia CHEKIEB

The discussion jury members

Name and First Name	Function	Scientific Rang	Original University
	Chairman		
Pr. Assia CHEKIEB	Supervisor and Reporter	Professor	Amir Abdelkader University
	Membre		
	Membre		
	Membre		

University year: 1446 -1447h / 2024-2025